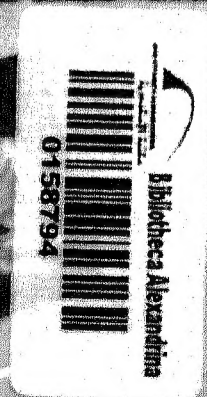
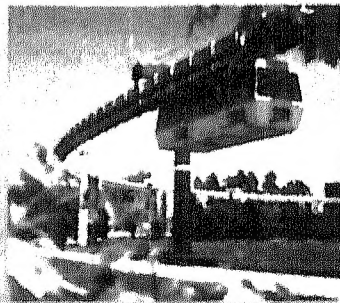
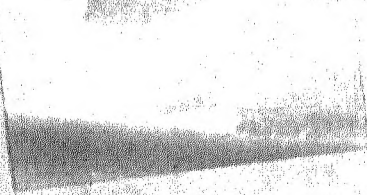
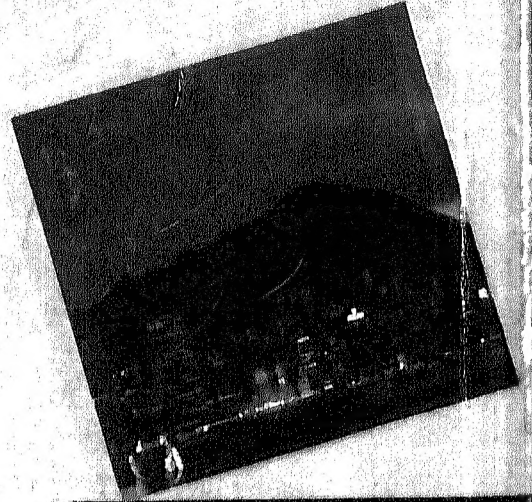


دكتورة نجات أحمد فؤاد

رحلة الشرق والغرب

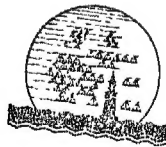
سافرت في الإنسان والمكان والزمان



رحلة الشرق والغرب

(سافرت في الإنسان
والمكان
والزمان)

دكتورة نغمات أحمد فؤاد



General Organization of the Alexandria Library
Wakala Al-Kutub



المكتبة الوطنية للجمهورية العربية المصرية

١٩٨٦

الاخراج الفنى

راجية حسين

مقدمة

الانسان . . . والرحلة

حين يعدد انسان ألوان الأدب في الشرق أو الغرب ، قلما ينسى هذا اللون الشائق من ألوان الأدب وهو أدب الرحلات . . . انه مرغوب شائق . . . وأكثر من هذا هام ونافع . . . ما هي الحضارة ؟ أليست رحلة كبيرة من العصر الحجري الى العصر الحديث ، استطاع فيها الانسان من خلال التجربة والخطأ ، والضرورة بين المواجهة ، والارتفاع فوق مقتضياتها الى أفق مجرد يعنى الفن الخالص وترف الروح . . . أن يصوغ الانسان دنياء ويعيد تشكيلها ، مرات ، مستعيناً بعقله وغرائزه معا حتى استوت أمامه في الصورة التي نعيشها اليوم ؟

الأديان رحلة من الأرض الى السماء تبدأ بالواقعية وتنتهى بالمثالية في عملية كشف للحجب الكثيفة التي رانت على العيون والعقول . . . حتى اذا تقبلتها النفوس وتطهرت بها ، رفت وشفقت واتخذتها معراجا الى أفق أعلى من التصرف والتصوف والسلوك .

وفي أثناء رحلته الكبيرة ، عرف الانسان ألوانا أخرى من الرحلة لاغراض شتى . . . فمارس الرحلة للتجارة ، وللعلم ، ولتوثيق النص ، وللتمهيد للغزو . . .

ولكن حين تكون الرحلة بيضاء . . . سياحة في داخل النفس وخارجها في المكان والزمان . . . في عملية مقارنة طموح حساسة ، تكون الرحلة نبضا انسانيا خلاقا ودافئا بمشاعر الأمل والألم والاشادة والنقد ، والتطلع والاستطلاع . والاضافة والطموح . . .

يفغدى الرحلة شوق الانسان الى المجهول ، وطموحه الى كسب المال أو العلم أو المجد . . . وفي أثناء هذا تسهم الرحلة في الحضارة بما تكشف من مجهول وما تفجر من أساطير . . . أليس النشيد الثاني في الإلياذة معرضا لأوصاف هوميروس لما زار من بلاد وجبال ووهاد ، وبحار وأنهار ؟ . . .

تسهم الرحلة فى الحضارة بما توثق من علاقة بين الأمم والأفراد .وهى بهذا مقياس حضارة بما تسجل من فروق المكان والزمان .. و تنبه الى هذا بعض الغزاة وقواد الحروب فحاولوا وحولوا غزواتهم نزواتهم من قسوة الغزوة ، وحماقة النزوة ، الى مكاسب حقيقية .. الى رحلة علمية بما جلبوه من وسائل الرصد والتسجيل .. وأنا ألمح . بالطبع ، الحملة الفرنسية على مصر ، ونابليون ، بل ألمح الاسكندر ق مع الفارق ..

وقد عرفت مصر القديمة الرحلة حتى يذهب البعض الى أنها وص
الى المكسيك .. ولكن الذى نستطيع أن نؤكدده هو وصولها فى الأ
الثالث ق.م الى بلاد (بنت) وهى (الصومال) برا وبحرا فى عه
الملكة حتشبسوت التى عنيت بتسجيل هذه الرحلة بالنقش البارز
الدير البحرى بالصعيد .

وكما عرفت مصر الرحلة ، قصدتها الرحلة والرحالون .. فجاء
هيرودوت ، وزارها أفلاطون لتلقى العلم من كهنتها . وكتب عنهم
بلوتارك وبتلر ..

وفى العصر الوسيط وقف عندها الادريسي والهروى والنابد
والبلوى ، وابن جبير ، وابن سعيد الأندلسى ، والورثيلاى والمسعودى
وابن حوقل ، وابن خرداذبة ، وناصر خسرو ، وابن فضل الله العمري
وابن بطوطة ، والبغدادى .. وقف هؤلاء جميعا عندها وقفات طو
متفاوتة ..

أما فى العصر الحديث فقد شد نيل مصر ، الرحالة الغربيين جر
وراء معرفة المجهول من أمره ، وجنونا بكشف منابعه حتى أعلن reke
و Grant الى الدنيا المتشوقة سره . وهنا أفردت الكتب عنه ، ول
من أشهرها كتاب اميل لودفيج Emile Ladwig بجزيئه والذى سماه
النيل ..

وفى عصرنا الحاضر ظاهرة ملحوظة وهى تعلق الكثيرين بالس
والرحلة مع أننا من أشد الناس تعلقا بالأرض والوطن حتى امتلأت أغاني
قديما وحديثا بالام الغربية .. وهى غالبا لا تتجاوز الحدود .. وقد تكو
حدود المحافظة الواحدة أيضا .. فاذا بمقتضيات العصر ومطامحه تغ
الصورة تماما .. واذا بأسفارنا تتعدى حدود القارة الافريقية وتجو
القارات الست .

ولعل أشهر الرحلات في أدبنا الحديث سندباديات الدكتور حسين فوزى ، ورحلات عزام (الدكتور عبد الوهاب عزام) ورحلة الدكتور زكى مبارك وليلاه المريضة في العراق ، ورحلة الشرق والغرب للدكتور لويس عوض ورحلة بل رحلات الأندلس للأستاذ عبد الله عنان والدكتور حسين مؤنس والبرقوقي ، و (٢٠٠ يوم حول العالم) للأستاذ أنيس منصور ، و (رحلة الحجاز) لأديبنا ابراهيم عبد القادر المازني .

وهناك رحلة من لون آخر ، يراها أناس قصة ، ويراهها آخرون ترجمة حياة ٠٠ انها (الأيام) ٠٠ وهل الترجمة الذاتية الا رحلة داخل النفس حتى أن الدكتور أحمد أمين يسمى ترجمته (حياتي) ٠٠ والترجمات عادة تذهب في النفس بعيدا حيث الألم جمرات ، والفرح رقصات ، والعمر بينهما شفق وراء نهار مكدود ، وأمامه ليل مجهول ٠٠ ومع هذا يضيء بالشعاع ، ويعيش على الأمل .

وحين عمرت رحلات مصر القديمة بالحنين الى العودة - يجسمه (سنوحى) ، والفرحة بالاياب ، تتسم رحلات مصر الحديثة بالبعد والايغال فيه من حيث الزمان والمكان حتى لم تعد تسمى رحلات بل هجرات ٠٠ وللسباب المهاجر للعمل المؤقت أو الطويل تكون الرحلات المكتوبة من خبرة معمقة ، بوصلة للمسافر الحائر ، والمغامر ، والمجهول ٠٠ وبعد ٠٠ فهذه رحلة في الوادى من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب

فى النيل

فى البحر الأبيض

فى الغرب

أما الشرق فله عندى وقفة أخرى أدخل فى باب الذكريات لا الرحلات . فقد أقمت فى بعض أقطاره ، وحاضرت فى بعض جامعاته أكثر من عام دراسى ، ودرست بعض آدابه حتى الشعبية منها .

سياحة فى النفس والمكان والزمان وأمل أن تكون رضا لهواة السفر ، وعشاق الأثر ، وأدب الرحلات .

دكتورة

نعمات أحمد فؤاد

القاهرة ١٩٧٦

فی اوروبہا

الليل والبحر

٧٣/٧/٨

بدأت الرحلة ٠٠٠ نحن الآن على ظهر الباخرة الايطالية « اسبريا »
أى الأمل ٠٠٠ والحقيقة أن الباخرة ليست وحدها الأمل ولكن الرحلة
أيضا ، أمل ٠٠ أن يخرج الانسان ويرى ويسمع ويعلم ويتعلم وينمو
شعوريا ونفسيا وحضاريا شيء ممتع حقا .

الساعة الواحدة بعد الظهر ٠٠ جلسنا الى مائدة الغداء . بدأت
الباخرة تتحرك ويجذبها البحر وتجذبنا الاسكندرية التى تعلقت بها
عيوننا فى نظرة وداع فلم نر ما فى أطباقنا وان كنا أكلناه ٠٠٠

٧٣/٧/٩

بيروت

وصلتها الباخرة فى التاسعة صباحا وأقلعت منها فى الحادة عشرة
مساء فعملنا على أن نقضى اليوم فى بيروت .

شاهدنا فيلم (كاباريه) . السينما تحت الأرض وعلمت أن كثيرا
من المرافق الجديدة فى المدينة تحت الأرض . السينما بسيطة ٠٠
لا تقارن فى الديكور والفخفة بسيما مترو فى القاهرة أو الاسكندرية
ولكنها مع هذا أكثر نظافة وأكثر احتراما للفن والمكان ٠٠٠ السلطات
تمنع دخول المأكولات بل المشروبات والناس يحترمون هذا ولا يفكر أحد
فى مخالفة التعليمات سرا أو علنا . الفيلم فيه عرى وجنس وليل ومع
هذا لم نخدش الأذن كلمة عارية أو ضحكة نابية من المتفرجين .

وفى بيروت أكثر من مقهى بل عشرات المقاهى الانيقة المتألقة الناعمة
بالزهور كأنها نبت وسط حديقة كشجرة من أشجارها ٠٠٠ قد يعلل هذا
بارتفاع أسعار الطلبات من ارتفاع مستوى المعيشة وارتفاع مستوى

الرواد ٠٠ العميل أو الزبون وحده هو الذى يحكم وكيف الأمور ومن هنا توجد المنافسة فى الخدمة وما يقدم فيها ولكن تكبيل الحريات وتقييد الاستيراد وتحويل كثير من المرافق الى قطاع عام أى الى بطالة مقنعة ومرتببات ثابتة وماس كهرباء فى شهر يونيو من كل عام ، أو شلل وجمود عن التصرف وخوف المحاسبة والاثام ٠٠٠ كل هذا هبط بل هوى بكل شيء فى مصر ٠٠٠

وفى بيروت الوجوه نظراتها مستريحة ليس فيها أو وراءها شجن أو هم دفين كميون جميلة تعيش فى جنة الدنيا لو علم أهلها وأنصفوا أنفسهم من أنفسهم قبل أن ينصفهم الناس .

تقول لى صديقة مصرية تعيش فى بيروت ، هنا فى الصباح تجددين رجل الشارع والعامل يقضم تفاحة ويشرب زجاجة لبن فى يده الأخرى ! وتحسرننا على عمال أوفر ذكاء وسماحة يكادون لا يعرفون اللبن بله التفاح فى أخصب وديان الدنيا .

هذا هو الوجه المشرق فى بيروت لان حس التجارة والشطارة والكسب فيهم منذ بعيد أيام فينيقية .

أما الوجه الآخر من بيروت الذى تشقى به مصر وكتائبها وصناعاتها فوجه بغيض كالح كوجه سارق النعمة أو قطاع الطرق ٠٠٠٠ ففى بيروت فئة موكلة بنهب القاهرة تسرق كتبها وتطبعها فى غير حياء أو اعتبار لعرف أو شرف أو مبدأ تعامل ٠٠ وتسرق صناعاتها ٠٠ وقد رأينا فى طرابلس بليبيا المعلبات الغذائية بنفس شعار (قها) مع استبدال الميم بالقاف لتصير (مها) وكأن الميم قاف سقطت نقطها هذا اذا أراد أن يقرأ ويدقق !! سقطت ضمير ٠٠

وتسرق زبانية بيروت أقمشة القاهرة لتبيعيها نحت أسماء أجنبية ٠٠ تسرق زبانية بيروت كل شيء فى غير هواربة وفى صفاقة ومع هذا تظل القاهرة هى القاهرة ٠٠٠ العاصمة المفكرة ٠٠ وبيروت المدينة التاجرة ٠٠ ما أجمل أن يسافر الانسان على باخرة كبيرة (لا تهتز بعنف) ويخلف أعباء كلها وراء ظهره ويلتقى مع كتبه وقلمه فى بسطة من الوقت ومتعة حقيقية ٠٠٠

ما أجمل أن يجلس الانسان فى شرفة باخرة ٠٠٠ البحر أمامه لا نهاية له ٠٠٠ الأمواج التى تفرقها الباخرة على الجانبين لها زفيف

الريـح ٠٠٠٠ الهـواء يلف الإنسان من الخارج والداخل وينفض عنه تراب
العـام كله ٠٠

معابد البعلبك

المعابد هناك فى البعلبك ، كان المراد أن تكون أكبر وأعظم من المعابد
فى أثينا (الاكروبول) ولكن معابد بعلبك لم يستكمل بناؤها ٠ واتحد
أثار الحرب والزلازل ووجود الإنسان على المعبد أكثر من احتماله حتى
أن الزائر الآن لا يرى الا بقايا تدل على ما كان عليه هذا الأثر العظيم ٠
يحتوى المعبد على أعلى أعمدة فى العالم القديم ٠

وعلى بعد مسيرة ١٠ دقائق على الأقدام ، وبالتحديد فى مدينة
زيبادانى حيث « حجر الجبلى » وطوله ٦٩ قدما وارتفاعه ١٢ قدما وعرضه
١٦ قدما ويزن ما يقرب من ٢٠٠٠ طن ٠ حجر الجبلى هو أكبر حجر
بنا فى العالم ومعبد « جوبيتار » الذى يمتد على مساحة ١٥٧ × ٢٨٨ قدما
وكانت مساحته أكبر من ضعف مساحة ال (Parthenon) فى أثينا ٦ فقط
من ال ٥٤ عمودا الأصلية ما زال قائما على ارتفاع ٧٥ قدما من البقايا
الباقية كقنطرة كبيرة ٠ والمكان المحصور بين المعبد والمساحة الرئيسية
الفسيجة المزينة ب ٢٤٠ تمثالا لآلهة الرومان تحسب كاحدى عجائب
العالم ٠ وعلى الرغم من كل محاولات الأباطرة الرومان ، لم يكتمل أبدا
الأكروبول فى بعلبك ٠

هنا يلقى الإنسان نفسه ٠٠ يستطيع أن يحلم ولو بالميناء القادمه
وبالشراء ٠٠ شراء أى شئ حتى ولو لم يكن فى حاجة اليه ٠٠٠ يكفى
أن هذا الشئ يستطيع أن يعيد اليه صور الساعات الحلوة الهنية
وما بالقليل هذا ٠

ما أجمل أن يجلس الإنسان فى شرفة باخرة وأمامه نلوح من بعيد
باخرة أخرى تبدو لمينه صغيرة مهما كبر حجمها ٠٠٠ ان القرب يجسم
الأشياء كالمشاكل الا فى العبقرية فان مارك توين يقول ان العبقرى
لا يكتشفه أصدقاؤه لانهم بحكم التصاقهم به ، لا يرونه رؤية واضحة ٠٠٠

رائع حقا أن يسافر الإنسان فى البحر ، وفيه ، من خلال الباخرة
يزاول رياضته وينعم بالموسيقى والسينما والصحيفة والكتاب وسمير
الأحساب ٠

وفى السفر يتلاقى الناس من مختلف الجنسيات ويتحدثون ثم يتسامرون وبعدها يحيى بعضهم بعضا كلما رآه كأنه صديق قديم .. والأطفال فى الرحلة من مختلف الجنسيات يلعبون معا ... لم تعرف قلوبهم بعد ما يحكم عالم الكبار من عواطف شوكية مدببة .

لا يمكن أن يحذف المرء الاثرة والغيرة من قاموس الانسان ما دامت فيه مصالح متشابكة وعقائد متوازية يحتدم من أجلها الصراع على المستوى الفردى والدولى ، ولكن محالات التوفيق كانت دائما تأخذ مكانا عندما تخلص النيات ، وتتسامح وتقوى الرغبة فى نبذ النزاع فى عملية جنوح الى السلم .

٧٣/٧/١٠

(كريت)

الجزيرة جبلية ... الخضرة فيها بقع صغيرة تشبه الحقائق الخاصة فى الفيللات .. الجبال صخرية صارمة الوجه ، خشنة الجانب .. حق للقرآن الكريم أن يصف مصر بأنها جنات وعيون وزروع ومقام كريم .

جزيرة كريت متواضعة فى كل شئ ... فى الشواطئ .. فى الشوارع .. فى البيوت .. فى المحال التجارية .. جزيرة .

أو لعل أراها هكذا لاني صاحبة شاطئ سيدى عبد الرحمن ومطروح ...

أبرز ما فيها أشغال اليد حيث لا زراعة كثيفة ولا صناعة .. الملابس شغلها رقيق جميل ولكن قماشها ضعيف كالشاش كم تكون قيمتها لو أن الشغل والنممة على لينوه مصرى .

٧٣/٧/١١

حين يخلق الانسان فى الفضاء فى طائرة من علمه ، أو يمخر عباب الماء فى باخرة من صنعه ، يتيه ولو بينه وبين نفسه ويكاد يقول هاؤم أقرأوا (ابداعيا) .. ولكنه اذا خرج فى سرفة باخرة ، ولا أقول أطل من نافذة طائرة ، اذا خرج فى الليل أحس لليل رهبة لا تبددها أضواء المدينة .. هنا الانسان وحده والليل ... فاذا اجتمع عليه الليل والبحر .. أفاق

من غروره وشعر أنه ضعيف أمام الطبيعة وأنه صغير صغير . وأن الله كبير كبير . وأن باخرته أو طائرته لا تحفظها الا عناية الله ، وأن آلاته وموتوراته لا تغنى عنه شيئا اذا احترقت الطائرة أو ارتطمت الباخرة .
 فى الجو والبحر يغدو علم الانسان مجرد اجتهد ، واخترعه وابداعه .
 مجرد محاولة ، ويبقى الله وحده « العليم » ، « العزيز » « الجبار » .
 هذا الانسان ما أضعفه فى قوته . ما أصغره فى كبرته .
 ما أهونه اذا ملكه الغرور .

يا رافع السماء وباسط الأرض
 يا زارع المريج وفتان الروض
 يا مجرى السحاب وبواخر العباب
 يا نور الفجر يا روح البحر يا عطر الورد يا عبير الزهر
 أنت أنت القوى
 أنت أنت الله

وفى البر ، شاهدت فيلم (جحيم تحت البحر Posiden aventure .
 يدور حول غرق باخرة ضخمة عالية الطوابق والشهرة حين اعترضها جبل مائى بسبب زلزال فى منطقة كريت . وتدفقت المياه من النوافذ والأبواب كالطوفان . وانكفات الباخرة الشامخة وصار عاليها واطيها كما يقولون .
 ونفدت حيلة الربان ، وحارت بصيرة الانسان . وحين زاغ البصر ، وحجم القدر تساقط الناس والأشياء ورأى الركاب الذين كانوا يرقصون ويشربون غافلين ، رأوا فزع القيامة . وصارعت الحياة ، الموت صراعا مريرا داميا عرف خلاله الانسان ، المشاهد على الأقل ، أن البحر أقوى منه ، وأن جبل الماء بله الصخر أقوى منه ، وأن القوة الأكبر التى تهيمن على الكائنات يتلاشى أمامها فى ساعة الخطر علمه ببريقه وزخارفه فلا يعصمه الا الايمان والرجاء .

الايمان بالله .

والرجاء فى الله .

بقى أن أقول أن قس السفينة كان يعرف من المعلومات العلمية عن

الباخرة ما أتاح له أن ينقذ النفر القليل الذى سار وراءه . فرجل الدين الحقيقى لا يقتصر عمله على ترديد الثواب والعقاب والجنة والنار . . .

ان من الدين معايشة العصر بعلومه وانجازاته . . وفى مصر القديمة كانت الكهانة لا تعنى وظيفة دينية ولكنها تعنى أسرار العلم وأعماقه البعيدة . ان الوظيفة وحدها بلا علم له قيمة ، حرفة . . لا فن . . وكـ بين « حرفية » الوظيفة ، وسماوية الفنان . .

٧٣/٧/١١ .

Siracooza سيراكوزا

نزلنا من الباخرة لنجد الأوتوبيس فى انتظارنا . . . أوتوبيس فاخر جدا بالنسبة لجزيرة صغيرة بل بالنسبة لمدينة . . . أوتوبيس به تليفزيون وعلى كل كرسى فتحة للهواء وعدة أزرار ككراسى الطائرة . . ومثبت فى اللوحة الأمامية ساعة كبيرة . .

زرنا الكاتدرائية وجدرانها كالعادة فى ايطاليا مملوءة بالتماثيل وسقفها بالرسم والتلوين . . بها قباب كالمساجد والكنائس فى مصر غير أن قبابها غطيت باللوحات الملونة بدلا من المقرنص . .

وفى الطريق الى المسرح الاغريقى الرومانى كان بعض شرفات المنازل من الحديد المطروق ذى الشكل الاسبانى . فالاسبان بعض من احتلوا الجزيرة يوما ، كما احتلها العرب .

المسرح كبيرا جدا ، مدرجاته دوائر متسعة . .

هناك الجبل حدث فيه من مدة طويلة عدة انهيارات خلفت فجوات عالية ومنخفضة ، والأرض هناك مستويات كثيرة ولكنهم بدلوا خوف الطبيعة ، أمنا بما زرعوه من ألوان الأزهار والأشجار حتى غدا المكان حديقة أنيقة تستهوى العين بالتنوع والغرابة .

الجزيرة بها شوارع ضيقة ولكن بها الكثير من الشوارع الكبيرة المرصوفة الناعمة ذات المحال التجارية وبها سكة حديد .

وكريت (اليونان) وسيراكوزا (ايطاليا) بل ايطاليا كلها فيها الكثير من أسلوبنا فى العيش وفى الحديث ، لا فى المدينة بل حتى فى

الريف ٠٠ عربات الفاكهة ، والميزان اليدوي ، والكفتان ، والنساء على
عتبات الدور. ينقن الأرز ، والغسيل في الشرفات بل أمام البيوت في
الطريق ، (في سيراكوزا) ٠

٧٣/٧/١٢

نابولي

في التاسعة صباحا نزلنا نابولي ٠٠٠ محطة المينا كبيرة فخمة ولكن
الغريب ان ساعات الحائط بها ، جميعها معطلة ٠٠٠ اننا نسرف كثيرا في
لوم أنفسنا ٠٠٠ لو أن هذه الظاهرة في ميناء مصرية لأكثرنا من اللوم
وتبكيت النفس ٠

البلد فيه ملامح من الاسكندرية ٠٠ الأسعار فيه أرخص من سائر
المدن الايطالية اذا استثنينا شارع روما وهو أكبر الشوارع وأحفلها
بالمعروضات وأغلاها أسعارا ٠٠ ولكن العالمين بايطاليا يقولون أن الشوارع
الأخرى الأقل سعرا بضاعتها مغشوشة والبائعون يتلاعبون كثيرا ٠٠٠

جلسنا في الجاليري المغرمة به المدن الايطالية ٠ جلسنا على مقهى
يقول صديق لنا في صحبتنا أن به أجمل « كابتشينو » ٠٠

عدنا الى الباخرة سريعا حيث أبحرت في الساعة الواحدة ظهرا في
طريقها الى جنوه ٠٠٠

٧٣/٧/١٣

جنوه

وصلنا في التاسعة صباحا وحجزنا الأتوبيس الذهاب الى نيس
بفرنسا ٠٠

جاء موعد الأتوبيس وركبنا وقطع بنا الريفيرا الايطالية وهي في
رأى أجمل وأنظف مناطق ايطاليا ٠٠ ظل الأتوبيس يصعد بنا ويهبط
ويدخل في أنفاق ويخرج من أخرى ٠٠٠ مرة نعلو كثيرا على سطح البحر
ومرة نحاذي الشاطئ والطريق يشق بين جبال كثيرة ٠ كانت بلا شك
موحشة قبل أن يؤنسها الزهر والشجر والانسان الذي تصعد بيوتته
السفح في طموح الى القمة ٠٠٠

كان المطر يتساقط ثم يكف لتطلع الشمس تم يعود الغمام . ويلف السحاب الجبال وفي جميع الحالات يبدو المنظر غريبا لنا نحن أبناء السهل والوادي لولا أننا رأينا هذا في زيارتنا الأولى لأوربا .

نيس

مدينة (نيس) على شاطئ البحر المتوسط مقسمة الى ثلاثة أقسام ؟

المدينة الجديدة . . المدينة القديمة والميناء . . والى الشمال المدينة الجديدة بمسارحها وفنادقها و (كازينواتها) و (فيلاتها) وشرق المدينة القديمة به الوسط التجارى والميناء .

ونيس كاتيدرائية ومتحف ومكتبة وأثر ل (غاريبالدى) الذى ولد فى نيس سنة ١٨٠٧ .

ونيس أسست منذ ٢٠٠٠ سنة على يد يونان مارسيليا . وعندما سيطر اليونان على المناطق المجاورة ، وبنوا (نيس) أطلقوا عليها اسم (نيس) نسبة الى الكلمة اليونانية نيك (Nike) بمعنى (النصر) .

وبعد ذلك وقعت المدينة تحت الحكمين الرومانى والتركي . . وفى القرون التالية حكمت من البروفنس ، Provançe وسافوى Savoy

وأهم صادرات نيس هو زيت الزيتون والصابون ، والبارقان ، الجلود ، الأثاث ومنتجات أخرى . ونيس عاصمة Câtasur الفرنسية

عن دائرة المعارف الأمريكية

حوار طويل بين الانسان والجبل

● سان ريمو :

وصلنا سان ريمو فى الرابعة مساء ٠٠

سان ريمون مدينة جميلة نظيفة فى حوض البحر ٠٠ هواؤها رائع وشوارعها نظيفة ولو أنها صاحبة مزدحمة ٠ وهى كسائر مدن الشواطئ ، الشوارع فيها اما صاعدة واما منحدرة ٠٠ ومراجيح الأطفال بها تسير العصر فلم تعد مراكب الأطفال الحصان والوزة بل العربات بأنواعها والسيارات بماركاتهما وسفينة الفضاء والدبابة الخ ٠٠٠ وأثناء الدوران تتدلى من السقف لعبة تدنو وتبعد وكأنها تعابشهم فيحاولون التقاطها وهى تحاورهم حتى يتمكن طفل طويل نوعا من الامساك بها ويضحك الأطفال مسرورين ٠

أهم من هذا كله كيف أحال الانسان الأوربي العائق الى ميزة ؟ كيف تغلب على الجبال الرهيبة ؟ كيف تودد الى طبيعة أرضه القاسية حتى لان الصخر وأرربى ؟ ان القرى الجميلة والمدن الحالية التى مرنا عليها كان يمكن أن تكون قفرا لا ظل فيها ولا نبض ولكن الانسان الأوربي لم ييأس من الجبل ٠ وبدلا من أن ينشئ فى ظله مدينة أنشأ مدنا ٠ فقد قسم السفح مدرجات وهضابا فبدت المدن والكبارى والبيوت طوابق يعلو بعضها بعضا ٠٠٠ المدن هنا رأسية لندرة الأرض المنبسطة السهلة ٠٠٠ الصعب غدا ميزة وأسلوبا وطابعا بعد أن يسره الانسان وأخضعه لارادته ٠

وسعينا الى الشاطئ فى سان ريمون فاذا بالبحر كابى اللون أو ترابى اللون ولكنه يعج باليخوت والزوارق والشاليهات والسيارات والناس والأطفال ٠٠٠

وأحسست بقلبي يعصر عصرا على جنات اللازورد وشواطئ الفيروز الممتد من الاسكندرية الى السلوم دون أن تمتد اليها يد ٠ وما بها حاجة الى جهد الانسان المصرى ولكن الانسان المصرى فى أشد الحاجة الى الانتفاع بها ٠٠٠ كيف لا تعمّر شواطئنا التى لا نظير لها ولا ضريب ؟

أين شاطئ النخيل في العريش .

البلاد التي تبهرنا قصارى ما تملكه شريط من البحر الأبيض محدود
المساحة ومصرنا تملك شاطئاً مترامياً في البحر الأبيض وآخر في البحر
الأحمر ثم ننام عن هذه الكنوز كما نمنا عن غابات جبل علبه .

ليبتهم يرسلون المحافظين في بعثة الى هنا ليروا ويعلموا كيف تخلق
المدن وتوفر فيها الحياة السهلة المريحة بالنظام والنظافة والترفيه . . .
كيف تنتشر المطاعم الأنيقة والحدايق الجميلة والنافورات والتماثيل
والميادين . . كيف تطل الزهور من النوافذ والشرفات . . . كيف تتنفس
المدن هنا وتجل بالزروع والزهور ولا تذبح الخضرة فيها بدعوة البناء
والاسكان وفي الصحراء متسع لهما .

لابد لنا من حرية كبيرة تطلق سراح الأفكار لتبدع ، وسراح الارادة
لتنفذ ، سراح العمل والمنافسة لتتبارى الطاقات . . حرية آمنة وأمن
لا تتهدده قيود . . .

فرنسا - إيطاليا

في طريقنا الى فرنسا لاحظت أن رعايا الدولتين يدخلون ويخرجون
بالبطاقات فقط . . . مسألة جوار ومصالح يفعلون هذا في هدوء دون
مانشيتات عريضة في الصحف تعلن البشرى ، ودون قصائد طويلة من
الشعر تغني بالاخوة والوحدة .
ان السفر بالبطاقات أمر طبيعي جدا عند غيرانا بلا زفة أو ميكروفون .

٧٣/٧/١٤

نيس

أخذنا الأتوبيس في تمام العاشرة صباحاً من « سان ريمو » متجهين
الى نيس بفرنسا وبعد ساعتين تقريباً وصلنا الحدود ما بين إيطاليا
وفرنسا أى نهاية الريفييرا الإيطالية وبداية الريفييرا الفرنسية . . كان
المطر يهطل ولكنه لم يمنع الناس من سيرهم السير المعتاد بدون هرولة
أو تلفت للاحتماء بالسقوف . . بعضهم كان يحمل مظلة ولكن الوجوه
ساكنة . .

رحلة - ١٧

عند الحدود استوقف ، السيارة ، الجمرك ٠٠ وصعد رجل الجمرك
وعندما قدمنا له جوازات سفرنا سأل سؤالاً خفيفاً عن وجهتنا ثم أرسل
الجوازات للتأشير عليها. في مكتب الجمرك على جانب الطريق ٠ وكذلك
فعل رجل البوليس ٠

بدأت السيارة تسير بنا في الريفيرا الفرنسية فتضاءلت أو اهتزت
على الأقل صورة الريفيرا الإيطالية ٠٠٠ هنا ريفيرا أخرى أجمل وأغنى
وأزهى وأشد نظافة وأكثر أناقة ٠٠٠ هنا قصور وعمارات شاهقة على
الشاطئ ، وقصور وناطحات سحاب على السفوح وفي أعلى القمم ٠٠٠
حتى البحر أصفى لونا والشاطئ أخضر به زروع وملاعب وحمامات خاصة
وجراجات سيارات ويخوت ٠٠٠ هنا دنيا أخرى ٠٠٠ الشوارع النظيفة
المترفة بالزهور والشجر والأسوار وما وراءها من حدائق وفيلات جميلة ،
بدأت في هذا الصباح أكثر شفافية بعد أن غسلها المطر وترك حباته على
أوراق الشجر لتلمع في ضوء الشمس وتسيل من الرقة مع رفيف النسمة
النشوانة من الهواء والصفاء والنعيم البادي في المكان كله ٠

لقد حضر الشرق القديم ، السهول والوديان ، وحضر الغرب
الحديث ، الجبل ٠

هنا حوار طويل بين الانسان والجبل ٠٠ كانت هنا معركة شنيقة
انتصر فيها عقل الانسان وارادته معا ٠٠ اتفاق اسطوانية وشوارع تحتية
وفوقية والكبارى في كل مكان من الجبل ٠٠ أعلاه وتحتة ٠٠ على رأسه
وعند قدميه ٠٠٠ على صدره وفي جوفه ٠٠٠ كان الحوار دائما ينتهي
بانتصار الانسان ٠٠ فاذا حدث ووصل مرة ، الجدل مع الجبل الى طريق
مسدود لم يكن الانسان يضيع وقتا بل يفتت الصخر وينفذ من خلاله ٠٠
ان بعض الأنفاق بدون طلاء كأنها تروى القصة كاملة ٠٠٠ انها تقول هنا
كان يقف الجبل متعنتا ولكن الانسان كان أقوى منه ٠٠٠ أقوى منه
صلابة ، وأقوى منه صبرا ، وأقوى منه ارادة ، وأمضى منه ذكاء وأملا ٠٠
اللهم الا بعض أماكن قليلة يقف فيها الجبل ، بعد أن أفسح للانسان
طريقا ، يقف مدبب الصخور كانياب حادة ٠٠٠ أنياب زرقاء خبيثة ٠٠٠
ولكنها بصورتها هذه تعمق معنى انتصار الانسان وتزيد الجمال في الموضع
الأخرى جمالا وراحة حين يتخيل الانسان أن هذا الجمال كله كان في
الأصل صخرا وجبلا !!

استطاع الغرب أن ييسر الحياة فكل شيء فيه مبدول رخيص ادا
قيس بمستوى الدخل ٠٠٠ أغلى ما في الغرب ، اليوم ، الانسان ٠٠٠

اليد العاملة غالية وما أرخصها في الشرق سواء في مصر أو الهند أو الصين لقلة المال وكثرة العيال والجهل بموارد الثروة الطبيعية ووسائل استغلالها ٠٠٠ ولو انتشر التعليم الصحيح والديمقراطية السليمة لتندفق الخير في ربوعنا وقطعت أوطاننا أشواطاً بعيدة على طريق التقدم والمدنية الحديثة بطاقتها المدفونة والمعطلة والمجمدة ، وبالحس الحضارى اذا تهيأ لنا الانطلاق بلا تعويق أو تثبيط . وقد لاحت تباشير الفجر .

٧٣/٧/١٥

يوم حافل في (نيس) Nice اليوم (الاثنين) بداية الأوكازيونات في كثير من المحلات ٠٠٠ خرجنا للفرجة ٠٠ رأيت في الطريق محطة انتظار الأتوبيس ٠٠٠ محطة جميلة رائعة من الزجاج والنحاس الأصفر ٠٠٠ مظهر من مظاهر احترام الانسان .

وفى جولة المساء لاحظنا فى الأماكن المزدهمة من وسط المدينة حديقة غناء على أعمدة ٠٠ هكذا تبدو من بعيد فاذا اقترب منها السائر عرف أنها دوران جراجات السيارات تعلوها حديقة دائرية ينبت منها فى الوسط أعمدة مرة أخرى تحمل دوراً رابعا عبارة عن حلقة سباق !!

ما أكثر الحداثى فى المدن الفرنسية ٠٠ أكثر من حديقة واثنين فى الشارع الواحد ونحن نستكثر على القاهرة ذات الملايين الثمانية ، حديقة الأزبكية بعد أن وأدنا جزيرتى الروضة والزمالك وحولناهما الى حين سكينين !! ٠٠

وخرجنا الى البحر ٠٠ أقصد الى الشاطئ ٠٠ ان شاطئ نيس ممتد كشاطئ الاسكندرية وتطل عليه المباني الفخمة والعمارات الشاهقة قديمة وحديثة بل تطل عليه الأوبرا ٠٠ أوبرا نيس فلكل مدينة فى أوروبا ، على ما يبدو ، أوبرا خاصة ٠٠ ولا يقتصر الأمر على العاصمة كما هو الحال عندنا ، وليت الأوبرا الوحيدة عندنا عاشت بل التهمتتها هى الأخرى ، النار .

نعود الى شاطئ نيس ٠٠ انه من اوله الى آخره مفروش بالحصى والزبل الصغير ٠٠ لقد تحدوا قسوة الطبيعة بالزرع فى معظم الجهات . ولكنهم لم يستطيعوا فى هذا الجزء فهو مصيف المدينة هنا بطل الطلاء ٠٠ وتذكرت الرمال البيضاء المخملية فى شاطئ سيدى عبد الرحمن وهطروح .

٠٠ الرمال الملساء التي يحلو للأقدام أن تغوص فيها مرتاحة الى بردها ونعومتها ٠٠ ان الانسان فى مصايفنا يفرق فى البر لا فى البحر ومع هذا كله لا تحظى مصايفنا أو كنوزنا بمعشار ما يحظى به الصخر والحجر عند غيرنا ٠٠ ولكنى متفائلة ٠٠ لقد كانت فرنسا وسائر البلاد المتقدمة ٠٠ كلها كانت يوما تعاني من سوء الحال مرة ومن الفقر مرة ومن الاستعمار مرة ومن التخلف يوما ٠٠ ان فرنسا التى تعتبر من أسبق البلاد الأوربية الى المدنية كانت منذ ألفى سنة فقط تسكنها قبائل الجلوаз الصيادين !! أى يعد أن كانت مصر قد قطعت من عمر حضارتها المعروفة تاريخيا خمسة آلاف سنة وسبقها بالطبع عشرات الآلاف من السنين فى عملية تحضير وسعى حضارى مستمر !! لهذا أقول ان الذى يبهرننا من أوروبا اليوم يجب ألا يفقدنا ثقتنا بأنفسنا بالتخلف بل على العكس يجب أن يدفعنا الى النهوض ايمانا بالمكن وإيماننا بالعمل وإيماننا بالعلم وإيماننا بالمحاولة والطموح والاجتهاد ٠٠

وتأكيدا لهذا حاولنا أن نبحث عن الوجه الآخر من المدينة ٠٠ عن الأحياء الشعبية ٠٠ عن الأماكن التى لم تنفض عنها الغبار بعد ٠٠ ووجدناها كثيرة ٠٠

فى (نيس) الجميلة الأنيقة المترفة حارات ضيقة ، ومنها حارة اليهود ، وبيوت متواضعة بائسة متأكلة يطحنها البلى ٠٠ وعلى الأرض مخلفات من أنواع شتى ولكنها مع التقارب الواسع ليست بها أصوات عالية أو شتائم عارية ، أو اشارات نائية تصك العين والسمع ٠٠ ليس بها حفاة أو ثياب رثة مهلهلة ٠٠ لقد رأيت بها عجوزا تطلب احسانا ولكنها كانت تلبس ما يستترها ولا تلحف فى السؤال ٠٠ وأخرى تببيع نوعا من النباتات فى عرض محتشم دون أن تذكر شيئا عن فوائده أو عن آخر وجبة تناولتها أو عن عدد من تعولهم أو أوصاف الزمان وأحواله ٠٠

ان الفرق بيننا وبينهم أنهم يعملون ويعالجون وجوه النقص حتى رجحت كفة المزايا على كفة السيئات وخاصة فى الحياة المادية أما نحن فلا نزال نهوى الكلام والخطابيات والمناشآت والوعود والأحلام ٠

بلاد لا تتقف للمدير •• وانما تحترم الانسان

٧٣/٧/١٧

جراس Grasse (١)

احدى ضواحي نيس • دعا أكبر مصانع العطور زوجي ودعيت معه
•• لفت نظري في الطريق الجميل مكان علقته فيه لافتة كبيرة كتب عليها
(رسم المرور) • ليس فيها شرطى بل تصير اشارة المرور حمراء وهناك
تجويف معين اذا وضع فيه راكب السيارة قرشا ، صارت الاشارة خضراء
ويواصل السير •• كل شئ يتم فى هدوء واتفاق وتفاهم راض •
وهناك فى المصنع عدد من الباحثين والموظفين والعمال ولا يسمع
الانسان أقل صوت كأن ليس به أحد !

ولم تر عيناى بالمصنع الكبير الذى له فروع وراء البحار حجابا أو
سعاة •• وهو على ضخامته وأهميته به عدد محدود جدا من العاملين كل
معمل به من الباحثين اثنان أو واحد •• كل عنبر آلات به أربعة على
الأكثر •• ولو كان هذا المصنع عندنا لغص بالآلاف المتزايدة كل عام مع
موسم القوى العاملة •• هناك كل انسان له عمل يكفى طاقته ويزيد

(١) تبرع مدينة (جراس) على التلال المشرفة على (كان) وهى مركز صناعة العطور
تحيط بها حقول متسعة تزرع بها الأشجار الشدية مثل ، البنفسج ، والورد ، والياسمين ،
والزنبق ، الميموزا ، وأزهار البرتقال ، وفقا لفصول السنة ، وتحتاج الزجاجة الصغيرة من
العطر الفرنسى الرقيق الى آلاف من تلك الأزهار ، أما الأزهار المدفولة فيخلط بالدهن
فى أوعية كثيرة ويصنع منها الصابون المعطر ، فلا غرو أن العطر الفرنسى والصابون
الفرنسى غالبا لثمن لانهما يحتاجان الى عمل شاق ووقت طويل الى اعدادهما •
وتفخر (جراس) بأنها مسقط رأس الفنان الشهير • جان أونوبيه فراجوتار •
الذى ولد بها ١٧٣٢م •

ولهذا يعمل بدون رقابة وبلا تزويغ وبلا افتعال أعذار لأن وراءه شيئا يشده وعليه أن ينجزه . . ليست هناك بطالة أو بطانة ولهذا لا يضيع على الدولة أو الأمة ، وقت أو مال .

وطاف بنا المدير ، وهو من المرموقين هناك ، على المعامل وأماكن الآلات المختلفة شارحا المراحل الكثيرة للتقطير . . وعندما نمر على باحثين أو موظفين أو عمال كان أشد ما لفت نظري بل أدار رأسي ان أحدا من هؤلاء لم يهب واقفا عندما يدخل المدير . . لم يقفز أحد أو تنخلع يده في ضرب السلام . . كل انسان منصرف الى عمله كأن المدير لم يكن . . هناك المدير لا يفتعل أحد تحيته أو تشجيع ناديه أو تدييع نشرة طويلة في الصحف تعزية في بنت خالة زوجة أبيه أو تهنئة بشفاء كلبه من وعكة البرد التي ألت به .

الذي حدث أن المدير كان هو الذي يحيي الشخص القادر على شرح العمل في مكانه فيرد التحية في اقتصاد . . ولست يدى سرا كبيرا من أسرار تقدمهم . . هناك يعمل الانسان بلا عقد أو خوف قاتل أو زيف واحترام مصطنع ونفاق رخيص وتأليه كافر بما يقول وألقاب بلهاء مخبولة يخلعها كل واحد على كل واحد كأن الكلام يستطيع أن يرفع خاملا ، أو يشفع للحقيقة المرة . لهذا فقدت الكلمة الشريفة عندما مدلولها عندما بداخلت معها الكلمة المحترقة ثم ضاعت الكلمات . . جميعها ضاعت . . وضاعت الأيام . . سرقت واحترقت ولم تخلف وراءها غير رماد ولو عشناها لمألانها عملا وأملا وعلمنا وصناعة وفنا وحياة . .

ومع هذا كله نستطيع أن نبدأ من جديد . . نبدأ على مسنوى أمة بدلا من أن يحاول أفراد منا أن يبدأوا في بلاد أخرى وحدهم . وقد أثبتت التجربة أن معظمهم ينجحون ويتألقون وهم أنفسهم كانوا بيننا مطحونين يقهرهم الغبن والتجمد والاهدار وضيق الحركة .

اذن المسألة لكي نهض مسألة اتاحة الفرص واحترام الكفاية وتقدير العمل الجاد والثقة بالانسان . . الانسان المصري عنده الكثير ليعطيه . . عنده كنوز من الطيبة والذكاء والاخلاص والصبر والجلد والاجادة لو وجد بيئة مسعدة . . فلا تلجئوه الى أن يبحث عنها خارج مصر . . حرام .

مرة أخرى في هذا اليوم خرجنا ولكن في التاسعة مساء لنرسل تلغرافا الى شركة الادرياتيكا الايطالية . . كانت المحلات مغلقة أبوابها فقط ولكن واجهاتها الزجاجية كما هي بمعرضاتها بل أكثر من هذا كانت

عضيئة من الداخل وأى محاولة بسيطة تستطيع تحفليهما أو نهب ما بها .وهو قوى الإغراء . ولم نر فى الشوارع رجل بوليس واحد . ما دلالة هذا الا افتراض الأمانة والثقة الكاملة !

وأكبر من هذا ما يجرى فى مكتب البريد . . هناك يتم كل شىء فى جو من الثقة فلا إصلاات عن المكالمات ولا رقابة على المكالمات المطلوبة بل يتم الحساب عنها وفقا لعدد يحسب المدة ، بذمة .

ان الناس هناك يقفون فى اشارات المرور حتى ولو لم تكن هناك سيارات . . مجرد احترام الاشارة المغلقة فلا يتحرك انسان الا اذا فتحت .

ثم هناك الزى موحد اذا استثنينا الهييز ، فلا يمكن أن ترى العين مثلا بيجاما فى الشارع . ولكن الذى لا تخطئه العين فى الوقت نفسه ، أسى الشيخوخة ووحدها القاتلة . . عند عودتنا من مكتب البريد رأيت عجائز من السيدات والرجال يسيرون فى الطريق أو يمتطون دراجات ووجوههم صماء ممتصة ليس فيها بريق . . أن يكافح الانسان فى هذه السن المرتفعة قسوة . . متى يستريح وأين رعاية الأبناء ومتى يردون الحنان والبذل ؟ نحمد الله ما زالت الأسرة عندنا بخير . . لم يتهرأ الرباط العائلى كما حدث فى أوربا . . ويبدو لى أنهم فى قرارة نفوسهم تعساء بجفاف العاطفة حتى بدأت تظهر فى المدن الأوربية الكبيرة كباريس جمعيات لتخفيف شقاء الانسان . بعض الذين يترددون عليها لا مطلب لهم الا الاستماع اليهم . . مجرد أن يجد الواحد منهم انسانا يصفى اليه وينفض نفسه عنده !! قالت لى سائحة أمريكية كانت ضمن الفوج السياحى الزائر لأسبانيا :

— لا أكتمك ان السيارة كلها لا أنا فحسب نغبط أسرتك فأنتم طوال الرحلة (أسرة) تأكل معا وتخرج معا وتتضام . . اننا ننظر اليكم الوقت كله . . وعندما أراحت ابنتك رأسها على كتفك لتنام فى السيارة كان منظرا رائعا بهرنى . .

ولم أكن أنا أشعر بالغرابة التى شدت أنظارهم لاننا فى مصر وفى الشرق نعلم بجو الأسرة حين حرموا منه .

١٩٧٣/٧/١٨.

ذهبنا الى « كان » مدينة السينما ومهرجاناتها العالمية وأحد المصايف

الشهرة لأصحاب المال والأعمال من جميع أنحاء العالم .. مدينة جميلة غنية أسعارها جنونية لا يطيقها الا وارث أو مليونير ، أو نجوم السينما . هذه « كان » التي نزل نابليون قريبا منها عندما فر من منفاه في جزيرة « البا » والتي تقع على مقربة منها « مونت كارلو » في اماره « موناكو » حيث يتجمع هواة القمار في « الكازينو » الشهير .

ابتنتي همست في أذني .. اني أحببت « نيس » أكثر .. أحس أن « كان » مدينة متعالية لا تتودد الى زائرها بل تتحدث اليه بطرف لسانها وتسلم بطرف يدها .. ان سلمت .. معروضاتها لا تبهرني ما دامت ليست لي وانما تبهرني زهورها .. الطبيعة أم الانسان في كل مكان ..

انصرفنا عن المدينة وكأننا نرد على تعاليها بتعال واتجهنا الى البحر ..

طبعاً ما يهمننا منها هو الشاطئ .. الشاطئ هناك رملي قى بعض أجزائه .. صخري في أجزاء أخرى .. ولكنه على امتداده مرصوف مما يلي الشماسي كأنه شارع خاص به وبعده حديقة .. حدائق جميلة .. أشجارها وارفه .. وقد نثرت فيه الكراسي والأرائك للجلوس عليها بين الزرع والبحر فاذا قطع الانسان الحديقة في مكانه وسار في الشوارع الكبير فعلى طول الطريق أحواض الزهور الفاتنة الألوان حتى كان رصيف الشارع ومنتصفه حوض كبير متصل من الزهور .. حتى لقد حسب أطفالنا أنها مدينة الزهور الفرنسية .

٧٣/٧/١٩

نيس - برشلونة

غادرنا نيس في قطار التاسعة صباحا .. ووصلنا مرسيليا في الثانية بعد الظهر ومنها أخذنا قطارا آخر الى الحدود الفرنسية الاسبانية عند Portbou وصلنا في الخامسة والثلاث بعد الظهر وهناك في قاعة مكتب البوليس الفرنسي على يمين الداخل .. وفي مواجهته عند الطرف الآخر من القاعة ، البوليس الاسباني . أشر الفرنسيون على جوازاتنا بالخروج وأشر الاسبانيون بعد بضعة أمتار على جوازاتنا بالدخول . ووقفنا على المنضدة الحاجزة Counter أمام الجمر ك الاسباني للتفتيش فقد سبقنا شباب فتشوا حقبة ملابسهم قطعة قطعة ولكننا عندما جاء دورنا

سألنا ضابط الجمر عن بلدنا فقلنا مصر Egypt فابتسم ابتسامة مرحبة وعلم الحقائق دون أن يمسه ٠٠ وجرينا نلحق القطار وإذا بنا نكتشف بعد سيره أنه قطار (قشاش) ما أن بدأ يتحرك حتى وقف وكأنه ترام شبرا ٠٠ وظل على هذا المنوال الطريق كله أى خمس ساعات نفد فيها صبرنا لا سيما أنه ليس به ما يؤكل أو يرطب ولم تكن قد تناولنا طعاما بعد سندوتشات صغيرة فى القطار الفرنسى الساعة الثانية عشرة ٠

حاولنا التغلب على هذا المظب بالمرح وأسعفتنا النكتة المصرية فترات طويلة ٠ ولكن ما يلبث الضجر أن يطفو على السطح وهكذا حتى وصلنا فى العاشرة مساء (برشلونة) وإذا بنا لا نجد مكانا واحدا لتغيير العملة وإذا بنا لا نجد أنسانا يفهم لغة غير الاسبانية التى لا نفهمها نحن بدورنا ٠ وبلغ ضيقنا قمته إذا كان لم يبلغها بعد ٠

وضعنا حقائبنا فى الفندق ثم ذهبنا نتحسس مطعما لتناول العشاء بعد يوم حافل وإذا بنا تقع فى مطعم خدعنا مظهره الكبير وقربه من الفندق ٠٠ وقدم لنا طبقا واحدا لا يؤكل ٠٠ ثم قدم إلينا فاتورة الحساب ستة جنيهات ونصف جنيه !! أسطورة أو قصة رخص الأكل وكثرته فى أسبانيا التى سمعنا بها قبل أن نأتى ٠

المهم أننا منذ غادرنا القطار وغادرنا آخر حاجة أى المطعم ودخلنا السرير ، ونحن نهتز أو نتطوح تطويحة القطار وكأننا لم نغادره بعد ٠٠ ولم نتحرك من التعب حتى أيقظنا ضوء الصباح أو على الأصح ضوء الصبح فى هذا الحى الذى يقع فندقنا فيه ٠٠ حى الرملة كما يدعونه ٠

٧٣/٧/٢٠

برشلونة

تجولنا فى برشلونة فى طريقنا الى شركة Marsans السياحية الاسبانية ٠٠ الشوارع طويلة كأنها بلا نهاية ٠٠ واسعة حتى عد أولادنا فى كثير منها ثمانية أنهر للسيارات ٠٠ أحسن وصف لها قول ابنتى انها مطارات لا شوارع ٠ والشوارع فى أسبانية كأنها لضخامتها ، ميادين ٠ اختاروا للخضرة منتصفها ففى وسط كل شارع صفان متقابلان من الأشجار الظليلة تحتها صفت الأرائك المدهونة النظيفة ٠٠ هذه الخميلة للمشاة ٠٠ هذا غير رصيفين عريضين !! وكثير من المقاهى ومحال المرطبات صفت

كراسيها ومظلاتها في هذه الخمائل ٠٠ ان المقهى في برشلونة خط الوسط من الشارع لا الجانبين كما هو في مصر وفي فرنسا ٠

وذهبنا الى البنك لتغيير العملة وما أكثر البنوك في برشلونة كأن بين كل بنك وبنك ، بنكا ٠٠ دليل الوفرة والغنى واقبال رؤوس الأموال على اختلاف جنسياتها ٠٠ ان اسبانيا اليوم تسمى بلد ال ٤٠٠ بنك !! وهذا شاهد لا يخطئ على نجاح السياحة في اسبانيا نجاحا يقف وراء الترف البادى فى عروض المحلات التجارية ٠

دخلنا البنك واذا به مكيف الهواء تتردد بين جنباته موسيقى جميلة ناعمة هادئة لقد قدروا أن عمل موظف البنك يتعلق بالمال وبالحساب فعملوا على راحة أعصابه وتهيئة جو مريح يلعبه على أداء مهمته الدقيقة !!

وفى برشلونة ميدان واسع تحيط به التماثيل وتتوسطه فسقية جميلة يتدفق منها الماء وفى دوائر بعد أن ينبثق الى أعلى ٠٠ هذا الميدان به مئات من الحمام كما فى ميدان سان مارك فى فينسيا ٠ مثل هذا الميدان اضافة جمال نابع من السلام الذى يعيشه الحمام الوداع الآمن من الخوف ٠

ولكن فى برشلونة كما فى فرنسا يعمل كبار السن الأعمال المرهقة ففى الصباح رأينا سيدات طاعنات فى السن يقمن بتنظيف وغسل المحال التجارية ٠

وفى برشلونة رأيت ماسح أحذية يضع صندوقه الى جانبه ويجلس على ركبتيه وتحتهما وسادة صغيرة ويأخذ فى تلميع حذاء يجلس صاحبه على كرسي عال يطل منه على أخيه الانسان المتضع عند قدميه ٠

وفى اسبانيا رأيت فى الشوارع بصقا ومخاطا ولست أدري من ارتكب هذا ٠٠ أهل البلد أم الغرباء ٠٠ ولكن الكافتيات أو معظم روادها من الاسبان لا تخلو أرضها من ورق ونفايات ٠

والناس فى برشلونة لا يحترمون اشارات المرور ٠٠ ما من شارع مررت به ألا ويعبر الناس قبل فتح الإشارة بلا استثناء ٠٠ كنا ننتظر الإشارة وحدنا ٠٠ لعلها حساسية الغريب ٠

وفى اسبانيا كسائر أوروبا تدخن البنات الصغيرات ممن دون العشرين ويطلق عليه Teenage ٠

وفى المساء لا يستطيع السائح أن يجد موضعا لقدمه فى المدينة بشوارعها وميادينها على اتساعها فان الاسبانيين من عادتهم أن يقبلوا فى الظهيرة ويسمون القيلولة : سيستا ٠٠ وفى المساء يخرجون الى الشوارع يسرون أو يجلسون اذا تعبوا ، فى المقاهى التى تتوسط الشوارع ٠٠ من يراهم يخيل اليه أن البيوت خللت من سكانها حتى لم يبق منهم بها أحد .

والطعام فى اسبانيا غالى التكاليف كسائر بلاد أوربا حتى الأشياء الصغيرة الكوكاكولا بعشرين قرشا وكذلك الجيلاتى الذى تشتريه فى مصر بثلاثة قروش لعلها تعادل مليما هنا أو أقل لو جاز أن هناك أقل من مليم ٠٠ اننا نعيش فى مصر ملوكا دون أن ندري ٠٠ الآن فقط عرفنا .

لو أن عندنا من الحرية نصف ما عندنا من الطعام !!

لقد حكم أسبانيا اليونان والرومان والعرب والفرنسيون والألمان ومع كل هذه العشرات استطاعت أن تقف على قدميها بل استطاعت أن تقفز قفزة واسعة .

لقد كانت أسبانيا فى الأربعينات أى فى الأمس القريب ، فقيرة منهوكة عاجزة بعد الحرب الأهلية وكانت مصر تمنحها الهبات وتعطيها القروض ٠٠ قال لى مسئول فى السفارة المصرية بمدريد أنه كان فى أسبانيا منذ سبع سنوات فقط وكانت العاصمة نفسها متواضعة وكان يومئذ من السهل أن يعرفها المرء شبرا شبرا فلما عاد إليها سنة ١٩٧٣ وجد كل شيء جديدا عليه واحتاج الى ثلاثة شهور ليتعرف الى المدينة الكبيرة الواسعة الجديدة ٠٠



السياحة فى أسبانيا

رفعت أسبانيا الشعار (سائح لكل مواطن) فى سنة ١٩٦١ . وكان عدد السكان ٣٠ مليونا . وعدد السائحين ستة ملايين . وارتفع الرقم الى ٣٢ مليونا من السباح فى سنة ١٩٧٣ حين كان عدد السكان ٣٤ مليونا . وأعظم شاهد على ما بلغته السياحة فى أسبانيا قرية « بنى دورم » .

قرية بنى دورم

تعداد السكان فى هذه القرية الاسبانية (١٠ر٨٠٧) نسمة . وهى
مسترخى صيفى . وفى خلال الموسم تستقبل ١٠٠٠ر٠٠٠ مصطاف .

وقرية بنى دورم ، أيضا مسترخى شتوى . انها قرية متحضرة تنمو
فى سرعة . تقف عالية فوق تل « كانتالى » وتطل على شاطئين جميلين
ويعلو من خلفهما أبنية عالية . .

الأغنية الاسبانية . . المسابقات الرياضية . . الفنادق . . المقاهى . .
النوادي تعطيتها الحياة وتضمن لك زيارة ممتعة فى جو رائع وتحت شمس
ساطعة .



بلاد الأندلس

٧٣/٧/٢١

كلمة الأندلس من الكلمات التى لها تاريخ وطرائف . فبعض المؤرخين
يرد هذه اللفظة الى اسم جماعات الفنداليين Vandales الذين هاجموا
أسبانيا ومروا بها مهاجرين الى أفريقيا الشمالية فى مطلع القرن الخامس
الميلادى . ويقول أن هؤلاء الفنداليين عندما مروا بالمضيق الذى يفصل
أسبانيا عن المغرب ولعله مرفأ Tarila سموه باسمهم فأصبح مرفأ قندلس
وقد ظل هذا الاسم حتى جاء العرب فخلعوه على جميع البلدان التى احتلوها
بعد أن حرقوه وجعلوه « أندلس » .

ومن المؤرخين من يقول ان اقطاعية اسبانيا الجنوبية كلها ، التى
كانت تسمى فى العهد الرومانى اقطاعية بيتيك Betique قد سميت
بـ « فندالسيا » Vandalci عند مرور الفنداليين من أسبانيا الجنوبية
أثناء هجرتهم الى أفريقيا الشمالية . ولكن هذا الزعم الأخير لم تؤيده
الوثائق . .

وهيما يكن من أمر هذا الاسم فان كلمة الأندلس قد استعملها
المؤرخون العرب والجغرافيون بسرعة وتقبلوها بسهولة وكانت تدل
بادئ ذى بدء على أسبانيا كلها ثم أخذت تقتصر على المنطقة التى احتلها
المسلمون من الأرض الاسبانية . . وتسمى مقاطعات اشبيلية وقرطبة
وغرناطة حتى اليوم باسم « الأندلس » .

كم من رحلات قبلنا استشرفت الى الأندلس .. رحل اليها ناس عاديون ورحل اليها مشهورون ورحل اليها الشعر والفن .. ورحل اليها زرياب المغنى الذى شكل نهضة غنائية بها امتد أثرها الى الغرب حيث تأثرت بها موسيقاه وشعره الغنائى معا .. وبالطبع أثرت نهضة زرياب الغنائية فى الشعر الأندلسى تأثيرا يعتبر نقلة فى تاريخه وفى تاريخ الشعر العربى بعامه . فقد كانت هذه النهضة التى ازدهرت عليها الأغنية الشعبية ، وراء ابتداء الموشحات والأزجال التى تعتبر الأغنية الشعبية منبعها لهما . وزرياب هو الذى زاد فى الأندلس على أوتار العود وترا خامسا . وكانت أربعة قبل عهده ، وهو الذى اخترع مضارب العود من قوادم النسر .

وأعطت هذه الحياة الطروب للشعر : الموشحات – ابتدعها عبادة ابن ماء السماء القزاز – والأزجال . ابتكر الرجل الزجل أبو بكر بن قزمان وهما أندلسيان ..

وأعطت للنثر : طوق الحمامة فى الألفة والآلاف وهو الاسم بالكامل وهو ثلاثون بابا .. ويتناول هذا الكتاب الرائع فلسفة الحب معتمدا على حد كبير على التجربة والملاحظة والتحليل النفسى واستخلاص النتائج . ولعله أول بحث فى العربية من نوعه .

ومن الطريف أن مؤلفه ، فقيه !! وهو الامام على بن حزم الذى أفرد له العالم الاسبانى أسين بلاثيوس كتابا تناول فيه حياته وكتابه الجامع « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » ويعتبره بلاثيوس ، مفكرا ، وعالما لاهوتيا ، ومؤرخا ناقدا للأديان والمدارس الفلسفية الدينية . كما يعتبره الأستاذ نكل Nikl (أديبا وشاعرا ، وفقهيا ، ومؤرخا سياسيا ، وعالما أخلاقيا) .

كان عطاء الأندلس فى الأدب العربى ، عقدا فريدا .

وكما صبت الرحلة من كل لون فى الأندلس ، نبعت من الأندلس الرحلة ولكن الى مكان غريب .. وأنا أعنى هنا رسالة (التوابع والزوابع) التى يحكى فيها ابن شهيد رحلة له فى عالم الجن ، التقى فيه بشياطين الشعراء وناقشهم .

وان كان النقد الأدبى لا يرى ابن شهيد فى رسالته متأثرا بالمقامة الابليسية لبديع الزمان الهمداني ، كما يلوح الشبه بينهما وبين رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى الذى يقول بعض المؤرخين أنه كان مولعا به

وأنة عارض رسالة الغفران برسائلته (التوايع والزوايع) التي أورد ابن بسام في الذخيرة أقساما كثيرة منها ٠٠ هذا حين يقول المستشرق بروكلمان انها صنفّت قبل رسالة الغفران بعشرين سنة ٠ ويرى بطرس البستاني الذي نشرها في بيروت عام ١٩٥٣ أنها لم تتقدم رسالة الغفران بأكثر من تسع سنوات وليس هناك ما يدل على أن أبا العلاء قد اطلع عليها ٠

ومما يذكر أن الأندلس كان موئل اليهود وجنتهم في العهد الاسلامي ومنهم من بلغ الوزارة كما يقول الدكتور حسين مؤنس في كتابه (فجر الأندلس) بل (أن حركة بعث اللغة العبرية والأدب العبري بدأت في أسبانيا ٠ نشأت ونمت بين أظهر المسلمين وتحت أعينهم ، بل كان بعض علماء المسلمين يعينون اليهود على انشاء نحو لغتهم) ٠

كل هذا لمع في ذهني وتجمع ونحن على أبواب رحلة الأندلس ٠٠٠ كنت أعرف الأندلس بعقلي فلم تبق الا رؤية العين ٠٠٠

بدأت الرحلة في الثامنة والنصف صباحا وقرأنا آيات من القرآن الكريم ٠

السيارة مكيفة ٠٠٠ كراسيها كراسي طيارة من القטיפه الزرقاء الجميلة لبست رؤوسها تلبيسات بيضاء شفافة أنيقة ٠٠٠ السائق في خريف العمر وقور صامت متزن الحركة ٠٠٠ كانت السيارة بفضل خبرته تسبح في نعومة ٠٠٠

الدليل : سيدة تتكلم الانجليزية والفرنسية بوضوح فضلا عن الاسبانية بالطبع ٠٠٠ علمها واسع بتاريخ بلادها وأسلوبها لا يخلو من لمسات أدبية لطيفة وفكاهة ٠٠٠ وعندما تحدثت عن العمارة في بلادها وكيف يقف القديم الى جوار الوسيط والحديث قالت :

We only need candles in this procession

سألنا من أين ؟ فقلنا من مصر فقالت في أدب جم : من بلد التاريخ والقدم والآثار ٠٠٠ والمصريون المحدثون يجيدون اللغات ٠٠٠ فشكرناها على تعجبتها الرقيقة وشكرناها على رفقتها العلمية التي توضح الرؤية أو تزيدها وضوحا ٠٠٠

السيارة تسير بنا في طريق عريض طويل لم نحس فيه على امتداده

بمطلب واحد أو حفر وأخايد ٠ المزروعات على الجانبين تخف وتكثف حسب طبيعة المكان ٠٠٠

الأنهار متواضعة ضحلة لا تقاس بالنيل ٠٠ ربما كانت لهذا السبب تتوارى منا دون سائر أفراد الرحلة فلم تلفت نظرنا كغيرها من المعالم الاسبانية ٠٠

في منتصف الطريق نزلنا في Small Inn على حد تعبير الدليل وتوقعنا أن يكون كما يشير اسمه مطعما ريفيا فاذا به مطعم أنيق فخيم تتراعى حديقته حتى شاطئ البحر ومع هذا به حمام سباحة كبير جميل ٠٠ والموائد به أضطف كثير منها في التراس المطل على الحديقة غير قاعة ضخمة امتلأت بالموائد في الداخل ٠٠٠ والطعام توالى صحافه حارة نزلت من على النار منذ أن ثوان وحين تبدل الأطباق تأتي ساخنة بالبخار ! ٠٠٠ دليل استعداد ضخم ٠٠٠ المفارش والأدوات موحدة لطيفة أنيقة ٠

هل هذا كله مجرد Inn ؟

أكملنا رحلتنا الى بلنسية بعد أن صافحنا بالعين على البعد كثيرا من القلاع العربية القديمة وصافحنا بالأذن كثيرا من الأسماء العربية التي تؤيد ما جاء في كتاب الدكتور حسين مؤنس (رحلة الأندلس) ٠ هذه « بلنسية » التي وصفها وأفاض ابن الأبار شعرا ونثرا ، وبكاها أبو المطرف ابن عديرة ولكن الحديد كان أصدق أنباء من القصيد فسقطت بلنسية وغادرها أميرها أبو جميل زيان الى الجزيرة ٠٠ جزيرة شقر ٠٠ بعد أن أسلمها الى الملك خايمي الفاتح ٠ كما غادرها وزيرها وأديبها ابن الآبار مع أهله الى تونس ٠

نزلنا بلنسية في فندق اكسلسيور ٠ الوثارة والفخامة والخدم والحشم والطعام كأنه قصر من قصور ألف ليلة وليلة بخيالاتها وتهاويلها ٠ وبالطبع لم نقصده باختيارنا ولكن الرحلة رتبته لنا شركة مارسانس الاسبانية السياحية ٠ تتسلم الفوج السياحي في برشلونة وتطوف به الأندلس حتى يصل مدريد دون أن يتكلف حتى حمل حقائبه ٠ ولكن يتكلف اشتراك الرحلة طبعاً ٠ والرحلة الى الأندلس نوعان : سريعة في عشر أيام وبطيئة في خمسة عشر يوما ٠ وقد اخترنا الأولى ٠

بلنسية :

الميناء الثانى والمدينة الثالثة فى أسبانيا • وهى مدينة أندلسية قديمة ، على الشاطئ الغربى لاسبانيا وعلى بعد ٢٠٠ ميل جنوب غرب برشلونة • والمدينة الى الداخل بثلاثة أميال ، ولكن الميناء يقع عند مصب نهر توريا (Turia) •

والجو هناك معتدل ، والمطر السنوى قليل ولم تسقط الثلوج الا مرتين خلال القرن الماضى •

وقد أسس العرب فى بلنسية نظاما عظيما للرى لم يتغير حتى الآن ، ونفتح بوابات الرى بجرس اشارة من المدينة ، ويحكم المخالفون للقانون أمام محكمة فى يوم الخميس من كل أسبوع • وقد أدى ذلك الى أن صارت بلنسية أخصب رقعة فى أسبانيا كلها • ويمكن زراعتها ٣ - ٤ مرات فى السنة • وتصدر بلنسية اللوز والبرتقال والليمون والتين والبلج والبطيخ وقصب السكر • وتشتهر المدينة بالتوت الأحمر والحرير الطبيعى ، وينمو على الساحل أفخر أنواع الأرز فى العالم •

وعلى الرغم من المباني الحديثة ، تتميز المدينة بطابع عربى قوى من غرتها الى أخصص قدمها • وتجذب الاحتفالات فى يوليو وأغسطس ملايين السياح •

« عن دائرة المعارف الأمريكية »

وضعنا حقائبنا ونزلنا نتجول فى البلد حتى يحين موعد العشاء •• وإذا بها ليست مجرد مدينة أو عاصمة اقليم ، فطنطا عاصمة اقليم من أكبر وأعنى محافظات الدلتا أخصب منطقة فى الدنيا لا فى مصر وحدها • وليس بطنطا فندق أو مطعم أو شارع أو مقهى ، لا أقول ، فخم أو ضخم أو رفيع المستوى بل مجرد مقبول معقول •• ليس فى طنطا شيء عليه القيمة فما بالك بسائر مدننا والمراكز فى الدلتا والصعيد ؟

كل هذا ثقل على صدرى وأنا أرى بلنسية واسعة متوسعة غنية مترفة فى المباني والمتاجر والمطاعم والمنتاح •• عشرات من الفنادق السياحية الفخمة التى تعدل ان لم تتفوق على سميراميس وشبرد وهيلتون وشيراتون •• أقسم بسيئنا وعودتها اليها ان فى ميدان واحد فى مدينة بلنسية ست بنوك من أكبر وأفخم ما رأيت من البنوك من جنسيات مختلفة ولا يكاد ينتقل الانسان الى شارع حتى تتكرر الظاهرة •• عشرات البنوك فى بلنسية

وعشرات البنوك في برشلونة قبلها ٠٠ ان البنوك عملها (المال) ٠٠ اذن
تستطيع أن تقدر دورة المال المتدفق في أسبانيا ، ان مصر من أقصى
الشمال الى أقصى الجنوب ليس بها أكثر من خمسة بنوك وهنا لا تقوى
الكلمات على التعليق من حزنها والا سقطت جثة هامة مقطوعة الأنفاس .

أثناء الرحلة قال تالسيدة الدليل أن تعداد السكان في اسبانيا
ثلاثون مليون نسمة وأن عدد السياح الذين يزورون أسبانيا كل عام
٣٣ مليونا ! فلو قدرنا أن كل سائح يصرف مائة دولار فقط فمعنى هذا
أن دخل أسبانيا سنويا من السياحة ثلاثة آلاف ومائتا مليون دولار
سنويا !!! وليس بأسبانيا واحد على مائة مما بمصر من آثار !!

ان آثار أسبانيا عصر واحد هو العصر الوسيط ، أما مصر فحضارتها
عمر الانسان قديمة ومتوسطة وحديثة وهي متصلة الحلقات ومصر بها
من الحضارة ، مقدسات الأديان ٠٠ أن الطريق الذى قطعته مريم تحمل
المسيح والأماكن التى وقفت بها واستظلت لو استغلت سياحيا كم من
الملايين تفد الينا من الغرب ومصر فيها من المزارات والآثار الاسلامية
ما يجذب قلوب الملايين من الشرق ٠٠ ولكننا بدلا من أن نفتتح عيوننا ،
هللنا عندما جاءنا ١٠٠ مليون جنيه فى سنة من السياحة ٠٠ طنطننت
الصحافة المصرية واستنفدت ما تملك من مداد أحمر فى كتابة مانشيتات
الكسب الكبير !!!

اننا فى أشد الحاجة الى الاقتصاد فى الكلام حتى نرى الأشياء فى
حجمها الطبيعي لتتحدد خطوتنا القادمة فى ضوء الصدق لا المبالغة والهدر
والهدر والخدر والسذاجة الجاهلة .

اذا أردنا نقلة كبيرة يفيق عليها ضعفنا واقتصادنا وتدب فيه الحياة
فتعم الصحوة كل شئ ٠٠ اذا أردنا هذا جادين فلنحدث انقلابا فى سياستنا
السياحية أكبر كثيرا من شركة مصر للسياحة التى تنفر المصريين أنفسهم
من السياحة الداخلية فما بالك بالأجانب ؟

ان مصر أغنى بلد فى الدنيا بالمعالم السياحية وتستطيع لو أخلصت
الجهود والنيات أن تكون مصر أغنى بلد بالمال فى العالم كله من السياحة
وحدها .

يقول الدكتور محمود كامل مستشار السياحة بالأمم المتحدة استنادا
الى البيان الخاص بالسياسة الاقتصادية الجديدة للدولة ونصيب السياحة

العالمية نحو البحر الأبيض (ومصر دون باقى دول منطقة البحر الأبيض المتوسط بل دون باقى قطاع الشرق الأوسط من هذه المنطقة تنفرد أنها تستأثر بنماذج متكاملة من المغريات السياحية الجاذبة كلها ، طبقا لأحدث البحوث الاحصائية السياحية المستندة الى دراسات علمية للسوق السياحية والمتوقعات المنتظرة لهذه السوق) .

الأهرام العدد ٧٣/٨/١٨

وفى هذا المقال يشير الدكتور محمود كامل الى دراسة (دوفير) لعلم الأنماط التى تشمل المصادر والأنشطة السياحية وهى الدراسة التى قدمها الى مؤتمر « الجمعية الدولية لخبراء السياحة العلميين » الذى دعا فى آخر عام ١٩٧٣ لدراسة « طرق الأبحاث السياحية وتطبيقها على البلاد والمناطق النامية » يقول الدكتور محمود كامل : (لم يتردد « دوفير » عند بحث المغريات الجاذبة التاريخية بمنطقة البحر الأبيض المتوسط فى أن يضع مصر على رأس دول المنطقة السياحية قبل اليونان والأراضى المقدسة وتركيا ومدن الفن الايطالية « فلورانس وروما ونابلى » ويؤيده فى هذا العلامة السويسرى « كرايف » فى بحثه عن مساهمة السياحة فى تنمية البلاد النامية) .

ويقول المقال ان (أحدث صيحة اعلامية سياحية فى تونس والجزائر قد ركزت على « السياحة الصحراوية » و « سياحة الواحات » باعتبارهما مخرجين من اطار السياحة التقليدية) .

وبعد لقد انتقلت أسبانيا من حضيض التخلف والفقر والحروب الأهلية الى قمة الغنى والثروة فى أقل من نصف قرن ، كنا نحسب ونقرأ أنها تعاني من الديكتاتورية وقيودها .. وكنا نحسب أننا فيه سعداء نسبيا فاذا بنا فى هذا النصف قرن التعساء وحدنا .. الأشقياء المحزونون .. اذا بنا وحدنا الفقراء الجهلاء المهمومون .. نحن وحدنا البسطاء البلهاء النائمون السادرون فى الأحلام .



٧٣/٧/٢٢

بلنسية (المدينة)

طافت بنا السيارة معالم المدينة وأسواقها ونزلنا عند : محكمة الشعب .. وهى عبارة عن كنيسة كانت فى الأصل مسجدا وكان فى حكم

العرب تعقد المحكمة الزراعية خارجه فيأتى الفلاحون من القرى والأقاليم المجاورة يعرضون شكاويهم وموضوعها دائما الرى والأرض وكل ما يتعلق بالزراعة ٠٠ وقد اختار لها العرب يوم الخميس باعتباره نهاية الأسبوع . والجمعة للصلاة والعطلة الأسبوعية فلا يجوز فيها عمل .

وظل هذا التقليد متبعا حتى بعد أن رحل العرب عن الأندلس والآن ينظر اليه على أنه ظاهرة اسبانية تنفرد بها دون سائر بلاد أوروبا . وقد سجل الفن هذه المحكمة فى لوحة كبيرة بالألوان .

والكنيسة أى المسجد سابقا الأعمدة بنيت على شكل جذع النخلة والسقف قنوات ومنحنيات بارزة على شكل سعف النخيل فكان البهو غابة نخيل حجرية ٠٠

وفى القاعة السفلى باب حديد ضيق لا يستطيع أن يمر منه أكثر من واحد فاذا مر وجنح الى اليسار ورفع رأسه الى أعلى رأى المئذنة ، التى هى اليوم برج الكنيسة فى استدارتها الحلزونية عبارة عن ثقب رأسى صاعد فى جوف المئذنة .

أمام المحكمة ، السوق . تقوم النساء بالبيع فيه حتى الجزارة ! وطبعا معظم العملاء من النساء أيضا . والى جانب السوق كنيسة يعلوها طائر . وهنا تقول الأسطورة ان هذا الطائر يراقب ، داخل السوق النساء المغرعات بالثرثرة والغيبة .

البرلمان : وهو مبنى عربى الطراز سقوفه منقوشة ومحلة بالذهب وعلى الجدران لوحات زيتية كبيرة منها واحدة تمثل طفلا جىء به الى الحاكم فلما مثل بين يديه أطرق مرتجفا ٠٠ وهنا لم ينس الفنان تبجيحات السجادة التى تركتها مشية الفلام المتعثر من الخوف ٠٠ ملاحظات دقيقة فتحت عينى عليها ابنتى فينان ٠٠ كما لاحظت حنان فى صورة «الراهب» للفنان جويا Goya الوجه ذى الأنياب ففسرته بسرعة بأنه يمثل الشيطان يصاحب الانسان حتى اللحظة الأخيرة وهو فى الصورة يغرى الراهب الغارب بعدم الاعتراف ٠٠ قد رسم (جويا) من خلال هذا الراهب صورتين للفراق ٠٠ الفراق الحى حين خلف هذا الرجل ملكه وزوجته وأولاده ليعتزل العالم ويترهب ، والفراق الأخير وهو على فراش الموت .

الكاتيدوائية :

الحرب والانسان : أهم ما فى الكاتيدوائية حجرة بها تمثال المسيح من الذهب الخالص المرصع بالماس والأحجار الكريمة داخل محفة من الذهب والأعمدة من الذهب واطار القاعدة النقش به على هيئة ملائكة تبدو متشابهاً وهي مختلفة الملامح والتعبير وهذا كله من حصيلة تبرعات الشعب الأسباني شكرا لله على انتهاء الحرب الأهلية التي استنفدت قوى وثروة أسبانيا ..

كثيرا ما يساق الانسان الى الحرب مكرها ..

وأثناء الطواف بهذا كله نوه الدليل بفضل العرب على الرى فى أسبانيا وعلى البناء والفن ..

تلف الاسبان المحدثين نزعة أنصاف اليوم وليدة وعى علمى وسياحى أو لعله تكفير عن تعصب طويل فقد قوة الابصار وافتقد البصيرة فلم يميز بين النفيس الذى يستحق الحفاظ عليه ولو انتفاعا به لا حبا فيه ، وبين الرخيص الذى يجوز التخلص منه بالمحو والازالة .

هل نزعة الانصاف هذه علامة وثوق بالنفس على أثر الاستقلال والغنى ؟ هل هي ارتفاع الى مستوى الموضوعية العلمية والتاريخية ؟ هل هي هذا كله ؟ ربما .

على أى حال هذه النزعة تجسدت فى اقامتهم تمثالا للفيلسوف العربى ابن رشد فى قرطبة على مقربة من الجامع الكبير ..

وعندما مر الدليل بسلسلة من البنوك علق عليها مستشهدا بتعريف انجليزى للبنك بأنه :

Umbrella protects you when the sun is
shining and disappears when it is raining.

وشروق الشمس فى العبارة يرمز الى الغنى حين يرمز المطر الى الاعسار والغمام المادى . فالبنك يعطى الغنى قروضا لمشروعات كسب جديده .. ولكنه لا يعطى الفقير لانه لا يضمه ..

ومر بنا الدليل على شارع عبارة عن سلسلة من المحلات الضخمة للحلوى ووقف عند احداها لنلقى نظرة عليه على سبيل المثال فاذا بصاحب المحل يقدم لنا كيسين كبيرين من الحلوى قام الدليل بتقديمها لينا ..

حركة مدروسة ومرتبة ومدفوعة وموضوعة ضمن برنامج الرحلة من قبل ولكنها مثلت كأنها تلقائية ، اظهارا أو تظاهرا بالكرم . كرم أهل البلد اذكاء . كل شيء هنا مدروس .

وفي الرحلة معنا رجل ينزل فنادق الدرجة الأولى الممتازة حين ينزل باقي أفراد الرحلة فنادق الدرجة الأولى فحسب وعرفت فيما بعد أنه جزار ولكن أمريكي . وفي الرحلة رجال ونساء طاعنون في السن من أمريكا وكوبا والبرازيل . ودلالة هذا إيمان العالم المتحضر على مختلف المستويات بالرحلة والسفر والسياحة .

قصر الحمراء وجنة العريف

٧٣/٧/٢٢

في الطريق الى الكانتية Alcaté

أخذنا السيارة من بلنسية في طريقنا الى الكانتية ٠٠ وفي الطريق الجبل كانت هناك صخرة ضخمة كأنها انتزعت نفسها من الجبل انتزعا لتطل على البحر ٠٠ هذه صخرة « نيفاتش » ٠ تقول السيدة الدليل أن هذه الصخرة بيعت أول مرة بضعة آلاف من الجنيهات ثم بيعت مرة ثانية بأضعاف ذلك المبلغ ثم بيعت أخيرا لأحد البنوك الموجودة في بلنسية بمبلغ سبعين مليون بيزتا ليتخذ منها مصيفا كمشروع استثماري ٠٠ وهكذا تعلق الأرض ماديا ومعنويا عندما يقبل أهلها عليها ٠

وفي الطريق الى كورنيثا رأينا الجبل مدرجات زراعية كأنه مسرح زراعي ٠ ورأينا سلسلة ايتانا وشاطئها الصخري الصغير الفقير فخلقوا من هذا العيب حسنة بأن حولوه الى مصيف للكتاب والفنانين يقضون أجازاتهم فيه وكأنه قصد أو قصدوا أن يكون مصيفا هادئا ٠٠

وفي الطريق مررنا بقرية صغيرة هي قرية « بنى ضورم » وكان تعدادها ثلاثة آلاف نسمة ٠ تقول السيدة الدليل انها تمر عليها بحكم عملها مرتين في الأسبوع وما من مرة مرت بها الا رأت شيئا جديدا أضيف اليها وتقول ان تعدادها الآن أصبح تسعين ألفا وأن عدد زوارها يبلغ نصف مليون ٠

ونظرت الى القرية (سابقا) فاذا بها الآن آلاف من العمارات وناطحات السحاب وآلاف من السيارات وعدد كبير جدا من فنادق الدرجة الأولى بل الفاخرة يفضل الوعي السياحي والعمراني وتمنيت أن تأتى الى هذا المكان شركة مصر للسياحة التي لم تعرف في العام الماضي كيف تنظم رحلة الى مرسى مطروح وجمعت اشتراكات خيالية بدعوى انزال المشتركين في فندق ريم فاذا به دون الحضيض من حيث النظافة والمعاملة ٠٠

وفى الطريق مررنا بقرية « بياخيوسا » وكانت عبارة عن مصانع الشيكولاتة فاذا بالقرية الصغيرة تسوى بيوتها المتواضعة لتقوم مكانها ناطحات سحاب .

ومن برشلونة الى الأندلس شرق وجنوب أسبانيا ظاهرة لفتت نظر السياح خاصة نحن أبناء النيل وهى أن أنهار أسبانيا فى الصيف تجف تماما حتى غدا بعضها جزءا من الطريق ، والبعض الآخر جزءا من الحقول على جانبيه . ورأيت نهرا طريفا يجرى الماء فى نصفه والنصف الآخر مزروع . وتعليل هذه الظاهرة أنها تعتمد على الأمطار . . . وعندما تسحب زراعة ما تأتى به الأمطار ، تترك هذه الأنهار جافة تنتظر جود السماء .



Alcante الكانتية

ميناء جميل . . مدينة صناعية . . مطار مهم . . قلعة على جبل بنيكانتينا Benicantinya . . شوارع واسعة . . ميادين جميلة لا سيما ميدان النخيل . . محلات حافلة . . غابة من ناطحات السحاب وبيوت قديمة فلتت من الأعدام بمعجزة وان كان الزحف الحديث وراءها بالمرصاد . .

هذه هى مقاطعة Alcante التى يبلغ تعدادها ٦ ملايين نسمة . وفى Alcante نزلنا فندق Leuka نسبة الى شاعر الأسبان العظيم . .

الفندق جديد . . وجدنا فى حجرتينا غير الحمام التنظيف اللامع اضافات جديدة . . زرار تضغط عليه فتضى لوحة على الباب من الخارج على يسار الداخل تقول (ممنوع الازعاج) وهنا لا يطرق عليك الباب أحد لأى سبب .

والدولاب اذا فتحتة أضاء بالكهرباء من الداخل واذا أغلقته انطفأ . والا جوار الدولاب نلاجة رفها العلوى لحفظ السوائل الساخنة ! وباقى الرفوف لحفظ المشروبات . . وفى بابها ألوان من الشيكولاتة والماكولات حتى لا تكلف نفسك الطلب . . ولو أن بالحجرة تليفونا يلبي فى الحال وحتى لا تنتظر بل تمد يدك فتأخذ ما تشتهييه . . فقط تذكر الحساب متمتعا بالائتمان والثقة .

وفى الحمام شرائط من الورق المجهزة تجهيزا خاصا بحيث اذا مرت بها على حداثك جعلته نظيفا لامعا . .

وفى أسبانيا غجر gipsis أسبانيون يعيشون فى كهوف فى جبال « مرسيه » . والكهف ليس دليل فقر فبعض هذه الكهوف يتكون من ثمانى حجرات ، ويملك صاحبه سيارة وسيارتين ويستضىء بالكهرباء . وبعض هذه الكهوف تصل اليها المياه .

وقد زرنا فى الطريق كهفا متواضعا بعد أن مرت بنا السيارة على كهف يبدو لناظره فيلا لولا أن سقوفها أقباء وطلاؤها أبيض . . الكهف المتواضع لأرملة عجوز . ودخلناه فاذا بقبو السقف يجعله رطبا لطيف الحرارة . . والكهف به ثلاث حجرات نوم وحجرة بها أرائك وحجرة بها مخزون الطعام وحنفيات وقاعات مربعة صغيرة ولكن الكهف كله نظيف نظافة مذهلة . . وصاحبه على رقة حالها قد ملأته بأشغال اليد وتحف الفخار والنحاس والأشغال اليدوية . .

ومن الطريف أن صورة عبد الوهاب ورجاء فى فيلم الوردة البيضاء معلقة على الجدار وحولها اطار من شغل الابرة . . . ولا أدري كيف أتت السيدة بها وسألنها طامعة فى قصة طريفة ولكن نظراتها تاهت ولم تتذكر الا انها اشترتها . . .

ثم زادت دهشتى عندما خرجنا من الكوخ لنجد على يميننا مكانا واسعا لبيع الفخار المدهون فاذا بى أجد رمسيس وعربته الحربية ! وأجده مرة أخرى مصورا على حوض زهور مستطيل .

والجبسس اذا سألت أحدهم عن جنسيته لا يقول أنه أسباني أو ينتسب الى مدينة من أسبانيا بل يقول : جبسى اعتزاذا بأصله الذى انحدر منه وهو درس ينقص الكثيرين . . ومن الغريب أن نهم بالاقليمية اذا انتسبنا الى مصر !

والجبسس تجار مهرة يتنقلون من بلد الى بلد ويحبون الصناعات المعدنية وهم موهوبون فى الغناء والرقص . . .

ومنهم من وصل الى الجامعة . وفى سنة ١٩٧٢ كان الكتاب المختار لتمثيل أسبانيا من تأليف « جبسى » .

والجبسس ذو أخلاقيات . . . قد توجد بينهم سرقات ولكن أصحابها دفعتهم اليها ، الحاجة لا الشر .

وهم يخلصون بعضهم لبعض فلا يعرف الحسد طريقه الى قلوبهم .



الفلمنكو

عندما سقطت غرناطة في يد « فرناندو وايزابيلا » أراد المسلمون من عامة الناس أن يواصلوا الحياة في الأندلس فاشترطوا عليهم أن يتركوا الاسلام الى المسيحية فرفض الكثيرون وقد عز عليهم ، ولاذوا بالجبال . . . وكان الجبس يحبون المسلمين ويعاونونهم فخرجوا وراءهم . . . حبا وفرقا . . . فقد خافوا الاضطهاد بحكم هذه العلاقة .

كما رفض اليهود أيضا أن يتحولوا عن دينهم فخرجوا فارين الى الجبال . . . جبال سيرا نيفادا . . .

وجمع بين القوم الثلاثة ، الألم والقهر والشتات فعاشوا معا وكان يطلق عليهم اسم « فلمنكو » . . . ومن هنا كان طابع الفلمنكو ، حتى اذا غنوا ، الحزن والشجن . على أنهم يحبون الرقص والغناء والجيتار . . .

ولقد جاءت كلمة فلمنكو من لفظة « فلا » الاسبانية أى فلاح و « منكوس » أى مئآت .

فلمنكو مئآت الفلاحين الذين هاموا في سيرا نيفادا هربا من بطش الغالب .

مرسيه

بلد المرسى أبى العباس ومن هنا نسمى في مصر (مرسى) وأصحاب هذا الاسم يسمون ولدهم (عباس) . في الغالب . وان كان اسم (مرسى) لا يعجب أستاذنا الدكتور أحمد أمين فقد سمعته رحمه الله في حديث له عن دلالة الأسماء على أصحابها يقول : عندما أسمع اسم (شوقي) أحس أن صاحبه لابد أن يكون فنانا أو شاعرا . أما (مرسى) فلا يمكن أن يكون صاحبه الا « حلاقا » . . ويضحك . .

رحم الله عالمنا (أحمد أمين) فمع ما في الأسماء من دلالات وإيقاعات تريح أو تنفر فان المسألة حظوظ فأصحابها لم يؤخذ رأيهم فيها بل خلعت عليهم ساعة الميلاد .

٧٣/٧/٢٤

غرناطة

مدخلها القريب جبال على الجانبين تكاد تلامس بالأيدى لو كانت تملك الأيدى ثم تنفتح على المروج الخضراء والذهبية ... ومع هذا

سر غرناطة

يعتقد ساكنو غرناطة أن أى انسان لم ير غرناطة وقصر الحمراء لم ير شيئاً . أما ديماس فقد قال ان الله قد خلق الحمراء وغرناطة حتى يسكن اليهما اذا ما مل بيته . أما الشعراء فقد اصطالحوا فيما بينهم على تسمية غرناطة ، لؤلؤة الأندلس ، والأرض التى لثمها الشمس .

ولا شك أن قصر الحمراء هو أشهر مثل قائم للعمارة الاسلامية فى أوروبا ، كما هو رمز للمجد الضائع والازدهار الخابى .

الا أن القصر مر بفترات عصيبة كان فيها ملجأً للمشردين والفجر وكان لهذا أثره فى كثير من غرفه وأروقته التى حال فيها اللون وانطمست المعالم . واليوم يرى الزائر حديقة القصر العريق الطراز ، والقلعة (الكابازا - Alcabaza) ثم جنة العريف وهى حدائق رائعة ، ثم هناك صحن الأسوار (باسوده) الرخامية السوداء ، (وصحن ميرتل - Myrtle) الى جانب الحمامات الداخلية ، للرجال والنساء والأطفال وهى تركية النظام .

يقول كيرت هيلشر . ان الموسيقى هى اللغة الوحيدة القادرة على وصف هذا الجمال ، الذى يبدو كأن قوس قزح قد سقط من السماء وانتشر فى المكان .

Wonders of the world

byronald goock

من كتاب « عجائب الدنيا »

سرنا فى مرتفعات كثيرة كانت نزيد أحيانا على ألف متر فوق سطح البحر . . .

دخلنا غرناطة . . نزلنا فى فندق لوس أنجلوس . كانت حجرنا تطلان على الحديقة وحمام السباحة ، الفندق أنشأه أمريكيان فى غرناطة وحاولوا أن يكون على الطراز العربى فكان (مسخا) لا هو حديث ولا هو عربى الطراز .

وصحبنا الدليل فى أول الطواف الى الكاتدرائية . . بناء فخم شامخ مقل بالذهب كأنه يتحدى الجمال والفن فى قصر الحمراء ، بالثراء والبذخ .

ويعده هذا ، عجز .

وخرجنا من الكاتدرائية غير مقتنعين بالشكل نحن الذين نؤمن بعيسى إيماننا بالأنبياء وكتبهم . . .

أمام الكاتدرائية ميدان به تمثال كبير يمثل كولومبس يستأذن فرناند فى الخروج لاكتشاف العالم الجديد .
ثم ذهبنا الى قصر الحمراء .

ويرجع الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق أن الاحمرار فى الاسم من لون التربة هناك بسبب كثرة أكسيد الحديد بها (ولما كان ملاط أبنيتها قد اتخذ من هذه التربة فقد غلب عليه اللون الأحمر الذى أطلقه العرب على هذه البقعة) .

غابات الأشجار السامقة والباسقة على الجانبين . . . الأتوبيسات السياحية بضخامتها كانت تبدو فى مدخله كأنها لعب أطفال تتحرك فى هذا المكان الذى يقف فيه كل شىء فارها يصافح السماء . . .

القصر بزخارفه ورفارفه يحتوى زائره خاصة اذا كان يشاهده لأول مرة It is the waw كما يسمى الأمريكان الشىء المذهل الروعة الذى يطلق آهة البهر اذ تقع عليه العين . . .

لأن الحجر وأنصاع الرخام وصنع منهما الفنان دانتيل دقيقة رقيقة وحنيات . . . الخطوط تستقيم وتستدير فى لين وسهولة كلين العيش فى القصر . . والمقرنص من وراء دنتلا الحجر ، صفوف وراء صفوف ، وطبقة تعلو طبقة . . . كذخائر القصر فى الداخل ، ذخائر الفن فى خارجه . . على الجدران نممة وترصيع وألوان صيغت كلها فى أناقة ولطف تعبير كأن بناءه موسيقى أو جواهرجى .

هذه النقوش الدقيقة والكثيرة والمتنوعة من عمل الفن الشاعر ،
والفراغ الآمن ، والغنى الآمل والحياة المتذوقة في استمتاع وفرحة .

ويلمح المستشرق غارسيا غومس ، قصر الحمراء في الشعر العربي
الأندلسي فهو يشبه (قالبته) وعناية أصحابه الشديدة بالشكل حتى
ليبدو بعد تقطير صوره ومعانيه في أنابيق بلاغية ، مثقلا (بالزخارف
الشعرية الأربسكية التي تشبه أن تكون « قصور حمراء » لفظية) .

سأترك تفاصيل وصف القصر بقاعاته وحجراته وساحاته للدكتور
محمد عبد العزيز مرزوق في عدد (قصر الحمراء) من السلسلة الثقافية ،
كما فصله وأوفى الأستاذ عبد الله عنان في كتابه الكبير (الآثار الأندلسية
الباقية) ، حتى لا تفوتني متابعة الرحلة فنحن الآن في طريقنا الى الجنة .
(جنة العريف) . . .

وكان أصحاب قصر الحمراء لم يكتفوا بحدائقه وخمائله فاستحدثوا
على مقربة منه (جنة العريف) أو جنة الانسان في أى مكان .

أشجار الجازورين كأنها صفوف الجنود اصطفت على الجانبين .
الطرق المرسوفة صاعدة في عملية تهيئة للدخول . . . سلال الميـاء
والشلالات الصغيرة المتلاحقة . . . العبير الناعم والهمس الناعم حتى الصمت
في هذا المكان نغم وحده . . .

إذا اشرب الوجه ليجمع المكان كله في نظرة ، راعه ما بين أشجار
الخور والسماء . . . انها متداخلة في زجاج من الخضرة والصفاء .
حوار بين زهو الخضرة وصفاء الأزرق على شعاع من نور .

كل شيء في هذا المكان وراءه قصة . . . وعنده قصة يرويها . . .
أحداث كبيرة وأعمار كثيرة دخلت في نسيج هذه الجنة . . .
ودخلناها . . .

والمؤمنين سبـحنا وصلينا

والمؤمنين سمعنا أغنية المياه للزهر والشجر .

الماء عنصر زخرفي كبير في تشكيل هذه الجنة وتنعيم الاحساس
بها . . قنوات وشلالات ونافورات تتعانق خيوطها كأقواس النصر المنصوبة
لزفة العرس أو موكب ملك . . . لابد أن يكون هذا فالصفوف الخلفية

من الشجر تطل برؤوسها كما يفعل الناس في الزفة ٠٠٠ كل يريد أن يجتلي وجه العروس أو يظفر بلمحة ٠٠ شجرة واحدة في آخر الحديقة كانت تقف وحدها كأنها الديدبان الحارس ٠

فن تشكيلي مادته الماء والشجر ٠

بوابات من الأشجار الكاسية ٠

كل شيء في هذا المكان صفان ٠٠ وكل الأحبة اثنين اثنين كما يقول بيرم ٠٠ هنا (كانت) زرابي مبثوثة ونمارق مصفوفة ليكون الانسان أدنى الى الطبيعة ٠ يكون معها في صحبة ٠٠ شجرتان في وسط البركة متعانقتان في حركة باليه ٠٠٠ كل شيء في الحديقة يرقص لا الكاستيناس وحدها ٠

لو دققت في كل شيء في غرناطة لوجدت رسم رمانة ٠٠ الرمانة شعار غرناطة ٠

أخرجت التفاحة آدم من الجنة ٠

وأخرجت (الرمانة) العرب من غرناطة ٠٠٠ وأسبانيا كلها ٠٠٠ والحقيقة أنها ليست التفاحة أو الرمانة ولكن الانسان في المرتين أتبع هواء ولم يعرف كيف يصون النعمة ويرعاها ٠٠٠

ولكنني لم أبك مع الباكين ٠٠٠

لم أبك فالدي ضاع في الأندلس ، الملوك ٠

ملوك العرب وملوك الاسبان على السواء ٠

ضاع بنو الأحمر كما ضاع فرناندو وايزابيلا ٠

وبقى قصر الحمراء على الرغم من المحو والتخريب في بعض أجزائه ٠٠

وبقيت جنة العريف ٠

ضاع الملك وبقي الفن وهو الأغلى والأعلى والأكرم ٠

مهما بلغ الملوك حتى ولو عدلوا ٠٠٠ ولو عفوا لا يبقى منهم ان بقي شيء ، الا سطرر في كتب التاريخ حين يبقى علم العالم ، وفن الرسام والمثال والشاعر نراثا تعيش عليه الأمم وتستمد منه معنى بقائها ٠٠٠

اذن علام يبكي الباكون ؟ على الأشخاص الذين لم يبكوا على أنفسهم

وعلى أمتهم ... على الافراد الذين يدل وجودهم لو بقوا على معنى نحاربه هو الاستعمار ؟

ان العرب موجودون فنيا في الأندلس حيث كانوا ولهذا لم أبك على الخروج المادى وانما بكيت على توقيت هذا الخروج .. فلو تأخر سقوط غرناطة كما يقول الدكتور حسين مؤنس سنة واحدة لانتشر الاسلام فى العالم الجديد بالاكشاف والتعمير وحق الاستيطان الأول فى أرض فراغ ليست ملكا لأحد .. لو حدث هذا لما استطاع أن يخرجهم أحد حتى ولو عاودهم داؤهم القديم : الاختلاف والشقاق والتناحر ... كان الاسلام سيكسب وطننا جديدا ... وطننا دائما ليس له صاحب قديم يطالب به مهما طال الأمد ...

هنا علامة تاريخ ونقطة تحول كان يمكن أن تضيف الى حياتنا :
دينا وأمة .

لو حدث هذا لتغير موقف أمريكا اليوم .. موقفها الذى يقف وراءه ويصنعه يهود أمريكا لا يهود اسرائيل .

اشبيلية أو لؤلؤة الأندلس

المدينة الرابعة فى أسبانيا ، وهى الوسط الفنى والتعليمى والأدبى والعلمى والاسم الاسبانى لها هو (سيفيلا - Sevilla) . وتقع اشبيلية على نهر (Guadalquivir) أى الوادى الكبير) وهى على بعد حوالى ٥٥ ميلا الى الداخل من مصب النهر على خليج (قادس - Gadiz) وهى مشهورة باسم لؤلؤة الأندلس .

وتشتهر اشبيلية بطابعها العربى ، فالشوارع ضيقة وغير ممهدة تمهيدا كاملا . وفى الأعياد تمتلئ الشوارع براقصات أسبانيات فى الزى المشهور . وهناك أربع أوبرات عالمية مأخوذة عن موسيقى اشبيلية وهى : « حلاق اشبيلية » ، و « كارمن » لبيزت ، و « زواج فيجارو » لموتزارت و « دون جيوفانى » .

واشبيلية تفخر بقصرها (Alcazar) الذى بناه العرب فى عهد الملك أبو يعقوب عام ١١٨١ ، وأضيفت اضافات فى عهد Charles I, sabella Henry II Pedro Cruel وآخرين . وكاتدرائية

اشبيلية من أكبر الكاتدرائيات في العالم . بدأ بناؤها عام ١٩٠٤
على الطراز القوطي وأكملت بعد ٢٠٠ عام . والجيرالد Giralda
كانت منذنة لجامع اسلامي قبل أن تتحول الى برج الجرس الذهبي .

استولى المسلمون عليها في عام ٧١٢ م وظلت عربية حتى أخذها
Fernandi III of castile في ١٢٤٨ وانتعشت بعد رسو كولومبس
فيها بعد رحلته الأولى للعالم الجديد .

وتصدر : النبيذ ، البرتقال ، الزيتون ، الزيت ، الطباقي ، الأواني ،
الفلين ، الزئبق ، الشيكولاتة ، الحرير ، الصوف .

عن دائرة المعارف الأمريكية

قصة شارل الخامس المدجنين

٧٣/٧/٢٤

في الطريق الى اشبيلية

الدليل في حاجة الى من يدلّه ٠٠٠ دليلنا احتار ٠٠ نام في السيارة
ونام عن واجبه ٠٠٠ أيقظه أحمد فضحك الركاب ٠٠٠ سرعان ما قارن
المسافرون بين ضعفه الضعيف وقوة سلفه السيدة الين ٠٠ كانت معلوماتها
غزيرة يرفدها اطلاع واسع ونفس حساسة أعطت الشرح لمسات انسانية
وتعابير أدبية ٠٠٠

في الطريق مررنا بمدن أندلسية تقليدية ٠٠٠ البيوت البيضاء
المتشابهة ٠٠ الشوارع الضيقة المبلطة ٠٠٠

الطريق الى اشبيلية واد خصب ٠٠٠ الجبال ترى من بعيد وحين
تقترب وتسير سياراتنا منها بين صفين فانها خصبة هي الأخرى خضراء
السفوح ٠٠٠

ودخلنا اشبيلية مساء في الثامنة وعشر دقائق ٠٠٠ المدخل جديد
أى عمارات حديثة رأيت ثلاث نافورات في ميدان واحد ٠٠٠ وتذكرت
نافورة ميدان التحرير بالقاهرة التي أخذت أجازة طويلة ٠٠

الشوارع واسعة كأنها بحر تسير فيه بواخر لا سيارات ٠

في اشبيلية ثالث كاتدرائية في العالم (الأولى في الفاتيكان والثانية
« سان باول » في انجلترا) هذا معقول ولكن أن يوضع صليب في كل
ركن من الجامعة فشيء غير عادى ٠٠ انه لون من رد الفعل القوى الذى
يؤكد به صاحبه نفسه لنفسه بمناسبة وبغير مناسبة ٠ ان المسيحية عمار
في القلب وقرار أكبر كثيرا من الطقوس ٠

وزرنا في اشبيلية كنيسة (ماكرينا) انها ثانی كنيسة فيها Caravan
وهو مربع كبير عليه تماثيل : قيصر الرومان الذى سمع وشاية يهوذا وحكم
على المسيح ٠ وتمثال زوجته تشفق عليه من هذا الذنب الكبير وما يشبه

« طشتنا » وأبريقا يمسك بهما خادم ليغسل لقيصر يديه من الائم ٠٠
وكهنة في أوضاع شتى ٠ ويرفع الناس هذا على رؤوسهم تبركا ويذهبون
به في أسبوع الآلام الى الكاتدرائية ٠ وفي هذا الأسبوع يعذب الناس
أنفسهم تكفيرا عما لاقاه المسيح من محن ٠٠٠ تماما كما يفعل الشيعة
خاصة في العراق اذا حلت عاشوراء تكفيرا عما لاقاه الحسين في كربلاء ٠٠
الانسان هو الانسان ٠٠٠

وفي ٧٣/٧/٢٥ كان عيد قديس اشبيليه أى أجازة في المدينة ٠٠
جميع المحال التجارية مغلقة ٠ زرنا مباني البلدية وكان في الأصل قصرا
من قصور الملكية الاسبانية ٠٠٠ الحقيقة أنه قصر على شكل نصف دائرة
في ميدان عبارة عن أكبر دائرة رأيتها ٠٠ القصر في الحقيقة يشغل ثلثي
الدائرة والباقي حدائق وفي الوسط الميدان ٠٠٠ منظر غريب حقيقة ٠٠٠
وفي اشبيليه زرنا الكاتدرائية ٠٠ كانت كالعادة ، مسجدا لم يبق
منه الا المئذنة ٠



وفي الكاتدرائية وجدنا تابوتا من الرخام تحمله تماثيل أربعة يمثل
الرجال يحملون كرسنوف كولومبس اشارة الى دفنه في هذا المكان ولكن
الدليل نفسه يعتقد أن هذا اشارة تخليد أكثر منها حقيقة ٠٠ في جنوة
أيضا بايطاليا تمثال كبير لكرسنوف كولومبس في ميدان المحطة ٠

وروى لنا الدليل الاسباني أن التليفزيون عندهم طرح مسابقة ٠٠
موضوع من الموضوعات يتقدم كل من آنس في نفسه كفاءة فيه ليرد على
أسئلة المشاهدين مقابل مكافأة كبيرة ٠٠ وعندما طرح موضوع كرسنوف
كولومبس بناء على رغبة الجمهور تقدم أستاذ جامعي متخصص وأجاب
باستفاضة وعلم عن جميع الأسئلة ٠٠٠ ثم سأله سائل عن جثمان كرسنوف
كولومبس فقال الأستاذ : قد يكون في أمريكا ٠٠ قد يكون في الهند ٠٠
قد يكون في ايطاليا ٠٠ قد يكون في فرنسا أو أسبانيا اشارة الى أنه
غير معروف على وجه التحقيق ٠

والكاتدرائية في اشبيليه كسائر الكاتدرائيات الاسبانية في الزخارف
الذهبية والفخامة المقصودة ولكن المساجد أكثر بساطة وسماحة لانها
موصلة بالسماء ، مفتوحة على النور ٠٠ ان المسلم صلته مباشرة بالله ٠٠
لهذا لا يلجأ المسجد الى الذهب الكثير والتهاول لانه لا يريد أن يضع
رجل الدين في مقام السدانة والكهانة والوساطة بين الله والناس ٠٠٠

رجل الدين في الاسلام ورجل الشارع أكرمهما عند الله أتقاهما فلا يملك أحدهما دون الآخر أن يبارك التيجان أو يوزع صكوك الغفران .

ان ايمان الشرق العميق بالدين كما يقول توفيق الحكيم يمثل شهاداء المسيحية أو أصحاب بدر ٠٠٠ وحين تسلم الغرب من الشرق الأديان ، (ألبسها أردية موشاة بالذهب ، ووضع على رؤوسها التيجان المرصعة بالماس ، وأقبضها صولجانات الجاه والسلطان والجبروت الأرضي ! ان الكنيسة في أوربا كانت — في يوم ما — أعظم مؤسسة مالية ، وان نظامها الرأسمالي لأدق نظام . وأن ثروتها الطائلة لتسند ظهر أقوى البيوت العالمية ، وتقوضها اذا شاءت في طرفة عين ، فأين ذهبت كلمة المسيح ؟) . ونساءل كاتبنا مرة أخرى :

(وكلما همت روح الانسان بالتحليق نحو الأعلى كبلتها أكاذيب الانسان وأنزلتها الى التراب . كل شقاء الانسانية أنها لا تستطيع أن تترك شيئا عظيما ذا قداسة ، بغير أن تلبسه ثيابا مبتذلة مضحكة ، من حمقها وزيفها وغرورها ! ولماذا أراد الناس أن يجعلوا (الله) في حاجة الى السجاجيد الفارسية تفرش بها بيوته ؟ والسيدة في حاجة الى (النذور) والنحف والشمع ، كأنها لا تستطيع النوم في الظلام ؟ ثم ذلك (الققم) الفضي في الكنيسة وتلك الاشارات والعلامات ؟ لماذا كل هذا ؟) .

وفي اشبيلية زرنا قصر شارل الخامس . لقد طلب من رجاله قصرا صورة من قصر الحمراء في غرناطة ليكون قصرا لحكمه فلم يجدوا أمامهم الا بقايا المسلمين في أسبانيا « المدجنين » (١) أو أولئك الذين رحلوا الى المغرب . ان اليد العربية مدربة على هذا الطراز من البناء .

ومن الطريف أن البنائين زينوا الجدران بالآيات القرآنية وبالرموز الاسلامية . ماذا . هذا هو أسلوبهم في البناء .

وأعجب شارل الخامس بالقصر وطلب أن يبنوا له فوقه طابقا يكون له دارا . ووعد رجاله أن يبنوا له خيرا من القصر العربي .

وبنى الاسبان هذه المرة . بنوا طابقا فوق القصر فكان الطابق رقعة في الثوب الفاخر الجميل . لا أقول هذا بعصبية دين أو جنس

(١) ٧٠٪ من العرب رحلوا الى المغرب والباقيون اعتنقوا المسيحية ذريعة للبقاء خوفا من الضياع في أوطانهم الأصلية ، اد بعد عيدهم بها فائقطع جذرهم فيها .

ولكن الدليل الاسباني نفسه قال بالنص (خير للمرء أن يضع راحة كفه فوق مستوى عينيه حتى لا يرى الدور الأعلى أن القبح المجسم) ٠٠٠

وقصر شارل الخامس باق بألوانه كما هي لم يتغير لون كما حدث في قصر الحمراء والمسألة لا تحتاج الى تعليل فهو لم يتعرض مثله للمحو والاثبات وان كان الدليل يعلل هذا بأن العجر مروا بغرناطة وأتى عليهم الليل وهم أمام قصر الحمراء ذلك البناء الكبير المهجور في تقديرهم فدخلوا ليبيتوا فيه ليلتهم وإذا به يعجبهم فقرروا الإقامة فيه وظلوا أعواما حتى انبتهت السلطة وأخرجتهم ولكن بعد أن عاثوا فيه فسادا ٠٠٠ ويبدو أن قصة العجر هذه نكتة ساذجة يتوارى وراءها خجل الاسبان المحدثين مما فعله تعصب أسلافهم ٠٠٠ فلو أن هناك تقديرا للقيم لأحيط القصر بحراس حتى لا يقتحمه أحد ٠٠٠ وهل مثل هذا تظل السلطة أعواما لا تحس شيئا مما يدور فيه ؟ اذا صدق قول الدليل فهو ادانة مرتين .

ومن الطريف أن شارل الخامس بعد أن سكن الطابق العلوى أو الطابق الاسباني أمر أن تفتح له أربع شرفات تطل على القاعة العربية البناء والطراز والنقوش ، وتحيط بها حتى لا تغيب عنه في مكان من الطابق الأعلى ، وكانت عينه لا تمل النظر اليها ٠٠٠

وقد سكن هذا القصر ملوك أسبانيا على التعاقب بل سكنه الجنرال فرانكو في الأربعينات .

وفي اشبيلية « المدينة القديمة » نهر الوادى الكبير ٠٠٠ زفاره لا تطاق ٠٠٠ ركود ٠٠٠ كوبرى هزيل متواضع يفصل بين المدينة الجديدة والمدينة القديمة ذات الشوارع الضيقة والحارات والبسوت المتواضعة والزحام وعربات اليد تبيع السلع كالمأكولات ، والأصوات العالية ، وحلوى المولد تباع فى كل مكان اذا استثنينا (العروسة) ٠٠ ومع هذا فالمقاهى والكازينوهات منتشرة على طول الشاطئ والأنوار والموسيقى وجموع الناس تشارك فى هذا كله ٠٠ وبالقرب من اشبيلية Seville تربي ثيران المصارعة فى أراضى نهر الوادى الكبير المنخفضة .

هذه اشبيلية بلدة المعتضد بن عباد وابنه المعتمد حين كانت مركز الشعر والشعراء الذين كانوا يلوذون بأشبيلية بعد أن استولى النورمان على صقلية ، وجمال التخريب فى القيروان ، لاذ بمدينة ابن عباد ، ابن حمديس والصقل والحصرى فنهض الشعر بها نهضة أجرتة على كل نسان حتى لئرى (غسالة) تجيز شطرا من الشعر للمعتمد . وكان قد

سأل وزيره ابن عمار أن يجيز الشطر فارتج عليه ٠٠٠ وبأدورت الغسالة لتنفذه فأعجب بها المعتمد وتزوجها وهي اعتمد الرميكية المشهورة التي تمننت في قصره لو عجنت الطين برجليها كما كانت تصنع قديما ! فنثر لها كافورا وعنبيرا كثيرا ، وصنع لها منهما ما صبت نفسها اليه !

يا لسخرية القدر ٠٠ فالمدينة التي شهدت قصة الحب الشاعرة بين المعتمد واعتماد ، هي نفسها المدينة التي شهت بعد زوال ملك العرب محاكم التفتيش الدامية ورأت أول رئيس لها « توماس دى توركيمادا » Tomas de Torquemada . يتسبب في احراق ستة آلاف كتاب في يوم واحد لانه في نظره مريب أو مؤيد للالحاد . وخلال الثمانية عشر عاما التي كان فيها رئيسا للقضاة حوكم أمامه أكثر من مائة ألف . كما تقول دوروثي لودر مؤلفة كتاب « أسبانيا شعبها وأرضها » .

بقدر ما أساء هذا المتعصب الى المسيحية بما فيها من سلامية ووداعة ، بقدر ما أضاف (باخ) بأنغامه ثراء الى المسيحية بما ترجم عنها . وهذا هو الفرق بين احتراف الدين وتقى الفن .

٧٣/٧/٢٦

قرطبة

الطريق اليها الوادى الكبير ٠٠ أفسحت الجبال المكان للحقول فلم نعد نراها ٠٠ ولكنها استقبلتنا في قرطبة ٠٠ كانت واقفة وراء المدينة ٠٠ طالما وقفت وراءها ٠٠ لم تتخل عنها الا عام ١٢٣٦ م ٠٠ ولم تكن الجبال وحدها التي تخلت عن قرطبة بل تخلت عنها قبل هذا حكامها المقروض أنهم حمايتها ، بقرنين من الزمان ٠٠ صرعوها يوم تصارعوا ٠٠ ضاعت وضاعوا ٠٠ وكم يروى كتاب (عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس) من مأس ولو أنهم كانوا يعرفون الاسلام حقيقة لكان لهم شأن آخر .

القلب المسلم يحس بحنان نحو قرطبة فهي المدينة الوحيدة في الأندلس. وفي أسبانيا التي بقي فيها إجماع لا يزال يقاوم المحو والابادة وغوامل الفناء ٠٠ بنوا فيه عدة كنائس. بل بنوا فيه كاتدرائية ثم ظل بعد هذا كله مسجدا ٠٠

لم أبك في قرطبة على المسجد فالاعتداء عليه بهذه الصورة ، بلا شك

شوه جماله وحجب الكثير من أنواره فقد حالوا بينه وبين السماء بالأحجار الصماء ، ولكنه بعد هذا كله أثبت قوته وأظهر شخصيته حتى ليترك المشاهد على اختلاف عقيدته ، ما عداه ويتجه إليه هو . وهذا ضمان ببقائه ولو بدافع السياحة لا الفن .

فى قرطبة يحس المسلم أن له قرابة فى المدينة القديمة سيلتقى بها عندما يزور جامع قرطبة ولعل الجامع أيضا يحس هذا الاحساس .
حديقة المسجد الحالية كانت (موضة) وبرج الكاتدرائية كان مثذنة .

فى الجامع من الأعمدة ١٠٨٣ مختلفة الأشكال ولكن البناء العربى استطاع أن يوحّد بينها فى الطول . مزايكو المحراب لآل يكاد يضىء ولو لم تمسسه نار .

قبة المحراب فيها ارتفاع ووقار العالى . « ان المحراب أنبل مكان فى المسجد كما يقول صاحب كتاب (تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس) » .
لقد حافظ الخلفاء جميعا على صيانتها أو زيادتها أو عمارتها كما يحافظون على الصلاة لم يختص به واحد دون الآخر وكأنه الخيط الجامع الذى يربط بينهم أو بين عهودهم وكان احساسا دفيناً كان يعدّهم أنه حياتهم بعد الحياة وتاريخهم بعد التاريخ .

بناء عبد الرحمن الداخل ولم يتمه فآتمه ابنه هشام وتعاقب عليه بالاضافة والتجميل عبد الرحمن الأوسط وبنوه ثم عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر الذى أنفق عليه ١٦١٠٠٠ ألف دينار .

وحين كتب سريو (تاريخ العرب) ذكر أن أعمدة مسجد قرطبة كانت من الرخام مكسوة بالذهب واللازورد وأن أبوابه الواحد والعشرين كسيت بالنحاس الأصفر البراق أما الباب الأوسط منها فكان مرصعا بصفائح من الذهب تعلوه ثلاث كرات مذهبة تعلوها رمانة من الذهب .

يقول كتاب (قرطبة فى التاريخ الإسلامى) ان ممرا به كسيت حوائطه بالفسيفساء كما كانت تجرى فيه الفضة ، وأن منبره كان مصنوعا من العاج ونقيس الأخشاب . وكان يتألف من ست وثلاثين ألف حشوة سمّرت بمسامير من الذهب والفضة كما كانت بعض هذه الحشوات محلاة بالأحجار النفيسة .

يقول كتاب قرطبة أن مسجدتها العظيم (كان ينار فى الليل

بستعمائة وأربعة آلاف من المصاييح ، ويستنفد في كل سنة أربعة وعشرين ألف رطل من الزيت ، وعشرين ومائة رطل من العنبر والند (العود) .

أما مصباح المحراب فكان مصنوعاً من الذهب الخالص ، ويقال انه كان بالمسجد تنور من نحاس أصفر لألف مصباح .

فإذا غربت الشمس بدأت في المسجد حركة المساء . . . موكب الرجال الثلثمائة القائمين على خدمة المسجد يوقدون البخور من العنبر والعود ، ويعسدون الزيت والعطر لضاءة عشرة آلاف فتيل للقناديل ويسرى في المسجد وما حوله نفح البخور . ويتلأل فيه النور . . . ويستريح في مثواه مروان بن محمد ، ويفقر للزمان هزيمته في موقعة الزاب ما دام الأمويون عادوا فصارت لهم في الغرب خلافة زاهية تضاهي خلافة غرماثة العباسيين في الشرق . . . والاسلام بين الخلافتين ممعن في التحليل بجناحين من سلطان .

حتى كانت سنة ٦٣٤ هـ - ١٢٢٦ م

سقطت قرطبة .

لان الخلافة قبلها كانت دالت . . . وزالت أيامها .

وتحول المسجد دون أن يحول .

تغير الزمان وأغار . . . تبدل الملوك والعهود .

شيء واحد لم يتغير وظل وجوداً في الوجود .

انه اسم الجامع العظيم . . . « مسجد قرطبة » .

حتى حين بنى عبد الرحمن الناصر (الثالث مسجد الزهراء كان

يسعى في الجمع والأعياد الى : « مسجد قرطبة » .

وتنتفح أسبانيا الحديثة على السياحة وتنتشر فيها العمارات الشاهقة

المزودة بكل الوسائل الحديثة في البناء ولكن السياح يسعون كعبر الرحمن

الناصر ، الى « مسجد قرطبة » .

ينهب المال وتذهب الدول والعروش . . . ويموت الملك ويظل الفن . . .

في دنيانا . . .

هو وحده الباقي كلمة خضراء نستوعب رؤى عصر من العصور

للكون بصورة مصفاة منماة . . .

مسجد قرطبة تحس أن بانيه بوضا قبل أن ينظم الأحجار فى جدار •
انه مترع بالقيمة روى من السكينة حتى ليشيع السلام فى القلب
وهو الذى يحمل أثار الاعتداءات عليه كما كان المصريون القدماء يسمون
أوزوريس أمير السلام ، وهو الذى قطعه سييت اربا ، وأكثر من مرة •
مسجد قرطبة له فى كل زاوية وكل ساعة رؤية جديدة • ان الفن
المعمارى فى تشكيل الفراغ •• فن تنظيم الفراغ وهو فن يبدو للعين
العادية ثابتا جامدا ولكنه فن متحرك بحركة المشاهد فهو يتقابل ويتقاطع
وتنداخل فيه القبوات والبواكى وتشكل الأعمدة من زوايا الرؤية المختلفة
غابة معمارية ••

وغير المسجد ما زالت أسبانيا اليوم تحتفظ بتحف فنية نادرة من
نراث ذلك العصر مما أورده الأستاذ عبد الله عنان فى كتابيه : « نهاية
الأندلس » و « الآثار الأندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال » •

بل ان أسبانيا تحتفظ اليوم ببقية من براعة تلك العصور فى
صناعاتها المختلفة خاصة اليدوية ، التى تقع فى أسر الزخرف الاسلامى
مما يبهى جيرانها من الشعوب الأوروبية ••

ما زلنا فى المسجد وعند موضع الكاتدرائية من الجامع يقول الدليل:
هنا المكان كان قبلا المعبد الرومانى •• أتى المسلمون فأقاموا عليه مسجدا
•• ثم أتى المسيحيون فبنوا فوقه كنيسة ومن يدرى متى وكيف يكون
التغيير القادم بعد مباراة البنج بنج يشير الى مباراة البنج بنج بين أمريكا
والصين التى كانت فاتحة تلاق بينهما •

سكان قرطبة ثلث ما كانوا عليه •

فى العهد الاسلامى كان المسيحيون والمسلمون يعيشون مع اليهود
فى سلام •• فعلى مقربة من جامع قرطبة يقوم حى اليهود وفيه الآن تمثال
ابن ميمون •• ويسكنه اليوم ، الاسبان بالطبع •

وبعد حى اليهود ، شاهدنا « دوارا » أندلسيا •• حجرات كثيرة
تسكن كلا منها ، أسرة ولكن المدخل جميل فقد كسيت جدرانها من الأرض
الى السقف بأصص الزهور •

فى عودتنا من زيارة الجامع ، رأينا تمثال ابن رشد •• لقد
أفاقوا •••

الحرارة فى قرطبة خانقة فقد بلغت ٤٨ درجة . كان الأجانب من رفقاء الرحلة يسمون الشارع « فرنا » ولكنها على كل حال حرارة بلا ذباب وقد نسيت أن أسأل الأسباب عن سر اختفاء الذباب عندهم مع حرارة جوهم .

ولكن لم أنس الصورة الأولى لقرطبة . . ان قرطبة اليوم تعلو وجهها مسحة من حزن نبيل فلا هى تزهر بأثوابها الزاهية أقصد متنزهاتها ولا هى تبعث الأنغام ولا هى تدل بالأبهة .

وتذكرت لجوء اردنيو الرابع الى الخليفة الحكم حين وفد عليه فى عشرين رجلا من وجوه أصحابه عام ١٩٦٢ وراعهما ما فى قصر قرطبة حين دخله ثم راعهم بعده قصر الزهراء الذى استدعاهم اليه الحكم بعد يومين . تذكرت الحكم وهو جالس فوق سرير . . واردونيو يسعى اليه . . . للمثول بين يديه مما يصفه بتفصيل الأستاذ عبد الله عنان فى كتابه (دولة الاسلام فى الأندلس) (فلما وصل المجلس الخلفى كشف رأسه وخلع برنسه . . ولما دنا من سرير الحكم سجد أمامه ثم قبل يده . ثم ارتد راجعا الى كرسى من الديباج المثقل بالذهب) .

وتذكرت ضاحيتها الجميلة « الزهراء » وليالى شاعرتها « ولادة » وفارسها وشاعرها « ابن زيدون » وتلميذتها مهجة القرطبية ، وحفصة بنت الحاج الركونية ، وعائشة بنت أحمد القرطبية . وكان جميعا كما جاء فى نفع الطيب (موصوفات بالجمال والظرف ، الا عائشة فقد استغنت بالفهم والأدب والفصاحة) .

وتذكرت (مكتبة قرطبة) أو مكتبة الحكم المستنصر ذات المائتى ألف مجلد جمعها صاحبها من أفريقية وفارس وسائر البلدان . . لان الحكم كان حاكما وعالما حتى قالوا أنه قلما يوجد كتاب فى مكتبته الا كان له نظر فيه وتعليق عليه . . يكتب عن المؤلف وعن مولده ووفاته ويأتى بغرائب لا توجد الا عنده . وكان يجمع فى داره المهرة فى صناعة النسخ والضبط والاجادة فى التجليد ويغمرهم بالمال فكانت داره أشبه بمجمع علمى .

كان ياما كان . .

ومكتبة قرطبة ذكرتني بمكتبة أخرى مكتبة طليطلة التى قال عنها « فيادرو » فى الجزء الثانى من كتابه أن بها آثارا عظيمة تدل على ما كان للعرب من التقدم فى فن الموسيقى . . وأن (هناك جزءا من المخطوطات

فى الموسيقى عليه بعض ملاحظات بخط ألفونس العاشر ، الذى كانت كل معلوماته وتربيته العقلية مكتسبة من قراءة الكتب العربية) .

نعم فقد أقبل الاسبانيون عندما كانت قرطبة عاصمة الملك العربى ، على تعلم اللغة العربية حتى هال أسقفها الفارو Alvaro الأمر فكتب يشكو أنه لا يجد بين الألو من أبناء طائفته من يستطيع أن يكتب رسالة باللاتينية المقبولة بينما يتقن الكثيرون العربية وينظمون فيها الأشعار بمهارة لا تقاربها مهارة العرب أنفسهم !! . وياقوت فى (معجم البلدان) يروى أنه سمع من كثيرين (أن أهل شلب يقل بينهم من لا يقول شعرا حتى الفلاح منهم اذا مر به أحد وسأله عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحه عليه) . ويقول د . أحمد ضيف أنهم كانوا ينقشون الشعر على جدران المساكن وأبنية الحكومة واتصل الشعر بالحوادث العامة والاجتماعية ، وكان من وسائل الرقى ، وكان من دواعى السلم والحرب ، وفك أسر المسجونين ، والعفو عن المجرمين) .

كل شئ وصفوه شعرا : القصور والحدائق ومجالس الفناء ومناعم الزينة وصفوا النفوس واختلاجاتها وصفوا الكنائس والأديرة . . لم يدعوا شيئا لم يصفوه حتى كادوا أن يتكلموا شعرا .

كان ياما كان . .

ولعل طريقة تعليم العربية فى الأندلس سبب من أسباب ازدهارها . فقد تحدث ابن خلدون فى مقدمته فى الفصل الثلاثين عن (تعليم الولدان واختلاف أنصار المذاهب الاسلامية فى طرقه) مشيرا الى طرق التعليم فى بلاد المغرب وفى بلاد الأندلس . وقارن بين مختلف هذه الطرق ومن هذا الفصل تتبين أنهم كانوا يعلمون العربية وأدبها من شعر وترسل مع القرآن الكريم .جنباً الى جنب على خلاف أهل المغرب والمشاركة الذين كانوا يبدأون بتعليم القرآن الكريم دون سائر العلوم .

وقد دخلت الألفاظ العربية فى اللغة الاسبانية وتداخلت وكيفتها نكييفا كبيرا فى زمن شارل الأصلى . . حتى ترجم قسيس من أهل اسبيليه فى القرن التاسع ، التوراة لتلاميذه ، الى اللغة العربية .

وقد دامت هذه الحال زمنا طويلا فى قرطبة وطليطلة حتى أن القسس ، لضيعة اللاتينية ، اضطروا الى ترجمة كتبت الكنيسة الى اللغة العربية . وبقي ذلك الى أواخر القرن الحادى عشر . . أى بعد أن استولى ألفونس السادس على طليطلة عام ١٠٨٥ م .

والاسبان اليوم يقولون عن القنطرة Alcantarrilla وعن القناة Cantilla
بل أن عاصمتهم مدريد تتألف كما يقول الدكتور مكى فى كتابه (مدريد
العربية) من (لفظ عربى خالص « مجرى » أضيفت اليه مقطع نهائى من
اللاتينية الدارجة (- يط) الذى يدل على التكثير) فمعنى الكلمة اذن
« المدينة التى تكثر فيها المجارى أى القنوات الجوفية التى كانت تحمل
الماء الى سكان المدينة وبيوتها وحدائقها »

كان الفنان في «جوبا» أكبر من الملك «فردناند» السابع

٧٣/٧/٢٧

مدريد

في التاسعة صباحا تحركت السيارة من قرطبة في طريقها الى مدريد . في مدريد حديقة جميلة عليها تمثال للأديب الأسباني «سرفانتس» يل تمثال «لدون كيشوت» بطل قصته المشهورة . بل ان صحراء المانشا الجرداء خلقت منها أسبانيا معلما سياحيا باعتبارها طريق دون كيشوت لما بها من طواحين الهواء .

هذا هو مكان الأدب في أسبانيا .

وفي مدريد زرنا القصر الملكي ويطلقون عليه لفظ Alcazar وهو كما يقول الدكتور مكي ، (تحريف لكلمة « القصر » العربية) . وهو يطل من الناحية الغربية على سهل منبسط فسيح يمتد بين القصر ونهر المانشانارس ، ويعتبر اليوم من منازل مدريد ، ويطلق عليه الآن اسم « مرج العربي » قصر به ٢١٠٠ حجرة أعلن الدليل في بداية المطاف أنه سيقودنا الى ٤٢ حجرة فقط فيها الكفاية لنا ، وله .

هذا القصر بناه البوليتكان ولم يشأ فرانكو أن ينزل فيه . مصلحة أسبانيا أن يصير متحفا . وباسم أسبانيا تستعمل منه ثلاث حجرات فقط في المناسبات الكبرى : حجرة العرش ، حجرة السفراء لاستقبالهم حاليا ، حجرة الطعام في الولائم الرسمية لرؤساء الدول :

ما عدا هذا مضروب حوله كوردون حتى لا تمسه يد . العيين وحدها كانت تلمس وتنفذ الى بعيد .

سجاد القصر في مواضع سير المشاهدين غطي بسجاد حديث حتى لا تطأه قدم . الستائر مغلقة بالنايلون حتى لا تتأثر باللمس .

على الأقمشة أو التلوين المعرض منها للمس في مداخل الحجرات
زجاج حفظا لها . مصلى القصر لم تمس منذ سنة ١٩٣١ .

في القصر حجرة للساعات وفي القصر ساعة تقيد النظر يدعوها
الدليل Wow وهي الكلمة التي يطلقها الأمريكيون عند البهر الشديد .
وفي القصر أثاث ورياش ونجف « ملوكي » . . .

لقد قامت في أسبانيا ثورة أهلية دامت أربع سنوات بين فرانكو
والشيوعيين ولم يمس أحد الجانبين القصر وذخائره ونفائسه . . . الكل
احترم ملكية البلد له - اذا استثنينا حجرة البيانو فقد استطاع شقي
أن يتسلق النافذة ويحدث خدوشا في السقف .

لم أبك في غرناطة حين رأيت قصر الحمراء . .
ولكنني بكيت في مدريد حين رأيت القصر الملكي الذي صار متحفا
كأنه صيغ من أحداق . . متحفا يدر الملايين على أسبانيا . .
هنا فقط بكيت على قصر عابدين ورأس التين . .

متحف الفن في مدريد :

وهو متحف جامع فهو يضم مع الفن الاسباني قسما للفن الايطالي
وقسما للفن الفرنسي وهكذا . . . طبعا الدليل دخل بنا القسم الاسباني
واستهله بأعمال الفنان الاسباني (بلاثكا) .

(بلاثكا) كان « انسانا » . . يتجلى هذا في لوحته (النصر) فقد
صور بريشته نصر أسبانيا وكيف سلم العدو ، المفتاح ، فاذا بالمنصر
يأخذه في رحمة لا شماتة . . .

في المتحف الاسباني رأيت قاعة كبيرة ليس فيها الا لوحة واحدة
. . . هي لوحة La Meninas أى البنت . . . وأمام اللوحة امرأة بزاوية
معينة لتجسيد اللوحة . . وعندما تشاهد اللوحة من خلال المرأة يخيل
اليك أنها تتحرك . . . تنهض .

ان اللوحة من خلال المرأة خير منها على الطبيعة . .
على أن لوحة (الغزل) بدون مرآة تكاد العين ترى دوران العجلة .

وبلاثكا كان يحب مدرجات اللون الواحد • فلوحته (الأميرة)
تستطيع أن تسميها Red in different tones على أنى أريد هنا خاصة
أن أقف عند لوحته التي تصور كيف وقف الله وراء المسيح في محنته ...
لا أريد أن تتخيل صورة (الله) بل رسمه ولكنى أريد أن أشير الى حرية
الفنان في التعبير رساما أو كاتباً حتى مع الله في قدس جلاله فما بالك
بما هو دون الاله بل دون الناس •

وبعد (بلاثكا) انتقلنا الى قسم الفنان جويا من المعرض •

الجدران مبطنة بالقطيفة الحمراء كخلفية للصورة ...

صور (جويا) بشاعة الحرب في لوحة تمثل رجلا ياكد ابنه والدم
يقطر من فمه رمزا لقسوة الانسان على أخيه الانسان بل قسوته على نفسه
وهل الولد الا النفس النفيسة ؟

صور (جويا) بشاعة الحرب في لوحة تمثل رجلا يأكل ابنه والدم

أما لوحة (الدين) فقد رسم فيها موكبا دينيا وفيه انسان يعزف
وأخر يلهو ، ولاهون كثيرون مشغولون بتوافه الأشياء ...

كان (جويا) يعيش في عهد ملك أسبانيا شارل الرابع ... ولما
جاء فرناند السابع وكان جويا يكرهه ... وأراد الملك أن يعلن سطوته
ويعرف جويا أنه الأمر الناهي فطلب اليه أن يرسمه فوافق جويا وهو
يخفي ابتسامة ساخرة • نعم كان الفنان في (جويا) أكبر من الملك في
(فردناند) السابع فقد رسمه حقاً كما أراد ولكنه جعل امضاءه بالمقلوب
بحيث يعطى قارئ الاهضاء ظهره للملك المرسوم ... والى الأبد !! •
وفي بروتوكول الملوك تقضى (الجلالة) أن يترك المرء (حضرة) الملك
وهو يسير الى الورا ... وجهة كوالته للملك الذي لا يرى - أو المفروض -
ظهرها أبداً ...

وهكذا سخر (جويا) من الملك ومن احترامه المرسوم وبروتوكوله
الموضوع والمصنوع •

٧٣/٧/٢٨

مدريد

نصب الشهداء :

قبل زيارتنا للاسكوريال زرنا (نصب الشهداء) فهو في الطريق اليه بينهما خمسة عشر كيلو مترا ٠٠

ونصب الشهداء بناء ضخمة نحت في الجبل عمقه ثلاثمائة متر وارتفاعه ٤٥ مترا ٠ أما الصليب فقد أقيم فوق قمة الجبل نفسه وارتفاعها ١٥٠ مترا فإذا عرفنا أن الصليب ارتفاعه أو طوله ١٥٠ مترا فوق القمة ، نبين لنا أن ارتفاعه عن سطح الأرض ٣٠٠ متر ٠

كل هذا منحوت في الجبل وما زال الجبل يطل على المبنى ويكتنفه من الخارج ٠٠٠

أما الداخل فكالعادة كاندراية يفضي إليها باب ضخمة والمر طويل على جانبيه التماثيل الضخمة البرونزية منها تمثال المسيح يضاء بالكهرباء ٠

الاسكوريال

قصر الاسكوريال بينه وبين مدريد ٥٢ كيلو مترا ٠٠٠ الدعاية عنه طنانة أكبر منه بكثير ٠٠٠ لا شيء فيه يشبه أبهة القصور ٠٠٠ انه أشبه بشكنات الجنود ٠٠٠ شكله تماما كقشلاق عابدين ٠

أحجاره صماء عيبة لا تقول شيئا ٠٠٠ أقبأوه غيبة مظلمة ٠٠٠

الاسكوريال

هذا البناء الضخم في حرمة الجبال الجرانيتية « سيارا دى جودا راما » Sierra de Guadarrama وبنى في حكم فيليب الثاني ٠ وقد أخذ هذا البناء ٣٠ عاما لإنشائه بتكاليف ٥٧٠ر٢٦٠ر٥ دوكانس (العملة في هذا العصر) ٠

بهذا القصر : ١٦ فناء و ٢٦٧٣ نافذة و ١٢٠٠ باب و ٨٦ مجموعة

من السلالم و ٨٨ نافورة وممرات مجموع طولها ١٠٠ ميل وهو قصر من طراز معروف باسم «Estilo Herrerescas» طراز هيريرا . وجوان دي هيريرا (حوالى ١٥٣٠ - ١٥٩٧) كان مهندس فيليب الثانى الذى أكمل عمله أستاذه «Juan Bautista de Toledo» الذى بدأه فى ١٥٦٣ .

Wonders of the Roland Gooch

عن كتاب

وكم تبلغ ثمن تذكرة الشركة السياحية التى أخذتنا اليه أو ورطتنا فى رحلته ؟ ٣٥٠ Pizetta أى ما يعادل أربعة جنيهات مصرية للفرد الواحد !! وعرفت على الطبيعة معنى عبارة (التميز من الغيظ) حتى الأولاد كانوا يبرطمون متاففين ٠٠٠ وتساءلنا أكثر من مرة كيف يتكلف السائح هذا المبلغ لمشاهدة هذه الكتابة ثم تجعل مصر رسم المتحف ٣٥٠ قرشا !! أهو الجهل بما يجرى فى الخارج ؟ أم الجهل بقيمة ما فى الداخل ؟ بقيمة المتحف .

وسألت أكثر من مرة عن (المكتبة) مكتبة الاسكوريال هدفى من الرحلة فاذا بالدليل مرة يقول ليس هناك وقت للمكتبة !! كان الشركة أو المشتركين فى الرحلة لهم عمل آخر ٠٠٠ ومرة يقول أن تذكرة الرحلة تتضمن المكتبة وباقى القصر ولكن للمشاركين عن يوم كامل ويدفعون ٥٥٠ بزتا أى ما يعادل سبعة جنيهات مصرية ٠٠ ومرة يقول أنها مغلقة !!

ودخلنا قصر الاسكوريال حيث لم يبق غيره ٠٠ حتى الأثاث كرسى هنا وكرسى هناك ٠٠٠ ليس به شئ يمت الى القصر بصلة الا اللوحات المعلقة على الجدران والتى استغرقت احداها ستة عشر عاما من عمر الفنان ليرسمها . لقد كتب القوم تاريخهم بالريشة والألوان ٠٠٠

كتب تاريخ اليونان ، الشاعر ٠٠٠

وكتب تاريخ أوروبا ، الرسام ٠٠٠

وكتب تاريخ مصر ، الفن التشكيلي ٠٠٠

واستوقفتنى طويلا لوحة المعركة التى دارت بين العرب والاسبان ٠٠٠ هذه اللوحة وحدها تشغل جدارا كاملا طوله نحو مائة متر !! وعلى الجدار الصغير لوحة المعركة التى دارت فى البحر ٠٠٠

اذن لم يسلم العرب الأندلس تسليما بل خاضوا دونها المعارك فى البحر والبحر ٠٠

وفى الاسكوريال نزلنا سلالم وراء سلالم ٠٠ سلالم ضيقة مظلمة حتى تخيلت أننا غصنا فى باطن الأرض وأخيرا انتهينا الى قاعة مستديرة كسيت جدرانها بالرفوف ٠٠٠ رفوف مرصوص فوقها توابيت الملوك والملكات ٠٠ فقط اللاتى أنجبين ملوكا ٠٠ ومع هذا وضعن فى رفوف متتالية وحدهن ٠٠٠ أى أن قاعة التوابيت الاسبانية فيها (حريم) ٠٠ واحدة فقط شذت عن القاعدة وأصرت ، فى حياتها بالطبع ، أن يكون تابوتها بين توابيت الرجال ٠٠٠ هى الملكة اليزابيث الاسبانية .

ومن الطريف أن بعض التوابيت ليس عليها أسماء ٠٠ انها محجوزة للأحياء من الأسرة المالكة .

التوابيت قوائمها القصيرة على شكل قدم الأسد بأطرافه ٠٠ وعلى القاعة قبة لونها أسود محلى بزخارف من الذهب ٠٠٠ والشموع مضاءة ٠٠٠ أى أن المقبرة فيها من معانى القوة : المال ومخالب الأسد ولكن هذا كله لم يغير من الأمر شيئا ٠٠٠ ما زالوا أمواتا تحجب عنهم التوابيت كل شيء ٠٠٠ ذكرنى هذا بال Cemetairo فى جنوة وهى مدينة الأموات ٠٠ زرتها يوم اثنين أى عقب زيارة الأحد فالزهور ما زالت رفاقة لم يلحقها الذبول والشموع على القبور ما زالت مضيئة لم تنطفئ كشموع تحتها ٠٠ فى مقابر جنوة الرخام يتضوأ فى الشمس والفوانيس الجميلة على القبور ، والأزهار لها تجويف محسوب فهى على قبر ألوانها مبتهجة كأنها لا تعلم شيئا عن طبيعة المكان الذى تمرح فيه على خيوط الشعاع ولكن ال Cemetairo برخامه وفوانيسه وشموعه وزهوره لا يرد للروح .

مهما جمل الانسان الموت وفخم القبر فالمت كريحه بغيبض ٠٠ والانسان يكره الموت ويفزع منه ولكنه يتفنن فى بناء القبر ٠٠ هل هو آخر تكريم للأحياء ؟

وفى نهاية الطواف أو المطاف رأينا حجرة الملك فيليب الثانى ٠٠ على البلاط ! سرير يقف هزيلا مفردا وسط حجرة صغيرة بلاط ، ملك أراد أن يكون فيها متواضعا بلا جلالة أو بلاط ٠٠٠

بقى أن أقول انى مع الرؤى اكتسبت عدة كلمات أسبانية حرصت على حفظها كبصيص لحياة كل يوم أثناء الرحلة :

صباح الخير Buenos días سلاما Adios

ماء Agua fria السوق Mercado

Plaza ميدان بكم Quanto

Via طريق أقل Menos

Muchas gracias شكرا جزيلا وحدة العملة الاسبانية Pezeta

Por favor من فضلك رجل Hombre

Mujer وحرف ينطق في الاسبانية خاء امرأة

وقفنا أمامها لحظات .. عيوننا لمستها .. طغنا بها .. سلمنا ..
هلل الشوق وتكلمنا ..

٧٣/٧/٢٩

من مدريد الى باريس

أخذنا قطار ال Talgo (مع تفخيم التاء قليلا) في الثامنة صباحا ..
ركبناه قبل الموعد بنصف ساعة .. وقبل أن يلحقنا ملل الانتظار انبعثت
من القطار موسيقى جميلة هادئة .. ثم رحبت أصوات نسائية مختارة ،
بالاسبانية والانجليزية والفرنسية والألمانية بالمسافرين وتمنت لهم رحلة
سعيدة وطأنتهم بأنها ستعلن عن المحطات التي يقف فيها القطار ، في
حينها ..

الموسيقى تعزف بين الحين والحين فتزيد جمال المناظر الطبيعية
جمالا وعمقا ..

قبيل San sebastian وهو مصيف كبراء اسبانيا ويصل رجل الحدود
الاسباني وعلم على جوازات السفر بالخروج ..

في تمام الساعة الثانية والرابع بعد الظهر وصلنا محطة (اندايا)
Indaya مع تفخم الدال نوعا .. وهي آخر بلدة على الحسدود بين
اسبانيا وفرنسا وتنطق بالفرنسية Hendaya .

مررنا أمام رجال الجمارك ورجال الجوازات في دقائق .. لم يحاول
أحد أن يستوقفنا أو يلتفت مجرد التفاتة الى الحقائق .. واتجهنا الى
القطار الواقف على الرصيف المقابل .. وهو القطار الفرنسي الذهاب الى
باريسي ..

رحلة - ٦٥

بدأ القطار يتحرك فى تمام الساعة الثانية والنصف • لاحظنا فى المحطة العمال يغسلون القطارات الواقفة فى الخارج • أحدهم يغمس فرشاة ذات يد طويلة فى اناء واسع به ذوب الصابون والآخر فى أعقابهم أداة رش يغسل الصابون بالماء • هذا من الخارج ومعناه أنهم بالداخل أشد عناية •

سار القطار بطيئاً أول الأمر حتى شككنا فى أننا أخذنا القطار الصحيح أى السريع • وظل الحال على هذا البطء ساعة تقريباً بعدها أخذ القطار يمرق كلمح البرق • أثبت لنا أنه السريع •

رأينا السين فى أول مرة فى ثلث المسافة تقريباً • سارت معنا شمس الغروب مسافة ربع ساعة قبل محطة تورز التى وقف بها القطار فى الثامنة والنصف مساءً •

وصلنا باريس فى تمام العاشرة والنصف • لم يتأخر القطار دقيقة عن مواعده لفت أنظارنا أننا ركبنا ونزلنا ولم نر عامل التذاكر أو الحقيقة أننا رأيناه ولكنه لم يدخل ديواننا (الباب مفتوح) ولم يطلب الينا شيئاً • ربما لانهم يعرفون أن هذه المسألة تمت فى قطار أسبانيا ، بالشكل الوظيفى التقليدى لقد وقف عامل التذاكر الاسبانى طويلاً أمام نصف تذكرة أحمد وطلب جواز السفر ليطابق السن وهو ما لم يحدث فى سائر البلاد الأوروبية التى زرناها والتى مررنا بها وخاصة إنجلترا فان عامل التذاكر الانجليزى فى قطار لندن لم يلتفت مجرد التفاتة الى تذكرة أحمد بل علم تذاكرنا الخمس • ومع كل تذكرة يقول شكراً Thank you بالكلمة الانجليزية وفى أدب جم حتى ابتسم الأولاد وقالوا أما كان يكفى أن يقول (شكراً) مرة واحدة حين يرد التذاكر ؟ ثم علام يشكرنا بكل هذا الأدب المفرط ؟ اننا لم نسند اليه معروفاً • واجبتنا أن نبرز تذاكرنا عند رؤيته • وواجهه أن يعلمها ولكنه الخلق الانجليزى وفن كسب قلوب الناس •

نعود الى باريس • الحياة فى أوربا بعامة سهلة • رقد رأيت فى إيطاليا التصوير الفوتوغرافى فى أماكن كثيرة يدخل الانسان ويصور نفسه بالضبط ، فى دقيقة ويأخذ صوره ويخرج ! انه الحرص على الوقت والحرص على راحة الانسان وتيسير الحياة على من يعيشها •

مدينة النور :

على جانبي نهر السين ، فى الجزء الشمالى الأوسط من فرنسا ، تقع باريس وهى تعتبر المركز التجارى والمالى والسياسى فى فرنسا . على أن معظم المنتجات الثقيلة والرئيسية للبلاد تصنع فى مصانع تقوم فى أطراف المدينة وخارجها ، وتحتل المدينة واحدا وأربعين ميلا مربعا . . . وتعتبر من أكثر المدن ازدحاما بالسكان فى العالم .

ويقع قصر اللوفر على الضفة اليمنى من النهر ، وتقع الأكاديمية الأهلية للموسيقى شمالا ، وهى الأوبرا . وقريبا منها تقع كنيسة المدلين . وهناك أيضا فى ميدان الكونكورد ، وكانت توجه المقصلة التى أعدم بها ملك ومملكة فرنسا أثناء الثورة .

أما الآن فان الميدان يزدان بالمسلة المصرية . ويواجه قوس النصر ، الكونكورد على امتداد شارع الشانزليزيه الشهير .

ومن أشهر أحياء الضفة اليمنى حى مونمارتر حيث الطرق الملتوية والبيوت ذات الطابع المعين ، ويمكن رؤيته من كنيسة القلب المقدس (ساكر كير) التى تقع على ربوة خضراء جميلة .

أما أقدم أجزاء الضفة اليسرى للنهر فهو الحى اللاتينى حيث تقع السوربون وهى جزء من جامعة باريس . . . على هذه الضفة أيضا يقع واحد من أشهر معالم باريس ، برج ايفل بل هو رمزها الشهير .

انها باريس عاصمة الثقافة والجاذبية والجمال . . مدينة النور .

« دائرة المعارف الأمريكية »

٧٣/٧/٣٠

باريس

اليوم رأيت مصر بعد شوق ٢٢ يوما . . فى ميدان الأوبرا سألنا شرطى الميدان عن ميدان الكونكورد حيث تقف المسلة المصرية سامخة . . ذهبنا إليها أول شئ كمن يسعى الى قريب له فى بلد غريب . . وقفنا أمامها لحظات . . نعم هى . . المسلة المصرية . . عيوننا لمستها . . درنا حولها . . طقنا بها . . سلمنا وحيينا . . فى هذه اللحظة كنا نتمنى أن يرانا الناسى كل الناسى ويعرفوا أننا مصريون . . أننا أصحابها . . ليت

الفرنسيين كلهم يروننا في هذه اللحظة ليعاملونا معاملة الضيف العظيم ..
أقصد ضيف ابن ناس .

ميدان الكونكورد فسيح .. ليت العمر في مثل فسحته .. وسطه
المسلة المصرية رفعوها على قاعدة عالية فكانت بطولها الصاعد صلة بين
السماء والأرض ، كما هي صلة بين مصر والعالم المتمدين ..

إذا وقفت عندها ترى على دوران الميدان متحف اللوفر وعلى بعد
قليل قوس النصر .. وعلى مد البصر برج ايفل ونهر السين .. ان ميدان
الكونكورد أو ميدان المسلة هو كل شيء بالنسبة الى السائح وخاصة اذا
كان مصرياً ..

سرنا على وعد صامت معها بالعودة ليلا ونهارا ما امتدت اقامتنا في
باريس .. من أجلها حجزنا فندقا آخر قريبا منها في نصف المسافة
بينها وبين ميدان الأوبرا .. الفندق أغلى من الفندق الأول وأقل جمالا
ومظهرا ولكن يكفيننا انه يديننا منها ثم هو يمكننا من مشاهدة أهم المعالم
السياحية لباريس ومتاجرها وأصواتها .. ان الشركات السياحية الداخلية
تجعل رسم زيارة كل معلم من هذه ثلاثين فرنكا للشخص !! وقد تورطنا
ما فيه الكفاية في مدريد .. فلنستفد من هذه التجربة في باريس .

رأينا اليوم فيما رأينا محل (لافاييت) .. انه مدينة داخل المدينة .

المثرو في فرنسا يسير في أنفاق تحت الأرض ويعبر نهر السين !!
أحلم بأنفاق تحت الأرض في القاهرة تستوعب خطوط مواصلاتها كلها
ليعود الى العاصمة الجميلة والجليلة هدوؤها ورقتها ودمايتها الأولى ..
عندما تسير المواصلات في الأنفاق ويسير الناس على كبارى المشاة تصفو
القاهرة وتهدأ بالأمن من الزحام الذي ينقل عليها .. يعود اليها وجهها
الجميل غير مكدود .. الوجه الرائق المعبر القسمات لان عالمه مملوء
بالأسرار والرؤى . وقد فسر عام ٨٤ الحلم فانشاء الأنفاق في القاهرة
على قدم وساق .

٧٣/٧/٣١

وذهبنا الى الشانزليزيه وقوس النصر .. دخلت مبكرة في الشارع
الايمن .. خدعتني خضرته ومجموعة الأشجار الكبيرة في مدخله ثم دخلت
بعد دقائق على اليسار الذي أفضي بي الى شارع الشانزليزيه ولكن في

نهاية حدائقه تفريبا ٠٠ الجسد في الشانزليزيه فساتين السهره
المزركشة والمرصعة ٠٠ سائنظر حتى أرى بداية الشارع لانه الى الآن في
نظري مكرر مع جماله واتساعه ٠٠ ليس في حجم شهرته العريضة ٠٠
أما قوس النصر فعادى جدا اذا قيس بما عندنا من بوابات وأقواس
وروائع ٠

على مسار العصور

٧٣/٨/١

متحف اللوفر

على يسار الداخل قاعة للآثار الرومانية وقاعة للآثار اليونانية ولكنك
بعد أن تصعد السلم تجد القسم المصرى به عدة قاعات للفن الفرعوني
وكذلك الفن القبطى ٠٠ أما الاسلامى فقد كان مغلقا ٠٠

لوحات من عهد الأسرات القديمة ٠٠

قاعة كاملة لتمثال أبى الهول ٠٠

معبد صغير مغلف بالزجاج يضاء بالكهرباء ٠٠

نسيت أن أقول أن فى مدخل القسم المصرى منضدة عليها كتب عن
الفن المصرى منها كتاب عن (مصر فى الانجيل) ٠٠

فى القسم المصرى فاترينة زجاجية ضخمة فيها كسر أحجار من
مصطبة من عهد الملك أوناس ٠

فى الحائط بيوت زجاجية مبطنة ومضاء ٠٠ وبعد هذا كله قطعة ٠٠
نشارة من تمثال صغير للنيل فى التحاريق ٠٠

جدار كامل عرضه ثلاثة أمتار وارتفاعه عشرة أمتار لأجل جزء من
باب طوله ٧٥ × ٥٠ سم ٠

ركن بارز لأسرة مصرية قديمة غير معروفة على التحديد ، مكونة من
زوجين وطفل ٠٠ التمثال نفسه أصله غير معروف ٠٠

الأعمدة على قواعد واسعة ٠٠ وعلى مسافات بعيدة تسمح بتركيز

الرؤية .. كل تمثال صغير له تجويف بعيد في الحائط مبنى على الطريقة الفرعونية .

الكاتب المصرى وضع فى فترينة من الزجاج على قاعدة عالية وسط قاعة كبيرة على مسافات مقدره .. وأمامه أريكة من القטיפه الحمراء .. دعوة للناس الى تأمله مسافة طويلة وفى راحة ، تسمح بتذوقه .. وأسرع الناس استجابة لهذه الدعوة ، المصورون الذين وقفوا أمامه يصورونه من زواياه كلها ..

فى متحف اللوفر من مصر لوحة قاع الماء وما فيه من ضفادع وتماسيح .

وقطع الفخار فى فترينات كبيرة ذات رفوف .. كل رف كبير لايزيد ما يعرض عليه من ثلاث قطع .. أسفل الرف الأعلى به تجويف فلورسنت يسقط الضوء على الرف الأسفل ..

تمثال من خشب Hapy D. Jefai أفردت له قاعة كاملة ..

وهناك تماثيل جنائزية من الخشب .

وسلاسل وأطباق من المعدن .

وصندوق له غطاء بمجرى الذى يظن الكثيرون أن غطاء المجرى من فنون الأثاث الحديث .

أما ايزيس فقد وفقت فى كل جلال مصر فى قاعة عالية ارتفاعها ٢٥ مترا .. متفردة وحدها .. الجرانيت فى التمثال العظيم شف وتنشئ ..

فى متحف اللوفر تمثال يجلس فى هيئة من يقرأ التشهد .. الحركة نفسها لليدين على الفخذين ! ..

أوان زجاجية من العصر القديم ومكحلات زجاجية .. بورتريه قماش .. مقص .. حمالة حرارة .. مبخرة .. ملعقة .. الكاويلا .. الهارب .. زهر الطاولة .. شفشق الزجاج .. الرسم على الزجاج ..

كل هذا عرض فى أجمل صورة وراء خلفية من القטיפه الداكنة ومرايا لعكس النقوش الداخلية وأنوار ..

فن العرض والايحاء وإبراز الأهمية والتجميل بالنور والتعميق بالظل ..

ففي متحف اللوفر من مصر نماذج من الحفر على الخشب في وحدات
.. بروشات لها محابس على درجتين للاحكام .. أدوات الزينة من ملاقط
ومراود .. مجوهرات من الذهب المصفور وعقود من الأحجار الكريمة ..

في متحف اللوفر قاعة لاختاتون ..

تمثال الرأس على قاعدة وتحتها أرضية الفراشات .. وحول الكل
سور زجاج ..

هل نفرح ؟

هل نحزن ؟

ومشيت في الزحام .. مرهقة من الزحام وسعيدة بالزحام ..
وحاولت الاقتراب من الناس أكثر لأقرأ الوجوه .. أليس هذا كله
ملكى أنا ؟

حين يتعانق الأدب مع الرسم
حين يستكين التعبير فى العيون
حين يسوى الخوف والرجاء بين البشر

لوحات اللوفر

قاعات فى اللوفر للوحات كبار الرسامين .. لوحة تصور هياج
البحر الموت فى الأعماق يجمع ، بعد تفرق ، الزنجى على الأبيض ، وعند
تحطيم المركب ، وفى الفزع الأسود نبدو من بعيد ، فى اللوحة ، طرف
المنارة .. أمل .

وفى اللوفر لوحة تصور دخول نابليون روسيا .. كان منتصب
القائمة على ظهر حصان فى عجرة لا تخفى وتحت سنايكه ، سنايك الحصان ،
الجثث المدفونة فى الثلج ماتت معها آمالها وأحلام الشباب ، بعد أن
دفعت ثمن المجد الزائف أو الغرور الأحمق ..

يتمتع المنتصر بمجد الحروب ويتجرع المغلوب علقمها .. وفى الحالين
تدفع الشعوب وحدها الثمن ..

أجمل من لوحة القائد ، لوحة الأمل .. الخوف والرجاء الذى يسوى
بين البشر ..

وفى قاعة فيكتور هوجو تحولت لوحات القلم الى لوحات للريشة ..
عناق الأدب والرسم ..

الموناليزا أو الوجه الودود الذى تنجيه نظرتك اليك فى أى زاوية
تقف فيها قريباً منها .. تنظر اليك وحدها .. لا تغتر فهى تعطى هذا
المعنى لكل من رآها .. لكل الواقفين معك بلا تفرقة .. هذا سرها .

لوحة الموت للفنان Girodet Irioso

وفيهما يتشبث الرجل بالحياة .. أقدامه تغرس فى حجر الأرض
ويده تتعلق بيد زوجته .. والزوجة والهة والأولاد قزعون والرضيع يبكي
بالدموع ..

القسم الايطالى Anne Louis 1967 1842 le deluge

وفى القسم الايطالى من متحف اللوفر لوحات الفنان Van Dyck صورة تعبيرها كله مكنون فى العين • انه فنان العيون • • يتجلى هذا فى صور (شارل الأول) ملك انجلترا وصورة (الرجل والطفل) •
والفنان جورج Georges de la Tour 1593 - 1652 فى لوحته Saint Josep charpentier أجمل ما فيها انعكاس حسي الشمعة على الوجه والكفين والرداء • •

وفى متحف اللوفر . الجزء الخاص بقصر اللوفر • • استوقفتنا القاعة الطويلة المبطنه بالقطيفة الزرقاء والتي خفتمت فيها الأنوار خفوتا تاما لتضىء فى الفانريينات الزجاجية على الجانبين مبرزة نفائس القصر من حلى وساعات وأدوات •

وفى متحف اللوفر مما يلى السلم مطعم Self service حتى يستطيع الزائر أن يقضى يوما كاملا •

لقد ذهبنا اليه فى الصباح والمطر يهطل بلا انقطاع وحسبنا أنفسنا وحدنا لقصر اقامتنا فى باريس مما يجعل لكل دقيقة من الوقت قيمة مهما كانت أحوال الطبيعة • • ولكننا عند باب المتحف انتظرنا طويلا فى طابور طويل ودخلنا والطابور لا ينفض • • هنا الفن للناس خبزهم والمتحف قبلتهم • • لا مخزن آثار •

المتحف المصرى فى باريس :

على طريق الشانزليزيه يقف المتحف المصرى المخصص لحقبة واحدة ، معادلا فى الأهمية لمتحف اللوفر ويزيد • • ان رسم الدخول لمتحف اللوفر ٣ فرنكات ورسم دخول متحف مصر قبل الأهرام ٤ فرنكات !

خصصنا له يوما • • على يسار الداخل ركن للمعاطف تقف فيه سيدة فرنسية نظرت الى نظرة خاصة فقلت لها فى زهو نشوان : أنا مصرية • • وعلى الفور قالت : Quelle Formidable

تطرب النساء لمرجهن بالجمال أو يفرهن الثناء كما يقول شوقى ولكن لا يسعدنى شيء كنسبتي الى اللون المصرى والشكل المصرى وأهم من هذا الجواهر المصرى • • أى القلب المصرى بعبائه وذخره •

دخلنا المتحف ٠٠ السقف زجاج مغلف من أعلى بالشاش فتحات
رفيعة بين الزجاج تكيف هواء ٠٠ سقف تحت السقف للاضاءة ٠٠ الجدران
مبطنة بالأصفر فى لون الرمال لتكون خلفية للأوانى البنية اللون ٠٠ عمود
ضخم فوق بيت زجاج مربع الشكل من أجل قدر صغير ٠٠
انسا فى المتحف فى الفترة بين ٤٠٠٠ و ٣١٠٠ قبل بناء الأهرام
ماذا نرى ؟

أسورة من الديوريت مستديرة فى اتقان عجيب ٠
عقد من اللؤلؤ Perlén en cornaline فى لون العقيق
برتقالى وياقونى وأزرق وأبيض ٠

الرسم على حجر الشيشت (لوحة الكلاب ولوحة الثور) ٠
فازات فخار محلاة بالنحاس الأصفر ٠٠
صقل ورسم ٠٠

عقود من الودع وعقود من الأحجار الكريمة ٠٠ خيط انتظمت فيه
الحبات ٠٠

تشكيل العاج ونقشه وتشكيل العقيق ٠٠

أمشاط ٠٠ أطباق مرسومة من الداخل ٠٠ لا تنسوا التاريخ اننا
قبل بناء الأهرام بين ٤٠٠٠ و ٣١٠٠ سنة ٠

مراكب من الخشب ٠٠ خطاف من المعدن لتعليق الطعم عند الصيد ٠
قارورة العطر الدقيقة الرقيقة ٠٠

تشكيل أسنان التمساح ٠٠ الاناء وغطاؤه مخرم كما نصنع
بالقلل ٠٠

زخرفة الأوانى بتنوع التشكيل فى الجسم نفسه أو باضافات أو
بالرسم ٠

الاناء فى هذه الفترة بيضاوى ومستدير ٠٠ طويل وانسيابى ان
كثرة التنوع فى الشكل بله الموضوع تعنى كما يقول الصغير أحمد أن
هناك لغة للتخاطب والاتقان والتنفيذ ٠٠ ان هناك الاصطلاحات الفنية
والتصميم والتخطيط ٠

مسمار الكوارتز (الكاويلا) •

فازة للورد ••

قدور لها سبابيك مخرمة كالثقل للحماية والنظافة ••

السكاكين والمقصات والملاقط •

أدوات مصنوعة من النحاس والعظم ••

ابر خياطة •

نسيج Aiguilles قماش النيل — أدوات النقش ، منجل الحصاد

من الصوان Elements de faucile en silex •

مشط محلى بغزالة مثقنة — دبوس شعر محلى بعصفورة صغيرة

(رفة حضارى) •

ثلاثة رؤوس وعصفوران على قاعدة واحدة •• صغيرى أحمد يقول

فى نفاذ أن هذا رمز الى وحدة الوجود فى رأيهم •• فالعصفور كالانسان

منبثق عن القوة الأعظم ••

لوحة أوزوريس وعهدها ٢٢٠٠ — ٢٨٠٠ قبل الأهرام بنقوشها

وكتابتها وتلوينها •• فى هذا العهد السحيق عرفت مصر الكتابة والتلوين

والنقش ••

هذا المتحف وفى فرنسا يقول ان حضارة مصر أقدم من الهرم بأربعة

آلاف سنة ! ولكن المتحف يعنى أن حضارة مصر أبعد من هذا بكثير •

فمقننيات هذا المتحف تعنى كما يقول ولدى أحمد انه سبقتها عملية تحضير

طويلة ••

وعندما يريد الطيبون أن يفتخروا بمصر يقولون ان عمر حضارتها

خمس آلاف سنة ! وآخرون يقولون ربما على استحياء سبعة آلاف سنة

وهم لا يكادون يصدقون أنفسهم ويحسبون ، وسامعهم لا يقولون عنهم ،

حساب المبالغة فى هذا الرقم من باب الوطنية ولو عرفوا وعرف الناس

لقفز الرقم الى أربعة أضعافه فان العمر الحضارى لمصر لا يقل عن ثلاثين

ألف سنة •

قوس النصر

أراد نابليون الأول بعد أن أحرز انتصاراته الباهرة أن يبنى رمزا لها فكلف المثال الفرنسي شالجران أن يصمم بناء هائلا يستوحى رسمه من الآثار الرومانية القديمة . ولكن نابليون لم يقدر له أن يرى حلمه « حقيقة » فتداعت امبراطوريته بعد هزائمه المتوالية .

وقد بدأ العمل في القوس سنة ١٨١١ . واستكمل بناءه الملك لويس فيليب .

ويقع القوس في وسط باريس في ميدان « ليتوال » L'Etoile ويبلغ ارتفاعه ١٦٠ قدما ، وعرضه ١٤٧ قدما وعمقه ٧٢ قدما . وتلتقى عنده أهم ثمانية شوارع على شكل نجمة . ويؤدي اليه شارع الشانزليزيه .

وقد حُفرت عليه أسماء ٧٢ معركة و ٢٨٦ قائدا من قواد الجيش العظام .

وفي ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٠ دفن تحته رفات جندي فرنسي مجهول فأصبح (مقر الجندي المجهول) . ومن أجل هذا ، وليس لتخليد امبراطور سابق ، غدا قوس النصر أثرا من آثار فرنسا القومية .

برج ايفل

برج ايفل أو (سيده باريس) كما اعتاد الفرنسيون أن يطلقوا على البرج الذي صممه المهندس ايفل وافتتح في المعرض العالمي في باريس سنة ١٨٩٩ .

وقد بنى البرج ليكون رمزا لهذا المعرض وان كان الزمن لم يفقده ، على الرغم من مرور المناسبة – جاذبيته الفريدة ودلالته الصناعية .

أما المهندس المصمم ألكسندر جوستاف ايفل فقد عرف عنه ، تفوقه في التصميمات الحديدية . . وان كانت شهرته لم تذع الا بعد تصميمه البرج .

بدأ بناؤه سنة ١٨٨٦ . وأساسه من الحجر يبلغ ٢٨٠ قدما مربعا . و برج ايفل أقدامه الأربعة مغروسة في الأرض حتى عمق ٤٥ قدما و ٣٠ قدما .

برج ايفل Tourefele

أمامه حديقة جميلة وتصعد فيه مركبة كهربائية حتى منتصفه أى الدور الأول ثم مصعد حتى الدور الثانى والثالث حيث يرى الصاعد باريس من نقطة عالية أو على أعلى نقطة فى المدينة ..

البرج عمل هندسى باق .. ويقال ان مهندس صمم كوبرى (أبو العلا) فى مصر .. وبعد أن أتمه اكتشف خطاه الفادح فالكوبرى ثابت لا يفتح للمراكب .. وعند هذا هم المهندس الشاب بالانتحار لفشله ولكن رئيسه هدأ من روعه وشجعه .. ودرس أكثر وتعلم أكثر وعمل أكثر حتى اقترن اسمه ببرج فرنسا ..

ان صحت هذه القصة فهى أحسن ما فى البرج ، فى نظرى على الأقل .. ان البرج نفسه تركيبات متشابكة من الحديد يرى المرء صوراً منها فى المحطات الكبرى كمحطة فيكتوريا مثلاً بانجلترا هذه هى النظرة الظاهرة ولكن البرج قطعاً فيه فن هندسى يعرفه أهل الهندسة والا لما استحق البقاء بله الخلود ..

وقد تضاربت الأقوال والآراء حول برج ايفل فهناك من يرى أنه رمز للصحو الفرنسية بعد هزيمة فرنسا فى الحرب ، ودليل على التقدم الصناعى .. بينما يرى فيه الأدباء والفنانون الفرنسيون حينذاك « الهرم الضعيف المخيف » أو « مدخنة باريس القبيحة » ..

على أية حال ، أصبح برج ايفل جزءاً حيويًا من باريس حتى لتقول القصة المشهورة أن رجلاً لا يطيق برج ايفل كان يصعد إليه كل يوم مضطراً لأنه المكان الوحيد فى باريس الذى يستطيع أن يتفادى رؤية البرج منه ..

حي مونمارتر

٧٣/٨/٣

طريق صاعد .. جبل عال من السلالم .. صعدنا عشرات الدرجات ثم توقفنا .. قابلت سيدة فى خريف العمر تلهث من النزول ! سألتها ألا يوجد هنا طريق آخر الى مونمارتر ؟ وكأنها كانت تنتظر السؤال فتدافعت الكلمات اللاهثة تدلنى على انعطافة فى الطريق أستدير معها أينما استدارت حتى أصلي الى هذا المونمارتر متفادية سلالم Everest

وصلنا وتشهدنا ٠٠ تقف على قمة الجبل كنيسة Sacre Coeur
بأبراجها جبلا آخر أو قمة أخرى ٠٠ أمامنا حديقة مدرجة يبدو أنها كانت
سفح الجبل ثم لمستته يد الانسان ٠٠ الحديقة خضراء زاهية مسورة من
أعلى ٠٠ وفي كل دور منها كراسي مننورة يجلس عليها الناس وما أكثرهم ٠٠
وجلسنا معهم ٠٠ الهواء ينعش النفس ٠٠ باريس تبدو من هذا المكان
مدينة قديمة ٠٠ هذا المنظر هو الرسامين يرسمونه كما يراه كل منهم
من زاويته الخاصة ويلونه من داخل نفسه ثم ينزل أدراجه أو أدراج
الحديقة يبيعه في شوارع الحي التي تبدو على البعد أشربة رفيعة ثم
لا يزيدها القرب انساعا يذكر ٠

نزلنا الحي ٠٠ الزحام يفرض على السائر أو الزائر الجديد أن
يشق طريقه بصعوبة ٠٠ الناس والبضائع والمقاهي والمطاعم ٠٠ الجميع
على الأرصفة ٠٠ الحي متواضع في كل شيء كأن لم تبلغه أخبار المدينة
الحديثة وهو جزء من بلد الموضة لعل سره في القدم والغربة والطرافة
وكلها رأس مال ٠٠ انه على كل حال راض عن نفسه فيما يبدو ٠٠ بل
لعله مزهو يسعى اليه الناس ولا يسعى هو اليهم ٠٠ وبلدية باريس تسلم
له بهذا فهي لا تهتمه لتقيم عمارات حديثة أو علب كبريت حجرية ٠٠ انه
حي الفنانين والفن من طبعه الشهم والكبرياء ٠٠ قد لا يكون الأكثر ثراء
ولكنه الأغنى ٠٠

كان حي مونمارتر آخر سياحتنا في فرنسا فقد سافرنا في صبيحة
اليوم التالي الى لندن ٠٠

أشياء نحلم بها .. يعرضها التلفزيون الانجليزى

٧٣/٨/٤

وقف القطار الفرنسى فى محطة Boulouge Ferry Boat
بعد أن مررنا بالطبع مع المسافرين بمكتب جوازات الحدود .. والتي
يسمونها Boat كانت فى نظرنا باخرة جميلة مريحة .. بها صالون :
صالون كبير لغير المدخنين وصالون للمدخنين .. مطعم كبير وبوفيه
أنيق Freeshop .

حملتنا الباخرة أو ال Ferry Boat واسمها Sea Link
الى انجلترا .. نزلنا انجلترا .. لم نحس بالجمرك .. أستطيع أن أقول
انه غير موجود .. لعلهم اكتفوا بالاجراءات المهذبة التى تمت على الباخرة .
أخذنا القطار الانجليزى الى محطة فيكتوريا .. جاء عامل التذاكر ..
قال لنا شكرا بعدد التذاكر أى خمس مرات ! أسلوب مهذب ترك فى
نفوسنا أطيّب الانطباعات منذ البداية ..

القطار يخترق الريف الانجليزى الجميل الهادئ .. البيوت ذات
الطراز الواحد كأنها فيلم كرتون .. السقف التقليدى والمدخنة .. أجمل
ما فى البيت الانجليزى حديقته .. صغيرة ولكنها جميلة .. انها قطعة
منه لا غنى عنها .. فى بعض البيوت لا تزيد الحديقة عن حجم حجرة من
الحجرات ولكن هذا الصغر نفسه يؤكد عقيدة الجمال فى نفوس الانجليز
.. لابد من حديقة مهما كانت المساحة صغيرة والبيت متواضعا ! .. انها
أدل على الشعب الانجليزى وعلى أصحابها من حديقة غناء تحيط بقصر
كبير لان هذه صنعها المكان والمال واستكمال المظهر والترف ولكن تلك
صنعتها نفس تؤمن بالأرض والزهرة واللون الأخضر وروح النبات ..

وصلنا الى محطة فيكتوريا .. عربات صغيرة لحمل أمتعة المسافرين
.. بلا مقابل طبعا .. مكتب فى المحطة يرشد الى الفنادق .. طابور خارج
المحطة لركوب التاكسيات ولكنه طابور لا ينقل على أحد لان أفواج

التاكسيات تتلاحق سراعاً في طابور هي الأخرى ٠٠ والتاكسي الانجليزي كبير به كرسيان في مواجهه الأريكة الكبيرة ٠٠ حملنا السائق الى حيث نريد ولم يعترض على العدد كما فعل السائق الفرنسي في الصباح حيث رفض أن نركب نحن الخمسة مما اضطرنا أن نستدعي تاكسيا آخر ٠٠ وذهبنا الى المحطة في سيارتين ٠٠

الفندق الذي دلنا عليه أصدقائنا فندق Astour cour الفندق في شارع Hallam street أفخر ما نزلناه من فنادق ٠٠ طلبنا حجرتين فاذا بهما شقتان مفروشتان كل منها تضم صالونا وحماما ٠٠ وتليفزيونا (عند الأولاد) ومطبخاً وتليفونا ٠

كسيت الأرض ببساط فيروزي جميل وصفه أحمد بأنه جزء من البحر ٠٠ لعله يقصد بحر مطروح فهو وحده الحافل بكنوز الفيروز ٠ كل شيء جميل أنيق ٠٠ أحسسنا احساس البيت بعد غيبة طويلة عن بيتنا في القاهرة ٠٠ صنعنا الشاي بأيدينا لأول مرة في الرحلة شربناه حول التليفزيون أسرة ٠٠

في التليفزيون الانجليزي برامج يفوق بعضها بعضا ٠٠ برنامج (هذه هي الحياة) يتقصى متاعب الناس ويحققها ويشهر بالمخطيء من المرافق العامة والخاصة ٠٠ أنه عين ساهرة على مصالح المواطنين ٠٠

برنامج ديني بلا خطاييات ٠٠ هادئ متفتح مقنع ٠٠ كان الموضوع هو المسيح حقيقة أم خيال ؟ وهل الكنيسة بداية مملكته ؟ وهل الكنيسة لها دور في المجتمع ؟ طرح البرنامج هذه الأسئلة بلا عقد ولا خوف ٠

برنامج فكاهي نابض سريع بلا ترخص أو اسفاف ٠٠

برنامج يسخر من فهم بعض النساء قضية تحرير المرأة ٠٠

شدنا التليفزيون اليه ونحن الغرباء خمس ساعات لم نتخلها رقصة واحدة ٠

والحرية التي يتمتع بها الانجليز ، يتمتع بها الأجانب ، في بلادهم ، بلاد الانجليز لا بلاد الأجانب ٠ رأيت في Humanity اثنين ملونين يخطبان ٠٠ وقفنا طويلا نستمع اليهما ٠٠ كلاهما كان يتدفق كانه يغترف من بحر العذاب الذي عاشته أفريقيا واسيا من استعمار الأوربيين ٠٠ كلاهما كان يذكر أوربا بأن كل ما تنعم به معصور من دم الافريقيين والآسيويين

٠٠ ودموعهم وبترولهم وخيراتهم وأنهارهم وقنواتهم وكل ما عندهم ٠٠
اختطفته أوروبا نهبا ٠٠ وسلبته تجبرا ٠٠ سرقة في غفلتهم ٠٠

الحقيقة كان الانجليز يسمعون هذا في رحابة صدر ٠٠ وحدث أن
احتد أحد الواقفين ولكنه ما لبث أن اقتنع بل أعلن تأييده للخطيب ! ٠٠
اننى لم أنس اسنعمار انجلترا لمصر ولكنى رأيت اليوم ما كنت أسمع
به وهو أن الانجليز فى بلادهم عنوان الديمقراطية وحرية الرأى ٠٠

وحين عدت الى الفندق كان التليفزيون الانجليزى يعلن عن برنامج
يدعو الشباب الى نقد الحكومة وإبداء رأيهم فيها !! ٠٠
ان انجلترا تسمع رأى أبنائها ورأى الغرباء ٠٠ وأحسست بطول
الطريق الذى علينا أن نقطعه ٠

٧٣/٨/٥

متحف الشمع Madame Tausaud

فى ميدان بيكاديللى بلندن ، المصريون كثيرون ٠٠ أينما سرت تسمع
صوتا يقول لك « حمد الله على السلامة » أى عرفتك ٠٠ أنا مصرى مثلك
ويضحك وتضحك أنت ٠٠ انه لقاء الغريب للغريب أو القريب للقريب ٠
لا يسعد الانسان فى الغربية مثل أن يصادف وجه وطنه فى أبنائه أو لفته
أو أثر منه ٠٠

فى متحف الشمع الذى تسبقه شهرته بدقة التجسيم لا يزال
المشاهدون يخطئون فى التماثيل فيحسبونها بشرا ثم يضحكون من أنفسهم
مع الناس ٠٠ ومن الطريف أن أحمد كما يقول وقف أمام أحد الناس
يتفرج عليه باعتباره تمثالا من شدة التشابه بين الناس وتماثيل متحف
الشمع ٠٠ ولا أدري ان كان هذا تخالفا منه أو ظرفا أو خيالا ٠٠

الحقيقة أن متحف الشمع لم يخطئ الفنان فى تشكيكه ، التجاعيد
الدقيقة وألوان بياض العين وبقع الجلد وثنياته وعقل الأصابع والنظرة
والحركة ولازمة الشخصية ٠٠

وفى متحف الشمع قاعة المشهورين من مغنين ورياضيين وممنين من
أصحاب الشهرة العالمية الواسعة ويخفت الضوء حولهم ليسنطم دفعة واحدة

فى فنون العرض مع الاستعانة بخلفية من الصوت اذا كان مغنيا أو من أصحاب الأصوات كالمذيعين ..

ومن الغريب أن قاعة المشهورين ليس بين أصحابها المختلفى الجشسيات مصرى واحد !!

يبدو أن متحف الشمع كجائزة نوبل ، يقاطع مصر !
وفى متحف الشمع قاعة الملوك والرؤساء .. وفى هذه القاعة أيضا ليس لمصر فيها الا تمثال جمال عبد الناصر .. لعله التمثال الوحيد فى المتحف الذى لا يلتبس فيه على المشاهد الحقيقة . بالتمثيل فليس فيه من النبض ودقة التشابه ما فى التماثيل الأخرى .. وليس فيه الوسامة وفراهة الطول وعرض الكتفين وبريق العينين ونفاذهما .. كل هذه الصفات افقدتها التمثال أو حجبتها الفنان كأنه شكله من خلال الرؤية السياسية له ..

لكن الرجل مريض تخفى ملابسه هزالا لا يخفى .. ليس هذا جمال عبد الناصر حتى فى أيامه الأخيرة .. وأقرأ التاريخ تحت التمثال فإذا به سنة ١٩٦٥ أى قبل النكسة وعذابها وجروحها .

فهل يعرف الفن ، أيضا ، التعصب ؟

وفى متحف الشمع قاعة يسمونها قاعة الفرع .. وفى السلم الموصل إليها ، سلم جانبي من الطريف أن ورقة معلقة عليه تقول (اذا كنت تريد أن تهرب من الرعب فاخرج سريعا من هذا الباب) . ومن الطريف أيضا أن من الغريب أنه لم يخرج أحد .. هل غدا الانسان ساديا ؟ أم هو فضوله الغريزى ؟ حتى فى مقام الفرع !!

قاعة الفرع صورة حية لباستيال انجلترا أو باستيل البشرية عامة فهناك تماثيل للمجرمين وزناناتهم .. المجرمين والسفاحين والقتلة .. مشاهد كاملة تقول ان الجنة عتاة ، والقضاة قساة أيضا .. كلاهما وسيلته أو هوايته المفضلة ، الشنق والسحق والقتل والمقصلة والمطحنة .. حقا المطحنة وقد رأيناها بتروسها فى قاعة الفرع فحين أقول المقصلة والمطحنة ليس هذا من أسلوب (الاتباع) المعروف عند اللغويين ..

ان قاعة الفرع أو السجن بظلامه وقتامه فيه تماثيل هؤلاء السادة : ملك يقتل طفلين بريئين بالمخدرات خنقا ليحول دون ورائتهما للعرش !

ومملكة تقتل بنت عمها وتقف على رأسها المتدلى تنتظر سيف الجلاّد لتتأكد من نفاذ حكمها الكريم ! ..

وامرأة تجد أعصابا تشهر السكين تذبج زوجها ..

بقدر سمو الانسان وفنه .. بقدر قسوته وفظاظته .. كل هذه الأحداث جرت، في انجلترا التي ترفع تمثالا للانسانية

ومثل هذه الأحداث جرت في باسنييل فرنسا وفي كل دولة أخرى .. انها طبيعة الانسان الذي يكشف عن غرائزه عند الاختبار ، بعد كل آلاف السنين التي قطعها في محاولة التهذيب لكي يبدو مترفقا متأنقا Gentleman

وفي قاعة الفزع شاهدا نابليون في حجرة حقيرة على فراش الموت وأمامه ولنجتون قاهره في واترلو يزوره أو بتأكد من موته لا أدري فالقائد عادة يموت عقب هزيمته حتى وان تأخر اعلان الوفاة أعواما ..

وخرجنا من قاعة الفزع في متحف الشمع لنشهد تمثيلا بالشمع أيضا لمعركة الطرف الأغر خدم مع الشمع الصوت والأضواء بألوانها ودرجاتها فكنا نسمع طلقات المدافع وأصوات ضحايا يسقطون ثم تسلط الأضواء على أرض المعركة فنشاهد الجرحى تشخب دماؤهم .. تماثيلهم طبعاً .. لقد كانت معركة الطرف الأغر ككل معركة في تاريخ الحروب (قاعة فزع) .

ومن الغريب أن متحف الشمع الانجليزى يسلسل قاعاته بالمداخل والستائر بحيث يرى الانسان الطرائف في أول الزيارة ثم ينتهى بقاعة الفزع ومعركة الطرف الأغر .. ولكي يمسح أثرهما أعد في آخر الجولة عرضا كبيرا للعب مختلفة لاجتذاب الأطفال والكبار في الحديقة .

ولعب تذكرنا بالسفيرة عزيزة فهي تعتمد على الصندوق السحري غير أنه في متحف الشمع يدار بالأزرار والكهرباء ووسائل العلم الأخرى .. فلعبة سباق السيارات يجلس أمامها اللاعب ويحرك السيارات بديريكسيون في يقظة شديدة لانه اذا تصادمت سيارتان تقف ، وتخرج لوحة مضيئة مكتوبا عليها « قف » ويضطر لاستئناف اللعب أن يدفع مرة أخرى .. وهذه اللعبة تعلم الحساسية المرفهة في القيادة ..

ولعبة كرة القدم .

ولعب الحظ ومنها لعبة عبارة عن أقراص فيها فجوات .. الأقراص

نحرك ببطء ٠٠ يسقط اللاعب عملة النقود المعدنية على القرص فإا أزااا
 آزاا من نقود نأااا فان هذا الآزاا يسقط بأأأأ من فناأا فالاأااا اللاعب
 ولكن الذى أاأا أنأ لا أاأا الا ناأا أن أاأا للاأأأ أأأأ أو أأأأ ٠٠
 ان الذى أأأأ فقط هو الأأأ أو الطأأ فى الكأأ لان الأأأأأ مأأأأأ
 بأأأأ اللاعبأأ وأأأأ للاأأأ الطأأأ أن أأأأأ أاأأأأ ما أأأأأ فأأأأأ
 أأأأ هو !! ان اللأأأ مأأأأأ بأأأأ أأأأأأ فى النأأأأ ٠٠ ولكنأ
 أأأ أن اللاعبأأ أأأأأأ أأأأ لو أاأأأأأأ المأأأأ المأأأأ ٠٠ ان أأأأأ
 مأأأأأ فى النأأأأ أأأأأ ما فى الأأأأ على الأأأأأ لا أأأأ ما فى أأأأأ
 الأأأأأ بأأأأ الكأأأ ٠

مدينة الظلال .. والخضرة .. والرأى

٧٣/٨/٨

لندن

أول ما يلفت النظر فى لندن ، وفى الحقيقة قبل لندن
منذ بدأ القطار رحلته من مدينة الحدود أو ميناء Folkstone

لندن

مركز عالمى للمال ، وقلعة للصناعة ، وعاصمة لبريطانية . كما
تعتبر من أكبر الموانئ البحرية .
ولندن ثلاثة أجزاء :

مدينة لندن - مقاطعة لندن - لندن الكبرى . والأخيرة تعتبر أكبر
مدينة فى العالم . ومركز لندن هو شيرنج كروس ينتهى فى الشمال
بميدان الطرف الأغر وحيث يوجد التمثال الشامخ لنيلسون بطل المعارك
البحرية .

ولا شك أن وجود لندن على نهر التيمس له الأثر الأكبر فى
ازدهارها . وأبلغ دليل على هذا الازدهار هو وجود واحد من أكبر وأعظم
بنوك العالم وهو بنك انجلترا . وبجانبه توجد البورصة الى جانب (لويديز)
أكبر وأشهر شركة تأمين عالمية .

وشرق المدينة على نهر النيمس . يرتفع برج لندن حيث كان قديما
سجنا مركزيا وأصبح الآن متحفا .

وعلى النهر أيضا يقوم البرلمان وكنيسة حى وستمنستر .

أما طريق المول Mall فيؤدى الى قصر بكنجهام الملكى ، ويحيط
به من ناحية هايدبارك ، حيث يتجمع الناس عند القوس الرخامى (ماريل
أرش) ويستمعون الى الخطباء من كل لون وفى أى موضوع .

ومن أشهر معالم لندن أيضا كاتدرائية سانت بول ، وحى (سوهو)
فى الطرف الغربى ، والمتحف البريطانى .

(دائرة المعارف الأمريكية)

٠٠ البيت الانجليزى وأنا مضطرة هنا أن أصفه من الخارج فأنا لم أعاشر أسرة انجليزية بعد ٠٠ البيت الانجليزى يمتاز بسطحه التقليدى المتلث الشكل الذى ينشق عن مدخنة أو مدخنتين ٠٠ وليس للبيت الانجليزى شرفات ويبدو أنه يعتمد هذا حتى لا تمتلىء بماء المطر الذى يبدو أنه انجليزى الجنسية فكلما يمر يوم على لندن بدون مطر ٠٠ وقد ألفوه كأنه أحد أفراد الأسرة فهم يذهبون الى أعمالهم بل الى نزهاتهم فى صحبته ٠٠ معاطف المطر يلبسونها فى الصيف ٠٠ واذا أخلف المطر مواعده وطلعت الشمس أو طالعتهم الشمس ابتهجوا ٠٠ حقيقة نستطيع أن نقرأ البشر فى الوجوه ، وتزدحم الشوارع فحرام أن يضيعوا الجو المشمس ليقبعوا فى الحجرات والا فما الفرق بين الصحو والغيم ، والهواء المنعش الذى يكاد يطفئ هو الآخر من الفرحة ، وبين البرد ؟ أنا هنا أتكلم عن الصيف فى لندن وعن أغسطس بالتحديد ٠٠

ومن لازمات البيت الانجليزى دواسة نابثة فى عتبة الباب تتلقى عن البيت النظيف دائما ، الهادى دائما ، ما علق بالأحذية من ماء الشارع (هذه الدواسة النابثة فى مدخل الأتوبيس وسائر المحلات والمباني) .

والحقيقة التى قلت أنها من لازمات البيت الانجليزى فى الريف قد لا تتوافر فى زحمة المدينة ولكن يقوم بدلا منها أحواض الزهور فى النوافذ والنسب يسمونها window Box .

على كل حال الحدائق العامة فى لندن من ضخامة المساحة كأن كلا منها مدينة الظلال والخضرة ٠٠ يخيل الى أن حدائق لندن لو وزعت على سكانها الملايين الثمانية لظفر كل منهم بحديقة جميلة تكفى للاطاحة ببيته ٠٠ لقد مشينا فى Hyde park حتى كلت أقدامنا دون أن نبلغ نهايتها بل دون أن نقطع منها شيئا يذكر ٠٠ ان خريطة لندن كخريطة باريس وسائر العواصم الكبرى اذا استثنينا القاهرة ، تتناثر فيها المربعات والدوائر الخضراء بحيث لو جمعت معا لشغلت ربع الخريطة على الأقل ٠٠ أما القاهرة فقد تم وأد جزيرتى الروضة والزمالك وذبحت حديقة الازبكية ويفكر أعداء الخضرة فى التهام أراضى الهرم الخضراء وتحويلها الى مساكن ٠٠ بل لقد عز عليهم يوما ، ولم يستحووا ، أن تبقى فى القاهرة

حديقة واحدة فوجدوا فى أنفسهم ، ولا أدرى كيف الجراة أن ينادوا
بتحويل حديقة الأسماك الى مدينة للملاهي !! علاجاً للجبلابة فجاء الرد
صفعة من خارج مصر اذ تبرع انسان ليبي بثلاثين ألفاً من الجنيهات لتقوية
الجبلابة وحمايتها من التهدم .

وفى لندن رأيت نهر ال Thames ولا أدرى لماذا يحلو لنا أن
نكتبه التايمز . . اهتمامى الأول فى كل بلد أن أرى الأنهار . . من أجل
النيل بلا شك . . انى أراه فى البعد فى أنهار الناس . . بالشكل أو
المقارنة .

التيتمز أكبر من النيل الصغير ولكنه ليس كالنيل الكبير . قلت
للسيدة (الدليل) انى كتبت كتاباً عن النيل فقالت لابد أن يكون كتاباً
كبيراً جداً بل كتباً . . وكانت تحية للنيل أسعدتنى لولا أن السيدة
الانجليزية أردفت هذا بقولها : النيل الآن فى مشكلة . . لقد حجب السد
غناه وغزارته وجماله أليس كذلك ؟

تماثيل الأسود على التيمز ، السين . . كالنيل . . هل هناك علاقة ؟

فى لندن تمثال عال لأمير البحر نلسن طوله ١٦٢ قدماً على قاعدة
ارتفاعها ١٧ قدماً . . انه تكريم الأبطال الذين كتب على أيديهم النصر
لأمتهم . .

بل فى لندن تمثال لابراهيم لنكولن . . انه تقدير البطولة أيا كانت
وكانت جنسيتها . .

وعلى نهر التيمز يطل البرلمان الانجليزى . . بناء كبير باذخ ولكن
عظمته الحقيقية فى القيم التى يضمها هذا البناء . . قيم الديمقراطية الحققة
وحرية الرأى والمعارضة الرشيدة ومعانى الأمن والسلامة .

ومن تقاليد البرلمان الانجليزى أنه يضع خطاً أمام مكان الخطابة
لا يتجاوزه الخطيب والا تعرض للاخراج حين ينبهه رئيس المجلس أن يلزم
مكانه . . وهكذا يقوم الأمر على ضبط النفس والحركة لا الانفعال والصياح
.. قيمة .

السيدة الدليل كانت دمثة رقيقة اللفة والاشارة تعطى الركاب
وتصطنع الأخذ منهم وتشكر بالطبع . . كم مرة شكرت الركاب على . .
على الرجوع الى السيارة !

وعندما وصلت السيارة السياحية Westmenster Abby قالت
السيدة : You are all welcomed in the house of God

انها الكنيسة الانجيلية وعمرها ٦٠٠ سنة وهي في الوقت نفسه
مقبرة العظماء .. ففيها الراحلون من أعضاء الأسرة المالكة وفيها العظماء
من نوابغ الشعب كتابا وشعراء وموسيقيين ومغنين ..

وقفنا أمام قبر كيتس وشلي كما وقفنا أمام قبر وتمثال جورج
فردريك صاندل وهو موسيقى ألماني عاش طويلا في انجلترا ! ان الفن
عز الانسان في كل مكان .. قد يختلف من الأمم الساسة والقادة ثم يظل
الفن بعيدا عن الحرب .. رقيقا على العداوة .. يعظمه الكل بلا خلاف
بينهم .. ومع هذا فان اعزاز انجلترا لجورج فردريك رفعها في عيني
أكثر .. انه عرقان بالجميل لفنان اختارها وطنا ثانيا .

في وستمنستر توابيت الأسرة المالكة تستند الى تماثيل للأسد وعلى
غطاء كثير من التوابيت سيوف .. ولكن هذا كله لم ينازل الموت ولم
يبطل عمله .. حتى أسد خمارويه وهو حي لم يرد عنه الموت ولو أن
المؤرخين يعتقدون عنه بأنه كان غير موجود في تلك اللحظة وأن أعداء
خمارويه الذين ناشوه بسيوفهم ما كانوا يجرؤون لو كان أسده في رفقة
كعادته ..

توابيت الأسرة المالكة تزحم وستمنستر ان لم تحدد الأسرة المالكة
النسل فلن يجد مسيحي مكانا للصلاة عندما تتحول الكنيسة الى قراية ..
لقد بنى خوفو الهرم حقيقة وهو وحده أكبر من مقبرة العظماء مجتمعين ..
وتبعه خفرع ومنقرع ولكن المصريين بعد هذا كفوا عن بناء الأهرامات بل
تعمدوا في عهد الأسرة الخامسة أن تكون مقابرهم متواضعة رافعين شعار
أفضلية العمل الطيب .. ويؤكد هذا الفرق الهائل بين أهرام « خوفو »
و « أوناس » .

وهناك قبر شارل الأول ملك انجلترا وفي قبالبته في الشارع نفسه
قبر كرومول الذي أعدمه .. الموت وحده هو الذي يجمع الأعداء .

ويدور هذا الخاطر فيما يبدو في رأس السيدة الدليل فتقول :
Perhaps at midnight they have a word with each other
سخرية من الخصومات والصراعات الطاحنة ..

وبرج لندن لا يحمل اسم مدينته وكفى كسائر أبراج المدن ولكنه

يحفظ ثروتها أيضا ففي برج لندن جواهر التاج البريطاني ٠٠ هذه الجواهر ليست ملك فرد ولو كان صاحب الجلالة ولكنها ملك لندن أي ملك إنجلترا ٠٠

لقد تخطوا مرحلة عبادة الأفراد ٠

والانجليز أصبحاب تقاليد فتغيير الحرس الذي يجعلونه معلما سياحيا حتى لتسعى اليه كل صباح تسعون سيارة سياحية غير الأفراد ، الطريق اليه شارع يسمونه Mall في لون الطوب الأحمر على جانبيه فوانيس أرضية تضاء بالغاز الى يومنا هذا عمدا وممنوع على السيارات خاصة وعامة أن تقف به ٠٠ فقط سيارات أعضاء الأسرة المالكة أو زائريها ٠٠ وجنود الحرس على رؤوسهم خوذات طويلة عالية من الفرو الأسود تكبس على جباههم تخفي حواجبهم تماما وتكاد تنزل على عيونهم ٠٠ تقاليد ٠٠

وتغيير الحرس معناه فرقة تحل محل فرقة ويتكرر هذا من العاشرة الى الثانية عشرة كل يوم ٠٠ وأثناء الساعتين يسير جنديان متجاورين من منتصف القصر الى السور جيئة وذهابا ٠٠ ومهما أوتيت من ذكاء لا يمكن أن تفهم معنى لدوخة هذين المسكينين بالذات ٠٠ ولكنها ٠٠ تقاليد ٠٠

والحرس هنا حرس قصر Buckingham أمام القصر تمثال للملكة فيكتوريا ٠ تمثال بدين تواجه الملكة المشهورة من خلاله ، الشارع الذي يقود الى القصر والذي يسمى ٠

وتقول السيدة الدليل ان التمثال في أول الأمر كان يواجه القصر فلما جاء ادوارد السابع ابن الملكة فيكتوريا ، وقد تملص من قبضة أمه الحديدية ، أدار التمثال ليكون في وضعه الحالي حتى لا تنفذ أمه من خلال النوافذ أو تدس أنفها من ثقب الباب ٠

قد تكون نكتة بل هي كذلك ولكنها روح الفكاهة عند الانجليز الذين نتمهم دائما بالبرود ٠٠ والانجليز الذين خالطناهم على الباخرة أو في دعوات عندهم روح الدعابة فهل ظلمناهم ؟ أم لعلها رد فعل هذا (البرود) الذي يتندر منه الناس عليهم ٠

والعسكري الانجليزى يمشى كأنه ملك يتفقد رعاياه ٠٠ والانجليزى عموما معتد بنفسه حتى خادم الفندق الذى نزلنا به حين سبق رزقه وطلب

البتشيش سماه (خدمة) وقال وهو يضع أمامنا مائدة الافطار :
 Leave the service for me in the try وكأنه صاحب حق لا رجاء ..
 قالها وخرج وأغلق خلفه الباب .

ماذا أقول عن لندن .. لم يبق الا أتوبيسها .. أنوبيس لندن أحمر
 من دورين أما خارج لندن فلها أتوبيس أخضر .. ويبدو أن حكاية الدورين
 تعجب أوربا هذه الأيام فقطار إيطاليا من دورين أيضا
 وفي لندن فندق هيلتون أمامه حديقة وسط الشارع وحديقة واسعة
 على اليسار وميدان حديقة وحمام يلقط الحب ولكن هيلتون القاهرة يطل
 على رب الحدائق والخصب كله .. يطل على النيل .

٧٣/٨/٨

من لندن إلى فرنسا

اقتنأنا أنفسنا من لندن اقتلاعا فقد أحببناها جميعا انها أكثر
 برودة من باريس وأقل اشراقا ومع هذا أحسبنا فيها بدفء البيت وأنس
 المكا ن والهدوء والدعة والرغد والسهولة .. فيها وجدنا طرف الخيط منذ
 اللحظة الأولى .. وفيها حققنا رغبات كثيرة قد تبدو ترفا ولكن الكثير منها
 تدعو اليه ضرورات الحياة الحاضرة توفيراً للوقت والجهد .

مر الوقت من محطة فيكتوريا الى الحدود عند Folkstone (ساعة
 ونصف ساعة) كأنه نوان .. كان القطار والمناظر على جانبيه والبيوت
 التقليدية تصلنا بانجلترا فلما وقف القطار ثم تحرك متجها الى الباخرة
 خلفنا انجلترا غير زاهدين ..

هرولنا الى الباخرة .. كانت اجراءات الخروج من انجلترا والدخول
 الى فرنسا للمرة الثالثة غاية في السهولة على غير ما قدرنا .

في الباخرة تناولنا غداءنا متأخرا بالطبع ولكن الرحلة فيها رخيصة
 حتى أننا لم نشعر بالوقت مرة أخرى .

نزلنا من الباخرة وكان علينا أن نستقل القطار الفرنسي الذهاب
 الى باريس .. ولم تكن الأماكن محجوزة ورغم أن التذاكر في انجلترا
 مفتوحة الى لوجانو بسويسرا ولكن حجز الأماكن بالأرقام مقصور بالطبع
 على انجلترا باعتبارها بدء الحجز .. وعندما لا تكون الأماكن محجوزة فان

الركاب يمارسون لعبة الكراسى الموسيقية وتغدو المسألة سباقا ..

جنييف

دخلنا فندق امبسادور . فى كل حجرة انجيل و اعلان شركة Omega للساعات : صابونة صغيرة فى علبة مكتوب عليها « أومجا » وفى حجرة الأولاد ثلاث قطع من الشيكولاتة مكتوب عليها « أومجا » !!

فى صالون الفندق ساعة تشير الى الوقت فى جميع بلاد العالم فى وقت واحد ألسنا فى بلد الساعات ؟

حضر صديقنا للسلام علينا فى الفندق .. سلم علينا سلاما غاليا يلىق بصديق حميم بعد غيبة طويلة ..

الفندق يطل على البحيرة .. وقد نزلنا من الغروب نسير على الشاطئ وكالعادة الأشجار والأزهار والبواخر المضاءة بالكهرباء لرحلات البحيرة والمحلات الكبيرة والمطاعم والفنادق والنافورات ..

عدنا من نزهتنا السريعة من أجل برنامج التليفزيون السويسرى عن مصر .. كان المندوب السويسرى يجرى الحديث مع المهندس الفنان حسن فتحى لهذا كانت تتخلل البرنامج الذى دار بالفرنسية ، كلمات عربية . كما تخلله موسيقى وأغان مصرية .. البرنامج كان يشدنا اليه الغربه والشموق ولكننا كنا نتمنى أن نرى عن مصر أفضل من هذا وأكثر تركيزا وأبعد رؤية طبعا ليس ذنب الفنان المصرى حسن فتحى ولكن أصحاب البرنامج كان فى تخطيطهم نقط بعينها .

على الشاطئ الآخر من البحيرة (رأينا) جراج السيارات تحت الماء أى تحت سطح البحيرة وفوق قاعها أى أن الجراج بين طبقين من الماء أو هو نفسه طبقتان من الأرض !! كيف ؟ « شفتوا » ماء البحيرة فى هذا الموضع ثم بنوا .. طبعا هذه الجملة معناها فن هندسى كبير لا أعرف بالطبع تفاصيله ولكنى أعرف وأرى أنهم يطوعون كل شئ لارادتهم ، بالعمل لا بالاناشيد الحماسية أو الأشعار .

ركبنا مع صديقنا قاربا فى البحيرة الى الشاطئ الآخر ثم قطعنا على الاقدام مساحات كبيرة متصلة من الخضرة حدائق وراء حدائق وزهور وألوان حسي وصلنا المطعم وقد علق على واجهته لافتة كبيرة تقول (سعيد

الحظ جدا من يكتب له العودة الى هذا المكان مرة ثانية) اغراء ودعاية .
 الحظ جدا من يكتب له العودة الى هذا المكان مرة ثانية) اغراء ودعاية بقى .
 اقتربت الساعة من الواحدة بعد الظهر وفطارنا موعده الثانية
 الا ربعا فاستأذنا فى لطفه لا تخفى ولكنه ضحك ضحكة معناها لا تخافوا
 كل شئ هنا يسم فى سرعة وسهولة . . بالنليفون طلب ناكسين . . بعد
 دقائق حضر أحدهما . ركبنا وقبل أن نتحرك حضر الناني . . ركبته هو .
 ذهبنا الى الفندق . ثم ذهبنا الى المحطة . وجدنا القطار فيها . . ركبنا . .
 وأخذنا أماكننا فى ديوان مستقل وأخذنا نتبادل مع مضيفنا كلمات الشعر
 والوداع . ونظرنا الى ساعة المحطة . . كانت الثانية الا ربعا وبضعة ثوان .
 فنظرنا نظرة استغراب كيف لم يقم القطار ولكنه ضحك مرة ثانية وقال .
 أماده لا يزال بضع ثوان لن يتحرك قبلها . . وفى تمام الساعة الثانية
 الا ربعا تحرك القطار ! لم ينعاى بأذياه أحد يجرجر نفسه على الرصيف . .
 لم يمرى من الأبواب أحد فى آخر لحظة . . كل شئ هنا محسوب حتى .
 تصرفات الناس وسلوكهم اليومى .

وتميننا . . يا طول ما تمنيناه فى هذه الرحلة .

عندما نخسر مصر الانسان

قابلت صديقا مصريا فى جنيف ٠٠ الحقيقة أنه عثمانى الأصل
مصرى المربى والنشأة والجنسية ٠ بعد هذا ٠٠ ترك مصر أو تركه مصر
منذ اثنى عشر عاما ٠٠ الحقيقة أنها ضيعه لتكسبه سويسرا فقد كان
شعلة تتقد بالنشاط والعمل وبالطبع بالنجاح ٠٠ أعطى مصر أحلى سنى
عمره وكافح ونجح ٠٠ كسب المال ولكنه أنفق الكثير مما كسبه فى وجوه
الخير وفى اسعاد الناس ٠ ثم جرفه التأهيم فرحل وبدأ من جديد فى
سويسرا ومن جديد نجح وأثرى ٠

لا ألومه فرأس المال لا يطيق الخوف أو المباغنة ٠٠

حين سلم علينا كانت كل خالجة فيه تهتز ٠٠ كل جارحة فيه تشد
على أيدينا وأحسست أنه لا يسلم علينا وحدنا ٠٠ اننا فقط نبعه منها ٠٠
لمحة واحدة ٠٠ وتبقى هى الكل ٠٠ وهذا السلام لها من خلالنا ٠٠ لقد
شاقته مصر وكان الشوق أقوى من السنين ٠٠ كل ما ينتمى إليها يبعث
الحنين ٠٠

ورأيت التمرة ناضجة فدنوت منها أقطفها ٠٠

— مصر بتسلم عليك ٠٠

قلتها له وانتظرت ٠٠

— ان ما فقدته هناك عوضته هنا ٠٠ ولكنها هى لا تعوض أبدا مهما
شرق الانسان أو غرب ٠٠ مهما طوى الأرض وطوف فى الآفاق ٠٠ ان
الانسان يغسل نفسه بالصابون من كل ذكرياته عن مصر حتى يستطيع
أن يعيش فى غيرها الا أشقته المقارنة خاصة فى أوربا حين يتحكم العقل
وحده ولا مكان للغة القلب ٠٠ ويستمر :

٠ وحين أتنقل فى البلاد وراء أعمالى ويحل موعد العودة الى جنيف أجد
نفسى أقول أرجع لمصر حين أقصده جنيف مقر اقامتى الحالية ٠٠ الرجوع
مقترن فى وجدانى وعلى لسانى بمصر حين أتحدث عن غيرها ٠ انى الى

الآن أحسب مالى بالجنيه المصرى .. أتعامل مع الناس هنا بالفرنك والدولار والاسترليني .. ثم أخلو الى نفسى وأعيد الحساب بالجنيه المصرى .. هواية أرتاح اليها ..

مصر بنت الشمس وأما .. ان المصرى حين يصيف يبحث عن ظل وهواء ولكننا فى أوروبا وفى الصيف نبحث عن شعاع شمس وهذا عامل كبير من عوامل الرحلة الى أسبانيا .. فى شتاء أوروبا فدى يقابل الانسان صديقا فى الطريق ويريد أن يكلمه فلا يستطيع .. جمد البرد الكلام على الشفاء لانه ، جمد الأفواه .. أما فى مصر فى ليالى الشتاء بله الصيف كنت أذهب من مصر الجديدة الى الهرم للعشاء والسهر .

قلت له بعد حديثه الحميم عن مصر .. مصر تنتظرك ومصر تعرف أن جهودك اضافة اليها .. وهنا ابتسم فى أدب جم استطاع أن يحجب نورته وان لم يستطع أن يخفى مرارته وقال :

— لن أنسى مصر أبدا .

وأيقنت أنه لن يعود على الرغم من اقتران لفظ العودة فى أعماقه بمصر — وسكت أنا ولكنه هو استمر فى الفضفضة .. قال : هنا يعمل كل انسان ولا يقبل على غيره حتى ولو بلغ أرذل العمر ولكن مصر بال ٣٧ مليوناً تسبقها سويسرا بالخمسة ملايين نسمة لان الذين يعملون جادين فى مصر ، مليون وهذا المليون اليتيم يحمل ال ٣٦ مليوناً على كتفه .. فهم عبء عليه .. ان الكثرة العددية تمثل قوة حين تنتج أما حين تنفجر فانها تشكل معضلة يصعب حلها .. يصعب فى كل شىء فى المسكن والمأكل والتعليم والانتقال والعلاج .. يصعب فى كل شىء ..

هنا يعمل الانسان ويحيا لانه يكسب ولانه متحرر من الخوف .. الحرية فى الداخل والخارج مفتاح غنى الشعوب .. حتى دول الاستعمار شرعت تعتنق هذه النظرية فمنذ سنة ١٩٤٥ أخذت تفكر بأسلوب جديد فبدلا من البحث عن بلاد الغير لاستعمارها وفتح أسواق لمنتجاتها .. فكرت فى زيادة الاستهلاك المحلى برفع مستوى المعيشة وزيادة دخل الأفراد .

والسلام ؟

ان السلام رقى ساجز لمن يريد التقدم والازدهار .. المثال من المانيا ،فرنسا بعد حروب ١٨٧٠ ، ١٩١٤ ، ١٩٣٩ .. كان الفرنسي يقول عن الألمانية Sale-Bauche وكان الألمانى يقول عن الفرنسي Femme

وسقطت في الحروب الطاحنة بين الدولتين والامتين ملايين القتلى ثم تصافيا
وكونا شركة الالزاس واللورين تصافيا حتى غدا الفرنسيون ينسبون أخطاء
الامان الى النازي في عملية تنقية ومصالحة مع النفس ومع الغير .. ان
القديسين ليسوا رجال الدين ولكن دعاة السلام من رجال السياسة الذين
يحققون دماء شعوبهم ويردون أموالها عليها فيعم الرخاء .

ولم تخب حماسته بل استمر في تدفقه يقول : ما أحرى الأوطان
أن تسمى أحياء ليكون العالم بلد الجميع .. يقول الانسان أنا عايش في
حي سويسرا أو في حي فرنسا .. ممكن .. أن حي سبيرا أكبر من الأردن
.. هناك شارع في « بازل » أحد جانبيه ألماني أى يدخل في حدود ألمانيا
والآخر فرنسي ووسطه سويسري !

ان سكان جنيف ٣٠٠ ألف لا يزيد السويسريون منهم على ١٢٠ ألفا ..
اذن رخاء سويسرا وراء الجهود الأجنبية والعقول الأجنبية .. وكذلك
اسرائيل صنعتها الخبرات الكنبرة التي عاشت في جميع أنحاء العالم وعرفت
أسرار النجاح والتقدم فطبقتها في دولتها الجديدة .. هذا العامل بالطبع
بعد العامل الأول وهو غفلتنا وجهلنا وخطابيتنا .. ليست ثلاثة ألفاظ
ولكنها رؤوس موضوعات تدخل تحت كل منها تفاصيل كثيرة ..
ومريرة ..

لوجانو

غادرنا جنيف الى لوجانو .. أهم ما فيها القطار المدرج الذي صعدنا
به الجبل في لوجانو .. قطار يقف على سلالم .. يخيل اليك قبل الركوب
أن الجالس فيه سيكون في وضع مائل الى الوراء .. وأنه عندما يبدأ
في الصعود سيزداد هذا الميل حتى يستلقي الراكب على ظهره ولكننا ركبنا
وصعدنا الجبل به وكأننا في خط مستقيم .. لا ميل ولا استلقاء بل أمن
وراحة ونعيم ومباهج .. شيء رائع حقا أن ترى القطار يصعد بك ويمعن
في الصعود وكأنك في طائرة بلا خوف .. طائرة تسير على الأرض ..
تسير في البداية بمحاذاة البيوت ثم تعلو عليها وترى سقوفها .. والبيوت
هذه صفوف فوق صفوف .. وبعد أقل من ثلث ساعة عندما تكون في
طريقك الى القمة ، تبدو لعينك بيوت الصف الأول كأنها لعب أطفال وتنظر
من نافذة القطار الى أسفل فاذا الكبارى تحتك كوبرى فوق كوبرى
والسيارات تمرح فوقها في حجم سيارات الأطفال دليل البعد .

القطار يصعد والعين تكتشف سر الجبل وتتوغل فيه . . . مداخل
ومخارج وأنفاق تدخل وتخرج منها القطارات . . . غابات من الأشجار أنبتها
في الصخر الصلب المطر . . . الماء سر هذه الحياة الخضراء التي ترف في
السفوح أوراقا وأغصانا . . . وتدخل يد الإنسان في بقعة أو أخرى ولكن
شخصية الطبيعة هي الغالبة في الجبال . . . تلوج على القمم ، ونهيرات من
فضة سائلة على السفوح ، وبحيرات في الوديان ، وقنوات فلم يبق على
الإنسان في هذه البقعة من الأرض إلا أن يبني ويعمر فيني. وجمال ما بناه
فالشرفات زهور ، والميادين حدائق ، والنافورات شلالات من النور . .

وقطار الجبل أو القطار المدرج يقطع الطريق الى القمة على مرحلتين
فالخط ينتهي في نصف المسافة ويبدأ خط جديد من النصف الى القمة
يلحق به الراكب عند نقطة المنتصف . ومن العجيب أن القطارين : الصاعد
من أسفل والهابط من أعلى يصلان الى نقطة المنتصف في وقت واحد . .
في ثانية واحدة !!

ومن أعلى القمة بدت مدينة لوجانو الجميلة أشد روعة . . . عالما آخر
في عين أبناء الوادي . . . عالم الجبل . . . هذه مدينة جبلية ، ومدن سويسرا
كلها مدن جبلية كما رأيت بعد . . . ولكن فتنتها أعطت (للجبلية) معنى
آخر فكل شيء في هذه المدينة ناعم مصقول مغسول ، أنيق ، رفاف مدينة
جميلة كأنها انبثقت من بين الشجر والمياه والجبال فالكل يحوطها في
حنان وروعة . . . وفي المساء يتلألأ الجبل بأنواره كأنه جبل الأولمب يقيم
الزيارات للشعراء والخالدين الصاعدين فيه . . .

كل شيء في مدينة . . . « لوجانو » صاعد نازل مع السفوح والقمم . . .
حتى الشمس التي تؤثر الشرق حيث تطلع كانت معنا في لوجانو فترة
وجودنا فيها كأنها قادمة من مصر هي الأخرى .

وبمناسبة الشمس تعتبر لوجانو أشد بلاد سويسرا بل بلاد أوروبا
تمتعا بها . . . وإعلانات سويسرا السياحية تذكر فيما تعدد من محاسن ان
الشمس تطلع في « لوجانو » ٥٤٩ ساعة في السنة على حين تطلع في
باريس ٣٢٩ ساعة ، وفي برلين ٢٤٦ ساعة ، وفي لندن ٢٣٣ ساعة !!
وساعات الشمس في السنة كما يقولون ٢٢٤٨ ساعة .

كل هذا الزهو بخمسمائة ساعة أي أقل من ٢٥ ٪ من ساعات
الشمس . والذين تغدق عليهم الشمس بلا حساب لا يستغلون طاقتها
في العالم ، ولا يستفيدون منها في سياحة ولا يشيرون إليها في اعلان .

لقد قضينا في لوجانو ثلاثة أيام سافرنا بعدها الى زيوريخ ونحن نحمل أنفسنا حملا على مغادرتها ٠٠ كل شيء فيها يستبقيك مدة أكثر ٠٠٠
معاملة أصحاب الفنادق المهذبة (والسويسريون مشهورون (بالفندقة))
بكل أبعاد هذه الكلمة ٠٠ والنظافة المطلقة حتى لم يقع نظرنا مرة واحدة
على ورقة ملقاة في شارع ٠٠ صناديق النظافة المعدنية - لا الزباله -
منتشرة في كل مكان وعلى مسافات قريبة تجعل أى انسان أن يلقى شيئا
على الأرض وينال من نظافة المدينة وهى احدى قيمها الكبرى ٠٠ حتى قمة
الجبل الذى صعدناه بها صندوقان للنظافة ٠٠ القمة البعيدة عن العين
والنقد حرصوا على شفافيتها ٠٠٠ ان خير النظافة ما كان طبعا لا تطبعا ٠٠
تناولنا الغداء مرة في مطعم وهو محل تجارى كبير من خمسة طوابق
خصص الدور الرابع منه ليكون مطعما ومقصفا على طريقة (اخدم
نفسك) .

المطعم يحيط به مجرى كهربائى توضع به أولا بأول الاطباق والاكواب
الفارغة ويدار الشريط فتتحرك الأدوات وتذهب الى مكان الغسيل ،
وتتخلص الموائد على الفور من كل مستعمل لتستقبل جديدا ٠٠ حياة
ميسرة هادئة .

وقد لاحظت هذا الهدوء فى المواصلات العامة ٠٠٠ الأتوبيس محطاته
ظليلة بها كنب للجلوس والشارع أمامها مخطط بعلامة واضحة ومكتوب
على أرضه أمام المحطة . والصعود من باب والنزول من آخر . والكمسارى
جالس فى مكان خاص به عند باب الصعود . يتقدم اليه الراكب ويشترى
تذكرته قبل أن يدخل فلا صياح من الكمسارى ولا تزويغ من الركاب .
كل انسان يعرف واجبه .

وفى محطات السكة الحديد خزائن للأمتعة بأرقام يحفظ المسافر
فيها أمتعته مقابل مبلغ زهيد من المال ٠٠ يفتح الخزانة رقم كذا ويضع
حقائبه ثم يقفل بابها ويضع القرنك المطلوب فى مكانه من الباب ويدير
المفتاح فتتقل الخزانة ويأخذ المسافر المفتاح الذى يحمل رقم الخزانة
والذى لا يخرج من الخزانة الا بعد الدفع ٠٠ وبهذا يستطيع الانسان أن
يقضى مصالحه فى المدينة متحفظا من أحماله حتى يحل موعد القطار فيفتح
الخزانة ويأخذ متاعه ويترك فيها المفتاح كما كان ٠٠ وبالطبع لا خوف
من نسيان المفتاح مع مسافر لانه ما دامت مفتوحة فلا يمكن اخراج المفتاح
الا بالنقود كما أشرت ٠٠

وفى المحطة أقراص دائرية أتوماتيكية تضغط على زرار النور ، وتضغط على زرار آخر فيدور القرص (يمكن ادارته بالتحريك) فيلف من الداخل شريط به موعد القطار الذى ستركبه فأمام رقمه موعد تحركه وموعد وصوله وهكذا .

محطات الترام نفسها معلق بها قائمه بمواعيد وصول الترام الواحد بعد الآخر ، الهدوء هناك شيء غال يحرص القوم عليه . فالكراسى بعبجات حتى لا تحدث صوتا فى تحريكها . . السلالم مكسوة والا ثبتوا فى الوسط كاوتشوك حتى لا يسمع للصعود أو النزول صوت . النوافذ مغطاة على الشوارع التى بها حركة مرور يصنع لها أربع ضلقات من الزجاج لتعجب الصوت حجباً يكاد يكون تاماً . . المصاعد فى المحلات التجارية ، كل دور تسمع فى ميكروفون المصعد صوتاً هادئاً مريحاً يعلن رقم الدور ومحتوياته . .

والأمانة فى هذه البلاد قيمة كبرى فقد رأيت فى جنيف أتوبيساً وضع فى المحطات التى يمر بها صناديق لقطع التذاكر . يتقدم الراكب الواقف على المحطة ويضغط على زر بعد أن يضع قيمة التذكرة فى الثقب الخاص بها - فى الصندوق ثلاثة ثقب تقابل الفئات الثلاث للتذاكر حسب طول المسافات - فتطلع التذكرة . وعندما يحضر الأتوبيس يضغط الراكب على زرار فى الباب فيفتح ويركب ومثل هذا فى النزول . .

والأتوبيس ليس به كمسرى يلهث وراء الركاب ويحاصرهم وليس به مفتش . ضمير الراكب هو الذى يحكم المسألة كلها . . وهكذا تربى الشعوب بلا مخابرات أو قتل الثقة أو إشاعة الخوف فى النفوس .

المباني القائمة تنصب فى الطريق الذى تقوم فيه سقفا على أعمدة بشكل مهندب لا يشوه الطريق ولا يعوق حركة المرور . . أى تقييم ممرا للمارة تضيئه بالكهرباء ليلاً وهذا الممر المستقيم أو السقف الحافظ لحماية الحياة أيضاً . .

الفنادق كل فندق يعطيك بطاقة (كارتا) عليها اسمه وعليه خريطة المدينة وشوارعها موضحاً عليها بالاسم موقع الفندق من المدينة والشوارع التى تؤدي إليه .

محلات الجزارة تعد اللحوم اعدادا كاملا حتى البفتيك نحفظه قطعاً
منبله جاهزة وست البيت تختار العدد المطلوب لأسرتها وما عليها الا أن
تضعها على النار بضع دقائق .

ان معدل السر عندهم أعلى منا بكثير . . لنوعية الغذاء ونوعية
الحياة أيضا .

كيف غاب عن الكبار •• مالمحه الطفل فى لحظة

زيوريخ

توجهنا الى محطة (لوجانو) لناخذ القطار الى زيوريخ • وحدث أن تأخر القطار عن مواعده • ولكن المحطة لم تترك المسافرين يتخبطون فكانت تعلن فى الميكروفون كل دقائق أن القطار تأخر مدة كذا سيتأخر كذا دقيقة أخرى •••

وصل القطار ، بدأ يتحرك ثم انطلق مسرعا كأنه يعوض التأخير وعلى كل حال وصل زيوريخ فى الموعد بالضبط •

أحسنا فى اتجاه القطار الى الشمال أننا نرتفع فقد بدأنا نطل على أسطح العمارات العالية ونشرف على المدينة تحتنا مربعات ودوائر خضراء زاهية • والبيوت صاعدة ونازلة ولكنها كلها ذات طابع واحد فى البناء •• السقوف المنحدرة حتى العمارات العالية قليل منها مسطح السقف •

أن تكون مدينة ذات طابع واحد ، شئ له معناه الكبير • فالطابع المميز وراءه شخصية واضحة وجدت طريقها •• اننا حين نتأمل بيوتنا حتى الجديد •• بيوت القادرين الذين يتعمدون طرازا معيناً ، نجدها أنماطا متعددة فبيت على الطراز الفرعونى ، وبيت على الطراز العربى ، وبيت على الطراز الأوروبى •••

وبالطبع أزيأونا كذلك وأساليب عيشنا أيضا ! بل أن البيت الواحد يجمع أكثر من أسلوب ، وأكثر من زى ، وأكثر من عقلية ، وفقا لنوعية التعليم !

أماننا شوط طويل لنقطعه •

القطار فى طريقه الى زيوريخ يشق الجبال يدخل نفقا ويخرج من آخر •• هذه الأنفاق كالعدول تعجب وجه الجميل • ان طريق القطار

خارج الاتفاق رائع حقا ٠٠٠ أينما أرسلت بصرك مسرح جميل للرؤية
والخيال معا ٠٠٠ حواليك ومن فوقك ومن تحتك ٠٠٠ على الجانبين الجبال
بغاباتها والقمم الثلجية التي تلمع في ضوء الشمس وبعضها بدأ يسلسل
الماء خيوطا براققة من الفضة تنحدر في قنوات رفيعة على السفوح ، وبعضها
يوجد به دفقا يهدر مع شدة المنحدر شلالات متدافعة لا تهدأ الا عند
القاع حيث تتجمع نهيرات أو بحيرات من الماء العذب تكثف عليها الزراعة
وتخضر الحياة وسط الصخور .

ومن فوق ، السحاب يتوج القمم كعروس ، أو يبدو للعين على شكل
جبال أخرى بيضاء لتنسجم مع المنظر العام ٠٠ يبدو أن كل شيء في
سويسرا يأخذ شكلا مخروطيا ٠٠٠

والكبارى اياها ٠٠٠ في بعض المناطق كان قطارنا يسير في الدور
الخامس أو السادس من الكبارى !! قطار معلق تبدو معه المدينة كما تبدو
من الطائرة في أول صعودها ٠٠٠

وصلنا في المساء ٠٠٠ لم يكن أمامنا الا أن ننزل فندقا قريبا من
المحطة ٠٠٠ وقد وجدناه أمامنا ٠٠٠ وكنا من الارهاق بالدرجة التي لم
نر منه الا وظيفته أى مجرد فندق ٠٠ ولكن أحمد ولدى الصغير رفض أن
يدخله وكاد أن يبكي فسالناه السبب فأشار الى مكان في بهو الاستقبال
واذا بنا نرى نجمة اسرائيل ٠٠٠

كيف غاب عنا جميعا ، نحن الكبار ، ما لمح الطفل في لحظة ؟
يحميه لمصر ولى .

ومن جديد حملنا أمتعتنا وخرجنا منه لنبحث عن فندق آخر ٠٠٠

وفي زيوريخ اتصلنا تليفونيا بالصدیق الدكتور المهندس محمد عبده
ابراهيم وهو يسكن في ضاحية من ضواحي زيوريخ ٠٠ في التاسعة مساء
جاءنا في الفندق ولحقت به سيدة سويسرية كريمة صديقة أسرة بالنسبة
له وصديقة لمصر وهي تلميذته بمعهد الذي فتحة لتعليم اللغة العربية .
جاءت السيدة أو جاء بها الدكتور الصدیق لتسمع مزيذا منى عن شخصية
مصر وكانت قرأت كتابى (شخصية مصر) مع الدكتور عبده الذى كان
يترجم لها مضمونه ، وركزت على نقط معينة استوقفتها في الكتاب منها :

● عطاء مصر لليهودية التي أخذت عن مصر كثيرا مما جاء في العهد
القديم .

● جهود مصر فى نشر المسيحية فى أوروبا .

ان الدكتور عبده ابراهيم بعيد عن مصر حتى الآن خمسة عشر عاما .
وبكل الحنين فى غربته الطويلة وغربتنا القصيرة كان حديثنا عنها تلك
الليلة .

رأيت فى سويسرا المرأة « كمسارية » و « عسكرى مرور » و « ساقطة
ناكسى » دون أن تثير فضول أحد غيرنا . ولكن المرأة الأوروبية ليست جميلة
كما كنا نتصور قبل أن نراها . انها عادية جدا وأحيانا أقل من عادية . . .
لانى بنت مصر أخجل أن أقول أن المصرية أجمل وأعذب وأكثر أنوثة . . .
آه لو استطاعت المصرية أن تتخلص من البدانة . . . حتى الذوق لاحظت
أن الأوروبية كثيرا ما يكون الحذاء لونا ، والحقيبة لونا آخر ، وهو ما لاتفعله
الأنبيات . . . وشئ آخر تفقده الأوروبية : الملابس التى تحرص عليها المصريات
ان الغابات فى أوروبا أنواع كثيرة .

ميلانو

من زيوريخ سافرنا الى ميلانو . قطارنا هذه المرة لا يرتقى الجبل
ولكنه يمرق فى سهل لمبارديا . بيوت الفلاحين عندنا تتجمع وتتضام كأنها
خائفة ضعيفة تستمد القوة من التجمع ، والقدرة من التكاتف .

كاتدرائية ميلانو

تعتبر كاتدرائية ميلانو مثالا للعمارة القوطية وهى الثانية فى
الضخامة بعد كاتدرائية القديس بيتر فى روما . وتعطى كاتدرائية ميلانو
انطبعا بتداخل أنماط العمارة والتشكيل فيها . ولعل ذلك يرجع الى
تاريخ انشائها حيث اكتمل بناؤها عبر ستة قرون منذ أن أمر بانشائها
دون ميلانو « جيوفانى جاليازو فيسكونتى » . فقد اختار عدة مهندسين
معماريين إيطاليين . . . ولكنه ضم اليهم مستشارين من الفرنسيين والألمان . . .
ونتيجة لهذا أكثر الخلاف حول الأسلوب والطريقة . ولم يكتمل بنساء
القبعة الا بعد ١٥٠ سنة . وبعد ستين عاما كانت الأرضية الرخامية ومكان
التعميد قد اكتملتا .

وفى أعلى الأبراج يوجد ٢٣٠٠ تمثال للقديسين . وللكاتدرائية أعلى
برج فى العالم يليها برج كنيسة (أولم) .

ولقد انتهى البناء في كاتدرائية ميلانو بعد ٥٧٩ سنة من العمل .
وهنا ظهر ، كما يقول أرنست « فون هيسيو اريج » بيت الله الذى يفوق
جماله ما عداه من أشياء في ميلانو .

Wonders of the world عن كتاب (عجائب العالم)

المؤلف : رولاند جوك Roland Gooch

ولكن بيوت الفلاحين في سهل لمبارديا متناثرة على مسافات بعيدة
... وهى بسيطة متواضعة ولكنها مطلية وبها ألوان زاهية ... ليست
بائسة كبيوت قريتنا ترابية اللون ...

ولم أر على طول مسيرة القطار في سهل لمبارديا الا فلاحا واحدا
يحادث صبياً فلم يكن يمسك فأساً أو يعزق أرضاً فالزراعة هناك آلية
تقوم على (الميكنة) .

وصلنا « ميلانو » ونزلنا بفندق فلوريدا ... ليس فندقاً فخماً
بل متوسطاً ولكنه آية في النظافة والشفافية .. كل شيء مرسوم رسماً
فيه ذوق فنان .

بعد الظهر زرنا كنيسة ال « دومو » الشهيرة التى استغرق بناؤها
٤٠٠ سنة أربعمائة سنة من عمر الانسان بعد أن عرف أشكالاً وألواناً
من الآلة ... وهنا نلمح عظمة الحضارة المصرية القديمة التى بلغت
ما بلغته بأبسط الوسائل ...

منذ أعوام زار زوجي وحده ميلانو .. وحين حدثني في إحدى
رسائله عن هذه الكنيسة ظننت أنه يقصد أنها بنيت منذ ٤٠٠ سنة فلما
رأيتها تأكلتلى ما يعنيه تماماً ... الأبواب تماثيل صفوفاً صفوفاً .. كل
مربع من الباب فيه مجموعة من التماثيل البارزة تروى قصة معينة من
قصص التاريخ المسيحي .. الأبواب تماثيل ، والجدران تماثيل من
الأرض الى آخر ارتفاعها الشاهق وفي أعلى البناء تماثيل كبير للعداء من
الذهب الخالص اذا رأيته من بعيد والشمس طالعة ، راعك التمثال
وانكسارات الضوء الصادرة منه ومن الشمس معا ..

والكنيسة تشغل مربعا كبيرا في ميدان كبير واسع يملؤه الحمام
الذى يتخطى في اطمئنان وفي أمان .. ان الدين في كل مكان حرم
وسلام ..

وفى ميلانو زرنا قصر الحاكم القديم Castelo Ceforsa كاستلو سفورسا وهو مفتوح للزيارة بالمجان ٠٠٠ وهو قصر جدرانه صماء ٠٠٠ وعلى جانبيه بناءان ضخمان اسطوانيان يشيعان الرهبة ٠ ولم نتمكن من زيارته بالداخل لاننا وصلنا بعد الميعاد المحدد للزيارة خطأ ٠

بعد هذا ذهبنا خطأ لزيارة الجالرى وهو سوق المدينة واحد معالمها ٠ والجالرى أى السوق المسقوف ٠ والايطاليون يقيسون عظمة مدينة من المدن بالجالرى فيها ٠ وقد حرص أهل ميلانو تمشياً مع هذا المقياس أن يكون جالرى ميلانو أعظم جالرى فى ايطاليا كلها ٠٠٠ وسقف جالرى ميلانو من البللور وهو فى الوسط فوق الفسقية الموزايكو الجميلة على شكل قبة باذخة ٠٠ وفى الممرات على شكل نصف اسطوانة ٠

وفى جالرى ميلانو مكتبة من خمسة طوابق ٠٠ واحد ممرات الجالرى يفضى الى ميدان واسع به دار أوبرا ميلانو ٠٠٠ والأوبرا فن الايطاليين ولعبتهم ٠٠٠

فينيسيا

الساعة التاسعة صباحا ٠٠٠ بعد ربع ساعة سيتحرك قطارنا الى فينيسيا التى يتغنى كل من رآها بجمالها ٠٠٠

نحن الآن فى بادوفا Badova المحطة السابقة لفينيسيا ٠٠٠ اننا الآن على بعد ثلث ساعة من المدينة العائمة ٠٠٠ مدينة الجنود ٠٠٠

فينيسيا

كتب عن فينيسيا أكثر من أى مدينة أخرى فى العالم ٠ وهى مدينة أنشئت على ١١٧ جزيرة ٠ وكانت فى القرن الخامس عشر ، قلب العالم التجارى وأكبر الموانئ البحرية ، وان كانت أهميتها بدأت تتناقص بعد اكتشاف البرتغال ، طريق رأس الرجاء الصالح ٠

وتتضمن مدينة فينيسيا ١٥٠ قنالا و ٤٠٠ جسر ، وقصورا زينت بالذهب النفيس والأحجار الكريمة ٠٠٠ قصورا بنيت بيد أعظم المهندسين فى ذلك العصر فيرنونيس وتيننتوريتو ، وتيتتان ، وجيورجيون ٠

وتستمد المدينة جاذبيتها من الجندول الشهير وكنيسة وميدان سان ماركو . ولكن على الرغم من جمالها فلا التاريخ ولا الطبيعة ينكران حقيقة مؤلمة وهي أن مدينة فينيسيا تموت على الرغم من الجهود التي يبذلها العالم للحيلولة دون ذلك فان البحر يبتلع منها مليمترات كل سنة .

التفاهم حتى الآن صعب علينا في ايطاليا . فالإيطاليون الا ما ندر لا يعرفون الفرنسية أو الانجليزية . . . وهما اللغتان اللتان يمكننا التوصل بهما في الخطاب في أوروبا . . . ولهذا تسود الاشارة لغة بيننا وبين القوم في الفنادق أو المطاعم . وقد بدأنا نلتقط كلمات قليلة مثل « جراتسيا » أي شكرا ، « بربه جو » أي العفو ، « اكوافرسكو » أي كوب ماء ، « أكواكلودو » أي كوب ماء بارد ، « أكوامنرال » أي كوب ماء معدني ، وطبعاً « مكروني » أي مكرونة .

نحن الآن في محطة فينيسيا مستر Venezia Mestre وهي كمحطة سيدي جابر بالنسبة للاسكندرية .

وصلنا الآن فينيسيا أو مدينة البندقية . . . قصور منظومة على بحر الادرياتيک . . . وقصور أخرى تفصل بينها شوارع مائية أو برمائية . و « البر » هنا معناه كوبرى نصف دائري أو نصف اسطواني يصل شارعين . وهذه الشوارع المائية تسير فيها وتقل الناس ، تاكسيات مائية وأتوبيسات مائية أي الفابوراطا Vabouratta بلغة الايطاليين .

ركبنا الفابوراطا فى القنال . . . وبعد قليل خرج بنا فى عرض بحر الادرياتيک الى اللىدو . وهو شاطئ سمعنا به كثيرا وقيل لنا أنه شاطئ عالمى . ووصلنا شاطئ اللىدو فاذا به ساحله حصي صغيرة ومياهه عادية وان امتاز بالهدوء وصف القصور المبنية عليه . ولكنه بعد هذا لا يقاس بشاطئ مرسى مطروح فى جمال الالوان وصفائها فى بحره وسماؤه . . . ولا يقاس به فى نعومة رمله وبياضه . . . من لنا بخير فى الدعاية يعرف الدنيا بمواهب الطبيعة المصرية فى مصايفها ومشاتيها .

فى اليوم التالى خرجنا وفى نيتنا أن نذهب الى سارن ماكو وهو معلم من معالم المدينة فقابلنا على بعد أمتار من الفندق الدكتور القط وأولاده على مقهى . ما أجمل ن يلتقى مصرى بمصرى فى الغربه . . . تهللنا جميعا للقاء نحن وهم . وجلسنا قليلا ثم قمنا على أن نلتقى فى سان ماركو .

سان ماركو شيء رائع حقا بكنيسسته الباذخة . . . بميدانه الفسيح . . .

بمحلانه التجارية التي يخلب ألباب النساء بمجوهراتها وأزيائها ومناعمها
هناك حيث يعمل الهواة حسابهم أن يكون الراغب
Good loser

دخلنا الكنيسة وعلى بابها يقف رجلان يمنعان أى سيدة عارية الذراعين
من الدخول . وهو تقليد يلتقى فيه الغرب بالشرق . انها حرمة الكنيسة
أما ما عدا هذا فكل شيء عار حتى العواطف عارية مكتسوفة فى الطرقات
العامة فقد تعودنا أن نرى الأحضان والقبلات فى زحام المركبات والسيارات
العامة والشوارع والمطاعم وكل مكان وكم تأذينا بهذه المناظر فى
البداية ثم ألفناها

نعود الى الكنيسة من الداخل قباب عالية كالمساجد الكبيرة غير
أن قباب الكنيسة تغطيها الرسوم الملونة للقدسين . وتكاد تغطيها أيضا
تماثيلهم . . لم يعرف المسجد التمثال أو الصورة فقد تخرج المسلمون
منهما . ولهذا تختلف قباب المساجد عن قباب الكنائس . فالمساجد يقوم
فنها على الحفر والنقش والتنطعيم بينما يقوم الفن المسيحي على الرسم
والنحت .

واجهة الكنيسة من الخارج وسورها وجدرانها مغطاة بالتماثيل ،
فوق بابها أربعة خيول بالحجم الطبيعي وقصر الحاكم الذى يطل
كالكنيسة على الميدان تماثيل فى تماثيل . والمباني التى تحيط بالميدان
بواك فوقها بواك فوقها تماثيل . . كل شيء فى فينيسيا تماثيل ورسوم
حتى ليخيل للرائى أن القوم يأكلون ويشربون وينامون وهم يرسمون
وينحتون . . .

الايطاليون ينادون على بضائعهم وهم جشعون محتالون . وفى
الشوارع كثير من الأفاقين ومن العجيب أن المحلات الكبيرة التى لها
فى كل بلد تقاليد تجارية وسمعة تحرص عليها من حيث الأمانة والمعاملة
وجودة الصنف . . كل هذا لا تعرفه محلات ايطاليا الكبيرة أو الصغيرة
على السواء .

رأيت مصنعا للمورانو يتبعه محل فخم للعرض يتكون من طابقين
كبيرين والمصنع بمعرضه الزاخر جبار ضخمة وقفنا أمام فائزة
من الأوبال الأخضر وبالطبع لم نفكر لحظة فى شرائها فما كادوا
يلتقطون اعجابنا بها حتى التفوا حولنا يزينونها لنا فى حركات بهلوانية
وكلهم يتكلمون فى نفس واحد . ويلحون فى بيعها لنا وعشنا نوكد لهم
عدم استعدادنا للشراء وأخيرا لجأنا الى اختراع أسباب ، على فرض أننا

مشترون ، كالخوف عليها من الكسر أو الجمر ك مثلا ٠ فاذا بهم وبسرعة يحلون المشكلة فالكسر يمكن تفاديه بلفها بطريقة معينة فى صندوق كبير ثم التأمين عليها ٠٠ ومن الطريف أننا رأينا الفائزة فى آخر أبهاء الطابق العلوى وتركتها وانصرفنا عن الموضوع ثم بهيأنا للنزول والخروج فاذا بنا فى الطابق السفلى وتقريبا عند الباب ، نجد الفائزة !! ونجدهم يعاودون من جديد عملية عرضها علينا واغرائنا بها ٠٠٠ واذا بهم يخفضون سعرها الى النصف تماما ٠٠ وعندما استنفدوا وسائلهم لجأوا الى ابننا الذى لمحاو اعجابها بالفائزة ، أن تتوسل اليها أن نشتريها !! وكانت النتيجة الطبيعية أن نفرنا منهم ومن الفائزة معا وخرجنا مهرولين نلتمس النجاة من هذا الأخطبوط ٠٠٠

وفى اليوم التالى عندما طفنا بمحلات المدينة وجدنا كثيرا من معروضات هذا المصنع بثلاث الثمن المعروضة به فى مصنع المورانو وفهمنا السر فى تخفيض الفائزة الى النصف ٠

ولكن قد يسهل اللعب بالسعر فى فائزة مثلا يعتمد المصنع على قلة المعروض منها فى المحلات الخارجية بأوصافها نفسها ولكن ما تفسر لعب مصنع كبير بأسعار العقود والطاقات التى تباع فى كل مكان حتى على الرصيف ، وفى الأكشاك ويسهل على الانسان من أول نظرة اكتشاف أمره ٠

اننا نتهم أنفسنا كثيرا وننمى عيوب بلادنا ٠٠ هذه فينيسيا المكدودة من أحلى مدن أوربا ٠٠٠ فيها الحوارى الضيقة التى لا تتسع لأكثر من اثنين يسيرون جنباً الى جنب حتى كنا نسير مع أولادنا ، فيها ، طابورا !! وبعض الشوارع ملقى فيها الورق بل البصق والمخاط ! وهنا وهناك يتجول الشحاذون ٠

وفى فينيسيا عندما يقدمون كشف حساب فى المطاعم تجد فى هذه القائمة مبلغا كبيرا مقابل المكان أى مقابل تشرفك بالجلوس فى المطعم ٠ وهذا طبعا غير مبلغ آخر مقابل الخدمة ومبلغ ثالث للبلدية ثم الطعام ٠٠٠ قطعة اللحم ثمن ، وقطعة بطاطس بجانبها ثمن آخر ، ونصف ورقة خس ثمن ٠٠٠ ولست أدري لماذا تركوا كوب الماء بلا ثمن ٠٠٠

ان قضاء الحاجة فى إيطاليا بثمن ٠ فمن يدخل دورة المياه عليه أن يدفع ما يعادل ثلاثة قروش !

اتفق معى ابنى على أن نخصص له فى فينيسيا ، جنيتها ليشتري

ما يروقه بنفسه ٠ واشترى فى اليوم الأول لعبة (سيارة) ب ٨٠٠ ليرة ٠٠
وفى اليوم الثانى أراد شراء سيارة أخرى فعمد الى التلميح سائلا :

— فاضل من الجنيه بتاعى كام ؟

قلنا له : ٢٠٠٠ ليرة ٠٠

فقال فى خفة دم مصرية :

— لا ٠٠ يبقى الباقي أدخل به التواليت ٠٠

وظاهرة أخرى يراها ويعسها الغريب أكثر ٠٠٠ أعنى (الاضراب)
وبشكل واسع ٠ لنا صديق من أصل عثمانى عاش طويلا فى مصر ٠
ويقبع الآن فى ايطاليا ٠ يقول صديقنا معللا : السبب الرئيسى للاضرابات
هو (منع الطلاق) ٠ طغت المرأة الايطالية الآمنة فلم يجد الرجل الايطالى
متنفسا الا فى الاضراب يشبت فيه ، وبه ، شخصيته ٠

ان صديقنا فى تعليله فيه (حجة) من مصر الضاحكة والا لماذا
لا توجد هذه الظاهرة بصورتها الحاضرة ، فى غير ايطاليا من بلاد
أوربا ؟

الباخرة تدنو من جنوا ٠٠ بيوت نازلة فى البحر وبيوت طالعة على
سفح الجبل ٠٠٠ وبيوت تتربع على القمة وتطل من فوق على البحر والناس
٠٠٠ منظر جديد على العين المصرية ٠

جنوه :

من الغريب أن أهم معالم جنوه السياحية ، الموت لا الحياة ٠٠

أهم معالم جنوه ال Cemertairo أى مدينة الموتى بها ٠٠ المقابر
٠٠ قرافة جنوه ٠٠ لكان موتاهم كلهم أبرار فهذه القرافة جنة بما فيها
من زهور وشموع وهدوء ونظافة ٠٠ كان اليوم « الاثنين » أى عقب الأحد
وزيارته فالزهور ما زالت رفاة لم تذبل والشموع مضيئة ٠٠ الشواهد
متجاورة فى رقة وجمال ليس بينها مكان يسمح بالجلوس والنوم والطبخ
والتخمة ثم التبول ٠٠

وعلى كل شاهد تاريخ الميلاد والوفاة وقلما نكتب نحن تاريخ الميلاد
على الشواهد مع أن اخفاء العمر بعد الموت لا قيمة له فلو فرضنا أنه

يكسب شبابا أو احياء بالشباب فى الحياة فبعد الموت كل شىء ضياع .
وهناك أهرامات صغيرة أى توابيت كبيرة وتمائيل تغطيها وتحيط
بها السقوف والجدران ولكن قبور الشواهد أرق وأقرب الى السماء .
قبل أن أغادر ايطاليا أسجل لها أروع ما رأيته عينى فيها . . صورة
الفنان « مايكل أنجلو » على ورق النقد . . الفن هو الرمز الحقيقى للبلد . .
أى بلد . .

مرة أخرى زرنا ايطاليا فى طريقنا الى سويسرا . . .
تركنا الباخرة ثم أخذنا القطار من جنوه الى (ميلانو) .
بدأ القطار يسير فى نفق مظلم دقائق خلناها ساعات من الظلام
الحالك . . . ثم خرج القطار الى النور ليدخل فى النفق من جديد . .
وتكرر هذا أكثر من مرة وأخيرا اعتدل .
لم نقرأ أو ننام كعادة المسافرين فى القطار . . . فى السفر تغلو
الدقائق فنملؤها رؤية أو عملا . . . وتغدوا الحواس عيونا فنرى أكثر . . .
رأينا نحن أبناء الوادى ، الجبال عالية تغطيها الزروع وتصعد فيها البيوت
وترتفع على قممها العمارات أيضا . . .
منظر غريب . . . أليس كذلك !
البيوت الصغيرة تكسوها الخضرة فتبدو من بعيد كأنها لعب أطفال .
متناثرة .

قطارنا هذه المرة لا يرتقى الجبل ولكنه يمرق فى سهل لومبارديا .
لقد بدأنا نبني فوق المقطم ونزرع الحدائق الصغيرة ومع هذا يبدو
المنظر جديدا كل الجدة . . . طريفا كل الطرافة شد انتباهنا ما ظل موجودا
فلم نحول عيوننا عن النافذة الا عندما دخل القطار سهل لمبارديا . وهو
صورة من الدلتا وعندنا الأصل فالنوم حلال ولو كان نعاسا متقطعا .
بيوت الفلاحين المتناثرة فى سهل لمبارديا على مسافات بعيدة ،
بسيطة متواضعة ولكنها مطلية وفيها ألوان زاهية ليست بأئسة كبيوت
أعزاء علينا ، ترابية اللون .

بدأ القطار T.E.E. الذى أقلنا من فينسيا يتحرك من مدينة
(كومو) . وهى البلدة التى تمثل الحدود بين ايطاليا وسويسرا . . .

القطار ينطلق . . . الجبال على جانبيه شاهقة خضراء أعلى كثيرا . . . كثيرا جدا من جبال إيطاليا . ومن حين إلى آخر تتسع المسافة بين القطار والجبال وكأنها أفسحت له أو كأنها تدعو المشاهد أن يراها على بعد لتحلو الرؤية . كانت رائعة حقا تبدو للعين لأول وهلة وكأنها تصعد إلى السماء والبيوت والعمارات في أثرها تصعد معها . بعض البيوت تلهت فستتقر على السفح والبعض تمنع في الصعود وتجد فيه والبعض يستقر على القمة .

هذه سويسرا . . الشوارع نظيفة كأنها مغسولة لساعتها . وقد بدأت لافتات الاعلانات تكتب بالألمانية .

أخذنا القطار إلى جنيف . شعرنا من حركة القطار أننا نهبط فالقطار يسير في سهل نسبيا إذا قيس بالطريق إلى زيوريخ من لوجانو . في بعض المناظر بالطبع كان قطارا - معلقا وطبعا الأنفاق أياها - ملاحظة كنا نشم في النفق الطويل رائحة عطنة نحاول التخلص منها بغلق النوافذ . وصل القطار إلى (لوزان) وهي مدينة كبيرة فعماراتها أطول قامة .

وفي لوزان غير القطار اتجاهه وسار في اتجاه مضاد ليشق طريقه إلى جنيف . المدن كالأشخاص (روح) أو (ريج) كما يقول العامة . ولم تكن جنيف بالنسبة إلينا على الأقل أخف المدن روحا أو ريحا ولكن الشيء الرائع الذي لاحظته عيني أنني لم أر في سويسرا أو في غيرها من البلاد الأوروبية المتحضرة اسم أو رسم حاكم - ما عدا أسبانيا - ان رؤساء البلاد الديمقراطية يحتفظون بصورهم لأنفسهم فلا يقحمها أحد على حياة الناس أو المدن كما تفعل محافظة الجيزة مع كل حاكم بل أن المألوف جدا في هذه البلاد التي تعيش حياتها لأنفسها ، أن يصعد رئيس الجمهورية ، الالتزام فلا يحس به أحد وإذا حس به لا يغير من جلسته إذا كانت تريجه . . . هنا لا تقوم الدنيا أو تقعد لفرد كسائر الناس .

نتلهف إلى الرجوع إلى مصر . . . نجرى هنا وهناك بين شركات الطيران وشركات الملاحة . الباخرة التي كنا نؤمل الرجوع فيها تخاطبنا مع ادارتها بالبرق . جميع الأماكن مشغولة . . على أن فكرة الطائرة افتقد معها الأمان . كل شيء بيد الله ولكن فكرة أن نركب كلنا طائرة ترهبنى . نحن قلقون . . ضاع اليوم في اتصالات . ولم نجد طرف الخيط بعد . . ذهبنا إلى شركة البواخر . استعرضنا جميع البواخر المسافرة إلى الاسكندرية وتاريخ قيامها ووصولها فكان موعدها كلها أوائل أغسطس .

لم تبق أمامنا الا باخرة تركية من جنوا ١٧ يولية ونبلفنا الاسكندرية ٢١ يولية وصباحا، أيضا فهي تعطينا عشرة أيام أكثر في مصر ٠٠٠ ولم نتردد — طلبنا من موظفة الشركة الاتصال بالادارة للحجز ٠ فطلبت السيدة أن نعاود الاتصال بها بعد ساعة يتم فيها الاتصال بالادارة في جنيف وبازل مقر ادارة الادرياتيک ثم الاتصال بين بازل وجنوا ثم الرد على جنيف ٠

عشنا هذه الساعة دقيقة دقيقة عدنا بعدها الى الشركة فاقبلت السيدة علينا بوجه باسم يبشر بوجود أناکن ٠٠ وقد صدق الحس ٠

أروى هذه التفاصيل لأسجل أن شركة الادرياتيک التي قامت بكل هذه الاتصالات لا مصلحة لها في الموضوع فالباخرة التي نسعى الى العودة بها غير تابعة لها ٠٠ بل أكثر من هذا رفضت شركة الادرياتيکا أن تتقاضى أجرا عن المكالمات الخارجية لاتمام الحجز !!

کم من أمثلة لحسن المعاملة في البلاد التي تحترم الانسان ٠٠٠ ذهبنا الى شركة كوك وهي على الضفة الأخرى فاستبدلنا تذاكر السفر الى روما ٠ وتم الاستبدال سريعا سهلا ٠ اذ ردوا ثمن التذاكر كاملة أولا ثم استخرجوا في دقائق تذاكر جديدة الى جنوا ٠ نحن الآن في طريقنا الى ميلانو ٠ دخل القطار معنا من محطة لا أذكرها شخص ايطالي ٠ بعد أن أخذ كرسيه بدأنا بالحديث ثم انطلق ٠٠ فيه فرنسية واضحة فقال انه يحب الحرب ويكره اليهود لأن غناهم من دم الشعوب التي يستنزفونها في كل مكان يحلو به ٠ ثم سأل :

— ما أخبار الحرب ؟ فقلنا خيرا ٠

قال : ما تظنون ؟ قلنا : المهم المعركة الأخيرة ٠ من يضحك أخيرا يضحك كثيرا ٠ فأمن على قولنا في حماس شكرناه عليه مبتسمين والجرح في قلوبنا ، يبکی ٠٠٠

وبعد قليل دخل عامل التذاكر ٠ واذا نظر الينا ، سلم علينا سلاما حميما !!

وكنمنا دهشتنا ٠ الحكاية أن أمه جزائرية ٠ ولهذا يحب الشرق والعرب ٠ صدف اجتمعت فبددت غربتنا قليلا ٠

الرحلة على وشك الانتهاء فأننا سنبیت ليلتنا في ميلانو ، لنأخذ القطار في منتصف الثامنة الى جنوا حيث نأخذ الباخرة الى الاسكندرية ٠٠٠

رأى الأولاد كثيرا من البلاد ومن ألوان الحضارة ومن ألوان الجمال
رأوا طرائف كثيرة ومناج ولكنهم لم ينسوا مصر ٠٠٠ لم يمض يوم واحد
دون أن يذكروها ودون أن تعارفوا في حب بينها وبين غيرها ٠٠٠ وأحيانا
ينفعلون في المقارنة بصورة تبعث على الابتسام ٠٠٠ وما كاد الأسبوع
الثاني ينصرم حتى بدأوا (يزنوا) ويتلهفون على العودة .

معنا في جمر كجنوه مسافر سورى في طريقه معنا الى الباخرة
التركية وأخذ ينقد ولكننا عندما صعدنا الباخرة . واستقر بنا المقام في
الكبنتين المحجوزتين لنا ، وجدناهما مستوى عاليا في كل شيء ، الأثاث
والنظافة والنظافة وهما متقابلتان بينهما ممر صغير له باب قفل عزل
الكبنتين عزلا تاما هذا الباب يفتح على صالة فخمة مستديرة زينت
بأحواض الزهر وعلى اليمين قاعة الطعام الفسيحة فاذا صعدت بضع
درجات وجدت قاعة استقبال (صالونا) وفوقهما قاعات أخرى احداها
للموسيقى .

وإذا حل موعد الطعام خيل اليك من تعدد ألوانه وطيبها ووفرتها
أنك ضيف السلطان أى الباب العالى شخصا .

وكثيرا ما تساءلنا في دهشة بل في حيرة . أننا وسائر ركاب الدرجة
الأولى نعامل باحترام شديد ونكرم اكراما بالغا حين لا يحظى ركاب
الدرجات الأخرى بشيء ٠٠٠٠ مع أن الفرق بين تذكرة الفرد في الدرجة
الأولى والدرجات الأخرى لا يبلغ عشرين جنيها !

٦٩/٧/١٨

رست الباخرة اليوم على نابولي بإيطاليا . نزل كثير من الركاب
للتجول في المدينة وإذا بأولادى يلحون في العودة الى الباخرة ثم اتضح
أنهم كانوا خائفين أن تبهر وتتركنا ٠٠ يا لسذاجتهم . حتى بعد أن
رجعنا عبثا تقنعهم أن الباخرة لها موعد قيام تتأكد عنده من عودة ركبها
جميعا .

الساعة السادسة مساء . بدأت الباخرة قبل دقائق تستعد الاستعداد
التقليدى للإبحار ٠٠٠ وجرى الأولاد الى الشرفة ليروا الباخرة . تحرك
الكوبرى الذى يتصل بها بممر (معبد) متحرك وتقدم القارب (اللنش)
الذى سيخرج الباخرة واتصلت حباله بها ٠٠٠ وأخذت تبعد عن شاطئ
نابولي والقارب يحذوها .

كانت فى البداية ترجع الى الوراء حتى اعتدلت مقدمتها تماما كما
تفعل السيارة عند خروجها من موقفها ...

وأطلقت الباخرة صفارتها التقليدية وأرخت الحبال للقارب . اذن
بدأت رحلة الاسكندرية وا فرحتاه ..

بعد ساعتين مرت بين ايطاليا وصقلية .

العشاء فى الباخرة الساعة الثامنة . ومن مائدة الطعام رأينا على
البعد ، من زجاج النافذة باخرة ... فكانها صورة فى اطار ... ثم شرعت
الشمس فى المغيب ... وسكب الشفق ألوانه على البحر فامتزجت زرقته
بألوان الطيف امتزاجا رائعا فى منظر بديع كالتقاء الأحبة وقد بل الشوق
صداه وبلغ مناه .

من الأشياء المهيبة البحر ... البحر والجبل والليل . هنا أعماق
بأبعاد ورؤى .

حين تنزع القصبة من مغرسها ، تصير شبابه ترسل النغم شجيا كقطرات الدموع

رحلة العودة أقصر أياما من رحلة الذهاب وهو ما نتمناه فقد
شغنا الشوق الى مصر .. عندما مرت الباخرة أمام جزيرة صقلية هز
قلوبنا بحار جلس ومناظره على عينيه يحاول رؤية الجزيرة لعل له بيتا
فيها أو حبيب روح .. يبدو أنه رأى حبه فقد أخذ يلوح بفوطة في يده ..
يد متشنجة تجمعت فيها مشاعر انسان مغترب بحنانه وحنينه كان له
الله .. انى أحس عذابه وأنا وسط أسرتي حولى زوجي وأولادى ولكن مصر
فى القلب وجود بلا حدود .. انها الأهل والولد والزمان والمكان وبعد
هذا كله يظل منها فى القلب معنى غير محدود يهفو اليه القلب حتى عندما
يكون فيها ويحيله الغياب قطعة من العذاب فى البعد والفراق .

نقترب الآن من المساء الشمس لم تغرب بعد ولكنها بدأت بالوانها
تذوب فى الأفق .. وقفنا نشاهد الغروب .. احمر قرص الشمس ..
الهلال الوليد فى السماء قوس رفيع أبيض وقرص الشمس يغطس شيئا
فشيئا فى الماء حتى لم يبق منه فوق سطح البحر غير هلال .. هلال أحمر
فى الماء ، وهلال أبيض فى السماء .

ازاى ازاى ازاى أوصف لك يا حبيبي ازاى

قبل ما أحبك كنت ازاى يا حبيبي

كنت ولا امبارح فاكراه

ولا عندى بكره أستناه

ولا حتى يومى عايشاه

يا حبيبي

أم كلثوم .. صوت البشائر .. مصر ..

النوم فى هذه الليلة نعمة لانه سيختزل المدة الباقية على الاسكندرية
التي تستقبل باخرتنا فى الصباح .. ابنتى تعدو متجهة الى فى وجهها
فرحة تهلل .. الآن رأيت الراديو الترانزستور فى يدها .. انها تقول.

انها بدأت تسمع اذاعة مصر بوضوح .. اقتربت الاسكندرية ويرانا راكب
انجليزى ويفهم من بريق العيون وضم الآذان للراديو ، ما يدور بيننا
فيلتفت الى ويقول كمن يهنئ : Home at last ما أحلى العودة الى الوطن
بعد الغياب على أمل ، أو بعد يأس كما يقول شوقى ، سواء ..

ما دمت لقيتك يا وطنى كأنى قد لقيت بك الشبابا
ولو أنى دعيت لكنت دينى عليه أقابل الحتم المجابا
أدير اليك قبل البيت وجهى اذا فهت الشهادة والمتابا

وأدرت وجهى وقلبى نحو منازل تبدو من بعيد ومآذن ومداحن ..
نعم انها مصر .. انها الاسكندرية .

وقيل الثغر فأتأت فأرست فكانت من ثراك الطهر قابا

كانت بينى وبين هذه الأبيات علاقة خاصة منذ كنت تلميذة بالمدرسة
الثانوية وحفظت غيرها وغيرها .. وأخيرا التقيت بها هى على سطح
البخرة لأستقبل معها وأستقبل بها الاسكندرية .

كانت فرحتنا كبيرة متوهجة ولكنى فى غمرة الفرحة لاحت منى
التفاتة الى طاقم البخرة .. هؤلاء البحارة وجميع العاملين على السفينة
لم تلمع وجوههم ولم تبرق عيونهم مثلنا .. لم تعكس قسماهم أى تعبير
جديد ..

ان الاسكندرية التى تهز وجداننا الآن مجرد ميناء فى طريق البخرة
كالموانى السابقة .. ليس لهم أحد فى الاسكندرية .. ان البحر متعة
اذا كانت الرحلة فيه أياما معدودة تدنو بالمسافر . كل يوم ، من اللقاء
الحبيب . ولكن هذه المتعة تفقد نكهتها ومذاقها اذا انقلبت حرفة ..
روتين .. متى يرتوى هؤلاء الظماء بالعودة الى أوطانهم وأحبائهم .

الاسكندرية الجميلة بهوائها وهواها لم تبيل الشوق كله .. انه
نداء القاهرة .

سلامات - ازيك سلامات .. كلمة تعود القلب أن يتمتم بها كلما
صافح وجه النيل بعد غياب ..

انتهت الرحلة .. بل بدأت الرحلة فالرحلات تبدأ من حيث تنهى
.. ان السفر لا يخلو من قلق وخوف غامض وارهاق أيضا .. وتأتى
العودة فتغسل هذا كله وتصفو الرؤية ويبدأ السفر فى الخيال فيطوف

الانسان من جديد الأماكن والبلاد ويحكيها ويستوعب المشاهد والرؤى ومن ورائه الذاكرة « تستف » الذكريات ..

وبدا أولادى يتذكرون ويقارنون .

— ايه يعنى جنيف . القاهرة أجمل منها مائة مرة حتى مع قذارة بعض الشوارع واهمال بعض الأحياء .

— ايه يعنى البحيرات .. النيل أحسن مائة مرة .

— ايه يعنى زيورخ .. ايه يعنى كذا .. وعلق الأولاد على ايه يعنى .

ولكن حنان أكبرهم كانت تكسر حدة المقارنة بقولها :

— تمنيت لو طالت وقفنا عند الكنيسة ميلانو ال «دومو» فما ينفق الانسان فيه ٤٠٠ سنة من عمره ، لا تحيط به زيارة قصيرة أو نظرة عابرة .

وحمدت الله أنهم لم يتمردوا على بلدهم كالكثيرين .. على ألا يبغضوا الناس أشياءهم وعزز والدهم باعتباره رأى كثيرا من عواصم أوروبا ، ثقتهم بعاصمتهم وقال :

— ان القاهرة من العواصم العالمية المعدودة .. ليس فى العالم أكثر من بضع مدن فى مثل اتساع القاهرة وتعداد سكانها . لندن مثلا ، موسكو ، باريس ، برلين .

وردت ابنتى فينان : حتى بغض النظر عن الحجم والاتساع والتعداد .. الخ ، القاهرة فيها ميزة عزيزة .. الواحد يحس معها كأنها تفتح له ذراعيها وتقول أهلا .. تعال .. متهلة .. القاهرة كأن على كل شجرة فيها ابتسامة تودع المسافر وتستقبل القادم .. لها شوق اذا غاب الساكن اليها والساكن فيها .. ولها فرحة اذا عاد ..

عذبة القاهرة خاصة فى الجزيرة حيث تصعد المئذنة كدعاء مؤمن الى السماء ، وتشمخ المسلة كمجد الفراعين .

بلد المجد وبلد الوجد عاصمتنا القاهرة .

فى حبيبنا القاهرة رقة وصفاء من أثر التاريخ الطويل فى الحضارة .

ان عطاء مصر فى الأدب الرسمى هو الذى سجل وضمنه أصحابه
بطون الكتب ولكن القريحة القاهرية خلقت وابتدعت .

الرجل العادى فى الحرفة البسيطة فيه لمحية وخفة روح تجعل
الحلاق ، يكتب على (دكانه) « نحن نقص » ، والساعاتى يشير الى بضاعته
بالآية (ان الساعة آتية لا ريب فيها) ووكيل المحطة الذى علق على مكتبه
لافتة بالآية (هو الحق الوكيل) .

وليس هذا بالسهل فى باب لطف المشاعر أو ظرف الروح . فقد
روى الشيخ على الليثى عن الخديو اسماعيل أنه رأى يوما لافتة وكيل
المحطة « هو على الحق الوكيل » فزر ما بين حاجبيه ثم صاح : هو .
الحق الوكيل ثم استدرك ظانا أنه فطن الى الصواب : هو لحق الوكيل .
ولم ينفذ الى الآية العربية أو اللمحة المصرية .

ليست المسألة جدرانا و تعداد السكان .
انها « روح المكان » .

تعيشى يا مصر .

فى أعلى الجبل دعوت لك . وفى سهل الوادى صليت من أجلك .
فى البحر رأيتك اسكندرية واسماعيلية وبور سعيد وسويس وغردقة
وبرنيس .

وفى البر رأيتك دلتا والصعيد .

رأيتك فى آثار الناس أقدم من القدم وأطول من الزمان .

ورأيتك فى أوطان الحضارة الحديثة دمعة فى عينى تأسى ولا تياسى ،
وأمنية فى خاطرى تطوى الليل وتتعبج الفجر . وقد طمع الفجر وانجاب
الظلام عن وجهك الجميل النبيل ، يا أم الحضارة يا أم التاريخ يا أم النيل
يا أمى يا مصر .

ان الحياة هناك بمبتكرات العلم أسهل وأنعم ولكنك عندى كنت
وما زلت وستظلين الأعلى والأحلى أيضا . ولن يتأثر زهى بك وفخرى
بالانتساب اليك ولو طاف بى الحور جنة رضوان . ليت نصيبى من
الجنة يكون على ضفافك يا نيل .

لقد علوت الجبال فى سويسرا وجبت السهول فى ايطاليا. ولكن
جنات الدلنا لم تكن عن عيني نغيث ..

وقفت أمام آثار اليونان والرومان والعرب فى الأندلس ولكن شريط
المجد من سقارة الى (أبو سمبل) ما كان ينتهى الا لبدأ من جديد ..
وحسبني الرءون فى أوروبا وأنا فى الصعيد ..

شاهدت الأنهار .. السين فى فرنسا ، والتميز فى انجلترا ،
والوادي الكبير فى أسبانيا فكان أكبرها كفرع الزمالك الذى نسميه
« النيل الصغير » أو « البحر الصغير » .. أما النيل الكبير .. البحر
الكبير عند جزيرة الذهب فليس له ضريب .. ووجدتني فى كل مكان
أقول بغير حروف :

« أنت أنت مصر » ..

حتى حين يتسع الفرق المادى بينك وبين أوروبا لا أتمنى العيش فى
غريك أو الانتساب اليه فوجه الأم وان شاه ، أجمل الوجوه وأنت أمى
الجميلة الرءوم .

كل سبق يحرز غريك ، وكل تقدم لم تبلفه ظروفك لا يبعدني عنك
بل يدنيني منك أكثر لانه يزيد اهتمامي بك واشتغالى .. كيف أنقل اليك
الجديد والتقدم والعلم كيف ؟ عندك كنوز الطبيعة وعندك كنوز التاريخ
وعندك الوادي وعندك الصحراء .. عندك المادة وعندك فيوض الروح ..
أنت وادي النيل وأنت وادي الدين ليس ماضيك وحده هو الذى يأسر
القلب المصرى ولكنك أنت كلك لانك مصر بما لك وما عليك .. ولا عليك
ولكن علينا وحدنا يقع الذنب حين لا نعى عنك الدرس ، أو نصون لك
الحق أو نحفظ لك الجميل .

العيب ليس فيك ولكن العيب فينا لاننا كالوارث الأبله لا يعرف قيمة
ما تركه له أبوه .

أرأيت كيف تمتزجين بالدم فى العروق فالقلب ينبض لك والعقل
يفكر فيك واللسان يترطب بذكرك فلا يملك المصرى الجواب فى أى مكان
حل به الا أن يقول : أنت أنت مصر فى حين كآنين القصبه حين تنزع
من مقرسها فتصير شبابة ترسم النغم ، شجيا ، كقطرات الدموع ..
وتتملك المغامرة ، الشباب ... والمرارة الكهول ، فيبتعدون طلبا

للرزق أو الراحة فما يكادون ينفضون عنهم غبار السفر حتى يحضون
اليك .. ويلج بهم الحنين فيغدو شوقا متقددا ، ودموعا ، على سماع
الأغاني ، ومفارقة متصلة .. ثم ينسون سقاءهم القديم .. وفي سهمه
يشتمون :

تعيشي يا مصر .. وفي لهفة يقولون .. أنت أنت مصر ..

لیسا

فى جامعة ليبيا

تختلف ليبيا عن سائر الرحلات فرحلتى اليها كانت اقامة امتدت عامين ولهذا سوف تطول الكتابة عنها وسوف تتخذ أشكالا مختلفة . .
 وسوف يدور حوار وسوف تسترسل معان وأفكار وسوف وسوف . .
 الأحداث . . سوف تجنح كتابتى فى بعض المواضع الى أسلوب اليوميات . .
 وسوف يدور حوار وسوف تسترسل معان وأفكار وسوف وسوف . .
 انهما عامان من العمر . . وانها تجربتى الأولى فى الاغتراب .

تختلف ليبيا عن سائر الرحلات فقد سبق ذهابى اليها ظرف معين .
 كانت ابنتى الكبيرة فى الثانوية العامة وكانت لا تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها . . وفى مصر نحيط الثانوية العامة بنحو من الرهبة يلف البيوت والمدارس معا . . وأحسست بصغرتى مضطربة قلقة . . وكان فى ذلك الوقت مؤتمر للأدباء العرب انعقد فى القاهرة . ولما كان ضيوف مصر ضيوفى ، فقد استقبلت الأدباء من مختلف البلاد العربية ، فى دارى بعد ختام المؤتمر .

ومرت أسابيع وأنا خالية الذهن تماما من السفر بل العمل بالخارج
 وإذا ببرقية تصلنى من جامعة ليبيا تدعونى الى العمل بها .

استبعدت الفكرة وقررت الاعتذار . . وفى جمع من الأصدقاء طاف الحديث بالحدث الجديد فقال أحدهم : فرصة حنان من السما اذ أنها تتخلص من مخاوف المجموع التى نثيرها ليلا ونهارا . . فإذا حصلت على مجموع كلية العلوم التى تريدها والتى تشترط أن يكون عاليا ، فأنعم به وان لم تحصل فسوف تستطيع دخول كلية العلوم بطرابلس ثم تنتقل الى علوم القاهرة بلا قيد أو شرط .

أمامى اختيار صعب : بيتى بكل ما يعنيه . . ومستقبل ابنتى .
 أو نفسى وابنتى . وبدون تردد قدمت ابنتى على نفسى .

ان حنان تستحق منى التضحية وبهذا الحجم لا ، لأنها ابنتى فحسب ولكن لصفتها الذاتية فهى عطوف مضحية فى حدود إمكاناتها الطفلة

تقدم كل فرد فى الأسرة على نفسها . . . خدوم بلا حدود . . . كلها حنان
كاسمها . . .

حنان تستحق منى الكثير والبذل لها يسعدنى .

من أجل حنان قررت أن أسافر للعمل فى ليبيا لأجتاز بها عتبة
ال ثانوية العامة ودخول كلية العلوم .

ذهبت الى وزارة الداخلية لاستخراج تصريح العمل . . . كنت فى
طريقى اليها صامتة - تائهة تحت وطأة الشعور الثقيل بالاغتراب
المقبل . . . بدأ التمزق النفسى القاسى .

بدأت قدمائى تشدانى الى الشارع لأتملى القاهرة فبعد أيام ستكون
القاهرة منى بعيدة حبيبتى القاهرة . . . ما من مدينة مصريه (توحشنى)
مثلها والمدن كلها منى منذ خططت مصر ، المدينة منذ ألوف السنين .

ذهبت الى ليبيا فاستقبلتنى صحافتها استقبالا كريما . وكتبت
أحدى الصحف مقالا بمساحة صفحة كاملة بمائشيت عريض : الدكتور
نعمات أحمد فؤاد أم حنان وفينان .

ذهبنا للقاء العميد . رجب بنا ترحيبا . قال انه تعلم فى مصر
وأحسست أنى أطول قامة . . .

قال انه يحب مصر وتمتت بغير حروف : لست بأول . . . أحبها من
الشرق والغرب عدد نجوم السماء . . . عدد الرمل والحصى والتراب .

قال : أنه قرأ ، لى قلت فى سرى : السطور منها نبعت ، وفيها
صبت ، ومنها معى خرجت واليها ، بى ، تعود .

وانتقل العميد الى نقطة تعامل . قال ان الكلية تخير الأستاذ القادم
بين صرف سبعمائة جنيه للتأثيث أو استحضار غرف جديدة من ايطاليا
وفرشها له واخترت الحل الثانى . . .

كنت بكبرياء مصر فى داخلى ، أختار المظهر الحضارى لا النقود .
وعلمت بعد هذا أن الكثيرين من مختلف الجنسيات يختارون أن يفرشوا
بأنفسهم أثاثا محدودا بسيطا مستعملا حتى لا تتكون خسارة فى بيعه
عند انتهاء العقد .

ولكن هذا الحساب كان غير وارد عندى بل انى استأجرت لسكنى

دورا فى فيلا فى منطقة الحدائق بطرابلس وعندما فرشت لى الكلية الغرف.
الثلاث الجديدة ، اشترت غرفة نوم جديدة لأطفالى فصار عندى أربع غرف
مؤثثة أثاثا جديدا واشترت سجاجة وستائر للنوافذ ونجفا وكنت قد
حملت معى من مصر تحفا مصرية من خان الحليلى ومناضد صغيرة على
الطراز الإسلامى لمحة من مصر .

وصار بيتى كريم المظهر مشرفا كأنى مقيمه . وزارنى الوزير المفوض
فى السفارة المصرية فقال : أتمنى أن أستقبل ضيوف السفارة فى هذا
البيت فهو فى الطابع والاسلوب ، أكثر مصرية .

وبدأت الدراسة . . كان جدولى الأساسى لطلبة اليسانس وسرعان
ما التقوا بى وتعلقوا . . ويبدو أن العميد والادارة أحسوا بهذا وحمدوه
فما كان يمضى على انتظام الدراسة ثلاثة شهور حتى حلت أجازة عيد
الفطر فأخذ الأساتذة المغتربون تصريحات السفر من العميد ليحجزوا
أماكنهم فى الطائرات وتأخر تصريحى . فقابلت العميد فقال لا يريد أن
يصرح لى . . ودارت الأرض بى . قلت ولكن الأساندة جميعا يحملون
تصريحات . . قال أعرف هذا ولكنك أنت بالذات لا أريد أن أصرح لك
بالسفر . . وحاولت بصعوبة حبس دمعى كصوتى . قال الرجل :
ليس عبثا لك ولكن فرط تمسك بك . . لست أدري لماذا أخشى ألا تعودى
الينا . . ولكنى وعدته أن أعود . ولما استوثق من كلمتى صرح لى ولكنه
عاد فى اليوم الثانى وأرسل فى طلبى . فذهبت اليه وإذا به يعطينى
اسورة ذهبية لزوجته طالبا منى اصلاحها فى القاهرة قائلا انه اشتراها
من القاهرة .

وفهمت انها وسيلة للاستيقان من العودة . .

أخذت الاسورة ووعدته باصلاحها وارجاعها . . ولم يكن بها
ما يستعصى على اصلاح فى ليبيا ولكنها رباط .

سافرت فى العيد بعد أن كنت ينست وداريت يأسى وصبرى وألمى
عن أطفالى بل حاولت غمرهم بالهدايا والحلوى بل صنعت لهم كعكا
ونقشته بأسلوب أمى وجدتى ولم أكن فعلت هذا من قبل . . أردت أن
أشعرهم وأشعر نفسى قبلهم بمصر شكلا ومعنى وعادة وروحا وتقاليدا .
ومن الطريف أن الأديب الليبى الاستاذ المصراتى زارنا ليخفف
غربتنا وليؤدى واجب الصداقة لأسرتى فى القاهرة فقدمنا له الكعك
فعجب من صنعه ومذاقه وأكل منه بشهية أسعدتنا .

أمضينا العيد في القاهرة وبالطبع اصاححت الاسورة ووضعتها في
علبة مطعمة بالصدف مما تجيد نممته وزخرفته مصر ٠٠ وعدت الى ليبيا
وتأثر العميد تأثرا بالغا من العودة واللفتة وعاد يكرر من جديد أنه تعلم
في مصر وأنه يحب مصر وأنه يحتفظ لمصر بأعلى المشاعر ٠٠
ومر على الدراسة شهران آخران وأرادت الكلية أن تعقد ندوات خارج
الدراسة يتحدث في كل ندوة أستاذ على التوالى ووضعوا اسمي
للندوة الاولى ٠

ودعا العميد والوكيل كبار الشخصيات من خارج الجامعة للاستماع
وتحدثت عن الأدب في المغرب العربي تونس وليبيا والجزائر والمغرب ٠٠
كان حديثا صافيا حفل بالمقارنات بين المشرق والمغرب في البدايات
والوسائل والموضوع والاسلوب والعوامل والملابس والظروف وامتد
الحديث ساعتين وكان العميد والوكيل كلاهما مزهوا أمام ضيوفه كأنى
أخته أو ابنته ٠

وبعد الحديث أخذنى العميد الى مكتبه ومعنا ضيوفه حيث اتصل
الحديث والتكريم ٠

وبعدها طلب رئيس تحرير كبرى الصحف الليبية أن أكتب بها
المقال الرئيسى يوميا ولما كان ممنوعا أن يشتغل أستاذ الجامعة بأى عمل
خارجها فقد اعتبرت هذا مخرجاً ولكن العميد أمام اصرار رئيس التحرير
كتب لى استثناء أى تصريحاً بالكتابة فكنت أكتب يوميا مقالا فى الصفحة
الاولى ومربعا أدبيا فى الصفحة الثانية وتوالى طلب المجلات الليبية فكتبت
فى مجلة الرواد وكتبت فى مجلة المرأة ٠

كما طلب وزير البترول الى وكيل الكلية أن أدرس لابنته وهنا اعتذرت
اعتذارا حاسما فظن الوكيل أن الأمر يتعلق بتقليد الجامعة وعدم اشتغال
الاستاذ بأى عمل فى الخارج ولكنى أفهمه بوضوح أنى لا أنتقل الى بيت
وزير أو أى انسان كائنا من كان ولكن ابنة الوزير هى التى تأتى الى بيتى
إذا رغبت فى مساعدتى العلمية لها ٠ وقد كان ٠

وبعد هذه المحاضرة ازداد رصيدى المعنوى فى الجامعة وخارجها ٠

وفى العام التالى أرادت الكلية أن تعقد مثل هذه الندوات فاذا
بالأساتذة المنظمين يعمدون اغفال اسمى وقد صرح بهذا أحدهم وهو من
قطر شقيق وقال بصريح العبارة ما معناه بلهجته الخاصة التى تقتبسها
المسرحية المصرية للاطراف :

ها قد أخذنا درساً لن ندعك تفتحين موسم المحاضرات ولن ندعك
تستولين دوننا على كل الاهتمامات ..

وإبتسمت .. انه ثناء معكوف ..

حدث هذا كله سنة ١٩٦٨ .. العام الأول لي في ليبيا

وكان مساء ..

صبحوت من نومي فزعة على ألم لم يلبث أن أعقبه دفقة من الدم تخرج
من فمي وفزع أولادى معى وجرى الصغار هنا وهناك وكانت الفيلا نائمة
الا الشقة التي يسكنها انجليز عندهم حفلة ومدعون .. طرق أطفالى الباب
عليهم فهبوا لنجدتى حملونى فى سيارتهم الى المستشفى الليبى وانتظروا
حتى تلقائى الأطباء .. وهو عمل لا تصفه الكلمات لأن فى ليبيا ليس هناك
شئ اسمه تاكسى يستدعى فى النهار فما بالناس فى ساعة متأخرة من
الليل .. كان من الممكن أن أنزف وسط أطفال يدركون جيداً على حداثة
سنهم أننا غرباء عن وطننا وأهلنا وأنى فى ذلك الوقت بالنسبة اليهم أم
ووطن وأب وأهل كان ابنى فى السابعة من عمره وابنتى الصغيرة فى
الحادية عشرة والكبيرة فى السادسة عشرة ..

أخذ الجيران الانجليز الطفلين الصغيرين وتولوا تهدئتهم أما أختهما
فقد تجاوزت سنها السادسة عشرة وكبرت فجاء وطالت قامتها الى
مستوى الحدث .. صحبتنى الى المستشفى وتماسكت لا أقول تحلت بالهدوء
بل أقول أنزل عليها ربى السكينة وهى بطبيعتها رقيقة المشاعر .. حنون
تنوهم من حنانها من لا شئ .. لا أنسى أنها فى طفولتها لاحظت عليها
مدىستها الاطراق مع الضعف الصحى بعد تورده ونشاط لاحظته المدرسة
أحسسته قبلها بقلب الأم وبدأت أطوف على الأطباء .. فاذا بالكل يجمع على
خلوها من أى مرض عضوى ..

جمعتها فى حضنى وسألتها : ما بها ؟ فانفجرت فى البكاء وجن قلبى
الذى تعلق بشفتيها :

— قولى

— خايفة تموتى

وأدركت أوهامها وأدركت أنه عمق حبها لى وشدة نعلقها بلغا حده
الوهم .. والحب ان زاد عن حده ، ترهق النفس الأوهام وأفهمتها هذا

لا فارتاحت وسكن وجيبها وبدأت أدارى عاطفتى نحوها حتى ترى الحياة الاخرى وحاولت أخلق اهتمامات لها وصداقات صغيرة بينتها فى الدراسة .

هذا موضوع آخر ولكنه نعيم لخطوط الحدث . . الذى واجهته وأكبرى فكرتى عنها حتى تلك اللحظة أنها أشدهم حاجة الى فحين أقول كبرت فجأة فان التعبير لم أخلقه بل خلقتة اللحظة أنها أشدهم حاجة حين أقول انها كبرت فجأة فان التعبير لم أخلقه بل خلقتة اللحظة فعلا .

عرفت بعدئذ أن الأطباء قرروا نقل دم لى ووضعى تحت العناية المركزة بين أنه الخطر معلق ٢٤ ساعة وعرفت طفلى هذا فظلت الليل كله ل بين غرفتى وحجرة الطبيب نسأله عن شىء تتلهف على أمل ومضت عات كالدهور وكتب الله لى الحياة وبدأت الصغيرة التى كبرت فى سواد تتصل بوالدها فى القاهرة ومتلها فعلى صديق حميم للأسرة هو سى الدكتور على كامل وكان أستاذاً مصرياً بجامعة ليبيا . وحضر لى على عجل . . كان متهدماً وهو الذى كان يباهى بالشباب متفكها د ، وجادا كالمثفكه .

ولم تكن أسرتى وحدها هى التى اهتزت لمرضى بل أحسست الألم باركة والمعجة من المصريين جميعاً فى ليبيا ومن الليبيين أيضاً أدباء فنيين وكبار أهل البلد وطلبتى وأولياء أمورهم كان عميد كلية المعلمين بلسى الاستاذ أمين الحافى يأتى يومياً الى المستشفى ومعه وكيل الكلية . لى الأساتذة من مختلف الجنسيات .

أما المصريون فقد اعتبرنى كل منهم مسئوليتهم الخاصة . لم يغيب منهم أحد مرة فتحت عينى فى الصباح فوجدت فى مدخل حجرتى انا كبيراً لا أعرفه يقرأ لى القرآن فى تبتل وهممة . ثم انصرف .

زارتنى يومياً سيدة مصرية متواضعة لا أعرفها وأخذت تمسح شعرى ما وتدعو لى دون أن تذكر اسمها .

كان أحد المستشارين المصريين فى ليبيا يرسل زوجته كل يوم من الى جانب سريرى من الصباح الباكر حتى الظهيرة .

لقد تجمع طلبة كلية المعلمين فى فناء المستشفى وأصروا على أخذ دم لى . وأفهمهم الأطباء أن الدم لا يؤخذ الا من فصيلة مئانله وأنه نج

هذا قد تم نقل الدم لى ولكن أحدهم قال انه سوف لا يبرح المستشفى
الا اذا أخذوا لى دما ، منه ولو يريقونه بعد هذا المهم يشعر أنه أعطانى
من نفسه وبكىت . . بكيت كثيرا من التأثير .

وجاء أحدهم وكانت له عين واحدة وليست سليمة وجلس الى جوار
سريري وأخذ يبكي منتحبا وعبثا حاولت تهدئته فلم يكف عن البكاء الا عندما
بكيت أنا .

وأحببت ليبيا أكثر وارتبطت بطلبتي أعمق وأعمق فوق ما كان بيني
وبينهم من وثاق وأعماق .

ولم أجد تعبيرا أوفى وأقدر على رد الجميل الا تمسكى بوضع الامتحانات
وأنا فى سرير المرض . أنا وحدى التى أعرف استعدادهم وحجم تحصيلهم
فى كل مادة من مواد الادب فلا أتركهم لأستاذ يحتكم معذورا الى المنهج وحده
دون سائر الاعتبارات .

وكما أصررت على وضع الامتحان تمسكت بالتصحيح وتم هذا كله
فيما بنى المستشفى وبيتى هناك فى طرابلس .

وكان حادث مرضى هذا كافيا للاعتذار لليبيا وعودتى الى مصر ولكننى
بعد الاجازة الدراسية قررت العودة عاما آخر تعبيرا عن الشكر أعود بعده الى
مصر أو أودع بعده ليبيا لا بسبب المرض ولكن فى كامل صحتى اختيارا
للعودة واشارتا لى غالى أحرص عليه .

فى نهاية العام الثانى لى فى ليبيا قدمت خطاب استقالة واعتذار الى
العميد على الرغم من أن مدة عقدي مع الجامعة أربع سنوات . . ووسط
محاولات لاهثة من مختلف الجنسيات للبقاء استنفادا للعقود أو تجديدا
لها . . وحاول العميد فى مودة صادقة ورجاء ملح أن يشينى عن الاستقالة . .
وبكل الود تمسكت بها . . رفع الأمر الى مدير الجامعة الذى استدعانى
بدوره محاولا صرفى عن الاستقالة ولكنى شكرت واعتذرت .

وفى يوم جاءنى أثناء المحاضرة موظف فى الادارة يقول ان السفير
المصرى على التليفون .

حدد لى سفير مصر موعدا فى السفارة لمقابلته . . وذهبت فى الموعد
وفاتحنى فى موضوع الاستقالة ونهى الى أن الجامعة لجأت اليه ليحاول
التأثير على كان بادى الغبطة والزهو وان حاول اخفاء مشاعره .

قلت له : ما الذى يسعدك سفيراً لمصر ، أكثر أن ترجوك الجامعة فى

استبقاء أستاذ مصرى أم نطلب اليك استبعاده ؟ .. ان البعض سامحهم
الله يحسبون المصرى منهافنا ، من خصاصه على المال يسعى اليه فى أى مكان
ويرضى من أجله بأى وضع .. فدع مصرى يقول : لا ولتأت « لا » على لسان
المرأة المصرية .

وانفجرت أساريه وتهلل وجهه ووافقنى .

ونزلت القوائم فى الجامعة فاذا بأسماء كثيرة من مختلف الجنسيات
أمامها عبارة استغنت عنه .. أنهت الجامعة عقده .

حين كتب أمام اسمى : بكل أسف اعتذرت عن الاستمرار .

بل أقامت ليبيا الرسمية والشعبية حفل تكريم لى فى فندق
جراند أوتيل دعت اليه أساتذة الجامعة فى طرابلس
وبنى غازى والكتاب والصحفيين والوزراء وكبار الشخصيات وبعض
السيدات الليبيات المشتغلين بالتعليم أو بالخدمات الاجتماعية .

ومن الطريف أن بعض الليبيين بصراحة الليبى وتلقائته قال :

فى هذه الحفلة : لم أصدق حين بلغتنى الدعوة الى هذا الحفل حتى
جئت وها أنا ذا أشاهد بعيني تكريم السيدة المصرية الدكتورة نعمات مع
أن الاستاذ فريد أبو حديد مك فى ليبيا اثنى عشر عاما ثم عاد فلم نقم
له حفل تكريم .

وابتسمت بين مشاعر مختلفة كانت نموذج فى نفسى ليتهم أقاموا
حفل تكريم قبلى للأديب المصرى (فريد أبو حديد) فهو أستاذى بالقراءة
أنه أحد جيل العمالقة الذين نبئت من أدبهم قبل أن يصير لى قلم .

ان التكريم ، فى الحقيقة لمصر ، قبل الأسماء جميعا .

وحان يوم السفر فأوقدت الحكومة مندوبا يودعنى فى الميناء

ورأيت الأرض المصرية قبل أن تتحرك الباخرة فقد كانت الباخرة
مصرية بل اسمها (الباخرة مصر) ..

وعدت ولم تنقطع صلتى بليبيا فأهلها وطلابها لم تنقطع عنى رسائلهم
وزياراتهم معا .. كان طلابى عندما يحضر أحدهم الى القاهرة يسعى من
توه الى بيتى .. قال أحدهم مرة : هذا البيت فى شعورى هو السفارة
الليبىة التى تقوم على بعد أمتار منه .. هذا البيت سفارتى ووجهتى .

ومرة زارني انسان شيخ لا أعرفه وقال أنه والد الطالب محمد الذي درست له في ليبيا .

وكتب لي مرة أحد طلابي بعد عودتي بعدة شهور يحكي لي نزاعا حدث بينه وبين زميل له كان طالبا عندي مثله فكتبت للانيين معا وأصلحت بالرسائل بينهما .

وكتب لي طالب ألم به طائف من مرض هل يذهب الى العلاج في الخارج أم أرى رأيا معينا . وكم من قضايا طرحها طلابي الليبيون في رسائلهم لي بعد عودتي الى مصر فأعششها معهم وأناقشهم فيهم وأشاركهم الحل . . وتلغى السطور . المسافات . وأدرس في مصر وأحضر وأكتب ويزداد رصيدي من القلوب والعقول وهو حظ عظيم دونه الثروات والعروض ولا تبرح ليبيا ذاكرني بأهلها وأيامي بها .

ويزورني كبير ليبي ويودع عندي أمانة ثمينة يغالي بها . . لا يسألني عنها صكا . . ولا تزال عندي الى اليوم . . وكلما فاتحته في شأنها في احدي زياراته للقاهرة ، قال : لقد اخترت لها المكان الأمين وكفى . ويأسرني هذا كله . . وتختلف السياسات وتشتد الأزمات أو تنفرج ولكن ليبيا الأرض والانسان لا ينزعها من نفسى خلاقات أو سحابات أو عرض يزول .

١٩٦٩/٩/١

صحونا من نومنا على لهجة غريبة في الاذاعة الليبية وأنصتنا جيدا . . انها الثورة .

لقد وضع الجيش يده على السلطة . . وأسلم زمام الأمر اليه سريعا . وبدأت البيانات الثورية تتوالى ومنها حظر التجول . . ومنها وهو الأهم قفل المطارات وموانئ ومنافذ ليبيا الى أجل غير مسمى .

لقد تم العزل .

أصبحت مصر أبعد بعدا .

صار أحباؤنا في جانب ونحن في جانب وزاد حرماننا وعذابنا عذابا . . كل اتصال بمصر موقوف . . لم تعد نسمة تهب علينا من مصر في خطاب أو تليفون ومع هذا تفكيري كله كان في قلقهم لا قلقي . . كيف

وصلت الأخبار اليهم ؟ وما وقعها عليهم ؟ صار همى سماع اذاعة الشرق الأوسط .. وعلى التحديد . نشرة الاخبار لاتبين طريقة وصول الاخبار اليهم . كانت المحطة تذيع الأحداث فى غير مبالغة بل هادئة تطمئن .. وحمدت الله .

وحمدت الله مرة ثانية لأنى قدمت أوراق حنان قبل قيام الثورة وحظر التجول .

فينان وأحمد الى جانبى مشغولان بلعبة الشطرنج .. وأحمد الله فى سرى لانشغالهما باللعبة عن القلق والتفكير .. والتفتت الى الصغيرة بوجهها الحمرى الجميل تقول :

— انها تجربة عشتها .. لم أشهد فى حياتى ثورة ولم يكن لى علم بها كيف تنطور فيها الأحداث .. ها قد شهدت ثورة من الثورات .. ان وصف الصحف لا يحضر الى الذهن صورة كاملة .. متلا ثورة السودان .. كانت بالنسبة الى البعد مجرد خبر فى الصحف .. أما الآن فانا نعيش الأحداث نفسها .

ان نظرة متأملة على الشرق الأوسط تكشف بوضوح زعامة مصر للمنطقة حتى فى الثورات .. فجميع الثورات العسكرية قامت بعد ثورة مصر سنة ١٩٥٢ العراق .. السودان .. الجزائر وأخيرا ليبيا . حتى الأناشيد الحماسية التى نتخلل البيانات الثورية من مصر .. وأناشيد مصر .

١٩٦٩/٩/١٢

جرس التليفون يدق .. من يكون ؟ لقد طالت عزلتنا .. من يكون المتحدث ؟ لقد حاولنا الاتصال بعاصمتنا القاهرة مرتين فكان الجواب استحالة الاتصال ورضنا بالبأس أو تجرعناه .

رفعت السماعة ولشدة فرحتى .. أنها القاهرة . وبعد قليل سمعت زوجى وابنتى وأكدنا لنا قدومهما بمجرد فتح المطار ..

كان حديثهما أول حديث مصرى الى طرابلس كما عرفت فيما بعد ثم عادا فاتصلا مرة أخرى مؤكدين قدومهما يوم ٩/١٦ .

١٩٦٩/٩/١٦

ذهبت مع الطفلين الى المطار •

وصلت الطائرة المصرية وتعلقت عيوننا بكل قادم ولكن الركاب جميعا خرجوا من المطار •• ووصلت الطائرة المصرية الثانية وتعلقت عيوننا من جديد بكل قادم وسألت من قلقي كل من يمر بنا هل هناك مسافرون آخرون ؟ وكم من أسئلة لا معنى لها حتى لم يبق بالمطار أحد غير الموظفين العاديين •

ذهبت الى مكتب شركة الطيران العربية بالمطار وطلبت كشوف المسافرين بالطائرتين قرأت الأسماء مرة بعد مرة ••

لم يبق الا أن نعود أدراجنا الى المنزل فى قلق عاصف • وما كدت أصل حتى هممت بالخروج سعيا الى مكتب التلغراف فنناداني طفلاى •• القاهرة على الخط •• وبلغت ريقا جف فى حلقي وجفت معه شفثنى •

وما كدت أسمع زوجى وابنتى حتى انفجرت فى البكاء •

لقد تأخر مجيئهما لأن الدادة ألغيت تأشيرتها الممنوحة لها من السفارة الليبية أو أصبحت غير ذات موضوع ••

١٩٦٩/٩/١٨

اقتربت من الموقد لأشعل شمعته فانطلقت • أشعلها مرة ثانية ثم انطلقت وتقدمت الى الموقد لأشعلها للمرة الثالثة والاخيرة ففقد ضمكت به وكانت هى الاخيرة فقد هب الموقد فى هبة مروعة •

صرخت من الفزع وصرخت صغرتنى فزعة معى •

كان الجو صلبا وكان ثوبى بلا أكمام فاحترق ذراعى مع وجهى وتساقطت رموشى ولسعت النار رقبتى وصدرى •

نادت ابنتى جارتى الممرضة الانجليزية فحملتنى الى اسعاف المستشفى حيث أسعفت وأعطونى حقنة مسكنة ورجعت الى بيتى • وخف الينا مصرى صديق هو الدكتور على كامل وزوجته وفى الحال ذهبا الى الطبيب المصرى الدكتور الباز فأحضراه ••

ونظّر الجميع الى والاسى والأسف على وجوههم فانا لم يدّخ على خروجى
من المستشفى فى حادث النزيف المعوى غير ثلاثة شهور .

واقترّب منى الدكتور البيار وطلب الى ألا أستعمل الأدوية التى حملتها
من المستشفى وكتب لى أدوية جديدة وحقنا أيضا .

وأخبرنى الدكتور البيار أن حروقى سنورم فلا داعى للانعاج فان
الحالة بمضاعفاتها ستزول بإذن الله . وقال بلهجته المتمكنة :

– ستبقى يوما هذا الحريق .

ولكنى لا أحسب أنى سأنساه ..

لا أحسب أنى سأنسى فزعى وفزع ابنتى الصغيرة التى كانت تبكى
منفطرة وأسألها مذهولة :

– أنا احترقت ؟

فتقول فى براءة والهول يلف وجهها : أيوه يا ماما .. روحى
المستشفى .

• معلىش

معلىش يا حبيبتي الصغيرة .. الحمد لله .

أقولها الآن وحتى فى ذلك اليوم العصيب قلنها .. قلت الحمد لله
فلطف بى الله .

١٩٦٩/٩/٢٥

اليوم موعد قدوم زوجى وابنتى من القاهرة . لقد أكدا هذا فى
(التليفون) يوما بعد يوم ولكنى من وهمى لا أصدق . لا أصدق حتى
أراهما بعينى .

ومرة أخرى ذهبت ومعى الطفلان الى المطار ..

ربطت كفى ولبست ثيابا تغطى الحروق تماما .. واحتسّلت على
الحواجب والرموش التى سرقتها النار بالكحل المصرى والظلال فبدت عيناى
مصريتين .

لقد فابلنى أفراد من معارونا مصادفة فى هذا اليوم وذهلوا من الدهشة كيف عدت سريعا الى ما كنت عليه .

وفى المطار وضعت شالا حريريا على ذراعى ويدي اليمنى وقلت فى نفسى ألوح بهما عندما أراهما بيدي اليسرى . وفى زحمة الاستقبال سوف نفوتهن ملاحظة الحقيقة .

وجلسنا فى المطار وأسأل عن موعد قدوم الطائرة أقصد الموعد التقليدى لشهرة الطائرة المصرية فى ليبيا بالتأخر عن الميعاد فقائل يقول تصل فى التاسعة وقائل يقول فى العاشرة .

وفى الثامنة وخمس وعشرين دقيقة وصلت طائرة أحسست نحوها احساسا خاصا مع أن المحيطين بى من المنتظرين كانوا يخلعون عليها جنسيات مختلفة الا الجنسية المصرية . . . وتقدمت من باب الدخول المعهود ففتحت ذيل الطائرة بألوانه الثلاثة . . . وبهلت . . . انها الطيران العربية أى الطائرة المصرية . . . ووفعت وأطلت لهفتى تتفرس القادمين . . . وفى تقديرى أنى سأقف ربع ساعة على الأقل حتى يهل هلالهما لأن اجراءات الجمرى فى المبنى الآخر طويلة كما جربتها فاذا بى بعد نصف دقيقة أراهما يمرقان من الباب .

وفى طريقنا الى البيت لاحظت ابنتى التى أخذت مكانها الى جوارى برباط يدي فقالت حبيبتي فى نبرة عميقة تشع حنانا وحبا . . .

سلامتك . . . مال ايدك ؟

فقلت لها فولا مبهما لونا من الهروب حتى لا أزعجها .

كان زوجى يجلس فى المقعد الأمامى للسيارة الى جوار صاحبها الذى جاملنا بانتظارهم فلم يلحظ شيئا . . . ولكننا ما كدنا نغادر السيارة حتى قال : ما هذا ؟ ماذا حدث ؟

- شىء بسيط والحمد لله .

ولكن عندما دخلنا ، ألحأ فى السؤال حتى عرفأ كل شىء . . . كانت عيونهما تقطر أسى ولكنى أضعت الموضوع بالسؤال عن مصر ومن فى مصر وأخبار مصر .

١٩٦٩/١٠/١٧

اليوم موعد عودة زوجى الى القاهرة • اشتقنا القاهرة • متى يا الهى
أجد نفسى فى بيتى متى أعود الى دارى وحديقة دارى والشجرة الصديقة
التي ترسل أطفالها أى أغصانها تلعب مع الهواء فى سرفتنا الكبيرة • متى
أعود الى بيتى التى تضج فيه الحياة فالتليفون لا يكف عن النداء ، وجرس
الباب لا يكف عن الرنين ، ألو المشاغل الحلوة ، والضيوف والمكتبة والموسيقى
ويتهدى فى هذه اللحظات صوت أم كلثوم شجيا نديا :

— كفايه بأه تعذيب وشقا •• ودموع فى فراخ ودموع فى لقا •

هل هى صدفة ؟

١٩٧٠/٢/١٧

صبراته

مدينة ليبية على البحر أسسها الرومان فى ليبيا قديما • بينها وبين
حدود تونس عشرون كيلومترا تقريبا • وبينها وبين منطقة سكننا تسعون
كيلومترا •

كان النهار صحوا والجو دافئا والسماء صافية والشمس مائعة
وممتعة •

كنا نسير وراء سيارة أسرة مصرية صديقة حتى لا نخطف الطريق •
وصلنا صبراته ووقفت السيارتان أمام المتحف هناك ودخلنا المتحف
رفوف من الزجاج عليها سدرات أنبياء أو نارات فخار أو قدور وأنبية
فخار وتذكرت الإعجاز الذى تضعه متاحفنا مكدسا فى زهو سباج أو
غافل •

تذكرت الترصيع والنكفيت والحفر والنحج وتذكرت روائع المتحف
المصرى والقبطى والاسلامى

تذكرت سقارة وادفو والاقصر وأسوان وأبو سمبل وصلى قلبى صلاة
لم يسمعها أحد الا صاحبها • كنت مع ذكر الله فى لحظة صمت ••
ويسألنى أولادى والمحيطون بى أسئلة مختلفة ولكنى لم أكن معهم كنت

فى متحف آخر على يند ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف كيلومتر ٠٠ كنت أراها النيل
يندفق وفى قلبى كنت أرى مصر فان كل شىء تراه عهى فى غيرها يزيدنى
احساسا بها وحبا فيها ٠

لم أفتح عينى على صبرانه الا بعد أن غادرنا المتحف ٠٠ رأيت صبرانه
على البحر ٠٠ بقايا مدينة قديمة ولكن الأعمدة الكثيرة ومباني المسرح
وبقايا ساحة المحكمة كلها كانت نحدث بأن هذا المكان كان مدينة كاملة
أو مستكملة ٠

١٩٧٠/٣/٣١

تفضل صديق لىبى فدعانا الى مشاهدة بعض معالم طرابلس ٠ ذهبنا
الى عين زاره ثم الى تاجوره ٠ المنطقتان متشابهتان ٠ أرض رملية حمراء
مزروعة أرض تصعد فيها السيارات وتنحدر ميزت عينى فى عين زاره عينا
كبريتية يتصاعد منها البخار أو يتطاير بخارها مع الماء المتصاعد ولكن العين
يذهب عطاؤها فى الأرض كلها نافورة للتسلية ٠٠ حتى النافورة حولها
أناس يشاهدونها أما هذه فتقف فى المكان كالمهجورة لا تحظى بلفتته
أو انتباه ؟

وفى تاجورة عين أخرى يحيط بها سور متواضع منخفض ٠٠ وتذكرت
عيون مصر الكبريتية انها قياسا ، أحسن حظا ٠٠ كم فى ليبيا من كنوز
الطبيعة وأهلها عنها ، ساهون ٠

وفى تاجورة وما بعدها كان سور قاعدة الولىس الامريكية بأسلاكه
الشائكة أو منارات الزجاج عليه ٠ وشكله الرهيب يمتد على طول الطريق
وكأنه يتحدى مشاعرنا ٠

كنا اذا بعدنا فى منعطف أو طريق جانبي اذا به أمامنا من جديد كأنه
يتعقبنا ٠٠

كان اليوم عيد جلاء القوات البريطانية عن قاعدة طبرق ٠ وقتئذ قلت
فى ابتهاج صامتة : متى يخرج هؤلاء أيضا ؟ الى منى ترزا شعوبنا بالقواعد
وأصحابها ؟

من هذه القاعدة خرجت الطائرات المغيرة على مصرنا سنة ١٩٦٧ وفى
هذه القاعدة البغيضة تمرن اليهود وتدريبوا على ما فعلوه بنا ٠٠ لن
ننسى ٠

لقد رأينا أشياء طيبة في ليبيا ولكن أحسن ما رأيته هو خروج الانجليز منها وانى لمنتظرة خروج الأمريكان فى يونيه ٠ انى من أعماقى أحمد الله من أجل ليبيا ٠٠ أحمد من أجل غالينا مصر حتى لا يحترق بها أعداؤها أو أعوانهم ويتهدد وجودهم ، سلامها وسلامتها ٠

مولد أدبية :

نظرت الى طلسى فى ايمان بها وقد لاحت فى خاطرى ، فكرة أكبر منها كثيرا ٠٠٠

- ما رأيك يا فيان ٠٠ فى أن نكتبى ؟
- أكتب ؟ أكتب ٠٠ ماذا تقصدين يا أمى ؟
- تكتبين وتنشرين ٠٠ انك أدبية ألا تعرفين ؟
- ولمعت عينها وكأنها وجدت طرف الخيط الذى نبحت عنه ٠
- أمى ٠٠ حقا أنا أكتب وأنشر ؟ ٠٠ أصدفينى الخبر ٠
- وصمنت لحظة وقالت كمن يؤكد الخبر ؟
- طيب عن أى شىء أكتب ؟
- اكتبى مثلا ٠ تحت عنوان مذكرات طالبة ٠
- لا ٠٠ ان الطالبة عالمها محدود ٠٠ أكتب مذكرات فتاة عصرية ٠
- أخشى أن تفسر كلمة عصرية فى بلد محافظ كليبيا نفسيرا غير بسيط ٠

اكتبى مذكرات فتاة فحسب ٠

- أريد أن أوقع كتابى باسم نفرينى ٠٠ ذلك الاسم المصرى الجميل الرقيق الذى يفعل فعل السحر فى أوروبا ٠

لماذا لم يطلقوا على منذ مولدى ، اسم نفرتيتى ؟

وهنا استركت حنان فى الحديث وقالت : لماذا لم تطلقوا على اسم (تاي) أو (مريت) أو نفرتارى ؟ كيف غابت عنكم هذه الأسماء الجميلة المصرية الصميمة ٠

.. ولكننا احترنا ، لكما ، اسمين معبرين جميلين .. حساس ..
فينسان .

.. ولكن نفرتينى - ناي - مريت أبعد مدى .

الى هذا العمق بلغ حبهما لأههما مصر .. مصريتان رواهما النيل
وأمسكت فينان أو نفرتينى كما اختارت لنفسها ، بالقلم وأخذت
نكتب . وفى أقل من ساعة كتبت صغيرتى حلفتين ، صغيرتين بالطبع - من
مذكراتها فى سلاسة ويسر وبلاغ .. وكانت احدهما تحليلاً لكتاب
(يا ابن آدم) للكاتب المهجرى « ميخائيل نعيمة » .
كانت هناك بضعة أخطاء نحوية . وفينسان لا تحب النحو
ولا نستطيعه .

أصلحت لها الأخطاء ولكنى لم أمس التعبير وأسلوب الصياغة لأنها
لا تحتاج شيئاً .

ولاعتبار آخر هو تأكيد بحقتها فى نفسها .

لقد سلمت من تعثر أو تردد أو قلق المحاولة الأولى لقد كتبت
الصغيرة ذات الحادية عشرة فى رسوخ قدم واقتدار .
لك الحمد ياربى .

اليوم ولدت لى أدبية .. أقول لى ؟ ولدت لمصر المنجبة .. هى التى
صنعتها على عينها .. أقلتها وروتها ، ونمتها ، ونفحتها بأكسير عشرات
القرون الحضارية .. ان وراء فينان ألوف السنين من التعمق الحضارى
والحس الحضارى .

ولدت لمصر ، أدبية .

وقد ظهر أول مقال لها فى ١٧/٤/١٩٧٠ فى (جريدة الثورة) وهى
الجريدة الأولى فى ليبيا وفى عدد الجمعة وهو عدد خاص تدخر له المقالات
المتنازة !! مقال فينان فى أعلى الصفحة الأدبية داخل مربع كبير واسمها
داخل مستطيل متشابه كزخرفة بمسقطيل آخر .

ونظرت الى التوقيع المستعار (نفرتينى) وسرحت قليلاً . لقد نممت
كما عرفت لو أنها وقعت باسمها الحقيقى ليراه أستاذها بالمدرسة .. أستاذ
اللغة العربية .. لم تفكر فى القراء الجدد .. كل ما يهمها أستاذ اللغة

العربية بالمدرسه • انها طعنه لاتزال على الرعم من بصجها الباكر ••

عندما رأت فينان الصفحة رعدت عيناها •• كادت تطير من الفرح •
لقد فعلت أنا ، هذا ، قبلها •• وهل هذا قليل ؟ ما أكبر نعمتك يا الهى ••
وبعد قليل وصلت حنان من الكلية وأطلعناها على الصحيفة فتهللت
وكادت تقفز من الفرح والتفتت الى أختها الصغيرة وقالت فى براءة الملائكة
وطيبة القديسين :

— أنا فخور بك •• فخور أن لى أختا أديبة واحتضنتها وقبلتها ••
كم تأسرنا حنان بطيبتها ونفائها وطهر قلبها ••

لم تعرف العيرة النفيديه بين الاخوه فلوب ابنائى •• لم أسمع من
أطفالى يوما ، كلمة « اسمعنى » •• لم ينفس أحدهم على أخيه ، شيئا
مهما كان •

وظل فينان بسب الحادية عشره ، يكسب كل يوم عمودا •
ودات يوم كنت أجلس فى عرفة الأساندة فى الجامعة فادا بهم يتحدثون
متسائلين فى دهشة واعجاب معا : من تكون صاحبة العمود الجديد ؟ ويرد
أحدهم :

— أرجح أن تكون مصرية من نوقيعها •• من يوقع باسم نفرتيتى
غير مصرية ؟

— ويتقافز قلبى من الفرح وأسنبج لنفسى عذرا فى الاسماع بل
استرقاق السمع لأنى لا أريد الاشنراك الصريح فى الحديث حتى لا تنم على
أمومتى •• وجاهدت طويلا ولكنى مالبت أن قلت فى زهو الأمومة :
انها ابنتى •

من الطريف أن الصحيفة كافأها عن كل يوم عشره جنيهات وفرحت
الطفلة بحفنة من نقود نوضع فى يدها دفعة واحدة ولكنى قلت لها ••
احتفظى بهذا المبلاد الثانى •• بهذه الذكرى الغالية طول عمرك ؟
- وكيف يا أمى ؟

— جسميها فى شئ لا يبلى •• اشترى لك بها شيئا ذهبيا حتى ولو لم
تلبسيه بصفة دائمة ولكنه يظل عندك تجسيدها لهذه السعادة •
وقد كان

وأختارت طفلتى عدة لعب ذهبية وحليات نجمتها سلسلة واحدة
لا تزال تحتفظ بها وتعتز بها وأنا أكثر اعتزازا .

ذكريات عن ليبيا

١٩٧٠/٣/٤

اليوم أول يوم دراسى بعد عطلة نصف السنة فى كلية طرابلس
مدرسة فينان وأحمد . وفى الساعة الثانية بعد الظهر عاد ولداى .

قالت فينان وكان أحمد قد دخل حجرته ليتخفف من الكتب التى
زادت عن حقيقته .

— ما أحسن وأجمل خبر يمكن أن تسمعيه وتشتهى أن تسمعيه ؟
قلت لها بلا تردد

— انتقل أحمد الى السنة الرابعة .

— قالت نعم ولكن انتظري لاتظهري فرحتك الآن لنحتفظ له هو
بدور البشير .

وسيطرت بالكاد على فرحتى من أن تنتطلق . ودخل أحمد حجرتى
وزف الى بنفسه النبأ . تهللت وزغردت عيناى وقلبى معا . . لولا الزكام
فى ذلك لعانفته وقبلته كله كله .

لم يبق على انتهاء العام الدراسى غير ابريل ومايو ولكن المدرسة
بنظامها الانجليزى لا تتقيد بالزمن . فالطالب اذا ساءت مستواه ، الفرقه
الأعلى ، نقله اليها . . وقد كان . نقل أحمد الى السنة الرابعة . .

أمنية وحلم لى حتى يستطيع أن يلتحق عند عودتنا الى مصر بالسنة
الخامسة الابتدائية سيرا فى طريقه المرسوم بأذن الله .

لقد كان أحمد عند مجيئنا الى طرابلس منقولا فى مصر من السنة
الثانية الى السنة الثالثة . وفى طرابلس دخل الفرنسييسكان سنة ثالثة .
ولما كانت مدرسة الفرنسييسكان ليس بها فصل رابع ، فقد ألحقناه بكلية
طرابلس . وكان نبوغ فينان فيها قد مهد له الطريق الذى كان ، قبله ،

شائكا . . ولكن كلية طرابلس بالنعرة الانجليزية لا يمكن أن تقبل طالبا محولا من مدرسة أخرى في الفصل نفسه بل لابد أن تنزله فصلا باعتبار التعليم فيها أعلى مستوى ووفقا لنظامها الذي يأخذ بالسن فمن دون التاسعة يدخل سنة ثالثة . وكان أحمد في مستهل العام الدراسي (أكتوبر ١٩٦٩) . دون التاسعة كان على التحديد ثمانى سنوات ونصفا .

لم يكن أمانا الا التقبل فليس في طرابلس مدرسة انجليزية غيرها . ولكنى كنت واثقة في الله أن أحمد سيثبت وجوده وسيفرض نفسه بنفسه .

ومض شهر وشهران وثالث وجاء فبراير الذى يتم أحمد في ٢٦ منه . التاسعة وهنا أخذ الأمل يخيلنى بالحاح . وبدأت أفكر في وسيلة أتوفق بها الى كلية طرابلس لنقل أحمد لاعتزامى العودة الى مصر وحاجتى الى مستند رسمى يشفع له في دخول السنة الخامسة بمدرسة بورسعيد . بالقاهرة .

وبينما أنا فى التفكير اذ ربى فى التدبير كمايقول أهلنا فى الريف وفى أول يوم بعد عطلة نصف السنة يخرج أحمد صباحا فى السنة الثالثة، وعاد الى لفرحتى فى السنة الرابعة . . شكرا لله .

استلم أحمد كتابا جديد كبيره ولكنه لم يتهيبها بل أقبل عليها فى زهو النجاح وحماسة الفرحة بتعرف عليها ويقرأ فيها مستكثما .

١٩٧٠/٤/٩

اليوم « أبيض » فى كتاب أم كلوم وأستعين على العمل بالراديو الى جانبى . أسمعه من آن الى آن من محطات مختلفة . . سمعت من محطة تونس أواخر حفلة حضرها رئيس الوزراء فيها واذا بالسلام القومى عندهم نشيد ! حماة الحمى . . النشيد المصرى ! وبين تونس ومصر ، فى ذلك ، جفوة سياسية ان لم يكن أكثر . . ولكن المنطقة كلها فى الفن وخاصة الموسيقى والغناء وجهتها مصر . . وواجهتها فى ليبيا . السلام القومى نشيد (الله أكبر) .

كنت فى رحلة مع طلبة الجامعة الليبية فاذا غناء الطلبة أناشيد

مصر .. أحيانا يوجهونها الى ليبيا وكثيرا ينشدونها كما هي . ويبتسم
قلبي وهم يقولون فى انساب مع طبيعة الشيد :

– مصر يا أم البلاد ...

انها مصر .

١٩٧٠/٤/٢١

سمعت ممن كانوا بليبيا سنة ١٩٤٧ أن اللغة السائدة فى ذلك
الوقت كانت الايطالية وكانت اللغة العربية تائهة فى زحام اللغات الأجنبية
المتصارعة على الأرض الليبية حتى أنه فى الأيام الممطرة كانت اللافتات التـ
تبعت فى الشوارع تقول :

بى سوى .. لما مبلولة الأرض مالمسه !

أى تمهل فالأرض ملساء من البلل .

بماذا نفسر هذا ؟ هل نقول الاستعمار ؟ نعم الاستعمار .

ولكن مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر تعاني من الاحتلال
الانجليزى وفى سنة ١٩٤٧ . لم تكن قد تخلصت منه ، بعد .. ولكن
اللغة العربية فيها كانت آمنة قوية ، لها كتاب وكتب ودواوين وأسفار .

لقد حفظت مصر اللغة العربية على مسيرة التاريخ وسير الأحداث
بل هى التى أنقذتها من الضياع والهوان .. واضطلع أزهرها بهذا الدور
الخطير وحده .

ان اللغة مقوم من مقومات الأمة . والدين مقوم من مقوماتها ..
وحفظ مصر لهندين ، دور حضارى بعيد المدى .

وهذا دور مصر على مسرح التاريخ والأحداث ولم تختف الأضواء عن
قسماتها أبدا .

زيارة

زارنا الصديق الأديب الليبى الأستاذ / مصطفى على المصراتى .
ووجدناها مناسبة ، أسأله عن حقيقة تاريخية تضاربت فيها الأقوال وهى
قصة الشهيد « عمر المختار » مع الإطاليين هل شنقوه ؟ أم ألغوا به من

شاهق بعد أن أركبوه طائرة وهي القول السائد حتى قال به شوقي في قصيدته التي رثى بها عمر المختار وقال به المغفور له الأستاذ / البشري في قطوفه أو في رسالته الساخرة الى جرازياتي .

وقال الأستاذ / المصراتي :

— قصة الطائرة أشاعها وأذاعها الوطنيون للثائرة السياسية لاثارة شعور الانسان العربى والانسان فى كل مكان ضد الايطاليين المستعمرين . ولكن الذى حدث أنهم حاكموه محاكمة صورية سريعة ثم أودعوه السجن يوما وليلة اجتمع به أثناءها جرازياتي على انفراد ولوح له بالوعد والوعيد فلم يشنه عن عزمه ويقول الأستاذ المصراتي محقا .

— هذه هي البطولة والخلود . . لقد كان وحده لايسمعه أحد ولا يحرسه شهود مواطنون له . . فلم يستعطف ولم يساوم ولم يتزحزح شعره عن موقفه . . وان حواره مع جرازياتي ليكتب بمهاد من نور ليضى طريق الأجيال القادمة وطريق الحرية فى كل مكان .

ولكن جرازياتي لم يحترم ترفعه ولم يحترم صموده وشجاعته ولم يحترم شيخوخة ذات التسعين عاما . . ولو كان عنده ، لا أقول خلق ، بل حس سياسى لفعل . . ولو تظاهرا بالعفو والرحمة .

ولكن جرازياتي أمر بشنق عمر المختار وشنق على الفور ولكنه لم يمت روحا ومعنى ولم تمت المقاومة بل مات الاستعمار الايطالى ولحق به الاستعمار الانجليزى والأمريكى وخرجت ايطاليا من ليبيا وتفوضت القواعد فى طرابلس .

١٩٧٠/٤/٢٣

دعانا شاعر ليبي (الأستاذ على صدقي عبد القادر) الى حفل زفاف ابنه أو دعنا السيد حرمه فقد وجهت الدعوة فى بطاقة الدعوة باسمها . وذهبنا الى فندق ليبيا بلاسى حيث مكان الاحتفال . . كان من الواضح أن الحفلة خاصة بالسيدات . ذهبنا فى الموعد استقبلتنا أم العروس هاهي سيدة فى وجهها سماحة وطيبة وحولها أو جالسات على مقربة منها كوكبة من السيدات يبدو أنهن أقارب الأسرة .

كتمنا دهشتنا عندما وجدنا السيدات مغطيات بالذهب تلبس كل واحدة منهن كردانا من عشرين دورا يلى رقبتها ويصل حتى أسفل البطن ويمتد عرضا من الجانب الأيمن الى الجانب الأيسر . كل هذا ذهب فى ذهب وعلى رأس كل منهن عصابة عريضة من الذهب والأذرع مغطاة بالذهب اذ تلاصقت الأساور والتحمت على أذرعهن . وفى كل أصبع خاتم أى فى كل يد خمسة خواتم . كبق تطبيق كل منهن حمل هذا كله لا أدري . هل هو التحدث بنعمة الله وإعلان الغنى ولكن الغنى قد يستعلن فى حجر كريم فريد . وانتظرنا بشوق وصول العروس لنرى الزفة على الطريقة الليبية .

ووصلت العروس ودخلت كأنها احدى المدعوات لولا ثوبها الأبيض الجميل وطرحتها البيضاء وكان يصحبها الى المكان أخوها الصغير . هو فقط الذى سمح له بالدخول لصغر سنه . فبيت الحريم يحرم على الرجال الدخول ولو كان العريس الذى لا يكمل معنى الفرح والزفة الا به . عند العروس على الأقل .

وحاولت بعض الحاضرات أن يزغردن ولكن الزغاريد كانت مقطوعة لاتطرب ولا جلجلة فيها كأنها صيحات أطفال .

ونظرت الى حنان وفينان وقالت عيناها الكثير . وفهمت ما قالت العيون . أين الزفة المصرية بحلاها ورواها ؟ أين جلجلة الفرح والزغاريد الحلوة الرنانة . أين الشموع ؟ أين كل الذى يعطى الفرح اسمه وجماله ؟

ليس نقدا لفرح أحتفى بنا أصحابه ولكنه توارد خواطر يدفع نفسه دون أن يحجب عنا جمال العروس . والعروس فى الفرح بهجته .

تونس

تونس

ذهبنا اليها بالباخرة من طرابلس - ليبيا . كانت الاولى التى يسافر الاولاد فيها فما كدنا نصعد ظهر الباخرة حتى بدأت حركة - الاسكتشاف من الفرسان الثلاثة لمسوا المكان يعيونهم وايديهم معا .

بدأ ميناء سوسة التونسي يبدو للعين . . وشيئا فشيئا تقترب المباني وتكبر أى تقترب الباخرة من الشواطئ . وأعلنت الباخرة عن رحلة الى القيروان فكنا أسرع الركاب الى الاشتراك فيها .

ركبنا السيارة من ميناء سوسة وقطعنا بها ستين كيلو مترا لنصل الى المدينة القيروان وهى من المدن الدينية المشهورة .

وفى القيروان رأينا متحف السجاد ، وجامع أبى زمعه البلوى الذى استشهد فى فتح مصر أى الحرب مع الرومان فى مصر وزرنا ضريحه . . وقرأنا له الفاتحه .

من الطريف أن أعضاء الرحلة من الأجانب خلعوا تعاليم مثلنا وتهيأوا لدخول الضريح كما فعلنا ولكن القائمين عليه من التونسيين منعوهم . . . وظهر على بعضهم شوق الدخول والاستطلاع كل ممنوع متبوع . وزرنا سوق للمدينة وهو لمحة من خان الخليلى من حيث المعروضات مع فاروق الكيف والحجم .

وأجمل وأجل ما رأينا فى مدينة القيروان مسجدها الكبير . . مسجد القيروان أى مسجد عقبة بن نافع العائد الذى اقترن بشمال أفريقيا . وأحسست أن التاريخ زار هذا المكان ومكث فيه شهورا وأعواما بعد أن لبث فى مصر ألولا من السنين شهد فيها تشييد الأهرام ونحت « أبو الهول » ونقش المعابد والمسلات ، ورفع المآذبه والقباب أيضا .

وتونس شوارعها نظيفة ولغتها الدارجة كمثلتها فى ليبيا . والمرأة التونسية ترندى الفرائسية أى الملاءمة البيضاء كالمرأة الليبية غير أنها تطل منها بعينيها الاثنتين حين تكتفى اللببية بعين وتحجب الأخرى .

وفى تونس ظاهرة سرتنا فمع ما بين السياسة فى مصر وتونس فى عام ١٩٦٩ فان التونسيين كانوا ما يكادون يحسون أننا مصريون حتى تتهلل وجوههم ويرحبون بنا حتى النساء العاملات فى متحف السجاد رحبن بنا ترحيبا كريما . . وكل واحدة تتسابق فى الرد على اسئلتنا حول صناعة السجاد ، فى اسهاب ، لونا من التحية ، أيضا .

وفى السوق وقفنا بمكتبة صاحبها أستاذ سابق فما كاد يتعرف علينا حتى سالنا فى لهفة عن الحالة فى القنسة . . وطمانناه بملء المنسا المتوارى وأملنا الآمل فأخذ يؤمن ويدعو الله .

عدنا الى الباخرة . كان البحر هادئا نقشت صفتحه نقشا هندسيا فقد كانت مربعات صغيرة بين خطوط متوازية ومتقاطعة . . وقبيل الغروب رأينا لأول مرة فى الرحلة طيورا تحوم فوق الماء . وهى علامة قربنا من الأرض . وهى علامة صادقة فبعد ساعتين رأينا على بعد عند التقاء السماء بالماء جبال تلفها غلالة شفاقة من السحاب الأبيض لم يلبث الأصيل أن أضاء فيها ألوان الشفق . . هذه الألوان التى سكبها فى سخاء على وجه البحر فتورد . وتفضضت أطراف الموج فى ناحية وتذهب فى ناحية أخرى وكان الموجات فى مباراة مع حسناوات الباخرة . . فقد وجه الينا القبطان اليوم دعوة للعشاء توديعا للركاب فارتدت كل سيدة أجمل أثوابها لكان البحر فى حفلة هو الآخر أقامها له الأصيل الجميل .

وجرت مسابقة لأجمل ثوب . . لأفكر فى دخول مسابقات أزياء بالطبع ولكنهم أعطوا كل ثوب رقما . فى السفر أحرص وأولادى على ارتداء كل ماهو مصرى وفى العشاء الباخرة كنت ارتدى ثوبا من أثواب خان الخليلي وشتته أتأمل مصرية مدربة على النمنمة والتفويف . . وما ان خرجت به من باب حجرتى حتى كثر التفات السيدات الاجنبيات من حولى .

وزعت الأرقام على الراكبين أو اللابسين وقيدت الأرقام وأمام كل رقم اسم الذى وجاء دورى وسجلت أمام رقمى وكان رقم (٥) اسم الزى لأن لجنة التحكيم ، أجنبية .

وبدأت الحفلة وأعلنت لجنة التحكيم وكان قد خرجت للمداولة ، ثم عادت ، النتيجة وكان الفائز بالجائزة الأولى ثوب (مصر) . . ثوبى

الندلة مضر وحدة فيه غمر كانت الجائزة شئنة جميلة مصنوعة في
اليونان .

انها ذكرى لطيفة واستهلال طريف للرحلة .

وانتهت الحفلتان حفلة الباخرة وحفلة البحر الذي بدأ في منتصف
الليل رهيباً لا يبدد رهيبته الا أنوار متناثرة . بدأت تظهر من بعيد .
ونور منارة يومض على البعد .

لقد شارفت الرحلة نهاية مسيرتها .

طیبہ

فى مصر

رحلة المجد .. رحلة الأقصى

١٩٧٤/٩/٢

نحرك القطار فى تمام الساعة مساء .. غادر القاهرة فى طريقه الى الصعيد ديار المجد وديار الوجد .. وكلما أوغل فى سيرة ، أسدل الليل أستاره فلم تعد الرؤية متميزة .. الوادى فى غيبة الشمس متشابه فخلدنا الى السكون ولكننى نحو العاشرة ، دون أن أنظر الى ساعتى فى حينها خرجت من غرفتى بالقطار الى الممر الضيق لعلى أرى (مغاغة) بلدتى الأولى .. وما هى الا دقائق حتى لمحت اللافتة العريضة تؤكد أن احساسى كان صادقا .. انها (مغاغة) مر بها القطار مسرعا كأنه طيف أو كأنها حلم .. ومع هذا رأيتها .. القديم الذى بيننا أخصب اللحظات .. رأيتها المحطة هى هى لم يتغير فيها شئ .. الشجرة نفسها واقفة لم تمل وقففتها تلك كأنها تنتظر المجهول .. يراها الشوق فهى نحيلة .. المحطة هى هى .. حجرة الناظر بطلانها القديم .. البوابة التى كنت انتظر عندها طفلة مرور القطار لتفتح حتى أعبرها فى طريقى الى المدرسة التى تقع على الجانب الآخر .. البوابة هذه المرة تنتظر مرورى أنا لتفتح ويعبرها أطفال آخرون فى سن أولادى .. انه موكب الأجيال .

ورأى أطفالى انفعالاتى الصامتة وجامننى البنات بالتمنى .. لو أن القطار وقف على مغاغة ! ولكن أحمد الصغير غلبته النكتة المصرية فقال : يبدو أن السائق حماته من مغاغة لهذا ولّى مسرعا كمن يهرب بجملده .. ماذا يعرف الصغير بعد عن (الحماة) ! ولكن اسرافنا فى التندر منها ، اعداء .. مسكينة .

القطار يتجه الآن الى محطة أسيوط ومن نافذة القطار تتابعت أمامى المناظر القليلة ، بيوت متواضعة تسف التراب أو أكواخ الطين لم يكن شامخا فى كبرياء الا النخيل والنيل .. وكان الجبل يدنو من القطار

فيحجب عني المشاهد ثم يفسح له فأعود من جديد أتطلع الى المنظر المكرر
ولكنني لا أمله بل أتملاه وأجمعه في قلبي فعلى هذه الأرض ولدت ، كما
ولدت من قبل عليها ، حضارة الاسان .

لا نزال في الليل الذي تولى عن الجبل حجب البلاد والأشياء حجباً
كاملاً اختفت تماماً الاشباح التي كانت تجوس خلال النهار أقصد الاجسام
النحيلة الهزيلة التي تدب أقدامها على الأرض من تحت أسماها ٠٠ أين
أضواء المساء ؟ أين أفراحه ؟ أين البيوت وثريرات الكهرباء ؟ لماذا
قل نفسيب الصعيد من النور وهو الذي أرسل النور علوما وفنونا وفكرا
وحكمة ؟ أكواخ الطين ضاعت معالمها لو صح أن لها معالم . وغرقت في
الظلام والصمت حزينة كاسفة نراءى منها على البعد أضواء شاحبة
عليلة تنبعث من لمبات الصفيح التي يسمونها هناك (لمبة صاروخ) من
باب السخرية فيما أظن ٠٠ فالذي يستعمل هذه الوسيلة الكثيبة البدائية
لا يعيش في عصر الصاروخ أو حتى الحمار .

ولفني الصمت أنا الأخرى ولكنه صمت يدوي في داخلي ٠٠ حتى
أسيوط تجرعت قراها المرارة وهانت على أصحابها وعلى الحياة الكريمة
الخليقة بالانسان !؟

ومر أمامي شريط طوله عشرون عاما ووزنه ملايين الجنيهات ٠٠
ألف ضاعت في الصحراوات والعداوات والصدقات والخزعات من كل
نوع ٠٠

وعيني على قرى أسيوط ، تذكرت بيروت التي رأيته مرتين : مرة
سنة ١٩٦٠ وكانت فيها لا تزيد عن شارع كلوت بك في القاهرة ومرة
سنة ١٩٧٣ وهي فيها حافلة بالمتاجر والمنازل والشوارع الحمراء
والصفراء !!

لهفى على أسيوط أفزعها الخعل ٠٠ وغيرها أترعها السهر وموسيقى
البجاز ٠٠

لهفتى على المنيا وأسيوط روعهما السيل وغيرها أترعه الخير
أنفقت مصر أو أهدرت في غفلة من الزمن والعقل ٠٠ وفي غفلة أكبر منا
نحن المنكوبين .

ولم أكد أسنقر في القاهرة بعد الرحلة حتى نالت أنباء الطوفان
الذي جرف تبرى المنيا وأسيوط معا لانها هشة لم يدعمها المال ، أو

العقل ، أو العدل ، أو حب الأوطان ولو على القدر المغروس في قلبه
الحيوان والطير حين يعشعش على صغاره لا أفراخ الآخرين .

قرى مهلهلة كضمير مأفون ، منخوبة كتفكير مجنون ، مكروبة
كقلب محزون ، محروبة كصحراء أضناها الظمأ وهي صاحبة النيل
والقنال والمال والأمر أو هكذا كان المفروض ..

لا وقت للتحسر .

من أجل كرامة الحاضر ..

ومن أجل قدسية الماضي .

ومن أجل الانسان المصرى فى الضفة الشرقية من النيل هذه المرة .

ردوا على الصعيد الحياة حقوقا واجبة الاداء لا امانات ولا مساعدات .

أعيدوا بناء الصعيد فقد بنى مدننا فى الحاضر وتاريخنا فى الماضى .

انه مصر فأبناؤه من أولئك الذين يزرعون ويصنعون ويبشرون
ويدفعون الضرائب ويدافعون عن الوطن فى الحرب ، ويصنعون الكلمة
فى السلم ويشكلون الحجر ويبعثون الوتر أنغاماً فتحلوا الحياة بهم ولكن
فى عين الآخرين ..

الأقصر :

وصلها القطار قبيل السادسة .. كانت المدينة نائمة لم تستيقظ
فيها الا المحطة .. وحتى هذه كانت هادئة فلا أصوات صاخبة ولا حركات
عالية أو لاهثة .. حتى الحمال تقدم فى هدوء وتناول الحقائق عند
نزولنا من القطار ووضعها على الرصيف ثم وقف ساكنا وكأنها مساعدة
مجردة .. فطلبنا نحن منه أن يصحبنا الى خارج المحطة حيث الحناطير
ينتظمها صف طويل .. وهنا أيضا لم يلح أحد ولم يفرض نفسه ..
نحن الذين تقدمنا الى أقرب حنطور .. يبدو أن وقار التاريخ فى المدينة
العريقة أعدى كل شيء بالترفع والتعفف ..

وصلنا الى الباخرة ايزيس الراسية على الشاطئ .. من الشرفات
وعلى السطح .. كل شيء فيها يمنح اطلاله على النيل .. انه ملك ..

ملك الملوك فالشاطيء الغربى الممتد أمامنا ٠٠ حرم ٠٠ ومثوى لسيئى
الأول وتوت عنخ آمون والملكة تيتى ورجال دولتهم ٠

النيل ساكن الصفحة ٠٠ مويجاته ، لولا النهار لقلت انها تسرى
٠٠ الشاطيء الغربى أخضر ٠٠ الزرع فيه يعلو مدرجات متقاربة والجبل
وراءه ٠٠ الكل تلفه غلالة شفافة من ضباب الصباح ٠٠ البدر ما زال فى
المساء ينتظر طلوع الشمس ليغيب هو ٠٠

مياه النيل بدأت تأخذ لونا ورديا فاتحا ٠٠ انها طلائع الشعاع
٠٠ حتى الثرى لونه الاضواء الوردية فتشربت سمرته بحمرة جذابة ٠٠
وبدأ الجبل ينضو عنه غلاظه فلم يعد جبلا واحدا كما يبدو للعين بل
تلالا متتابعة فيها قمم صغيرة وتجاويف وأخاديد وغضون ينسال عليها
الرمل والشعاع فيلمع جانب ويدكن جانب ثان ٠٠ ويؤكد الاخضر على
الشاطيء ، الاصفر وراءه ٠٠ وكلما صعدت الشمس فى مرقاها الى
السماء ، تبدى المنظر أكثر وازدادت ابتسامته اتساعا ٠٠

بلغت الساعة السابعة فانبعثت من « ايزيس » موسيقى جميلة
ناعمة ٠٠ انها بلغتها تقوم « صباح الخير » ٠

بدأ اليوم وأخذ النشاط يدب فى الباخرة ٠٠ وفى الطبيعة أيضا
٠٠ النيل موجاته الوسنانه بعد سهر الوهانة بعد سفر بدأت تصحو
وتتقافز فى سرعة الموجة تجرى وراء الموجة عايزة تطولها ٠٠ اللنشات
الصغيرة بدأت تعبر أمامنا الى الشاطيء الغربى مخلفة فى النهر طرقا كأنها
أصبعا نحيلة خطت فى عسل أبيض سرعان ما يلتحم ويبدو العسل كلا
واحدا ٠٠ هكذا النيل مع القوارب التى تمخر فيه ٠٠ ولأمر ما رمزنا
الى الوجه القبلى (بالنحلة) ٠

أرى أمامى لنشا صغيرا يقبع فى حضن الشاطيء الغربى وقد تعلق
به فى حب كما يتعلق طفل بصدر أمه ٠٠

حتى القوارب تحب النيل ٠٠ تعشقه ٠

حقيقة ان النيل يصحب مصر من أسوان حتى يصل بها ومعها الى
شاطيء البحر الأبيض بل أن النيل يمتد لا الى جنوب مصر وحدها بل
جنوب السودان ٠٠ وقد يتصور انسان أن بوسعه أن يراه فى كل مكان
وفى أى وقت على امتداد هذه المسافة ولكن لا ٠٠ ان النيل من الحضور

وغنى الشخصية بحيث يبدو جديدا وفريدا فى كل مكان فهو فى الاقصر
غيره فى القاهرة أو أسوان .. هنا فى الاقصر النيل والضفة الغربية
الخضراء بنخيلها والتلال وراءها والسماء وراء التلال وفوقها ..
« تركيبة » خاصة بالاقصر .. ثم الهدوء الذى يملئ للنفس ، ويخل بينك
وبين هذه الجنة .. لعلهم ، لهذا ، اختاروا أن يودعوا الراحلين ، الضفة
الغربية كمن يفتح لهم باب الخلد ..

فى الاقصر وفى (ايزيس) انت والنيل والسماء والصفاف فى
صحبة .. أنت هنا لحن فى السيمفونية الرائعة بضعة من هذا المنظر
الرائع لا يحول بينك وبينه حائل من بعد أو عمل .. عملك هو أن تقرأه
وتغوص فيه .. تصبره ويصيرك .. هنا الكل فى واحد ..

وهذا المنظر من الغنى والوفرة بحيث يشدو فى كل جزء من النهار
جديدا مع توزيع الضوء وتركيزه هنا أو هناك .

ايزيس :

كم أنا سعيدة بها .. لقد راقنى الكثير من لفئات السياحة فى
الخارج . ومع كثرة ما رأيت تعطينى ايزيس « جديدا » الحمد لله .

فى السابعة صباحا انبعثت منها موسيقى ناعمة مسعدة هى تحية
للمصباح ودعوة للافطار .. من يريد . قائمة الطعام كتب عليها « صباح
الحير » . طعام الافطار كان سخيا متنوعا يلبي سائر الرغبات .. الخدمة
مة دمة .. وتذكرت فى بلد المجد « الاقصر » اننى فى رحاب الحضارة
يعة التى بلغ من رقتها وانسانيتها أنها كانت تسمى الخادم :
المجيب » .

الحجرات أجمل ما رأيت فى بواخر حتى الآن وقد ركبت بواخر
شتى من جنسيات مختلفة وعلى أعلى المستويات .. ولكن الحجرات فى
ايزيس أغلى وثارة وأنعم .. الحجرة مزودة بكل ما يتمناه انسان وكأنها
شقة صغيرة فاخرة . وتزيد ايزيس عن البواخر التى ركبتها بما فيها
« اسبريا » أزرار الموسيقى حتى لتستطيع أن تتنفس الموسيقى بها تنام
وعليها تصحو .. موسيقى جميلة هادئة كأنها خلفية للوحة التى تعيش
فيها كأحد خطوطها ..

الاقصر حبيبتى .. حزن كبير دافئ يللم حتى غربة الغرباء فما

مالك بأصحابه .. بأبنائه .. هنا يتوضأ الاحساس ليصلى القلب وتتبدل
الروح التى علتها شوائب كثيرة من صراعات الكفاح فى الحياة .

النوافذ فى ايزيس ليست (قمرات) صغيرة وكأنها عيون نظارات
ولكنها بانوراما .. اطار كبير واسع للوحة رائعة . الستارة على نافذة
كابينتى جميلة الالوان كقراصة تستحم فى الضوء ولكنها غريمتى .. اذ
لا أريدها .. لا أريد ذلك الجمال الذى يحجب عنى جمال النيل والنخيل
والأقصر وقلت بغير حروف مع شاعرنا الجارم :

خلوا السجوف تذع مجلى محياها

وتنشر المسك من أنفاس رياها

من يملأ كوبى بها لاشربها وأغدو كونا وكيانا نفيسا كما شربت
كليوباترة أؤمن جوهره بعد أن أذابتها فى كأسها فيما تعكى عنها الروايات
أو الخيالات .

الأخضر أمامى فيما يبدو لى نصف دائرة .. ونحن فى وسط هذه
الدائرة نقطة ولكنها ليست نقطة المركز كما يشاء غرور الانسان أن
يصور نفسه .

الساعة الثانية عشرة .. الجبل متربع فى الضوء فى هيئة رابضة
كصدر أبى الهول .. انه حس الربضة والنبضة والاستشراق .

فى وضوح النهار اتضح شئ جديد فى الجبل .. فى جانبه تجويف
قائم كسور حصن وكأنه بنى بناء مرسوما ..

متعة أن تتلمى النيل بمراكبه ومواكبه .. مراكب الشراع ..
ومواكب الشعاع ..

بين الأقصر ومرسى مطروح

فى هذه اللحظة ملأ عيني ، الأقصر ، وملأ ذاكرتى ، مرسى مطروح
التى غادرتها منذ أيام .. تذكرت فى حضرة النيل وطيبة ، البحر فى
(مطروح) و (عجببة) .

لأن الطريق إليها سلسا ربع الساعة الأولى فى سيارة جيش ذات
السقف المتماش والمقاعد الطويلة المتقابلة .

ولكن سلاسة الطريق واستواءه ، فترة قصيرة أوعر بعدها وأوغل
فى الوعورة حتى كانت السيارة اللورى الغليظة (لعبة فى يديه)
يرفعها فيرتفع تبعا لهذا صياح من فيها أو ينخفض دون أن يهدأ ..

وأخيرا وصلنا بعد ساعة مرت كأنها ساعات .. وما كدت نراها ،
« عجيبة » ، حتى نسينا الطريق بوعورته وعذابه ودخلنا فى عالمها
المسحور .. وكأننا الشاطر حسن الذى يتحدى الصعاب فى أساطيرنا
الشعبية ليفوز فى النهاية يست الحسن والجمال ..

كانت فى عيني وعيون كل من رأوها ست الحسن والجمال ..
رقية أنيقة .. كأنها من نفسها تسكن قصرا يعدون له البحار السبعة
وان كنت لا أدرى سر اصرار أساطيرنا على العدد « ٧ » . لعله المقابل فى
نظرها للسموات السبع الواردة فى كتبنا المقدسة .

أن يكون الصخر شفافا رفافا .. عجيبة .

وأن يكون الصخر منقوشا منمنما كالدانتلا ، بحساب دقيق أو
هكذا يبدو للعين ، « عجيبة » .

وأن يكون الصخر ملونا بالضياء .. عجيبة ..

وأن يكون البحر والصخر والسماء فى اجتماع مغلق ، عجيبة .
نغمة عالية « عجيبة » فى لحن رائع يصل بها الى قمة .. ويلفنا
الصمت .

ويتهل النغم فى حنان وروعة .

ويشف الانسان كالمكان .

ولكنه يظل صغيرا حيث يتسع الفضاء ويتراعى البحر .. هنا
يغدو الانسان نقطة فى محيط .. هذه حقيقته ..

ومن الغريب أن هذه الحقيقة تغيب فى المدينة .. تغيب عنها ،
وتغيب فيها .

فيصطنع الكبر ويمشى مرحا .. وكأنه يخرق الأرض أو يبلغ
الجبال طولا .. ولعل القرآن اختار (بعد) الطول فى المقارنة ليكشف
عن مدى ضعف الانسان فالانسان من الجبل فى قياس الحجم ذرة .

فما بالك بالمقارنة في الأبعاد الأخرى كالشبت والرسوخ والعمر
الزمني ومقاومة الأيام ؟ فالجبل لا يمرض ولا يهرم ولا يشيخ ولا يهدده
شبح الموت ..

وبعد هذا ومع هذا يتكبر الانسان ..

ليته يتذكر في هذه اللحظة « عجيبة » التي طغنا بها ..

انها للعيون صلاة ..

وعدنا الى مطروح والجمال فيها يروع ويأسر ولكن « عجيبة »
لا تنسى فجمالها له طابع متفرد وفريد .. وفي طريق العودة عرجنا
على « الابيض » .. حيث يجود البحر بنحو كيلو متر مربع من الصفاء
واللازور دالشفاف ..

حيث ينعم البحر بالأمان والسلام فلا يخشاه حتى قليل السباحة ..
انه كالأستاذ الكبير يحنو على الضعيف ويبارك القوى والكل منه
في حمى أمين ..

وكانت أشدنا شعورا بالجمال في « عجيبة » والابيض ومطروح ،
فتاة ألمانية تنزل ضيفة على أسرة مصرية صديقة .. تقول الفتاة انها
لفت العالم ورأت شواطئه .. الكثير منها ولكنها لم تر في حياتها
كشواطئنا ..

كم هي جميلة مصر لو وجدت من يجلو جمالها ويصون نعمته ..
جمال في الشمال خلفته منذ قليل عند البحر ..

وجمال في الجنوب أسعى اليه في رحاب النيل .. في رحاب
طيبة أقدم واغنى مدينة أثرية فيما يعلم العلم حتى الآن ..

في الأقصر .. زرنا معبد الكرنك من آثار الدولة الحديثة وهو
يجمع معبد آمون وبتاح ومننتو .. يمر الداخل الى معبد الكرنك بين صفين
من تماثيل .. طريق الكباش وكأنها الحرس .. ويتكرر هذا في
الداخل ان المكان يسيطر عليه روح البلاط ..

وفي القديم كان هذا المعبد بالتشريفاتية أقصد طرق الكباش ،
يمتد من شاطئ النيل غير أن الجزء الممتد من النيل الى بداية المعبد
الحالي هدم أو تهدم ..

أعمدة الكرنك تصعد الى السماء وتمعن فى الصعود. . .

غابة من الحجر تتخللها السماء المصرية لتحدد خطوطها أكثر وتلون جوانبها بالظل والشعاع . .

مسلتا رع كأنهما صلاتان ترفعهما الأرض الى السماء .

تمثال توت عنخ آمون بصباء الباكر . . عيناه لا تزالان تشعان أو هكذا تبدو العينان . .

وأكبر من هذا كله وأقيم معانى الطهارة والتجويد والصبر ففى المعبد المصرى البحيرة المقدسة التى ترمز الى انبثاق الحياة من الماء للتطهير والاعتسال الشامل لا الأطراف فقط . . غسل الجسم وغسل القلب ليملاؤه طموحا .

وفى المعبد المصرى زجاجات العطور من رفة الحضارة وكم من بلاد ، فى المقابل ، فى ذلك الوقت حتى فى أوربا ، كانت تهيم فى الادغال والظلام . .

وفى المعبد المصرى ، البهو المفتوح حتى لا يدخل بهو الأعمدة المفضى الى قدس الأقداس ، عامة الناس خوفا أن يكون بينهم من لم يفتسل أو من أكل بصلا . .

فى المعبد المصرى الاحتفال بالميلاد والاحتفال بتجديد الحياة .

فى المعبد المصرى حجرة الرصد . . لقد نظروا الى السماء كيف رفعت ، ونظروا نظرة فى النجوم من غير سقم واهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر .

وفى المعبد المصرى مقياس للنيل . .

وفى المعبد المصرى التكامل والتطابق المثل فى رسم العين فى بروفيل الوجه كاملة والصدر كاملا حتى يحيا صاحبها كاملا فى العالم الآخر . . ولهذا حين يرسم المصرى عدوه يرسمه ناقصا مبتورا ليحرمه الخلود . . من غير سباب وألفاظ عارية . . حتى الهجاء ريشة وفكرة .

كان المعبد المصرى للالهة والملوك ولكنه يسجل الحياة اليومية المصرية لأصحابها ولشعبهم . . حتى الألعاب الشعبية التى تعرفها الأزقة والحارات مسجلة عليه .

هنا التاريخ بلا حدود .. التاريخ يغلف المكان بنفاسة القدم ..
انه مذاق خاص لا تعرفه بلاد كثيرة أكثر منا مالا ولكنها تعرف ان مال
الدنيا لا يشتري العراقة ..

هنا أحداث التاريخ المجسمة تملأ المكان .. وكان الكثرة أوثرتنا
الزهد في النفائس فتركناها على الأرض وهي السنون والماضي والذكرى
والكفاح الطويل والمرير .. وهي الفن والحضارة .. ولو ظفر متحف الموفر
أو لنمن مرة أخرى بحجر من الأحجار الملقاة على الأرض بلا حساب ،
لحوطه بالزجاج وشده به انتباه المشاهدين ..

لقد رأيت طريق كباش آخر خارج المعبد في أحد شوارع الأقصر
وعلى جانبيه البيوت .. ماذا كان مكان هذه البيوت ؟ حتى الماعز رأيتها
نعلو الأحجار الأثرية ؟

ويستغل هذا باعة الآثار المقلدة بايهام الأجانب انها اصيلة وتأكيدها
لهذا يلفونها ويتظاهرون ببيعها في الخفاء .. !! ماذا يعني هذا ؟ كذب
ساذج أو صدق رخيص فالذي يبيع تاريخه انما يبيع وطنه ونفسه ..

منذ لمحات كان على باب المعبد رجل عجوز ينفخ في الناي وانبعث
الشجي وكأن التاريخ هو الذي يمسك الناي الحزين

المعبد والمسجد

معبد الأقصر :

وهو معبد آخر لآمون وزوجته موت وابنه خنسو .. ثالث
آخر بعد أوزيريس وايزيس وحورس ..

وفي المعبد تمثال لرمسيس الثاني وشاعره بنتاؤر الذي سجل
انتصاراته على أعمدة معبد آمون .. كم سجل الشعر والشاعر ..

وفي معبد آمون مسلة لرمسيس هي أخت لمسلّة الكونكورد بل أعلى
قامة .. لعل محمد على لم يلحظ هذا الفرق حين أهدي المسلة الى فيليب
ملك فرنسا ..

وفى معبد آمون تعانق البردى واللوتس. رمز اتحاد الشمال والجنوب .

لقد رمزوا أيضا الى مصر العليا بالنحلة .

ورمزوا الى مصر السفلى بنبات السوت والرمزان متعانقان .

كل شئ فى مصر دافئ حتى الريح .

لقد حاول البطالة أن يضيفوا الى معبد آمون فتقامات الأعمدة كأنها خدوم للأعمدة الكبيرة .

وفى معبد الأقصر ، مسجد « أبو الحجاج » ، ولأمر ما شيد مقام لأبى الحجاج ومسجده على ركن من فناء معبد الأقصر أو طيبة .

وكانت (طيبة) تحتفل بعيد الاله آمون السنوى حيث كانت تخرج السفن من المعبد ، وهى تحمل تماثيل الاله المقدسة ، ورموزه الخفية ، فتجري فى مياه البحيرة المقدسة يحيط بها كهنة الاله ، وحملة المشاعل والبخور وهم ينشدون أغانيهم . ويرأس المهرجان الملك كما يقول الأستاذ محرم كمال . وكان ملك مصر يصاحب الاله آمون وزوجته موت وابنتها خنسو فى رحلتهم على النيل . والشعب من حولهم قد امتلأ حماسا وحمية يتهلل فرحا . والنبلاء يعتلون عرباتهم والجنود تتتابع صفوفهم وتتوالى ، والاعلام والبنود عسكرية ودينية ، ترتفع وتتماوج على حين يرقص الزنوج فيصدر عن النواقيس الصغيرة المعلقة الى رقابهم رنين جلجلة خفيفة . ويزيد المنظر عجبا ما يقوم به المهرجون واللاعبون من حركات القفز والنط متفقة ومنسجمة مع أصوات الجلاجل المقدسة التى تحركها الكاهنات فى أيديهن .

وهكذا يتحرك الموكب بطيئا متمهلا يغمره فيض من البهجة والسرور حتى يصل الى ضواحي معبد الأقصر ثم تشق القوارب الصغيرة المقدسة طريقها داخل المعبد فتقدم لها القرايين العظيمة . ويدخل الملك الى الهيكل فيطلق البخور .

ثم يعود الموكب بنظامه السابق فى طريق العودة الى أن يصل الكرنك .

وقد سجل معبد الأقصر هذا كله على جدرانها بالرسوم والنقوش .

ومن يراها اليوم ثم يشاهد مهرجان أبى الحجاج لا يعز عليه أن يلمح التشابه العجيب بين المهرجانيين جملة وتفصيلا .

وليس الغريب كما يقول الأستاذ محرم كمال هو وجود مسجد لسيدى يوسف أبى الحجاج بالأقصر ولكن الغريب أن يبنى هذا المسجد على ركن عال من معبد الاله آمون بالأقصر . وأن يضم هذا المسجد الى أجزائه ساحة يوضع فيها قارب أبى الحجاج أو سفينته ، وأن يكون حلول سيدى أبى الحجاج بمعبد آمون الذى انتزعه منه قد جعله خليفة له يرت عنه ما له من صفات وما اشتهر به من مناقب وما عليه من واجبات ، وما له من حقوق وعادات . وكما كان الاله آمون فى زمن الفراعنة يخرج فى احتفال مهيب من معبده مرة فى العام فى سفينته المقدسة يطوف أرجاء مدينته التى يتولاها بحمايته ورعايته ، فان « سيدى أبى الحجاج » يخرج هو أيضا مرة فى كل عام فى اليوم الرابع عشر من شهر شعبان المكرم فيطوف فى مدينته المحبوبة (الأقصر) فى احتفال يتضمن أكبر عيد محلى يقام فى هذه البلدة . ليطوف مهرجان أبى الحجاج يحمل السمات نفسها القديمة . . المظاهر نفسها . . الطابع نفسه . . المكان نفسه . . التفاصيل نفسها .

فاذا حل المركب أخرج القارب « ذا الألوان » ثم وضع على عربة ذات أربع عجلات . . وقد غطى هذا كله بقماش ملون هو الذى كان يغطى مقبرة أبى الحجاج أما الأقمشة التى تغطى المقابر الخمس الباقية فانها تفرش على ظهور خمسة جمال تكون قد اتخذت زخرفها وازينت . . أما من يمتطى ظهور هذه الجمال فهم أعضاء أسرة الحجاجية .

هكذا يكتمل الجمع عند المسلة التى تقوم أمام معبد الأقصر أى عند ميدان الساحة وفقا للتقاليد ، ويتكون الجمع من اثنين من ضباط البوليس وعشرة من رجال السوارى وخمسين من جنود المشاة . يلى ذلك الجمال الخمسة مزدانة بأجمل زخرف وزينة قد غطيت ظهورها بالأقمشة الملونة التى كانت تغطى قبور الأولياء ، ثم هى تحرك رؤوسها مزهوة فتندق الأجراس الصغيرة المشدودة اليها وتنتيه رؤوسها بريش جميل علق عليها . . على حين يهلل الرجال الذين امتطوا ظهور الجمال مكبرين بلا اله الا الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، ويرتفع صوت مؤذن المسجد داعيا الناس الى الصلاة على النبى ، وحمد الله والثناء عليه .

ويتلو ذلك مشايخ الطرق وأعضاء أسرة أبى الحجاج وقد حمل كل فريق منهم علما ذا ألوان متعددة وكلهم ينشدون أناشيدهم فى الاشادة

يذكر أبى الحجاج ومسجده ٠٠ وفى وسط حلبة الأناشيد والتصفيق والتهليل والتكبير واطلاق البنادق يتقدم قارب الولى إلى هدوء وتمهل تحيط به الأعلام ٠ ويجتاز هذا الجمع الحاشد الذى يبلغ منه الفرح مبلغا يفوق حد الوصف حتى لثراه يندفع إلى القارب يحاول لمسه للتبرك به وبقداسته ٠

وهكذا ينقدم الموكب ويسير متسهلا تارة ومتوقفا تارة أخرى ٠٠ يعترضه فريق من الناس من حين إلى حين وهم يرقصون أو يذكرون الله ٠٠ ثم هو يتوقف عند كل مقام لولى من الأولياء ليقرأ الناس الفاتحة ويشنوا على الله وعلى وليهم أبى الحجاج الذى يزور زملاءه الأولياء ٠

بهذا وصف كتاب (آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية) موكب أبى الحجاج ٠ ومن الوصف تلمح عيوننا : القارب - معبد الأقصر - الجنود - الأعلام - الأناشيد - الشعب المبتهج - التبرك بالقارب حتى الأجراس الصغيرة بلغت سمع مصر الحديثة على بعد الزمن وطول الأحقاب ٠٠ الزمن العداء الذى لحقت به خطى موكب آمون المتهلة ٠٠ لم يخلفها بل واكبته إلى مصر الحديثة فقارب الحجاج يتقدم (فى هدوء وتمهل) تماما كما كان يفعل قارب آمون ٠

أعياد ومراسم تمتد عبر الزمن من مصر القديمة لتتواصل مع أعياد مصر الحديثة التى تبدو امتدادا لها وتتخذ فى الحديث كما اتخذت فى القديم ، النيل وشواطئه وسفنه ، مسرحا لها ومجالا ٠

والنيل فى الصعيد شعبى ٠٠ الذى يتمتع به هو الشعب الحقيقى الذى صحبه وتعامل معه منذ القدم ٠٠ الفلاحون الذين تطل بيوتهم عليه أقصد أكوأهم الطميمة المتواضعة القصيرة القامة ٠

هنا الانسان والحيوان والمكان فى صحبة يتبناها النهر ٠ وامرأة ملأت جرتها صاعدة ٠٠ وبقرة نازلة فيه تغمر نفسها بمائه فلا يظهر منها غير رأسها أو جزؤها الأعلى فيما يبدو لنا من بعيد ٠٠ وجزر تتوسطه وجزر أخرى جانبية كأنها فى طريقها إلى الشاطئ ٠٠ ومراكب شراعية تتهاذى فيه وزوارق بخارية أسرع مشية وأعلى صوتا ٠٠ وبواخر مثل ايزيس التى نستقلها عبره ٠

كم ألوف البسنيين يشهد هو هذا المنظر يروح ويأتى غيره ويظل هو الباقي ٠٠ كم وسع صدره من أسرار ورؤى ولا يروح ٠٠ له حكمة

علمها أبا الهول فوعى عنه الدرس .. ومن هنا آمن مثله بالصمت
ففى ظله يختزن الصامت الكثير فينير أصحاب الكلام ويحير البابهم .

فى الطريق الى ابيدوس

الباخرة (ايزيس) فى طريقها الى نجع حمادى .. نسمع على
البعد الأطفال على الضفتين يصيحون ويلوحون .. لعلها فرحة حقيقية
أو هز الرتابة على الأقل .

الساعة تقترب من الواحدة بعد الظهر .. ايزيس نمر الآن بالمنحنى
الكبير الذى تقع عليه اسنا ونجع حمادى .. الجزر ومجموعات النخيل
نتتالى .. ها نحن نقرب من كوبرى نجع حمادى .. رسونا عليه .
مرساة حديقة غناء تتدرج هابطة الى الشاطئ ..

بتنا فى نجع حمادى لنصحو فى صبيحة اليوم التالى على حركة
فى الباخرة .. انها تستعد للابحار .. بدأت تتحرك فى طريقها الى
ابيدوس ..

النخل على الضفتين ولود .. ما أكثر ما رأيت العين نخلة متفرعة
كأنها أم تفرد ذراعيها ليتعلق بهما صغارها .. وحين اقتربنا من قنا
كانت المراكب ملأى بالفخار .. القرى بيوتها الطميية نزحفت الى الشاطئ
تتجمع عنده .. تطل عليه .. تشرب من النهر بجرارها وعيونها ..
جزر فى النهر .. وايزيس وقوارب وضياف خضر هي أيضا تيل
أخضر .. أليست منه ؟

بعض الأجانب من الجالسين على السطح لبسوا جاكيتات وبعضهم
جلس فى الشمس .

نمر فى العاشرة والثلاث تحت كوبرى قنا .

كل هذا الجمال يسعى اليه الأجانب من جميع أنحاء الدنيا ولا نعى
به نحن ولا أقول نحتشد له ..

جمال لا تغنى عنه القاهرة بعد أن حجب صفاءها الزحام والدخان
والضجيج والكد والسباق ..

معبد ابيدوس :

حرم مقدس فى مصر القديمة حيث دفن أوزوريس • والمعبد قائم
فى مدينة البلينا أو العرابة المدفونة التى ، كما يقول أستاذنا العقاد ،
لم تدفن أبدا تحت التراب •

على باب المعبد وقفت سيدة انجليزية فى الثمانين من عمرها هى
« أم سیتی » كما تسمى نفسها أو يسميها أهل البلدة •• وقد جاءتها
هذه التسمية من ناحيتين أنها تزوجت مصرية وأنجبت منه ولدا أسمته
« سیتی » ولكن الأقوى فى التسمية أنها تقدر معبد ابيدوس الذى
بناه ملك مصر سیتی الأول •• هل تصدق أنها حين تقدمنا الى داخل
المعبد تخلع نعلها ؟

بنى المعبد سیتی من الأسرة التاسعة عشرة وأكمل ابنه رمسيس
الثانى وأشرف على نقوشه وزينته • وبمناسبة النقوش والزينة أسجل
أن زائر المعابد نادرا ما يجد جثة طفل اللهم الا البنات وغالبتها فى المتحف
البريطانى •

لقد رأيت على المعابد ما يشير الى أنهم كانوا يتركون الأطفال عرايا
حتى سن الثانية عشرة •• يتركونهم للشمس والهواء •• كان الطفل
فى هذه السن يذهب الى المدرسة عاريا وفى يده زجاجة لبن •

فهل هذا هو السر فى صحة أجسامهم وعقولهم ؟

وتقول أم سیتی أن المعابد المصرية والحضارة المصرية انفردت برسم
النجوم ولم يكن هناك تلسكوب •

فى معبد ابيدوس رأيت الالهة موت ترضع الملك •• كانوا يحيون
حياتهم فى ولاء كامل للحياة •

وفى معبد ابيدوس رأيت المرأة كبيرة الأطباء ورئيسة العمال •

رأيت رمسيس حين كان فى العاشرة من عمره وقد قام والده
سیتی بوضع التاج على جبينه وعدا بالملك •• وان كان رمسيس يعلى
هذا بأن والده كان يشتهى أن (يرى جماله) ••

ولكن الذى رأيته فى معبد ابيدوس ووقفت أمامه طويلا هو أسماء
الملوك من مينا الى سیتی ••

هنا تسجيل للتاريخ والحفاظ عليه .

والتسجيل حاسة تاريخية . انه حفظ الزمن أنه لون من وعى
مصر الاجتماعى صاحبه المثل : (التعليم فى الصغر كالنقش فى الحجر) .
انه مثل لا يقوله غير فنان نحاس . والتذكر بالتسجيل أو النقش صفة
مصرية ولدت الحاجة الى الكتابة وفى لغتنا اليومية لفظ (قيد) بمعنى
أكتب وأحصر حتى لا يهرب المعنى .

وفى معبد ابيدوس ظاهرة التجويد والصبر . . والبحيرة المقدسة
فى المعابد المصرية ظاهرة أيضا أنه وضوء كامل للجسم كله . .
ليتطهر . . غسل للقلب يملؤه طموحا .

وآية الحرص على النظافة . . البهو الخارجى أو الفناء المفتوح للعمامة
ممن يخشى أن تعلق بهم رائحة الأطعمة الدارجة من بصل وسمك
وغيرهما .

على أن البهو المفتوح لا يفصله عن بهو الأعمدة فواصل حقيقية اذا
استثنينا معبد دندرة لأن الرومان اصطنعوا فاصلا حجريا بين الاثنين .

ومعبد دندرة بنى فى ١٨٠ سنة بدأ فى عهد البطالمة وانتهى فى
عهد الرومان . وتستقبل العين منه البوابة الضخمة ذات الجانبين
الشامخين ينفتح بعدها المكان .

ودندرة اسمها المصرى تنترا وتنتريس حرفت الى دندرة فى العهد
العربى . .

ودندرة معبودتها حتحور الهة الحب والجمال وصاحبة المعبد .
وأعمدة المعبد عليها رأس هاتور أى رمزها . . والمعبد مملوء بالنقوش .
كان يرافقنا رجل يحمل فانوسا ليكشف الرؤية . فى أى نور نقشمت
اذن ؟

على أن نقش أعمدة دندرة غارق فى تفاصيل لم يكن النقش المصرى
الخالص يعنى بها . .

والأسقف فى المعبد تزدان بالنجوم والنيل وبالمعبد ٤٢ حجرة تحت
الأرض منقوشة غير الحجرات العليا . يوصل إليها سلم هو فاصل دقيق
ومحير فالدرج يتوالى على مسافة بضعة سنتيمترات ولهذا يريح فى
الصعود والهبوط وعدد درجاته ٣٦٥ درجة اشارة الى عدد أيام السنة
عندهم . .

فى العهد المصرى كانت مصر ٢٨ مقاطعة ولكنها فى العهد البطلمى كانت ٤٢ مقاطعة فهل يطابق عدد الحجرات عدد المقاطعات ؟

يد التخريب تعيث فى بعض أجزاء المعبد الذى سرقت منه لوحات ونقائس ٠٠ ولكن القاعدة فى الترميم خوف المحو أو اختفاء المعالم ٠ ولا يلجأ الى الترميم ما دام الأثر قد بقى منه ما يكفى للدلالة عليه ٠

ومن حجرات معبد دندرة حجرة الميلاد ٠٠ ميلاد العام الجديد رمى سقفها الآلهة موت الهة السماء تشغل السقف كله وترسل الأشعة فيه ٠

وفى حجرة أخرى الآلهة موت ومربع فيه الجنين والرحم والسائل والخلص ٠

وحجرة أوزوريس وبهذه المناسبة يلاحظ أن الآلهة والملوك لا يتحلون بذقون ٠٠ الذقن الإلهى يكون مبروما أما الذقن الملكى فيكون مقوسا ٠

أما حجرة الرصد فالسقف تبدو فيه الأبراج السماوية ، على أن اللوحة الأصلية قطعت وهى الآن فى اللوفر ، والموجود الآن بديل حديث ٠ كم لوحات اقتطعت من دندرة ٠٠ نوع من المحنة تمر به آثارنا ولكن نفاسة ما بقى فيها عزاء وفيها اثارة أيضا ٠

ومن رسم دندرة ملك مصر يعلو الأسد ٠٠ وهكذا مصر فى قوتها تفترس الأسد ٠٠ وفى ضعفها تفترس الأرض ٠٠

وفى معبد دندرة كليوباترا تقدم القيصر لايزيس راجية أن ينال بركتها ٠ انها ايزيس التى ركعت لها كليوباترا بعد هذا قائلة :

ايزيس ينبوع الحنان تعطفى

وتلفتى لضراعتى وســـــــــــــــــؤالى

انى وقعت على رحــــــــــــــــابك فارحمى

ذل المــــــــــــــــلوك لمجــــــــــــــــدك المتعالى

وشئ تلحظه العين فى الرسوم المصرية ٠٠ أن بزوفيل الوجه أى جانبه ترسم به العين كاملة حتى تبعث كاملة وكذلك الصدر ٠ ولعل

هذا يفسر تعبدهم رسم أعدائهم مبتورين دعاء عليهم بالحرمان من البعب
والخلود .

انه الايمان بقوة الكلمة وسحرها .

بقى أن أقول أن قرية دندرة بنيت على مرتفع في الرمال بعيدا حتى
لا يضيعوا خيطا من الأرض الزراعية ..

آه لو دروا كيف نذبح الآن الحضرة لنقيم مكانها علب الكبريت أى
العمارات الجديدة !!

الصوت والضوء فى الكرنك

مسماة انخميس :

الصوت والضوء فى الكرنك

وسقطت الأضواء على أركان المعبد ولم تغيب يوما .. المعبد الذى
فجر انبهار نابليون وهو الفاتح فقال : ان المصريين القدماء لم يكونوا
بشرا مثلنا .. ان الذين بنوا هذا لا بد أن تكون لهم قامات العمالقة .

وجاء بعده شامبليون ليقول كلمة العلم بعد اكتشاف وتحقيق :

ان أعظم كلمة فى أى لغة من لغات العالم هى « طيبة » .

وانبثت الأنوار فى أرجاء المعبد وأضياء الأعمدة .. وعكست
أنسوائها على رؤوس النخيل .. فضة سائلة .. وانبعثت أصوات الكهان
عميقة تتخلل الموسيقى .. وأصوات الجموع التى اجتمعت على الشاطئ
تحتفل بالفيضان .. ووسط هذا كله انسابت كالحرير أو النغم الجميل
أصوات العذارى اللاتى شفهن الوجد فى أغنيات رقيقة للأحبة .

(كل مياه النيل لا تطفى ظمئى اليك يا حبيبى)

والحبيب به مثل ما بها من الغلما والليفة . انه يقول :

لا شىء

لا شىء يمكنه أن يحول دونى

والوصول الى محبوبتي على الشاطئ الآخر

لا شيء

حتى التماسيح الراقدة هناك

لا تملك أن تبقينا بعيدا عن بعضنا

سوف أذهب رغم كل شيء

وسوف أسير على الأمواج

بينما يطفو حبها فوق الماء

ليحيل اللوج الى أرض يابسة

وتمتد تحت قدمي

ويستحيل النهر الى بحر غرام

أن تراها

أن تراها قادمة اليك

كل هذا الجمال

فرحة العمر

ولن يأخذها مني شيء

حتى الزمن

لن يأخذ مني فرحة مراها

★ ★ ★

رحلة محفوفة بالمخاطر

انه يتمم :

قلبي يصل لك يا رع

يا اله الشمس

من أجل أن تكون رحلتي آمنة وسريعة

حتى يمكنني أن أراها

وهي تسير متباطئة على شط النهر

ها هو ذا قد وصل .. وتهلل الجميلة في فرحة :

معك هنا في « ميروتو »

كأننا أصبحنا فى هليوبوليس !
 نعود الى حديقة الأشجار
 وصحبة الأزهار فى أحضانى
 وإذا نظرت الى ظل فى البحيرة
 والأزهار ملء ذراعى
 أراك تأتى على أطراف أصابعك
 من خلفى ، لتقبلنى
 وينعشك العطر فى شعرى
 فاذا أحاطتنى ذراعاك
 أشعر وكأننى لست هنا
 وكأنى أصبحت امرأة فرعون .

أغنية منسوجة من خيوط الشعاع وسمرة النيل وشذى الأزهار
 وصفاء البحيرة .. أغنية بلون الفرح دافئة نشوى .. هادئة مقطرة ..
 حلوة كالسكره كم بينها وبين ما نسمع الآن وما سوف نسمع غدا ..
 ما زلنا فى عرض الصوت والضوء بالكرنك .. ويرتفع صوت
 التاريخ جليلا مهيبا كالأعمدة ، ممتدا كالساحات ، سامقا كالمسلات
 ثابتا كالمعابد ، قديما كالزمن على هذه الأرض ، زاخرا كالنيل ..
 صوت حاول شوقى أن يحكى عنه بعض معانيه فى أبياته :

وليس الخلد مرتبة تلقى	وتؤخذ من شفاء الجاهليينا
ولكن منتهى هم كبر	إذا فنيت مصادرها بقينا
وأخذك من فم الدنيا ثناء	وتركك فى مسامعها طينا
جلال الملك أيام وتمضى	ولا يمضى جلال الخالديينا
مشت بمنارهم فى الأرض روما	ومن أنوراهم قبست أثينا
فكانوا الشهب حين الأرض ليل	وحين الناس جد مضللينا
تعالى لله كان السحر فيهم	أليسوا للحجارة منطقيينا

نعم ، لقد أنطقوا الحجر وحضروه وثقفوه حين نقشوه ورووه من
 المعنى فانتقل من الصخر الى حجر كريم .. محظوظ الحجر المصرى فلم

يرو حجر من احساس غنى بالقيمة مثله ولهذا فهو مليء بالرؤى ، ومشحون
بنبض القلب الذى شكله ونقشه بالنور ..

كم وشوشت مصر الحجر وأترعته أسراراً ومشاعر فكان عملها لونا
من التطعيم الذى تحسبه مقصورا على الصدف والعاج .
وانتهى العرض .. كل شئ يمضى (ولا يمضى جلال الحالدينا) .

الشاطئ الغربى

هناك على الضفة الأخرى من نيل الأقصر حيث يقوم الدير البحرى
أى المعبد الجنائزى لحنشبسوت . انه معبد للحياة لا للموت فيه أسماك
البحر الأحمر على اختلافها وأنواع النباتات مما جلبته بعثة بنت . وفيه
الشجرة السرية .. والحنة فى الميزان . فيه سقف القبو ودقة الأعمدة
فى النقوش والطفل يغطس فى المياه المقدسة وهو ما يقابل التعميد فى
المسيحية فيه النجوم عرف الرسام منطقة تجميع الضوء فيها ..

وفى البر الغربى مقبرة راموزا الوزير الأول لاختاتون .. وعلى
الجدار رأينا الموكب الجنائزى للوزير . متاعه محمول على الأعناق بل
متاع جديد للآخرة .

السيدات والدموع والشعر المنثور .

وفى هذا المعبد تغطى الجدار بالحجر الجبرى لليونته وتشربه للألوان
فينا بغد وسبولة تفريغ ما حول الرسوم ثم طلاؤها بالألوان .
ويحكى المعبد خروج اختاتون بدينه الجديد من طيبة الى تل العمارنة .

كان كبراء المصريين يتوسلون بالمعابد والنقوش والقرايين للظفر
بحياة أخرى .. وهنا يطرح سؤال : ما حيلة الفقراء ممن لا يستطيعون
بناء المعابد ؟ والجواب أنهم يعتقدون أن الملك ملكهم اله وابن الاله وأنه
سيمطيهم مما عنده .. وأنه سيمحيهم ويمنحهم حياة ثانية ولهذا يبنون
له وهم راضون لانهم انما يبنون ، بمعنى آخر ، لأنفسهم فضلا عن التقرب
وعبادة البطولة .

وفى البر الغربى مقبرة منا MNA وزير تحتمس الثالث ..

مسجلا عليها تلقينة ما يفعل ولا يزال المصريون الى اليوم يقومون بعد
الدفن بعملية تلقين الميت وهذه الطقوس الجنائزية القديمة من تلقين ..
وأخمسة وأربعين .. لا يعمل بها في غير مصر .

والمقبرة كسائر المقابر مسرح للحياة .. فالطيور والأسماك في
لوحة الصيد .. وهنا نشهد خروج الزوجة مع زوجها في الصيد والوقوف
خلفه وتحويطه بذراعيها لحمايته .. لقد سجلت معابدنا الحب الكبير بين
المرأة والرجل في لمسة اليد واحتواء الذراع .

ان العلاقة بين الرجل والمرأة في الفنون التشكيلية في العالم أعمال
معدودة ولكنها في مصر موضوع كامل غنى مميز ، لقد كرمت مصر المرأة
بالدير البحري ومعبد نفر تاري .

وتأتى ساعة الحساب يزنون القلب بالأعمال ففي الكفة الثانية من
الميزان معات رمز الخير والعدل والحق .. ويسجل الاله تحوت الـ
الحكمة .

ان الانسان المصرى القديم يقاس بالقيم .. لقد تركوا نفائسه
ومتاعه وكل ما يحمله معه الى قبره مما تصوره جدران المعابد وقاسوه
ساعة الحساب الحقيقية .

وفي مقبرة نخت Naght بالبر الغربى نرى الزرع والحصاد
وعصير النبيذ حتى مصفاة الشاي وجدناها في مقبرة توت عنخ آمون .
وفي وادى الملكات مقبرة تيتي من الأسرة ١٩ - ٢٠ .

ومقبرة الأمير امنحر خبشسف Aimen norghob chef
ابن رمسيس الثالث . ويتجلى في هذه المقبرة زهو الألوان وجمال الوجوه
وصفاؤها من السعادة والرضا ..

ولكن كنوزنا بالبر الغربى نهب مباح حيث الحراسة شبه معدومة
مالذين يخفرون النفائس رجال ضعاف ماديا وبالطبع معنويا بالفقر في
المال فقر في كل شيء كما يقول المازنى .

والأقصر .. طيبة بشرقها وغربها أكبر مدينة أثرية في الدنيا ..
حتى ليبدو الأحياء حاشية للموتى يعيشون على تاريخهم .. على آثارهم
.. على التعريف بهم .. على زوارهم .

ورمسيس الثالث آخر الأقوياء وله بالبر الغربى مدينة هابوسيت

يطالعنا فيها فناء مفتوح ثم آخر وكل منهما فيه جانبان من الأعمدة المربعة عليها تماثيل أوزوريس وجانبان من التماثيل البردية .

أما مقبرة سيى الأول ففى وادى الملوك عمارة منحوتة فى الجبل من عدة طوابق تحت الأرض تصعدنا نازلا عمارة كل شبر فيها منقوش مكتوب ملون . .

ان التصوير بأنواعه أسلوب مصر فى الفن فالآلهة مجسدة ومصورة . . واللغة مجسدة ومصورة والفكر والكتابة . . والفن صور متلاحقة فى غنائية موسيقية هى نوع من الجلال الأنيق هنا فن مصر الذى فيه روح النبات يتراءى للعين فى نبض تيار دافق . ويخرج الحجر عن صمته لينطق . .

حتى الفنون الصغيرة مدرسة الحياة وعنوان جلدها وأنسها معا واقتناسها أيضا . . فنون الأبرة والحلى ليست صغيرة مادامت تمارس من أفق الحياة المتطلعة . ولقد كانت المهة الذى نشأت فيه تلك الأعمال الرائعة الكبيرة من مرود الكحل خرج الدير البحرى بأدراك العلاقة بين الأشياء الصغيرة والكبيرة . . لينتهى الى الجليل العميق انه الرباط الجامع يؤلف بين أشنات القلوب . .

هل تمضى هذه الأعمال من أعمال الفن المصرى ؟

لا . . ستبقى لأن البقاء فيها . . توجيه وتحتويه . .

بعض المؤرخين وعلى رأسهم توينبى وشينجلر يرون أن الحضارة المصرية انتهت وانحسرت موجتها وجاء بعدها مذ موجات أخرى .

من الشائع أن الموجة والموضة الفنية عمرها سنتان فى رأى تجار الفن على الأقل . . هذه الفنون تعتمد على الطرافة والمفاجأة والاستحداث وهى فنون يجوز أن يقال عنها مضت وانقضت ولكن الفن المصرى يتمتع بنوع من البقاء بما هو متجدد حاضر منتصر على الزمن مستقر فوق الأحداث استقرارا لم يصنعه الحجر والكتلة ولكنه استقرار قار فى نفس الفنان الخالق وفى روح المكان . قد تتفتت الكتلة فى الفن المصرى ويظل عزيزا منيعا متجددا . لقد تهشم أنف أبى الهول وما زال محتفظا بشهادة محضره ، على الوجود الكامل وكان لا مساس . انه فى صمته مكبر لمعانى السكينة والسلام والاستقرار . .

هذه السكينة التى يعشقها الشرق . .

حين كانت أوروبا تتسابق في الفتك من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٨ كانت الهند تشغل الدنيا ببساطة وسماحة غاندى وشاعرية تاجور .
ان الهند تعرف الثقافة بلفظة « سنسكريت » أى التطهير والتغيير وإيقاد الحماسة والتهديب وتحقيق الكمال . ان كلمة « اليوجا » معناها النظام .

اننا اذا نظرنا الى مثال هندي وآخر مصرى ، نجد خطأ مشتركاً هو الاستقرار والسكينة غير أن نظرة التمثال الهندي الى الداخل وكأنه يريد أن يعرف الكون من خلال نفسه . ولكن نظرة المصرى الى الخارج ليعرف الكون والماوراء .

والنظرة المصرية شغوف بالطبيعة الخارجية تستوعب الحقائق العليا للمرئيات الخارجية وما وراءها .

روح مصر متعلقة بالمقدس . . بالمحل الأعلى . . لهذا كانت حضارتها دينية . أما روح الهند فخير ما يمثلها الرقص الهندي الرقص سدھم فلسفة وديانة ولغة . . ولهذا كان فن الهند كله فنا راقصا دائم الحركة فى غير اضطراب .

روح زاخر بلا شيطان . .

فن غير خرافى وان كان مغلفا بوشى الخرافة المزخرف .

بينما أوروبا فن عقلانى يمثله « بوسان » فكل قطعة عنده محسوبة .

الفن الهندي تابع من الغابة والجبل والحية والنار والشجرة بينما نجد الفن الأغريقى فن مدينة . وحدود المدينة عند الأغريق أن أهلها جميعا يغطيهم فنون المسرح وعلوم النطق والجدل . ونجد عصر النهضة فى أوروبا ، عنده الشخصية الرئيسية أو الموضوع الرئيسى : « الموديل » أى الجسم العارى . . وهو نفسه موضوع الأغريق والرومان حتى سيادة المسيحية .

ولكن الفن الصينى ، الكون ، فيه هو الأساس . . وكذلك الفن المصرى . . الانسان والحيوان هو الأساس فى الفن المصرى وهو بهذا فن كونى . .

الصين والهند ومصر نظرتها كونية .

والفن الصينى أيضا فن اجتماعى وهو شقان يكمل كل منهما الآخر

وان بدأ متناقضا معه شق يدفع الى الالتزام .. الى الحقل والبيت
والمجتمع ويمثله « كونفوشيوس » وشق يدفع الفرد الى الخروج الى
السحب والجبال ومنايع المياه ويمثله « لاوزا » . فالقلب الصينى المتأثر
بالحكيم لاوزا ، تلقاه فى جداول اللاء وسامقات الجبال وهائمات السحب
ومسالك الدروب الطويلة .

النظرة الأوربية مركزها الانسان ولهذا اهتمت طويلا بالجسم عاريا
ولكن النظرة الشرقية صينية أو مصرية مركزها الكون زهرة ذهبية فى
ردهة أرجوانية من مدينة اليشة .

ولكى تحس الفن الصينى لا بد لك من قدرة سماع حركة الفرشة
على الحرير . وقد يرهق رائيه لرفعة ما فيه من مشاعر الصفاء والرقية .
ومثله فى هذه الخاصية ، الفن المصرى .. حتى ان الاسلام عندما أراد
أن يصنع شيئا فى مصر انتقل الى شئ آخر فما أمامه قمة ليس عليها
زيادة لمستزيد .

فى اسنا .. نفحنها هواها وما نعسنا

كيف ينعس من يرى معبد اسنا وأعمدته مكتبات

وكيف ينعس من يرى معبد اسنا بجماله الأنيس وكبريائه المنيف
وجلاله المتعالى لرفعة فيه وترفع على رفق ورحمة تسرى وتشع من خلاله
فتملأ القلة .. قلبه رائية بالنور والفرح والعشق والبشر والسهر فالحة
لا ينام ..

كيف ينعس من يرى معبد اسنا وأعمدته مكتبات مسطورة أو
صحف منشورة .. مكتبات دينية .. انه ايمان مصر بالدين وبالكتابة
معا .. ايمانها بالفنون فقد صورا مليكهم يرقص ممسكا بآلة
السنستروم لاغرو ان موسقت مصر الأديان السماوية بعد هذا حين
دخلتها وحين دخلت فيها .. فموسيقى مصر الكنيسة (أقدم مدرسة
موسيقية معروفة فى العالم) . بل تكاد تكون أغناها أيضا بما انبثقت
عنه من موسيقى مصر القديمة التى تحمل أسماءها الى اليوم ألحانا ..

يقول الفيلسوف الاسكندرى فيلو (ان بعض الألحان الشائقة الى
الآن فى الكنيسة المصرية تحمل أسماء بلاد قده اندثرت منذ عهد بعيد ..
فألحن السنجارى نسبة الى بلدة سننجار التى تقع شمال محافظة
الغربية وعرفت منذ أيام رمسيس الثانى . وكانت تعوطفها الأديرة فى

العصر القبطى . وكذلك الاتريبي نسبة الى اتريب القديمة بالقرب من
الديرين الأحمر والأبيض بمنطقة أخميم) .

وفى الاسلام وضعت مصر أسس التصوف الاسلامى على يد
ذى النون وهو أول من أنشد شعر الحب الالهى فى سلاسة وعذوبة
نسرى الى النفس فتأسرها حين كان شعر أبى على الروزباده يشق فهمه
ويتطلب الوقوف على مصطلحات الصوفية لادراكه .

وعلى طريقة ذى النون، فى الحب الالهى سار ووصل ابن الفارض .
وفيه مثله من مصر رقة الاحساس وشفافيته ، وهو بهذه الصفة سلطان
العاشقين . ومصر بهذه الصفة فيه صاحبة فن فى التصوف ورفه
حضارى . ولم يعرف عن غير ابن الفارض أنه احتشد للغناء والوان
الفن حتى لينشد أشعاره انشادا من ولعه بالنغم والتطريب .

ولم يعرف عن غير ابن الفارض أنه غنثه الجوارى فطرب حتى رقص
على دقات الدفوف وأنات الشبابة .

حتى أسلوبه تابع من مصر . . من مدرسة البهاء زهير ثم مدرسة
الشعب بأزجاله ولغته الجارية .

وأسلوب ابن الفارض فى الشعر اتسم بالركة والظرف والصدا.
وحيوية العاطفة والومض . وقد شغلت (تائيته) الشراح حتى المخالفين
له فى رأى فكثرت شروحها وتشعبت .

وحب مصر للنغم يفسره دورها الذائع فى علم القراءات . فعن
(ورش) المصرى أخذ علماء المغرب عن تلميذه (أبى يعقوب) الأزرق
ابن عمرو بن يسار المصرى وأخذ الأندلس عن عبد الصمد بن عبد الرحمن
ابن القاسم المصرى .

وفى القراءات موسقت مصر الدين بطبعها الفنان .

كتب الشيخ البشرى مقالا عن (تقاليد مصر فى الفن) جاء فيه
أن متقدمى القراء فى مصر (لا يبدأون قراءتهم الا من البياتى ، وبه
دائما يختمون) . ويعلل هذا بأن (البياتى هو نعمة البلد الاصيل ،
أو هو من أصل النغم التى تتقلب فيها حناجر المصريين . ففى الحق
أن هذه النعمة . فوق سعة آفاقها ، وتقبلها لكثرة التصرف والتلوين ،
فان المصرى يجد من الاستراحة اليها والأنس بها ، ما لا يجد لكثير) .
وبعد القرآن يأتى الأذان . وعمل مصر فيه يحدث عن التناسق

والهارموني في ذوقها . فان جميع مؤذني المساجد في القاهرة كانوا كما يروى الشيخ البشرى في كتابه « قطوف » اذا ظهروا المآذن للفتاف بالأولى أو « الأول » - ومن أوله الأذان هذه ابتدع بيرم . فيما أرجح ، حين تشرب الروح المصرية ، ألوان الأول في الغناء - وقفوا وقد ارهقوا آذانهم ، وعلقلوا أنفاسهم في انتظار الأمر الذي يصدر اليهم عن مؤذنة الشيخ صالح أبى حديد بالنغمة التي يجرون بها الأهاريج ليلتهم . فاذا جلجل مؤذن الشيخ صالح بنغمة الرصد مثلا ، أسرع مؤذنو المساجد حوله بالصياح بها ، وأخذ أخذهم مجاورهم ومن تقع للأسماع أصواتهم ، وهكذا فلا تمضي دقائق الا والقاهرة كلها تجلجل بنغمة الرصد . واذا بدأ بالبياتي ، أو بالحجاز ، أو بالسिका ، الخ فهكذا وما شاء الله كان آ

وان دل هذا على شيء فانه يدل على أن أهل مصر أو سكان القاهرة على الأقل ، أصحاب فن ، وأهل ذوق ، وعشاق تطريب .
حقا (الذوق ما فاتش باب النصر) كما يقول أهلنا في أمثالهم .
حقا (الى عمل مصر كان في الأصل حلواني) .

ومن تقاليده مصر في الفن . فن الذكر المصرى فقد كانت مصر تجعل له قائدا هو بمثابة ضابط الايقاع . ومن مشاهير المصريين في هذا الباب السيد على الركبي . (كان اذا جلس أعلام المنشدين لشأنهم نى صدر المجلس ، جعل يدير أساليب التنغيم بالذكر تنغيماً فنياً يهيئ لأولئك المنشدين أداء مهمتهم على أدق القواعد وأحسن الوجوه . ولقد يصرفهم هو في فنون النغم ، بتوجيه الذاكرين الى هذه الناحية أو هذه الناحية ، مسرعاً مرة ومتمهلاً أخرى ، ضابطاً الوحدة بنقرة بخانمه القضى على حق سعوته النحاسى . فكان بحق أكفأ « مايسترو » رآته العيون في هذه البلاد) .



ومعبد اسنا منخفض عن سطح المدينة كثيراً . لأنهم كانوا يضمنون بالأرض الزراعية أن تبني عليها المدن . كانوا يعرفون حرمة النبات فلا يثدونها .

وفى اسنا البائعات المتجولات البسيطات من نساء الصعيد يجدن الفرنسية والانجليزية باللقانة ، أو على الأقل بالقدر ، الذى يسع أسماء

معروضاتهن من التيابب والخمر - بضم الخاء - (الطرح) والمناديل
وأسعارها والرد على مساومة الزبائن ..

وكذلك الأطفال من البنات والبنين .
وكذلك الشيوخ .

وتذكرت بعثة (بنت) التى أوفدتها ملكة مصر حتشبسوت وكيف
عاد أفرادها يحملون من أطاف بلاد الصومال ، اللغة أيضا فقد التقطت
البعثة المصرية اللغة الصومالية ..

ان للمصريين ولعا باللغات وقدرة فيها ، منذ القدم .

وعند قناطر « اسنا » مرت باخرتنا « ايزيس » من الهويس .
وهو فتحة كبيرة فى أقصى اليمين من القناطر .. فتحة بعرض الباخرة
فقط وكأنها فصلت عليها تفصيلا . ودخل قائد الباخرة الفتى الأسمر
ذى الجلباب الأبيض والعمامة البيضاء .. دخل الهويس بنعومة فائقة ،
وبقدرة فائقة .. وينحدث طاقم الباخرة عنه أنه أبرع من دخل الهويس .
ويحكون أن ضابطا بحريا أكاديميا أخذ ثلاث ساعات ليدخل بمشقة فى
الهويس الذى دخل منه الرجل الخبير فى دقائق وبثقة !!

دخلت الباخرة الهويس وأغلق خلفها الباب فغدت بين بابين
عريضين .. ثم أخذ رجل فى أعلى القناطر يدير عجلة مشبته فى القناطر
لترفع الباب أمامنا قليلا تحت سطح النهر حتى يرتفع منسوب الماء فى
الحوض الذى نقف به وترتفع معه باخرتنا حتى يبلغ الماء تحتيها منسوبه
فى النهر خلف الباب الأمامى . وحينئذ فتج لها الباب وخرجت من
الهويس ..

نحن الآن فى تمام الساعة الثانية بعد الظهر .. ايزيس تمر ،
ونحن جلوس الى مائدة الغداء ، تحت كوبرى ادفو .

وما أن يهل شهر توت حتى يظل الناس ولمدة ثلاثة عشر يوما
يفدون على « ادفو » التى تعيش هذه الآونة من السنة عيد اللقاء المقدس
.. حيث ينظم المصريون القدماء زيارة سنوية تقوم بها (حتحور) حاجة
الى رحاب زوجها فى ادفو ، وقد أصبح أمر الزيارة عيدا رسميا منذ
أيام (تحتمس الثالث) أسموه : « اللقاء الطيب » . وكانوا يحتفلون
به احتفالا كبيرا . فيخرج كهان ادفو بتمثال معبودهم (حورس -

بحدتي) — وهو غير حورس بن ايزيس وأوزوريس وان كان المصريين مزجوا بينهما في كثير من الأحيان — ليلاقوا زملاءهم من كهان دندرة الذين يحملون تمثال « حتحور » على زوارق النهر ، فاذا استقر الجميع في ادفو ، ظلوا أياما يحتفلون بهذا اللقاء • يقربون القربان وينشدون الأناشيد لاهين فكهن بالثناء والموسيقى • وكان على كبار الموظفين أن يسهموا في الاحتفال بالعيد وأداء طقوسه ومناسكه • وكان على الأغنياء أن يفتحوا بيوتهم للوافدين ويأوؤهم ويضمخوهم بالطيب ويقدموا اليهم الطعام والهدايا لاسعادهم •• حتى اذا انتهى هذا الحج ، عادوا الى ديارهم راضين موفورين •

ويعود كهان دندرة ، بعد قضاء مناسك الحج ، بتمثال حتحور الى معبدها •

في مصر القديمة كان حورس رمز الحق والجهاد •

وحتحور رمز الجمال والامومة •

ورع أى الشمس •• النور •

وأوزوريس أى النيل •• والخصب •

الدين في مصر القديمة من خلال الملموسات والمراثيات يتخلل هذا فترة تجريد كان فيها اخناتون ينادى الهه قائلا : (أنت في قلبي) •• ألم يقل القرآن الكريم ان الله أقرب الى الانسان من حبل الوريد ؟

لقد قصرت الدولة القديمة حق البعث على الملوك ومن هنا التفابي في بناء الهرم •• لعل الملك الاله في الوقت نفسه ، يوجد بالبعث على البناة من شعبه •• ومن هنا أيضا حزن العامة الشديد عند الموت لان الموت نهاية بلا بعث ••

ثم قامت النورة على الدولة القديمة •• واكتسب سواد الشعب حق البعث كالملوك هنا ظهرت عبارة (لا تغضب الاله الذى فى داخلك) وهى تقابل فى الاسلام ، الآية الكريمة نفسها (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) •

لم يعد الاله فى الخارج فقط بل حل فى الداخل •

ان مصر وعاء حضاري صبت فيه أفريقيا وآسيا قديما ثم أوروبا

حديثا .. ومصر تغترف ما تريد وتترك ما تريد ولكن فى ذاتية متميزة
خلاقة .. بصمتها واضحة على كل شىء .

رسالات السماء لم تهبط عليها فأولى بالأنبياء والرسالات أقوام
فى حاجة إليها ولكن من عرفوا (معات) أى الحق والعدل والخير ..
ومن عرفوا التوحيد وسبحوا للقوى الأعظم ليسوا فى حاجة الى هداية ،
حاجة غبرهم إليها .
لقد اهتمدوا .

لقد وصلوا واتصلوا ..

وبعد الديانة المصرية القديمة جاءت المسيحية وتحررت من
الاقايمية ، وتجردت من الأشياء .

وجاء الاسلام يردد « الله تعالى » وفى كلمة « تعالى » هذه سهو على
الأشياء وعلو على الصفات ..

أرأيت ؟ لم ينقطع التيار الحضارى عن مصر .. تواكبت على هذه
الأرض ، القيم والمعانى والأديان ..

أقسم الله بالقلم ..
وقدست مصر الكتابة
انها كنانة الله

معبد ادفو

وادفو اسمها المصرى القديم (بجدت) . وفى معبد ادفو
« سبشات » الهة الكتابة وعلى رأسها نجمة .. ان الكتابة من السماء ..
والكتابة نور يهدى كالنجم .. والكتابة مقدسة .

هكذا تقول مصر بغير حروف .

وفى معبد ادفو حيث لا توجد فى المعبد بحيرة مقدسة للتنطهر ،
توجد حجرة للتنطهر يصب الماء فيها على الملك ، وحجرة أخرى للعطور
.. وفناء حورس والمزاريب فيه .

كم للعين فى معبد ادفو : آثار الراهب ، وحجرة المركب المقدسة،

ومقباس النيل ، والقارورات الزجاجية من المملكة القديمة .

ان معابد البطالمة تقليد تام كامل لمعابد مصر . الالهة كل اله
مقاطعة ، يحمل على رأسه رمز المقاطعة . ولكن الاله حابي ، اله النيل
له ٤٢ صورة . على كل صورة رمز مقاطعة . وكان حابي أبو المقاطعات
كلها وصاحبها على السواء .

أما الاله (ست) فقد صوروه على هيئة فرس البحر ورسموا
أرجله اثنتين اثنتين حتى يحرموه الحركة الطليقة اليس عدو «أوزوريس»
رمز الخصب والخير . .

وفي سقف معبد ادفو فتحات لاستقبال الضوء وتشكيله أيضا .
في معبد ادفو صخرة من الجرانيت جيء بها من أسوان وشكلت
ناووسا . .

في معبد ادفو ، البهو المفتوح . كل عمود يختلف عما يجاوره
ويمائل العمود أمامه في الصف المقابل .
والموسيقيون صف أيضا . .

وقد بنى البطالمة أيضا معبد كوم امبو . وعلى الرغم من هذا
التقرب كله ، قامت الثورات المتصلة ضد البطالمة .

في معبد ادفو يأخذ الاله سوبك ، اله كوم امبو مكانه على اليمين
. . وإلى اليسار الاله حوريس .

وفي معبد ادفو ، أدوات التحنيط ، والأنابيب الزجاجية المدرجة ،
والمقص ، والملقاط ، والمشرب ، وسائر الأدوات الطبية .

وفي معبد كوم امبو حجرة لموميات الحيوانات . التماسيح فيه
تكاد تكون حية . . لقد أعزوا الحيوان . .

الحياة اليومية المصرية مصورة ومسجلة على المعابد تسجيلا كاملا
. . بل كل ما يدور بخلداهم حتى أحلام اليقظة . . فمثلا يرسمون
الأسد يأكل ذراع العدو أو يرسمون الأسرى . . نصفهم الأعلى فقط حتى
لا يبعثوا باعتبار الجسم ناقصا .

من أعلى المعبد النيل والنخيل والمدينة والمعبد منظر يسعد العين
حين تطالعه أول مرة .

غادرنا كوم امبو فى طريقنا الى أسوان ٠٠ الطبيعة واحد يتعدد
 ٠٠ الأخضر ألوان ومدرجات ٠٠ الضفتان تنبادلان الزروع والنخيل ٠٠
 الجبل الرملى على اليمين والجبل الأحمر (الحديد) على اليسار ٠٠
 الجبلان يحتضنان النيل ٠ ويحوطانه خاصة اذا خلا الشاطئان أو أحدهما
 من الزرع أو قلت كثافته أو قصرت قامته ٠٠

القطار على الأرض يهوى بسرعة ، ويدخل فى الجبل ٠٠ أنوبيس
 قادم من الاتجاه الآخر ٠٠ النيل من كوم امبو الى أسوان ينعرج كثيرا ٠

اليها ٠٠ الى أسوان بلد السد العالي وبلد العقاد

فى القطار وفود مسافرة الى أسوان ولم تكن وحدنا ٠٠ كانت جموع
 النخيل تبدو لعيني من نافذتى بالقطار الموعود وفودا مسافرة الى أسوان
 الا بأسفات متفرقة قامت على حراسة النعمة المنشورة على بساطنا
 الأخضر ٠٠ وكان المساء مسافر الى أسوان لتغفو فى سكونه بعد كدح
 النهار ٠٠ كل شئ كان مسافرا معى الى أسوان لبرى النيل ٠٠ ليرى
 الآثار ٠٠ ليرى التاريخ ٠

وأغفيت حين لفنا الليل وتعذرت الرؤية وظل القطار ساهرا
 وحده ٠٠ سائرا وحده وكأنه خاطر سار أو خيال سانح أو أمل يومض
 فى الظلام وفجأة وقف القطار وقفة طالت ونفذت ببصرى وفضولى من
 زجاج نافذتى فاذا بنا فى محطة البلينا واذا ذكرت البلينا ذكرت
 (العراة المدفونة) حيث يقوم معبد أبيدوس وحيث تعيش قصة حية ،
 فى العراة المدفونة الإنجليزية نقدر الآثار الفرعونية وتجيد اللغة
 الهيروغليفية قراءة وكتابة وتعيش منذ ثلاثين سنة تتعبد فى معبد أبيدوس
 وتعبد خاصة أوزوريس وإيزيس وتقدم لهما القرابين ٠ وهى اذا دخلت
 عليهما المعبد ٠٠ دخلنه حافية القدمين من اجلال ٠٠ هذه السيدة يطلقون
 عليها هناك اسم (أم سيتى) ٠ نسبة الى سيتى الأول الذى بنى معبد
 أبيدوس لاله أوزوريس والالهة إيزيس ٠٠ وسيتى الأول والد رمسيس
 الثانى ٠٠

وتعيش السيدة من مرتب تخصصه لها مصلحة الآثار ٠

وبعد اغفاءة طويلة فنحت عيني على صباح وردى تكسو غلاله

قامات الأشجار وتتوج شغوفه ذوائب النخيل ٠٠ وكان الشروق يبدعه
سحر الركب فدبت الحركة فى القطار ثم تزايدت حتى استيقظ النوام
وبادل الصبح نحية الصباح على موائد الإفطار ٠ وفرغنا وتطلعنا من
جديد فاذا بنا نسير بين جبليْن يكادان يطبقان على القطار ومن فيه ٠٠
وأين النيل ٠٠ جبال ورمال قلما تقع العين منها على مظهر حياة ٠٠٠
ويمرق القطار مسافة طويلة حتى نرى العين من بعيد طفلين قائمين كأنهما
نينا لساعتهما وسط هذا القفر ليقطعا السكون المريب ويبددا الوحشة
أو امرأتين ضامرتين لاحتتهما الشمس بل قددتهما حتى ليخيل للرأى
أنهما آيتان من القبور بعد هجعة طويلة فلو توقف القطار فى هذه
اللحظة لسألناهما سر الغائبين ، وهل مصر مصر كما عرفناها ٠٠ ليطمئن
الفراعين الذين أرادوها خالدة فنزل على حكمهم الزمان ؟

وبعد (الخطان) و (الأعقاب) ٠٠ وبعد الشوق الى الخضرة
والنيل ٠٠٠ انفرجت الجبال ودخلنا أو دخل بنا القطار فى واد ذى زرع
وسمعت صوتا يهتف « هاهوذا » والتفت الى يميني حيث صدر الصوت
فاذا (النيل) فى هذا المكان أبيض ساكن الصفحة كالمرآة ، هادىء
الأنفاس رقيق الشمائل شأن الكبير الواثق من نفسه ، المستعز بأرضه ،
الساكن فى حوضه المالك ليومه وغده ، لم تزعجه الأنباء عن تغيير مجراه
لأننا حين نفعل سيغير هو بدوره تاريخنا وقيمنا ومفاهيمنا ووجه الحياة
على وادينا تماما كما فعل فى الماضى ٠٠ ان دوره لم يتغير ٠ هو هو البطل
وراء كل عمل نأنى به ٠٠٠ اننا لكى نغير المجرى كم سهرنا على خدمته
وكم كدنا لتعميقه ورسم طريقه الجديد ٠٠ أليس معنى التغيير اذن أنه
شغلنا الشاغل كشأنه دائما كشأوه أبدا أليس معنى التغيير أننا نضن
به على البحر ونغالى بكل قطرة فيه ألا تعيش بيننا ويجرى فينا دما
وحياة وخصبا وغنى ووفرة ؟

وقبيل أسوان امتلأ الطريق على الجانبين بالصخور الكبيرة كأنها
فيلة قد انفصلت عن الجبل فى تمرد ظاهر ٠٠ ان المصرى جبار اذا نفدت
طاقة احتماله ٠٠ أنه عندئذ لا يقف فى طريقه شئ حتى الجبل ٠٠
صخور لها طابع ولها قسمات ولها شخصية فى جلستها القابعة على حافة
الطريق كالأسود الرابضة تتفرس القطارات ٠٠ والناس ٠٠

« اهرام كله كتوبه » اننا فى أسوان الآن وهذا النداء اللطيف يهتف

به صبي أسمر على صحيفة « الاهرام » ان مواطننا الأسواني يعنى ان العدد
ملى .

ها هي أسوان . . الشاطيء صبغته حمرة الحديد حتى دوايب
النخيل حمراء . قمم الجبال وراء النخيل حمراء . . مدينه مشرقه أسوان
كأنها بنت الشمس . . النيل فيها عيره فى أى مدينه مصريه . . هنا
النيل لم يفرغ بعد من معركته مع الصخور . . جنيايت كثيرة تعترض
مجره . . صخور كبيرة سمراء يكاد يكون بعضها على هيئات ادمية حتى
لكان مجموعاتها فرق لجيش محارب ولكن النيل لا يخشى بأسها حتى
مراكبه الصغيرة ذات الشراع تغدو وتروح على مرأى منها . . انها تلهو
فى حمايته وتتخطر فى حماه . .



وأقلتنا سيارة الى الفندق أو الى المدينه السياحيه الجديده مدينه
النيل السياحيه فندق هو فيلا أنيقة تناثرت حوالىها فى الحديقة
أحواض الزهر والأشباك الخشبية الشاعرية . . الفيلا تقوم على ربوة
تطل منها على النيل . . وجبل أحمر يتوهج بالحديد وجبل أصفر لا أدرى
سره والنيل من هذه البقعة والمباني محدقة به والنخيل رانيات اليه ،
حانيات عليه مولعة به أشبه بالخلجان والبحيرات . . فهو يطوق مبنى
ويلتف بالآخر ويدور بشاطئه فى انصاف دوائر ليستقيم من جديد
ويلامس سفح الجبل ويداعب بموجاته أعجاز النخيل . . ان نهرنا الخالد
ذو أفانين . . من حديقة « مدينه النيل » تستطيع أن تتملهه تخلص اليه
كتركت القديمة أما كتركت الجديده فيخيل اليك أنها أخفت فيه بضاً
وكشفت بضاً كما يقول شوقي عن أنس الوجود . . . على الشاطيء الآخر
النخيل يدعوها الجبل لتصعد ولكنها لا تمضى فى سيرها على السفح
بضعة أمتار حتى تقف زاهدة فى الجبل مشغولة عنه بالنيل . . . وعلى
الشاطيء الآخر بين النيل والنخيل والجبل قام مدفن أغاخان الذى شدته
مصر اليها حيا وميتا . . . ما أخلق سنوحى بالحب والاشفاق حين شق
عليه النفى خوفا من أن يموت بعيدا عن مصر ويغسل بغير مائها ويدفن
فى غير ترابها .

وفى الحديقة مدرجات فرست وردا يتسابق فى الصعود على ضوء
فوانيس حاله ولبات ملونة والمكان كله قطعة من الجنة يسود فيها الهدوء

ويرف الورد ويميس النور فيطفو كل شيء ويغدو شفافا كالطهر نبيل
كالخير كريما كالنيل .

ورثت أن أزور السد ولم تكن ظهرت آثاره الجانبية بعد أو
حجبت الرؤية .

السد العالي :

الطريق اليه شريط ناعم صاعد في الجبال على الجانبين . . جبال
حمراء من كنوز الحديد .

في طريقنا اليه مسلة صغيرة يبدو أنها تعبت من الوقوف فنامت
. . مسلة ينسبها البعض الى حتشيسوت وينسبها البعض الى رمسيس
الثاني . . هي يكفيها أنها مصرية . . هذه أكبر . .

بعد أن وقفنا بالمسلة في سلام طائف عدنا الى السيارة وبعد
دقائق من سيرها هتف الدليل اغمضوا أعينكم . . وفتحنها ثانية
بناء على دعوته أيضا فاذا بالمكان صخور أحجاما وألوانا وأشكالا شتى . .
أترانا على سطح القمر ؟

يرافقنا أيضا في رحلتنا دليل آخر . . انها سمراء مصرية فارعة
تحب التاريخ وتحفظ عهوده كشليمة نجيبة .

نحن الآن أمام السد . شلالات الماء في اندفاعها تشف ونخف
حتى كأنها شلالات من نور أو بخار أبيض ناصع .

وراء السد ، البحيرة . . والبحيرة معلم سياحي لولا بعوضة الجامبيا
التي تعيش فيها الآن يملئ لها ركود الماء في البحيرة فاذا دبت الحياة
فوقها بالسكنى وجدت الناموسة غذاءها في دم الانسان وهنا الخطر
الأكبر حيث يمكن أن يموت الملايين بملاريا الجامبيا التي تنتشر عدواها
من انسان الى انسان .

لهذا يجب أن نفكر في وسيلة عملية تحرك الماء في البحيرة وتحرك
الطمي الذي يترسب فيها ويخرج بعدها الماء خاليا من الطمي أى من
الحصب .

انقسم الجبل وغدا شطرين بفضل الحديد والنار والعقل ، والارادة

التي صنعت من الحديد والنار والحجر ودرات الرمال عملا كبيرا لو أن الدراسة العلمية تجاوزت الحماسة له الى الآثار الجانبية وامتدت الى أبعاد مستقبلية شاملة بالغة الخطورة وهو موضوع كبير .

انحدرت قبل المياه فى مجرى القناة الجديدة التى رسمت للنيل ودخلت الانفاق التى سينفذ منها . وبعد عودتى جرت المياه فيها ولا أزال أذكر هذه اللحظة . وقد رأيت السد بعد هذا كثيرا ولكن الرؤية فى ذلك اليوم لها وقع خاص .

هناك فى ساحة الانفاق آلات كثيرة تعمل بالنهار فى وهج الشمس وبالليل فى ضوء المصابيح . . . آلات لها أفواه وآلات لها مقابض وآلات رافعة وآلات . . . ضاغطة وكلها كوحوش الأساطير تعمل عملها فى نهم . . . الحياة فى هذا المكان . . . رهيبه غالية . . . نحسب بالدقائق والثوانى . . . والناس رسوم متحركة والأصوات أصداء والألفاظ هواء كل شئ يطويه المبنى الكبير الذى يسير بالآلة والانسان معا حتى العمال على كثرتهم لم يزاووا غناءهم التقليدى الذى يصحب الأعمال الشاقة ويهونها ان العمل الرهيب فى موقع السد لا يترك لهم طاقة لغيره فلا غناء ولا كلام أنما حركة فى صمت وكدح فى صبر . . . وصراع فى معركة الحياة كصراع النيل مع القفر أو صراع (أوزوريس) مع (ست) . . . صراع فى أصرار ولكن هذا كله لم ينس ثلاثة من العمال ذكر ربهم فانسلخوا من الضجة ليقيموا . . . الصلاة . . . وانسلخت بدورى من الضجة القائمة لاتأملهم وصلى قلبى لهم أولئك المؤمنين بربهم المؤمنين بوطنهم ايماننا يترجمونه أعمالا مجيدة تمكن له فى الأرض وتحسب له فى التاريخ وهو أغلى ألوان الايمان . . . ان هؤلاء البسطاء أكرم على مصر بما يعطون فى صمت . . . بما يبذلون من دم القلب وعرق الجبين . . . انهم صناع الحياة فيها وان حملت الأعمال فى النهاية أسماء غير اسمائهم .

وبعد السد الذى بنته سواعد كبيرة وعقول كبيرة وأموال كثيرة سمعنا الى سد آخر رفيع شامخ جبار لا يقدر بمال . . . سد بأذخ من صنع عقل واحد وفرد واحد . . . نعم عباس محمود العقاد . . . هناك على أبرز مكان من أسوان بين المعالم السياحية للمدينة التى تجمع الماضى والحاضر يقوم ضريح يجمع قيمنا الغالية ولا أدري كيف . . . ضريح يحج إليه كل من أقام بأسوان أو حتى ألم بها وسوف يتسع العمران بأسوان ويزداد امتداد وسوف يقام فيها للصناعة صروح . . . كنبرة ولكن أعلى صروحها

وأغلى ذخائرها سيظل عباس محمود العقاد بقدر ما تأصل في نفس الفنان من اعلاء للفكر واجلال للعقل واحتفاء بالقلم وعبادة للفن وتوقير للعلم وولاء للموهبة ووفاء لصاحبها .

سيغير كل سىء فى أسوان الحياة والأفكار والمجتمع ومعالم المدينة حتى الجبال ويظل ثابتا كالعهد به عباس محمود العقاد لأنه تاريخ والتاريخ دائم ولأنه فكر والفكر قائم ، ولأنه قلم والقلم سائر ولأنه عصامية من طراز نادر ولأنه موهبة على مستوى رفيع ولأنه جامعة ولأنه شرف لجيله ومفخرة لمصرية لسائر الأجيال .

وبعد طوافى بضريح العقاد زرت بيت العقاد البيت الذى شهد مولد العظيم الذى جاء مع النيل من أسوان لينشرا بين الناس رسائل رحمه تحيى موات الأرض ، والنفوس وتمرع حياة الناس والعقول ثم استقل النيل بالأرض ، ورقى العقاد الى السماء وحسن ما اختار جوارا وطاب رفيقا .

رأيت الحجرة الفسيحة التى كان العقاد يعقد بها ندواته فى أسوان عصر الاثنين والجمعة من كل أسبوع ورأيت المقعد الذى كان يجلس عليه والناس من حوله الواقفون يربون أضعافا على الجالسين الى جانبه والجالسين بين يديه . كان العقاد يحل بأسوان فما يكاد الناس يتسامعون بمقدمه حتى تتدفق جموعهم على مجلسه وتهرع وفودهم الى داره فلا يبقى فى الطابق السفلى موضع لقدم . . أنه ابن أسوان وأبوها فكل من فيها يدعوه « أبويا العباد » .

ورأيت فى الطابق العلوى مكتبة العقاد بأسوان . . انها مجرد فرع من مكتبة القاهرة وراعى عطسل المكتب من أوراقه المحبرة وأكداس كتبه المعروءة والمنتظرة دورها .

ورأيت حجرة العقاد الخاصة وقد ترك فيها كل شىء كما خلفه آخر مرة . . ملابسه معلقة وعصاه . . كل شىء يبدو منتظرا كأنه قادم اليه من القاهرة وما درى أنه سافر منها الى أسوان منذ أمد قريب . . بعيسد . .

والدور العلوى مخصص للعقاد حين كان يسافر الى أسوان وتستطيع ان تكتشف هذا بنفسك فكل شىء مرتفع القامة مثله رفوق الزجاج على الأحواض . . ومراياها . . الأزرار فى الجدران . . الشماعات (المشاجب)

الأثاث ، حتى الأدوات ضخمة غير نفاثرها عند الناس . . . وابتسمت من بين دموعي . . . لقد لحقت عملقته الاشياء التي تنتمى اليه . . .

واستوقفني في بيت أسوان صور أسوان . . . كل معلم من معالم أسوان تضمه لوحة زيتية فالخزان والمقياس وأنس الوجود وجزيرة النباتات . مهما طاب الجو فالصور تؤكد لك أنك في أسوان أو تزيد دهشتك أنك في أسوان . . . الى هذا الحد كان « أبويا العجاد » متعلقا بمسقط رأسه . كما كان مسقط رأسه متعلقا به اذا أخذنا بدلالة الصور هنا . ففي كل حجرة صورة للعقاد وفي كل ردهة صورة . . . للعقاد . . . وكم من صورة رسمها له أو رسمه فيها الفنان صلاح طاهر ، ان مدرسة العقاد فيها الرسام كصلاح طاهر والموسيقي كالشجاعى أليست جامعة ؟

وبين الصور صورة كان العقاد يعتز بها صورة زيتية من رسم صلاح طاهر أيضا انها صورة طفلة نائمة أناملها الصغيرة البضة تمسك أطراف الغطاء ودوائر شعرها المخمل تلقى على وسادتها البيضاء ظلالا رقيقة منلها ووجهها كله تغسل براءته وطهره بحرا من آثام العالم . . . كان العقاد المهيب يحب الطفولة وكان قلبه قلب طفل في النقاء والصفاء .

وقد حكى لى العقاد في حياته حكاية لها دلالة كبيرة على أعماق . . . صاحبها . . . روى لى أنه رجع من جنازة ابنة صفيه المازنى وقد اتخذت صرامته قرارا لا يحيد كالعادة وهو الا يتزوج لكى لا يقف هذا الموقف الجريح لكى لا تدفن نفسه نفسه . . . لكى لا يوسد الثرى بضعة منه أعز شيء فيه وظل فترة يردد : كيف احتمل المازنى دفن ابنته ؟ كيف وكثيرا ما سئل العقاد عن سر هزوبته فكان يصنع للسائلين الجواب .

وزارنى رسول من مصلحة الآثار فى منزل العقاد فطلبت له القهوة كائننى فى بيتى ألسنت مصرية . وكان العقاد قيمة لمصر . . . لنا . . . اذن هذا البيت بيتى . . . بيت كل مصرى . . . بيت كل أديب لأنه كما يقول كل أسوانى سمعته بيت . . . « أبويا العجاد » .

أستاذنا العقاد يدعونه فى أسوان وأنا معهم : أبويا العجاد . . . فى المنيا أيضا نعبر عن الاحترام الكبير بلفظة الابوة . . . وهكذا أجدنى فى أسوان أدعوه أبويا العجاد ، وأدعوه فى القاهرة أستاذنا العقاد . . . انه الأب الأستاذ .

لقد بدأت محافظة أسوان تصحو بعد عشر سنوات وتبنى الضريح

٠٠ لقد رفعت السماء العقاد وتفاعست الأرض فلم يرتفع ضريحه ٠٠
استطاعت السماء أن ترفع العقاد بكل ثقله الفكري والفني والأدبي ٠٠
وعجزت الأرض عن أن ترفع الطوب والأحجار ضريحا ٠

وكم بين القارورة والعطر

وكم بين الدن والسلاف

بين الدن والدنى

ولكنى أرى البناء قائما الآن والعمال يجدون فيه ٠٠ رجوت من
سائق السيارة السياحية أن يقف بى أو يقف لى أمام الضريح ٠٠ ونزلت
وتقدمت إليه وقرأت الفاتحة فاذا بالعمال يأخذون فى قراءة الفاتحة
وكانت نظراتهم تقول كلاما كثيرا ٠٠ تريد أن تقص ٠٠ أن تتحدث عن
صاحب الضريح ٠٠ لولا أن السيارة السياحية تنتظرني لطاب لى أن
أستمع إليهم ٠٠ أن أستمع عنه ٠٠

وحين وقفنا على شاطئ النيل فى انتظار القوارب لتحميلنا الى معبد
فيلة سألنى السائق مغتبطا عن سر نزولى واجلالى لريحهم العقاد ٠٠ وبدأ
هو ومن حوله يقصون فى زهو سيرته والتفاف أسوان حوله ، وفترات
حضوره إليها ٠٠ ويصمتون قليلا فأحدث أنا عنه فى القاهرة ٠٠

ويحضر الزورق فتنفض ندوتنا الصغيرة ٠

أغا خان

أخذنا الزوارق الى ضريح أغا خان ٠٠ انه يقوم على ربوة عالية فى
أسوان ٠٠ لقد اختار الرجل مدينة الضوء الماسى مشتى له فى الحياة
ومشوى بعد الحياة ٠٠ نحن نوقل كما يقول المرحوم فريد أبو حديد
صاعدين فى الربوة ٠٠ ما أجمل أسوان من هنا ٠٠ لم ير أسوان من
لم يرها من فوق الربوة ٠ كما لم ير القاهرة من لم يرها من ربوة
سقارة ٠

من على الربوة ٠٠ النيل هنا وجه آخر مختلف تماما ٠٠ الصخور
فى عرض النهر وعلى جانبيه مجموعات كبيرة ٠٠ صخور جرانيتية ضخمة
كانها هياكل حيوانات ٠٠ ومجموعة كأنها تماثيل رابضة أو منبصلة ٠٠
ومجموعة كأنها فرقة من الجنود لابسى الخوذات ٠٠ وصخرة ضخمة
بارزة فى النهر كأنها أبو الهول غير أن الفنان لم يشكل الرأس بعد ٠٠

النيل في أسوان يبذل جهدا كبيرا .. انه يمشى مثقلا بالصخور
 .. وحين يحطها عنه ، يسبر مرهقا من فرط ما حمل وبذل .. ولكنه
 كالعظيم الراسي يخفى بعبه ويتجمل بالهدوء ويتحمل الجهد راضيا لان
 فيه سعادته وفيه رسالته .

ورسيت الزوارق على الشاطئ الآخر .. وأخذنا طريقنا الى ضريح
 أغا خان .. طريق صاعد يستدير حافات .. وكلما أمعنا في الارتفاع
 دار من جديد وكأنه بلا نهاية .. وصعد معنا بيت أغا خان الى منتصف
 الربوة تقريبا حيث وقف وتركنا بصعد وحدنا ..

وتذكرت صعودنا في حي مونا رتر في بازييس . وأخيرا وصلنا
 فجلسنا حوله ننتظر خروج فوج السياح بداخله واذا بأسوان تبدو من
 أعلى الربوة مدينة أسطورية أو موضوعا ملونا للرسم والشاعر .. النهر
 يبدو من أعلى الربوة ، هوى الناس والطبيعة فالجزر الخضراء تتناثر
 فيه .. والجبال بألوانها حمراء وبيضاء تدخل فيه وتخرج منه ..
 والصخور الرمادية تشكيلات شتى .. والقوارب الصغيرة كطيسور الماء
 .. والبيوت والمآذن والقباب يلتمس كل منها اطلالة على النهر العظيم ..
 وعلى عالمه الكبير ..

دخلنا الضريح بعد أن طلب الينا أن نخلع نعالنا على الباب ..

قاعة مستطيلة مفروشة بالسجاد الأحمر وقد غطيت بغطاء من
 فماش أبيض يلتقى عنها وطء الأقدام .. وهذه القاعة قامت على أعمدة
 من الجرانيت .. يليها الضريح من الرخام الأبيض الناصع البياض .
 وقد علته النقوش وزينت جوانبه بالآيات القرآنية .. الضريح يبدو
 وكأنه علبة كبيرة من خان الخليلى صيغت من رخام لا من خشب
 وأصداف ..

في الضريح دفتر لقيد الأسماء .. كتبنا أسماءنا وكتبته هذه
 العبارة ..

« زيارة تحية لرجل اختار مصر مثوى له وفاء بوفاء .. »

لأغا خان وصية عاطرة .. فكل الذى يطلبه من الدنيا صاحب
 الملايين أن تضع زوجته على قبره وردة حمراء كل يوم !

هل هي مجرد وردة ؟ أم رمز ؟ ويرجح هذا اختيارها حمراء ..
 هل يريد أن يذكر زوجته بحبهما كى لا تنسى ؟

على كل حال لقد أثبتت الأيام أن البيجوم سييدة كريمة وفيه .
لا تزال السيدة تضع عليه وله الوردة الحمراء فإذا سافرت عهدت الى
تابع أن يضعها يوميا في الميعاد .

تذهب الملايين وأصحابها وتبقى المعاني الكبيرة . وما أكثر الذين
يعجزون عن فهم هذه المعاني الكبيرة واحتوائها حين تجمعها وتؤديها ورده
صغيرة حمراء .

نزلنا الربوة . وأخذنا الزوارق الى جزيرة النباتات . وفيها
سرنا بين صفين من الأشجار الطويلة من النخيل المستجلب من كوبا
وغيرها . أشجار نحيلة ممشوقة كراقصات الباليه كما تشبهها ابنتي
الصغيرة .

زهور وطيور وطرقات مرصوفة ونضرة يانعة . كم تستريح العين
الى هذا الجمال الجميل . ولكن الدليل وهي سمراء مصرية ، طلبت
الينا أن نستقل الزوارق الى حيث ترسو (ايزيس) .

وعدنا الى ايزيس وكانت طيور « أبو قردان » جماعات جماعات
عائدة الى أوكارها ، أشجار الشاطئ . وكان منظرها من بعيد حين
ألقت نفسها على الأشجار بعد اجهاد الطيران كزهار بيضاء تتوج هام
الشجر .

كان المساء جميلا نديا غنيا بكل ما يسعد الاحساس والعين والروح .
ينقص أسوان البوليس السياحي فان عدده فيها ووسائله لا يتناسب
مع حجمها السياحي والتاريخي . لا يتناسب مع قيمتها الحاضرة لا سيما
وأن ظاهرة البقشيش بين الألفسال امتدت اليها !! هل هي الحاجة
تدفعهم ! ربما وهل نسيت اسنا . هذه المدينة العريقة وصلنا بمعبد
شارع بدائي . لماذا لا يكون الطريق من الباخرة الى المعبد ممهدا مرصوفا
نظيفا جديدا قديما في آن ؟ أى تكون مساكنه وحوانيته على الجانبين
حديثه العهد بالبناء مصرية الطابع . وبدلا من أن يلاحق الباعة المتجولون
والأطفال ، السياح ببضاعتهم على أيديهم ، تنظم هذه المعروضات في
الشارع المؤدى الى المعبد بشكل مهذب يحفظ البضائع ويحفظ قبلها
كرامة أصحابها وكرامتنا معهم ؟

لقد رأيت في اسنا مما يعرضه هؤلاء ، مصنوعات يدوية جميلة
ودقيقة الصنع كالشيلان المنسوجة على النول ، والقبعات « الكورشييه »

٠٠ وغير هذا بأسعار زهيدة ، يقدر السائح الأجنبي كم تكلف في بلده باعتبارها شغل يد ٠ لماذا لا نشجع هذه الصناعات وننميها ونصدها دعاية لنا ، وامتصاصا للبطالة والفقر والعراغ فلا تعد الأيدي الصغيرة بحاجة الى طلب البقشيش ؟

لقد أعطت هذه الأرض للانسان ما لا يقدر بمال فكيف يستجدي فيها أبنائها المليمات ٠

أكبر من هذا كثيرا اسنا ٠٠ وأعظم من هذا أسوان ٠٠ بلد المجد وبلد أبويا العجاء ٠٠

ماذا تقول رسائل الشوق ؟

نحن في عرض النيل في طريقنا الى معبد فيلة ٠٠ وفي عرض النيل أيضا صخور ضخمة كأسود رابضة تحرس التاريخ ٠٠ قدم متراصة من الصخور بينها مجموعة شكلتها الطبيعة بصورة لا تشك لحظة أنها تمثال بوذا ٠٠ وفي أمريكا شكل الفنان التشكيلي صخور الجرانيت بجبل رشمر Rusmore من سلسلة الجبال السوداء بولاية داكوتا Dakoto وجوها تمثل الرؤساء الأربعة الكبار :

واشنطن - جيفرسون - تيودور روزفلت - لنكولن - فأصبحت معلما سياحيا وكانت لا تصاح حتى للتسليق ٠٠ كانت كما مهملا ٠

والغريب أن المثال الفنان صاحب الفكرة Cutzon Borglam جطرزون بورجلان استوحى الفكرة من تماثيل قدماء المصريين المنحوتة بالكامل في الجبل على طول شاطئ النيل بل قلدها تقايدا (أنظر كتاب Wonders of The World مؤلفه الألماني Ronald Gooch ترجمة Kate Reddick

عندنا الفنانون التشكيليون يشكون الزمان والمكان فهل يأتون الى دنا يشكلون هذه الصخور ليصنعوا منها جبل رشمر ، ثانيا ؟

وصلنا الى معبد فيلة ٠٠ معبد ايزيس الهة السحر أم حورس ٠ فيه حجرة الميلاد وفيه مقياس النيل ٠٠
العين ترى سور الانقاذ والعمال يروحون ويغدون يرفعون الأحجار ٠

تجرى فى المعبد عملية شفط الماء ٠٠ وعلى طرف آخر من الجزيرة
عمال آخرون يسوون المكان لاستقبال معبد فيلة ٠٠ معبد ايزيس ٠٠
الحزان القديم لم يبق من فتحانه فوق الماء الا أقواس صغيرة يخرج
منها الماء ٠٠ ثم سور فوقها من البناء القديم ٠٠ انه يبدو الآن وكأنه
كوبرى ٠٠

وفى أسوان شهدت جزيرة فيلة التى ظن قدماء المصريين فى وقت
ما أن منابع النيل أربعة نغذى النهر فى جزيرة فيلة هذه ولعل السر فى
ذلك ان مسألة التننية عند قدماء المصريين (مصر السفلى والعليا
وغيرها ٠٠ قد حدث بالمصريين الى الاعتقاد ان له منابع أربعة (اثنان
شمالا واثنان جنوبا) ٠

وكان الفراعنة يتصورون المصادر الأربعة فى أربع جرار تهديها ربة
الشلال (ستة) ٠

وكما اتخذ كل معبود ذكر من بين الآلهة المصرية زوجا له ، كذلك
ذكر ٠٠ المصريون للنيل أزواجا منهم :

١ - نخيت التى كانت تعبد فى الكاب ربة مصر العليا ٠

٢ - نوت

٣ - موت (زوجة آمون) الأب الروحى لفرعنة مصر أيام الأسرة ١٨ ٠

٤ - ايزيس

وكلها تتقارب فى الصفات وتتفق فى الأمومة ٠٠٠
فنخيت أى (البيضاء) ترى وهى ترضع فرعون من ثديها ٠٠ وموت
كانت أما لهم وتحمل صفة الأمومة ٠

وايزيس كانت اما معروفة كذلك ٠٠

ويبدو أن فكرة تعدد منابع النيل كانت خاصة بهم ٠٠٠

ومنبع فيلة هذا يفصله أرمان على هذا النحو ؟ :

« هناك على حدود بلاد النوبة ، حيث يخترق النيل آخر حواجز
الأحجار الصلبة ، التى يفصله عن مصر ، يقع عدد من الجزر الصخرية
بالقرب من الشلال وعلى احدي هذه الجزر يقوم معبد فيلة الفخم ،

الذى اشتهر فى العالم بأسره فى العهد الاغريقى بانه أهم معابد ايزيس،
والذى ظل باقيا على حالته تماما حتى عصرنا الحاضر ، ولكنه تعرض
للدمار فى الأيام الأخيرة .

وتقع بالقرب من جزيرة فيلة جزيرة أخرى ، هى بجة الحالية ،
وكانت تعتبر كذلك من الأماكن المقدسة للديانة المصرية . فمن جهة كانت
المكان الذى وطأته مرة أخرى الالهة الوحشية تفنوت من أرض الوطن
واستحالت فيه الى حاتحور الودود وفقا لأسطورتها القديمة . ومن جهة
أخرى كان يوجد فى بجة قبر أوزوريس ، وكان يعتبر فى العهد الاغريقى فى
مقدمة الأماكن المقدسة . ولم يكن فى مصر العليا اذ ذاك قسم أعظم من
أن يقسم الانسان ب « أوزوريس التاوى فى فيلة » . وكان هذا المكان
الذى يضم قبر أوزوريس يسمى « أباتون » ، أى الحرم وذلك لأنه لم
يكن يجوز فى هذا المكان أن يقلق راحة الاله أحد . وكان الطبيعة قد
قدرت أن يكون هذا المكان بالذات معبد أوزوريس ، وذلك لأن المصريين
كانوا يعتقدون أن فى الماء الجارى هنا يوجد أحد الينبوعين اللذين
يتفجر منهما ماء الفيضان جالب الخصب والنماء ، وقد كان يسمى
« ماء بجة النقى » - ولما كان أوزوريس . يشرف على كل ما يكفل
الخصب ، كان يعتبر أيضا انه هو الفيضان نفسه . وكما كان يقول
كهنة فيلة ، لقد كان أوزوريس « النيل الكبير الذى يخلق الحب بفضل
ما فيه من ماء » والذى ينبت الأشجار والأزهار من رشحه (عرقه) .

لهذا كيف أمكن أن يكون لأوزوريس قبر أفضل مما كان له فى
« أباتون » . حيث كان يمكن ان يعود للظهور فى هيئة فيضان جديد
فهو كالنيل « يولد فى حينه وتتجدد أعضاؤه كل عام . واذا كانت
الأسطورة تذكر انه لم يدفن فى « أباتون » الا جزء من أوزوريس وهو
ساقه اليسرى ، فلم يكن من ذلك بأس ، وذلك لأن الكهنة ظنوا ان هذه
الساق هى أحد ذينكم الينبوعين وتمثلوا كيف يثبثق الماء منها غائرا .
متفجرا . أما « أباتون » نفسه فقد تمثلوه جبلاية كهف غائر يقر فيه
أوزوريس على هيئة النيل ويحرسه ثعبان ١٠

ولم يكن النيل مادة غنية للأساطير بنفسه فحسب ، بل كان
أيضا وراء أساطيرهم عن غيره من الظاهرات والأشياء . كان النيل
وراء أساطيرهم عن الشمس والقمر والنجوم والأرض أيضا (١)
ولما ثبت فى نفوسهم ان نيلهم ينبع من اليفنتين (فيلة) راحت

(١) كتاب (النيل فى الأدب المصرى) للدكتور نعامت أحمد فؤاد .

فيلة هذه في التاريخ بفخر عظيم فقد كان يحج اليها الأثيوبيون والنوبيون « البليميون » الذين ظلوا على ولائهم لها حتى بعد انتشار المسيحية في مصر . وظلت فيلة تتمتع بالأسر الروحي الى أن أمر الامبراطور جستنيان بايصاد المعبد وحبس كهنته ونقل تماثيل الالهة الى القسطنطينية .

أما جزيرة بجه فهي في اعتقاد قدماء المصريين أول مكان وطأته حتحور . وأن أوزوريس نائم عند منابع النيل هذه . . والنيل يجري من بين ساقيه .

وأوزوريس في مهجعه يمثل عندهم المنبع والكهنة يقولون بحرمته، فلا يجوز طبل ولا زمر ولا يطؤه أحد والصيد حرام فيه . . وظلال هذا الامساك عن تعاطي الخمر في الفترة قبل عيد القيامة .

ويقال ان حتحور اغتسلت في ذلك المكان عندما بكت .

والنيل عندهم له يوم في السنة ينام فيه ، والسعيد من يحظى منه برشفة أثناء نومه ففيها روح من قوة ، ونفحة من حياة ، ولمحة من جبروت . . والشقي من دنا من النيل ساعة يقظته . . انه عندئذ يطويه .

كما كان قدماء المصريين يعتقدون هذا ، نرى في الصعيد المصريين المحدثين يقولون : فلان يمسح للريال بفركة من أصابعه . . وتسألهم كيف ؟ فيقولون عن ايمان انه قد مسه عرق الصبا ، لاعتقادهم انه في ليلة القدر يقف الماء في النيل لحظة ، فمن يشرب منه في هذه اللحظة يمسح عرق الصبا . وهو كما ترى امتداد لاعتقاد مصر القديمة فيه .

تقف اليوم عند هذا المعلم من معالم أسوان لستكمل الحديث عنها في الباخرة حتى نصل معا الى المعبد العظيم « أبو سمبل » .

عدنا وأفكارنا الى ايزيس الباخرة . . متعة الرحلة لا يساويها هم البحيرة واذنا بنا نرى على الشاطئ المقابل كوخا أحسب أنه خال من الهم . . وهل يعرف صاحبه البسيط شيئا عن بعوضة الجامبيا ؟

أقول كوخا ؟ انه في الحقيقة صخرة ضخمة يعيش في جوفها رجل كأنه من أهل الكهف . . الصخرة العجوز مثل صاحبها تعابثها المويجات الطفلة فلا تعبا بشقاوتها بل لعلها سعيدة بها من أجل العظيم الخالد الذي يملك الشاطئين . . وصاحب الكوخ يملك قاربا صغيرا يرسو كالصخرة

على الشاطئ .. حين يستأجره الناس ، يمضى صاحبه بهم .. ثم يعود
فيسنده الى الشاطئ ويستند معه .. وهكذا اليوم كله ..

كوخ على النيل وقارب فى مثل هذا الموقع من المدينة العالمية
(أسوان) غنى كبير .. ان الرجل البسيط أغنى من رجل يملك قصرا
وسيارة فى مكان آخر .. ان القرب المجرد من النيل نعمة و ثراء كبير ..

ليس الكوخ وحده .. وراءه حزمة من بيوت صغيرة متواضعة تتملى
النيل فى أمان وفرحة .. عن يمينها ويسارها غابة من النخيل ووراء
جبل أصفر .. آه لو تدرك نفاسة موقعها هذه البيوت المحظوظة على
بواضعها ، لعرفنا أن ترابه يزن مثقاله ذهباً ..

نحن ، ننتظر الغروب .. السماء فيها غمام خفيف مغشى
بالنسمة .. السحاب والشمس من ورائه يشكل منظرا عجباً .. كأن
طاووسا نشر جناحيه .. والجناحان فى صفاء الأزرق غير أن أطراف الريش
مفضضة فى بريق النور الذى ينهل من الشمس الغاربة .. قرص
الشمس يمثل رأس الطاووس الجميل ..

بعد قليل بدأت ألوان الشفق الأحمر والأصفر بمدرجاتهما يتباريان
فى الانعكاس على الأفق الرحيب .. الجبل والنخيل والنيل تشهد المباراة
فى سعادة غامرة لأن النور من كل لون يزيد جمالها تألقاً ..

البخرة أوزوريس قادمة من الشمال أى من الأقصر الى أسوان -
المسائل نسبية - حيث تتأهب لرحلة العودة ..

أطلقت البخرة أوزوريس من بوى صوتا خاصا .. فتهللت
(ايزيس) وأطلقت من بوى ساريتها ، أصواتا جميلة للتحية .. كان
الباختين بينهما من الحنان ما كان بين ايزيس وأوزوريس فى
الماضى ..

سعادتي مضاعفة بهذه الرحلة من سعادة أولادى بها .. لقد أردت
لهم أن يشاهدوا الآثار ويتربوا فى عزها .. فى عز مصر .. وقد نجحت
أو نجحت الرحلة ..

أدركوا جيدا بالصورة والتشكيل كيف ارتقى وطنهم بوجود
الاذنان من الفثانة الى أفق المعنى دون احتقار للجسد أو احتكار
للهادية ..

لمسوا موهبة وطنهم فى العمارة .. التى شرح افكاره بها وأودعها
اسراره وفلسفته .. رأوا بأعينهم مصر أمهم بترجم بالتشكيل عن أعماق
الانسان فى ذرى قلما يترجم عنها الكلام . فالاسلوب ليس الألفاظ
ولكنه نمط فريد وعزيز من الادراك .

أدرك أولادى أن تاريخهم شئ آخر غير ما لقنوه فى المدرسة ..
أعادوا قراءة تاريخهم من خلال الأعمال والدلالات .

لمسوا ادراك الحضارة المصرية نعمة الأسرة فى مثلها الأعلى بيت
وأم وأب وابن .

ايريس - أوزوريس - حورس .

موت - آمون - خنسو .

عرفت مصر الأسرة بمعناها الخاص .

وعرفت مصر الأسرة بمعناها الأشمل والأكبر .

فقد رأى صفارى فى المعبد المصرى ، « حورس » بشتوك مع سيمت
قاتل أبيه فى رفع رمز الوحدة !!

أمم مصر الأعداء والأصدقاء أسرة .. وهى وحدها الأم والأب .

ان الأسرة بمفهومها المصرى العريق بؤرة حضارية يتشرب المرء فيها
شعورا فويما ومقوما .. رحيما ومنعما .

فى الأسرة المصرية التى مثلتها المعابد لمسنا جميعا الوعى الحى
الساخر والعزم اليقظان .. وعى ووعاء يتحول فى عصور الأفلو الى
محافظة وجمود ورتابة .

لقد ترك أولادى الاهرامات فى الجيزة ليروها فى الأقصر وأسوان
مسلات شامخة .. وهل المسلة الا هرم مرفوع على قاعدة عالية تلملم
أطرافها لترتفع الى السماء ؟

رأى صفارى « أوزوريس » يقبض بيد على السوط ، وباليه الأخرى
على رمز العقل أى القوة والحكمة .. واذا رأوا تعلموا .

رأى أولادى النفس المصرية قد وضعت القلب فى كفة . وفى الكفة
الأخرى علامة الحق معات ورمزها ريشة .. وسألوا فى حيرة لا تخفى

وكثيرا ما تصلنى الأسئلة بهم أكثر .. ان تركيز مصر على القلب ووزنه بالريشة اشارة الى رؤية مصر للقلب انه بالصفاء والشفافية يوزن ويقدر لا اللحم والدم .. ألا يذكرنا هذا بالحديث الشريف : (ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم) .

وبالآية الكريمة (الا من أنى الله بقلب سليم) لا بنساء الجوامع والصدقة رثاء الناس ورياء السلطان .

نعم القلب يوزن بالريشة فى مصر ..

فليس الدين فرعا من التجارة بل لا بد للمتدين أن ينضمو عنه أسمال النفس ، البالية .

رأى أولادى (نفرتيتى) و (نفرتارى) و (موت) فى زهو الجمال فاذا الجمال فى الرأس الرفع فى استقامة وترفع وورع واحتشام .. الشعر يترى كالفيث فى رأس ابيدوس ، أو يتتابع موجات فى رأس المرمر .

حس الزينة والأناقة دون الخضوع لها .

يعرفون من الاسلام الآية (خذوا زينتكم عند كل مسجد) ويرون من الفن المصرى احتفاله بالزينة تحلو بها الحياة وتبسسم ، وتنعم بها الصرامة وتترقق . ان الفن المصرى صارم الخط ورائع اللطف معا .

والتربية الحقيقية هى اكساب الأولاد عادات فكرية .

ان ما رأوه مقولات ومقالات تشكيلية تحمل رسائل شوق من الماضى الى الحاضر .. وقد قرأ أولادى وتعلموا .. الكثير فى هذه الرحلة وسمعوا الكثير أيضا . سمعوا سائحة فرنسية تقول : (كيف طاوعنا قلبنا حتى ننقل آثار مصر الى متحف اللوفر ؟ انها أجمل وأنفس فى أرضها ..) .

وسائحة بلجيكية همست فى عمق : المستقبل لهذه الأرض حين يزحف الأفول الى أوربا .. كم حدثونا عن اسرائيل .. الآن عرفت مصر .

وقالت سائحة بلجيكية أخرى : « يقابلنا فى مصر كثيرون فقراء ولكن الفقراء الذين نقابلهم فى الشارع ، والأغنياء الذين نقابلهم فى

الفنادق أو البواخر .. الكل طبيعتهم سهلة ضاحكة ودود .. لقد زرت
روسيا فلم يكلمنى أحد .. لا أذكر أنى سمعت ضحكات .. حتى الألوان
التي يلبسها الناس قاتمة ..

ان العلية وصفاء النفس رزق أيضا وخير كثير ..

ان المصرى الذى يغفر بهذه الرحلة فى حاجة الى عزلة هادئة
ليستعيدها ويعيد ترتيبها فى نفسه .. فى شعوره .. لتصير جزءا من
نسيجه ليرى ..



مصر

كنت على الباخرة ايزيس مع الناس أى السائحين الأجانب ولكنى
فى رحلتى من أسوان الى المعبد العظيم (أبو سمبل) كنت على الباخرة
(الدكة) وحدى مع النيل . فقد كان الفوج السياحى القادم من الغرب
ليستقل الباخرة معى من أسوان الى المعبد لم يصل القاهرة بعد .
وأبرقت الوزارة الى مركز الآثار بأسوان أن تتحرك الباخرة فى موعدها
المحدد ..

أسبوع وحدى على صفحة النهر أصبحو فأفتح عيني عليه وأنام على
موعد معه فى الصباح . كانت حجرتى بالباخرة (الدكة) كبيرة تملك
الرؤية من الجانبين وكأنها والنهر فى مستوى واحد .. ففى الصباح
تطل على من النوافذ مويجاته الصابحة كأطفال مدللة تداعب أما عاشقة
أو أطل عليها أنا بعيون جدلانة تقول فى صمت « صباح النيل » ..
صباح الخير كله والنعمة والحياة حياتنا مصريين على طول التاريخ ..

انك لا تستطيع أن ترى وجه مصر خالصا صافيا منورا الا من
على الهضبة ، أو على النيل .. هناك تبدى لك مصر لا تشبع العين من
سناها .. هناك تتجلى لك مصر بامتداداتها التي تستغرق البصر والحس
والفؤاد جميعا ..

من أعلى الهضبة أو من على النيل تشعر فجأة أنك أغنى انسان فى
الدنيا .. تشعر أنك تملك هذا الوادى الأخضر والرمال الذهبية
والسما المتلهلة المتلاثة .. تملك النيل ..

بل ان شعورك بالملكية أقوى من عقد التملك .. ان الوادى بنهره
وخيره وطيره وسماؤه ونوره وحلاه ، أنت نفسك .. ان المصرى جسما
وروحا وشعورا وسلوكا وأسلوب حياة انما صيغ من هذا الوادى ..

انه عطاء مصر ٠٠ منها خرج ٠٠ منها مادة وثرانا كما يخرج الطفل من بطن أمه فيه من دمها وصفاتها وسماتها .

وما أسعدنى مصرية رأت وجه مصر من القديسين معا ٠٠ رأيته من أعلى الهضبة ورأيته على صفحة النيل ٠٠ رأيته وتمليته ونهلت منه أسبوعين كاملين على النهر أعيش معه فى النهار واسهر معه فى الليل وأنام فيكون آخر وجه تمليته وأصبح فيكون أول وجه رأيته ٠٠ وعلى الرؤية والنهل والتملى ، رجعت وبى ظمأ يجدد هوى العين . وفى قلبى من حبها ، شوق يؤجج شعلة الروح ٠٠

لقد قام الكثيرون برحلات على النيل ولكنى ألاحظ أن المصريين منهم عاشوها فحسب ولكن الأجانب سجلوها . حقا ان أساتذة الجغرافيا عندنا أفاضوا فى الكتابة عن النيل ولكنها الكتابة العلمية المقننة التى تحجز فيض النفس الفنانة ٠٠ ومن أجل هذا تحيا كتابتهم بين طلابهم وأهل الاختصاص .

ولست أزعج ، ولا أستطيع ، أن رحلتى هذه جامعة ٠٠ انها مجرد رحلة ، للعلم منها الحقائق الواقعية ، وللانسان منها ما يفيضه هذا النهر من مشاعر وانطباعات . ان قيمتها فى (مصريتها) فهى رحلة مصرية تبين عن مشاعر المصرى نحو النيل وتعكس صورته فى عينه .

هذا النيل سمى اليه عبر القرون والبلاد كثيرا من الانظار والرحلات والأقلام والفنون ما بين مفتون بكشف مجاهله أو تصوير معالنه أو كتابة تاريخه ، أو قصته مع الطبيعة والانسان . ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر ويلكوكس W. willcocks وهيرست H. E. Hurst وألان مورهد Alan Moorehead فى كتابيه (النيل الأبيض) و (النيل الأزرق) ، ولودفج Emill Ludwig والكسندر موريه Alexandre Moret وشيلو Chélu وفرناند لبرت Fernand Leprette واليان فنبرت Elian Y. Finbert وشارل بلانك Charles Palanque

هذا غير كتب الرحلات مثل (النيل يمر ببلادى) للكاتبة بلانكايرا فييرا وغير الفصول التى عقدت على (النيل) فى كتب الأنهار وغير الكتب الفنية التى نقلت عن النهر الفنان ما أبدعه ٠٠ من لوحات ورؤى . وأنا هنا ألتج كتاب The Nile تأليف اليوت اليزيفون Ediot Elisofon المصور العالمى الذى حاضر فى الفن والتصوير فى المتاحف والكليات فى

جميع أنحاء العالم ، والعضو بكلية علوم الحفائر والأجناس بجامعة هارفارد ومن هنا تتمثل قيمة كتابه الذى يضم ٢٠ صورة ملونة و ١٨٤ لوحة مصورة ، فى قدره كاميرته الخارقة على تعمق المنظر ونشره على عيوننا فى حساسية لا حده لها . فقد صور المؤلف المنابع وتدفقات المياه من زواياها المختلفة ثم تدور الكاميرا القادرة فى جنوب السودان وتمضى مع النيل الأبيض وتصعد فى السودان والنوبة العليا ثم ندخل النوبة السفلى أى النوبة المصرية حتى اذا بلغت أسوان كانت قد سجلت الصورة رقم ١٤٦ وهى لجزيرة فيلة . ثم تنتشر الكاميرا فى (الوادى الأخضر) لتسجل آثار كوم امبو وادفو وطيبة والدير البحرى ودندرة وابيدوس وأبو تيج وبنى حسن والفيوم ودششور وممفيس والجيزة حيث تلمح الأهرامات الثلاثة وأبو الهول . ثم صور القاهرة الاسلامية والحديثة وقطاعات مختلفة من الوجه البحرى حتى اذا وصلت الاسكندرية جمعت الصورة الأخيرة ، الشجر الجميل ، فى منظر يلفه الليل ويضمره ضوء القمر ، التقط المنظر للاسكندرية من البحر فى الجزء الشرقى من المدينة عند كامب شيزار .

وهكذا يقطع الأجانب آلاف الأميال ، والأيام ، ليصوروا النيل أو يكتبوا عنه ما لم تنكف متله نحن أبناء النيل الذى يجرى النيل فى عروقنا دما ويسرى فى قلوبنا هوى وهو فى حاضرتنا وماضينا شريان الحياة المصرية الأكبر ومجلاها .

ان قصتى مع النيل أو رحلتى على النيل من أسوان الى معبد (أبو سنبل) وما حول المعبد ، لها حديث طويل .

مع النيل

بدأت الباخرة تتحرك . . تنهذى ثم تسير فلوحنا لمعبد كلابشة الذى تم نقله على الشاطئ الآخر نقلته وأعادت تركيبه ألمانيا الغربية هدية لمصر . . وعلى جلال فيه وروعة لا أقف بالوصف عنده ففقد أفرد له مركز تسجيل الآثار كتابا محلى بالصور والنقوش مزودا بالحقائق التى تغنى طالب المعرفة أو زهو المصرى أو هواة الآثار .

★★★

الباخرة تجرى أمام قرية أمشير أول قرية هاجرت وكانت هجرتها سنة ١٩٣٠ عند تعلية خزان أسوان للمرة الثانية .

ان شاطئ النيل النوبي تنتثر عليه النجوع ببيوتها البسيطة المتواضعة بيوت سقوفها قباء حتى لا تكون الشمس عمودية عليها بل تنوزع الحرارة على الجانبين مائرة بطراز البيوت في أسوان القديمة .

ولم يكن بعدنا كثيرا عن أسوان حتى رأينا نجع العمدة . وفي هذا النجع كان يقوم معبد (دابود) وقد تم نقله في صيف ١٩٦٠ ، عند انخفاض المياه الى جزيرة أسوان ولم تتم اقامته بعد .

ومرت الباخرة بقرية دابود ونجع مريس ونجوع في الشرف والغرب . وقد هاجرت (دابود) في ١٨ أكتوبر سنة ١٩٦٣ وكانت هجرتها البداية الأولى لعملية التهجير من بلاد النوبة الى كوم امبو حيث الاراضى واسعة وصالحة للزراعة .

ويقول علماء الجغرافية التاريخية ان أول طمي من الحبشة اكتشف في قرية السبيل يكوم امبو ويرجع تاريخ هذا الطمي الى العصر الحجري القديم الاعلى . ولما كانت بعثة بيل الامريكية متخصصة في عصر ما قبل التاريخ فقد اكتشفت في كوم امبو .٠ أصدافا وأشجارا متحجرة وعظاما لحيوانات عرف بها هذا العصر ترجع الى عصور سابقة لعصر ما قبل التاريخ . وقد عثروا على هذه الأشياء في بحيرة تسربت مياهها على اثر انكسار قديم وكانت قبلا يعيش الناس على ضفافها ويغذى البحيرة مجريان من مياه السيول التي كانت تسقط على جبال البحر الأحمر وقد جف المجريان وأصبح يطلق عليهما الآن .٠ وادين .

وفي بلاد النوبة من هذه القرى ٤٥ وحده تستعد (كوم امبو) لاستقبالها في بيوت جديدة أوسع وأصح ولكنهم يشقون نفسيا بالهجرة .٠ ولو في بادئ الأمر حتى يتأقلموا ، وتألف نفوسهم الاستيطان . انهم يؤمنون بالنيل .٠ يودون قربه .٠ يشتهون لو عادوا وأعادوا بناء بيوتهم أقصد أقبيتهم ولو على مسافة بعيدة يلمحون منها النيل لمحا ان فاتتهم الرؤية القريبة .٠ ويقدر العارفون بهم رجعة الكبرين منهم بعد استقرار المنسوب الجديد للنيل عند البحيرة الصناعية خلف السد .

الباخرة تمر الآن بنجوع لم يبق منها الا بعض أشجارها . والا بعض قصصها . نسيت سبدة بعض حاجياتها في عملية التهجير فعاتت من (كوم امبو) الى أسوان ومن هناك استقلت قاربا شرعيا الى نجعها وانتظر

القارب فصعدت المرأة فداهمت الكلاب التي خلفها الناس وحدها في النجع المهجور وكان الجوع قد أصابها بسعاره ٠٠ وإذا جاع الكلاب هاجم بعضها بعضا ٠٠ ويبدو ان هذه الخطوة نستقبل وصول السيدة فخطت عند رؤيتها الخطوة الأخرى وراحت ضحيتها المرأة المسكينة التي لم يشعر بها ركاب الزورق الا متأخرا فلما حقوا اليها وجدوها مرقا ٠

الباخرة تمر الآن أمام نجع (دوشي) بعد ان رحل عنه أهله وقد زارت هذا النجع الصحفية الفرنسية مدام (لاکوتير) في أكتوبر سنة ١٩٦٠ ٠٠ وجاست بين البيوت فلاحزت ان أهل الدور جلهم من النساء عدا ثلاثة سيوخ أقعدتهم السن فلم يلحقوا بالرجال والشباب الذين يلتمسون الرزق في المدن الكبيرة فسمت كتابها عن بلاد النوبة (بلد بلا رجال) وقد ترجم الى الانجليزية ٠

لا أرى نجوعا بعد بل صخورا معلقة لا يبدو عليها أثر الخوف من هذا الوضع .. وصخورا تبدو من بعيد كمظاهرة من الناس يهتف فيها خطيبها .. تماما اناس يبدو بعضها حاسر الراس والبعض الآخر على رأسه قبعة . اناس في هياكل سنتى ووقفات .. مختلفة وفقا لاجسام الصخور صغیرها وكبیرها مما ينسب له للعین . وصخورا على شكل تمثال تل روما وصخورا على شكل مؤنمر . وصخورا تشكل سوقا فى النيل له زحام ويدخل فيه الناس بعضهم فى بعض .. هذا جالس وذاك واقف ونال يلوح بيده .

هاهى نى قرية (دهيت) وقد رحل عنها أهلها مع الراحلين . كان رفيقى فى الرحلة نوبيا فكان وجهه يتهلل كلما رأى باخرة سودانية قادمة ويقف يلوح لها . ان أجمل ما فى الانسان مشاعره .. أشياء لا نكلفه شيئا ولكنها نفعل المعجزات : لفتة .. ابتسامة .. كلمة حانية .. لمسة يد .. لمعة عين .. دمعة لقاء أو وفاء .

وفى الطريق قابلنا بواخر قادمة من السودان ومن الطريف ان البواخر السودانية تحمل أسماء الأبراج .. عطارد .. المريخ .. الزهرة .. القطبى .. النوبة .. (وكان اسمها الأصلي بريطانيا) . هذا حين تسمى مصر بواخرها التابعة لمصلحة الآثار بأسماء فرعونية أسماء ملوك أو معابد .. فرمسيس وهى باخرة مخصصة لكبار الزوار **والدكة** : باخرتى التى حققت حلما غاليا من أحلامى الكبيرة، والباخرة (شيخ البلد) نسبة الى تمثال شيخ البلد الموجود فى المتحف المصرى .

والعوامات : (جرف حسين) - (ممنون) و (بيت الوالى) والتسمية هنا من عند الاهالى الذين رأوا المعبد على شكل بيت قسموه بيت الوالى وعرف نجعهم أيضا بهذا الاسم : بيت الوالى .

و (زوسر) و (امحتب) - وزير زوسر و (قصر ابريم) .

والجارات : احمس - تحتمس - سيتى - فرطاسى - دندور (اسم معبد فى بلاد النوبة) الدر (نسبة الى معبد الدر) - دابود (نسبة الى معبد دابود) .

العصادل الآكية : أبو عوده (نسبة الى معبد « أبو عوده » وهى تسمية أطلقها الاهالى أيضا . **كلابشه** : (نسبة الى معبد كلابشه) .

الصنادل غير الآلية : التى تجرها الجرارات وهى :

السجوع - (نسبة الى معبد السجوع) ، عمدا (نسبة الى معبد
عمدا) وهناك لنش (أبو سمبل) .

حتى البواخر السياحية سميت مصر منها :

ايزيس - لوتس - ممفيس - نفرتارى - أوناس (اسم ملك من
ملوك الأسرة الخامسة) .

المنشآت الطائفة : كليوباترة - نفرتيتى .



(الدكه) باخرتنا تمر الآن أمام قرية (امركاب) وقرى دابود
ودهميت وامركاب تقع على ضفتى النيل معا .

لم يبق من القرى الا أسماؤها والصمت المخيم على بيوتها المزوعة
النوافذ لعلها للذكرى بيوت كانت منذ بضع سنين تضج بالحركة فقد
كان أصحابها أهل طرب ومن فيبيوت النجوع مزدانة حتى من خارجها
وبعض زينتها الأطباق الصينى اليابانية يعلقونها على الجدران الخارجية
للمنزل وفتيات الأسرة يملأن الجدران بالرسوم والنقوش . ان الانسان
المصرى فنان بطبعه لانحجب روحه الشاعرة الفقر أو قسوة الطبيعة
وضنها عليه . ان هذه النجوع حين كانت أهلة كانت تستمد حاجياتها
الضرورية من زوارق شراعية هى بمثابة حوانيت متنقلة تأتيها من أسوان .
ومع هذا الشظف كانت نفوسهم تتفتح على الفن .

اننا الآن أمام معبد قرطاسى (نقل المعبد فى صيف سنة ١٩٦٠)
ويقع على بعد ٤٥ كيلو مترا تقريبا من خزان أسوان ويعتبر من أجمل
معابد النوبة وبه أربعة أعمدة يتجهان على شكل الزهور أبدع الفنان
نحتها حتى غدت تستوقف كل عين . وكم آثار هذا المعبد الصغير من
اعجاب واهتمام الزوار ورجال الآثار على سواء .

(والى الجنوب من هذا المعبد كما يقول مركز تسجيل الآثار يوجد
عدد من المحاجر التى قطعت منها الأحجار التى استخدمت فى بناء معبد
فيلا وقد جسد نقوش كسيرة باللغة اليونانية فوق صخور هذه المحاجر
كما توجد مقصورة تسرعى النظر باللوحات المنقوشة على واجهتها)

باخرتنا تسير فوق قلعة رومانية غطتها مياه الفيضان . . كم فى
صدرك يانيل من قصص وأشياء .

وفى هذه المنطقة أيضا معاجر للحجر الرملى ومن هذه المعاجر بقى
معبد فيلة فى أسوان الذى سعى فيما بعد باسم (أنس الوجود) .

ومعبد أنس الوجود بنى للاله ايزيس ويرجع تاريخ انشاء جزء
منه الى العصر البطلمى وهو يقوم فى جزيرة فيلة . والمعبد عبارة عن
مجموعة معابد وأقدم جزء فيه يرجع الى عصر الملك (طاهرقا) من ملوك
الأسرة الخامسة والعشرين المصرية النوبية . ويليه فى القدم معبد
(تحنتنبو الأول) من ملوك الأسرة الثلاثين المصرية من العصر المتأخر

أما التسمية (أنس الوجود) فتقف وراءها القصة العربية
(أنس الوجود والورد فى الاكام) التى بنى لها أبوها قصرا متبعا
لم ير منله الراؤن (١) فى جبل الشكى القائم فى وسط بحر الكنوز
(وذلك الجبل لايقدر على الوصول اليه أحد الا بالمشقة) (٢) ثم تمضى
القصة فى سردها وتمضى باخرتنا فى سيرها بعد ان نلمح وجود قصر
فى البحر يشكل وجه شبه قريب بين معبدنا وبين قصة ألف ليلة وليلة،
يسهل معه تفسير التسمية العربية للمعبد المصرى .

(الدكة) تمر بنا من (باب كلابشة) وهو أضيق مكان فى
المجرى فى بلاد النوبة وكان التفكير فى السد العالى يتجه اليه لاقامة
السد هناك ولكن التفكير انصرف عن هذه المنطقة لبعده المسافة بما يوازى
تقريبا ٥٠ كيلو مترا عن أسوان وصعوبة الانشاء من كافة نواحيه هناك .

كما اتجه التفكير يوما الى مد خط حديدى من أسوان الى مدينة
حلفا ولكن الاسنعمار واعتبارات سياسية أخرى اعترضت طريق
المشروع فتعثر ثم توقف .

وفى هذه المنطقة معبد (طافا) والاسم القديم (نافيس) كما كان
الاسم القديم لكلابشة (تاليس) .

وقد نقلت أحجار معبد طافا الى أسوان ولم يتم تركيبه بعد
وكان هناك معبد اسمه طافا الجنوبى حددت مكانه البعثة التسيكية صيف
سنة ١٩٦٢ ولكن الكشف لم يتييسر للباحثين لأن الطمى فوقه عمقه
سنة أمتار .

(١) ألف ليلة وليلة .

وعند معبد طافا لاحت قبة بيضاء هي قبة الشيخ (بحر) واليه يسمعى النوبيون من كل صنف في ١٥ شعبان من كل عام فتأتى المراكب عليها جموع الرجال والنساء • يذبجون له الذبائح • ومن الطريف ان زواره يأتى كل منهم بأربعة أحجار يرصها بعضها فوق بعض علامة أو ذكرى كما كان زوار معبد ايزيس فى أبيدوس التى تسمى اليوم (العرابة المدفونة) مركز البلينا محافظة سوهاج يتركون لوحات يسجلون عليها تاريخ الزيارة وغرضها أو الشكر على أمنية تحققت أو رجاء مجاب وفى الدولة الحديثة الفرعونية استثن المصريون القدماء تقليدا فكان الملك عندما يموت • يزيرون جثمانه ابيدوس ثم يعودون به ليدفنوه فى الأقصر • ويبدو ان قبة الشيخ بحر تمثل اليوم دور ابيدوس فى مصر القديمة •

وفى هذه المنطقة مغارة فى الجبل يخلد فيها المشتغلون بالآثار • ووراء الجبل بقايا دير مسيحي وهو دير صغير غير معروف • نحن الآن نمر بمنطقة كلابشة وهى أخطر منطقة فى الملاحة لامتلاء المجرى بالصخور وأهل كلابشة أكثر الناس اجادة للضرب بالبنادق ووراء هذا قصة فان أسراب الطيور التى تسمى الكركى (ويطلقون عليه الكرك) وهو طائر يشبه البجع وطائر اللسان وتهاجر أسراب هذه الطيور من المناطق الباردة فى أوروبا وروسيا الى المناطق الحارة فتبدأ رحلتها من مناطقها فى الخريف لتصل الى مصر فى الشتاء وتصل منطقة النوبة وخاصة كلابشة ، لتعود فى الصيف الى موطنها فى الشمال • وكما يلتقط الطائر الحب ، يلتقط أهل كلابشة هذه الطيور برصاص بنادقهم تحية لقاء ويشاركهم فى هذه الهواية أهل اميركاب •

وهناك نوع آخر من الطيور يكثر فى بلاد النوبة فعلى الحدود بين مصر والسودان وهى آخر منطقة النوبة المصرية ، جموع من البط البرى والأوز الذى يطير هنا وهناك على جانبيك اذا قدر لك ان تعبر هذه المنطقة بزورق شراعى • ومن الطريف ان هناك ربوة وديرا مسيحيا يطلقون عليه (قصر الوز) •

واسم (كلابشة) اسم نوبى مصدره الاسم (كلوبجو) ومعنى كلو « حجر » ومعنى (بجو) عريض • فكلو بجو أى الحجارة العريضة ثم حرفت فصارت كلابشة •

ومن الطريف (طريف الرحلة هذه المرة) ان باخرتنا تمر الآن بمدار السرطان الذى يمر بمنطقة كلابشة ٠٠



نحن فى الطريق الى معبد (بيت الوالى) الذى بناه رمسيس الثانى .
ومعبد بيت الوالى أحد معابد ستة بناها رمسيس الثانى فى بلاد النوبة وهى من الشمال الى الجنوب :
١ - بيت الوالى وهو على مسافة ٥٧ كم من أسوان الى الجنوب .
٢ - جرف حسين وهو على مسافة ٩٠ كم من أسوان الى الجنوب .
٣ - وادى السبوع وهو على مسافة ١٥٠ كم من أسوان الى الجنوب .
٤ - الدر وهو على مسافة ٢٠٨ كم من أسوان الى الجنوب .
٥ - ٦ - معبدا (أبو سمبل) وهما على مسافة ٢٨٠ كم من أسوان الى الجنوب تقريبا .
نقف الآن بباب بيت الوالى ٠٠ وسوف نلتقى فى رحابه ٠٠ فى الصفحات التالية .

بيت الوالى

ومعبد بيت الوالى أحد معابد ستة بناها رمسيس الثانى فى مسافة ٥٦ كيلومترا جنوب خزان أسوان ويتكون من :
١ - الصالة المفتوحة أو الفناء الخارجى حيث رسم الفنان المصرى على الجدار الأيسر أعداء رمسيس الجنوبيين وقد حاربهم فرعون وانتصر عليهم فدانوا له وقدموا اليه الهدايا من الذهب والزراف والأسود ومنتجات الجنوب . لتقربهم اليه زلفى .
وعلى الجدار الأيمن رسم الفنان المصرى أعداء ملكه ، الشماليين، وقد انصاعوا له والتمسوا الى رضاه الأسباب من هدايا وطرف .
ومن الطريف ان النقوش تصور (رمسيس) - على الجدار الأيسر - وقد تحمس للحرب وشمر لها كما يقولون فربط لجام فرسه فى وسطه لتتفرع يده للطنع والضرب .

وفى الصالة الداخلية عمودان من الطراز البروتودورى .
يرجع تاريخهما الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وهذه الأعمدة سابقة
على الأعمدة الدورية التى عرفتھا اليونان فى القرن السادس قبل الميلاد
نقلا عن مصر .

وفى مواجهة الداخل الى صالة الأعمدة طاقتان أحدهما الى اليمين
والأخرى الى الشمال بكل منها ثلاثة تماثيل تمثل الملك رمسيس الثانى
فى الوسط من بين الالهة (عنفه) والاله (خنوم) انه منطقة أسوان
خالق البشرية والذى كان بمثل برأس كبش ومن بين الالهة (ايزيس)
والاله حورس سيد (باكى) المنطقة المعروفة الآن باسم كوبان .

ويل الصالة الداخلية حجرة صغيرة تسمى قدس الأقداس وهى
أقدس مكان فى المعبد حيث يوضع تمثال الاله .

وفى قدس الأقداس فى معبد بيت الوالى نقش يمثل الالهة عنفه
ترضع (رمسيس) وعلى الحدار الآخر الالهة ايزيس ترضع
(رمسيس) أيضا .

ومعبد بيت الوالى من المعابد التى حولت الى كنائس فى العهد
المسيحى .

كما حول معبد دندور الذى بناه الامبراطور أوغسطس الى كنيسة
وبينه وبين معبد بيت الوالى حوالى ٢٢ كيلومترا ومعبد دندور به نص
باللغة القبطية يشير الى تحويله الى كنيسة وبه كثير من الرسوم
القبطية .

والعمل فى بيت الوالى يجرى بهمة مصرية لتقطيعه ونقله وقد
غطيت القنوش ، البارزة والغائرة بالشاش الأبيض حتى لاتخدش أثناء
عملية النقل وهى التى أبدع الفنان المصرى نقشها ورسمها حتى غدت
المحافظة عليها دين وطن ومسئولية عصر أمام تاريخ الانسان وقبل
حضارة الانسان .

والشباب المصرى المتقف فى المناطق الأثرية سعيد بعمله بين أمجاد
ماضيه غير ان ما يقلقه هناك اما هو نقص الرعاية الطبية فطبيب القاهرة
المجرب يابى أن يترك عيادته وأمنه الى المناطق النائية حيث المستقبل
أمامه غامض ولو أجزلت له العطاء ، والطبيب حديث التخرج يلهث

وراء القاهرة حيث يجد فيها رضا خياله .. يقول محدثى المهندس يحيى شكرى ان المقاولين يعرضون مرتبا ١٥٠ جنيها فى الشهر . اليس هذا مجزيا ؟ بل ومغريا ؟ هى ان المصران الاعور مثلا هاجم أحدا أولدغته حشرة مؤذية ماذا يصنع ؟ ثم يتسم فى هدوء ويقول
الله كفيل بحمايتنا .

وأرى العاملين بالمناطق الأثرية من شبابنا المثقف الجاد الواعى العميق الايمان بمصر خليق بالرعاية الشاملة ولعل الرعاية الطبية من أبسط حقوق المواطن المصرى بل الفدائى الذى يعيش بين الصخور يستنطق الحجر ويستكشف الأثر .

نحن الآن أمام قرية (أبو هور) أجمل قرى النوبة وقد استطعت ان أتبين .. نقوشها البسيطة الجميلة .. انها مستمدة من البيئة حولها فالوحدات الزخرفية فيها قوامها سمكة .. باخرة .. مركب .. ويتسع النيل حتى يخيل اليك ان عرضه طولا فاذا بلغنا حافة الجبل المتربع فيه لمحت النيل يدور بالحافة أى ان المجرى له بقية خلف الجبل كأنه نهر آخر .. كم كافح هذا النهر العظيم .

وفى منطقة (مروا) يربض الجبل على شكل أسد جائم الى جانبه أسود فى مثل هيئته وكأنه نموذج مضخم من طريق الكباشى .. والنيل يتدافع فى ثقة كأنه جيشا من مياه يغزوه ويقلم أطافره ويطرقه كمن يضرب حوله حصارا .

ومن الطريف ان أهالى « أبو هور » و « مروا » و « ماريه » ظنوا أنفسهم فى مدن القنال الثلاثة بور سعيد والاسماعيلية والسويس .

وبين قرية مارية وقرية قرشة وينطقها أهلها جرشا توجد قلعة سباجورا .. وهى قلعة رومانية (أواخر العصر الرومانى) .

وهذه القلعة قامت بالحفائر فيها بعثة ايطالية أربع مواسم متتالية سنة ١٩٥٨ ، سنة ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ .

وتقابل « قرشه » قرية جرف حسين على الضفة الغربية وفيها معبد جرف حسين وهو معبد الاله بتاح ويقع على مسافة ٩٠ كيلومترا من

خزان أسوان ومعظمه منحوت فى الصخر ٠٠ والى الجنوب من المعبد
خمس مشايخ :

الشيخ عبد الجليل - الشيخ عبد الرحيم - الشيخ سعد - الشيخ
يزيد والشيخ أزيد ٠

وعند قرية توشكا غرب فى الجنوب من عنبيه شركة يوجوسلافية
تقوم بأبحاث على التربة هناك حتى تتوصل الى مبدأ إمكان حفر ترعة
تغذى (الوادى الجديد) بدلا من الآبار - الذى يقع الآن فى الجنوب
الغربى من أسيوط ٠

نحن الآن أمام كشتمته ويشتهر أهلها بفراشة الطول ٠ وعلى
الضفة الغربية قرية الدكة وفيها أربعة آلاف فدان استصلحت وكانت
تروى بالطلميات ولكن أهالى الدكة هجروا أيضا وسوف تغمر المياه
الجديدة هذه الأرض الجديدة التى كانت تجود بالليمون والمناجور من أجود
الثمار ٠ وبالدكة معبد يقع على الضفة الغربية للنيل على بعد ١٠٧ كيلومتر
جنوب خزان أسوان كان يعبد به الاله (تحوت) اله الحكمة كما عبد به
خثوم وايزيس ٠ وبالمعبد نقوش من عهد حتمبسوت وتحتهم
الثالث وسيتى الأول ومرنبتاح ٠ وبه رسوم تمثل القديسين حيث
حول المعبد الى كنيسة ٠

ولسنا وحدنا فى ركاب النيل الآن فالليل معنا ٠٠ تتملأه نجومه
مثلنا ٠٠ الليل والنيل وبقايا ألوان الشفق وراء الجبل منظر جميل
مشحون بالأسرار ٠٠ ويعمق الليل ويعمق وتكشف دكنته فتبدو قطع
الظلام من بعيد على صفحة النيل كالجبال ٠

وبعد الدكة قرية (العلاقى) وهذه القرية كانت بها المحاجر
والمناجم التى كان الفراعنة يستخرجون منها الذهب الذى كانوا يسمونه
نوب واليه ينسب اسم النوبة أى بلاد الذهب وهناك أغنية نوبية تقول :
(ذهب نوى ونوبه) ومعناها يا اسم الذهب يانوبو ٠

والتاريخ يذكر قيام الملك « جر » أحد ملوك الأسرة الاولى ، بحملة
بحرية ، وصل فيها الى « بوهن » حيث ترك لنا نقشا على صخور جبل
الشيخ سليمان ، يوضح المعارك البحرية التى انتصر فيها على القبائل
هناك ٠

وقد زاد اهتمام الملوك بالنسوبة السفلى بعد هذا التاريخ وذلك لأهميتها كطريق للتجارة الى الجنوب ، ولغناها بالذهب ، والأحجار والأخشاب . وقد كشف حديثا عن محاجر « الديوريت » الواقعة شمال غرب « توشكه » وعرف لأول مرة المصدر الذى جاءت منه تماثيل الملك خفرع التى عثر عليها فى معبدته بالجيزة ، كما عرف أيضا مصدر الأوانى (الديوريت) الجميلة التى شاعت على عهد العصر العتيق ؛ كما وجدت فى هذه المحاجر أسماء بعض ملوك الدولة القديمة مثل خوفو وسحورع وأسيىسى مما يدل على اهتمام ملوك هذه الدولة يجلب الأحجار من هذه المحاجر (١) .

وبعد العلاقى قرى « قورته » و « المحرقة » وبعد المحرقة « السياة » و « المضيق ثم وادى السبوع وبالمحرقة معبد صغير من العصر الرومانى رقم ١٩٠٨ . وبها قلعة من العصر البيزنطى ، وهو يقع على بعد ١٥٠ كم من أسوان وبه ثالث معابد رمسيس الثانى فى بلاد النوبة (مرتبه من الشمال الى الجنوب) .

وينفرد معبد وادى السبوع بأكبر عدد من أبناء وبنات رمسيس الثانى تراهم على جانبى الفناء المفتوح ، وبه عشر تماثيل على الجانبين تمثل الملك على هيئة الاله أوزوريس وعلى جدران هذا الفناء نجد صور جميع أبناء وبنات رمسيس .

ولما ان المعبد قد حول الى كنيسة فى العصر القبطى فاننا نجد مدخل صالة الأعمدة على الطراز القبطى يعلوه صليب . والاضافات القبطية فى البناء كانت مبنية باللبن . كالمذبح الذى نراه فى صالة الأعمدة . وبالطبع عند نقل المعبد سيقام على صورته الفرعونية فقط وقد جاءت بعثة يوجوسلافية ونظمت النقوش القبطية نقلا علميا قبل ازالة المباني الطينية .

وصالة الأعمدة بها اثنا عشر عمودا مربعا نقشت على جوانبها مناظر تمثل الملك فى علاقاته مع الآلهة المختلفة .

أما قدس الأقداس بهذا المعبد فعلى جداريه الأيمن والأيسر منظران يمثل كل منهما الملك رمسيس الثانى يقدم للقرايين ويحرق البخور أمام قارب مقدس تدل الأبحاث على ان أحدهما لاله آمون والآخر للملك

(١) كتاب « مشروع انقاذ آثار النوبة » .

رمسيس الثانى كاله ٠ والمعروفان لكل اله من الالهة الرئيسية فى مصر الفرعونية قارب خاص عليه القادوس الذى يحوى تمثال الاله ٠

وفى الطاقة بالجدار الغربى من قدس الأقداس نجد صورة بالألوان للقديس بطرس بعد ان قام الأقباط فى العصر القبطى بإزالة التماثيل الثلاثة التى كانت قبلا ومنها تمثال للاله آمون رع ملك الالهة والذى أقيم من أجله المعبد ٠ وعلى جانبى الطاقة صورتان لرمسيس بالتاج الملكى يحمل الزهور فيبدو الآن كما لو كان يقدم القرابين للقديس بطرس وعلى الجدار الشرقى لقدس الأقداس والذى به التدخل صورة لرمسيس فى حضرة الالهة موت زوجة الاله آمون رع ملك الالهة على جانب ٠

وصورة لرمسيس فى حضرة الالهة حتحور على الجانب الآخر (على يمين الداخل الى قدس الأقداس صورة لرمسيس أمام الاله رع (حور آختى) أى الشمس فى شرقها وقد بنى رمسيس الثانى معبد (أبو سمبل) من أجل هذا الاله ٠

والى يمين الداخل الى قدس الأقداس وفى الصالة المؤدية اليه منظر يمثل رمسيس الثانى أمام الاله رع حورآختى ورمسيس الثانى كاله والالهة أبو عاسى والى اليسار منظر آخر يمثل الملك أمام الاله آمين سيد الكرنك والملك كاله و ٠٠ الالهة موت زوجة آمون ٠

وعلى جانبى صرح معبد وادى السبع تمثالان للاله رمسيس وقد امتد أمامه صفان من الأسود يعلو الجسم منها رأس رمسيس لابسا التاج الموحد رمزا الى انه فى قوة الأسد من حيث الضلالة الجسدية الى جانب عقل الانسان وقوة الملك الحاكم ٠

وهذان الصفان من (السباع) وراء تسمية المنطقة التى أطلق عليها ٠٠ أهلها (وادى السبع) ٠

وقد غمر النيل الآن الصفين فلا يظهر منهما الا التيجان وكأنه تراجع عن امارة العز ورمز الهيبة والجلال ٠٠ كم أعطيت يا وهاب وكم أبقيت ٠

وفى وادى السبع سد العمال طريقا معبدا مرصوفا طوله ٥ كيلومترا من المعبد فى موضعه الحالى الى المكان المزمع اقامته فيه وهو غرب الموضع الحالى وقد تم هذا الطريق ٠

وفي ساحة المعبد عمال كثيرون ينشرون الحديد وعمال ينقلون
أعمدة الخشب الغليظة وعمال يتعايشون مع أحجرة وآخرون مع رسومه
وثقوشه حتى ترابه يحسب له حساب .

وراء العمال مهندسون مصريون وكيميائيون وأثريون ومرمومون
يحملون الاجازات العالية والجميع يعرفون القيمة الحقيقية للمعبد
فلا يبرحونه الا بالمناوبة .

وفي وادي السبع لفت انتباهي (بيت الغفير) برسومه وزخارفه
حتى ليسأله عنه كل من يزور وادي السبع لشهرته في المنطقة . وقد
هجره صاحبه مع من هاجر . .

وقد حرص المقاول الايطالى فيشيا على شرائه منه .

وبعد وادي السبع تقع قرية المالكى وأظهر ما فيها بناء لمدرسة
هجرت هي الأخرى . نحن الآن أمام قريتي شاتورما وسنكالى وعندها
يسير النيل في انثناء شبيهة بانثناء قنا .

ثم (مررنا أمام قرية كورسكو ومما يذكر ان أهلها مازالوا بها
لم يهجروها بعد ، على ان هناك قرى جنوبها هاجر أهلها . الجبال في
هذه المنطقة رهوس مثلثات والأشجار غرقى . . والنخيل غطس غير انه
يشرب من آن الى آخر فيخرج رهوسه على صفحة الماء .

وفي هذا المكان طابية كان السياح قبل التعلية الثانية للخزان
يصعدون اليها الجبل يحملون النظارات المعظمة ليروا منها شروق . .
الشمس . . ويقال ان هناك طريقا . . للقوافل في الصحراء بين
كورسكو وأبو حمد في السودان . ولعل الأغنية النوبية تؤيد هذا
ومطلعها :

من كروسكو الغيب شديت أبو حمد جبل النميمة طبيت

والغيب هنا معناه الغروب ، شديت أى شددت الخطى للسفرة . .
والنميمة أى النوم وطبيت أى وصلت وبهذا يكون المعنى العام ان القائل
بدأ رحلته من كروسكو عند الغروب فوصل (أبو حمد) قبل النوم
أى ليلا .

نحن الآن في طريقنا الى قرية (أبو حنضل) وبهذه المناسبة أقول
ان النوبة قسمان . . هما موضوع حديثي القادم فمن حق النوبة ان
يفرد لها الحديث .

النوبة

وقفنا بالحديث في المرة السابقة عند قسمي النوبة ، وقسمها

هما :

١ - النوبة العليا

٢ - النوبة السفلى وهي النوبة المصرية

النوبة السفلى المصرية : وفيها ثلاث لغات :

١ - اللغة العربية

٢ - اللغة الكنزية

٣ - اللغة الفادكا

اللغة الكنزية : ويتكلمها الاهالى من شمال أسوان حتى بلدة (المضيق) . وهي لغة حامية فيها بعض الالفاظ العربية . وهي لغة الحديث بين أصحابها وليست لغة كتابة اذ انهم في مكاتباتهم يستخدمون العربية . وأصحاب هذه اللغة سموا (الكنوز) نسبة الى (كنز الدولة) كان أيام الحاكم بأمر الله شخصا معارضا فاضطهده الحاكم ففر الى الصعيد فجعل الحاكم جعلا لمن يقبض عليه فقبض عليه حاكم منطقة أسوان فكافاه الحاكم بالطبع . ويبدو أن المصريين تندرؤا عليه كمادتهم فسموه (كنز الدولة) اشارة الى المال الذى قبضه من الحاكم ثمنا لوشايته ، وسموا أتباعه (الكنوز) .

اللغة الفادكا : وهي شائعة فى المنطقة من قرية أبو حنضل حتى الجندل الثانى المعروف باسم الشلال الثانى وهي لغة حامية كاللغة الكنزية غير انها تغلب عليها الطابع التركى أو المملوكى . ولهذا قصة . . فعندما اقترب محمد على مذبحه القلعة . . المشهورة فى الماليك والالبان الى الصعيد ومنها الى بلاد النوبة وتجمعوا فى منطقة (ابريم) على مقربة من عنيبة وهناك اختلطوا بالاهالى وتزاوجوا معهم . ومما يذكر ان الجمال فى هذه المنطقة عالى النسبة وله طابع جميل فالبشرة الخمرية المثوبة بصفرة خفيفة رقيقة تزيدها شقوفا وحلاوة ، والعيون السود ، والشعر الفاحم .

والاسماء هناك تسمع بينها (أغا) و (الكاشف) وغير هذا كثير

من الألفاظ التركيبية نجدتها في لغة الفادكا كما أن بينهما وبين اللغة الكنزية ألفاظ مشتركة .

ولغة الفادكا لغة كلام فقط لأنهم يكتبون بالعربية .

هذه من حيث اللغات أما من حيث الطبيعة فالنوبة المصرية قسمان أيضا :

القسم الشمالى (البحرى) وهو جذب غالبا . .

القسم الجنوبى وهو مزروع فيه زرع ونخيل . .

أما النوبة السودانية فهي تبدأ من وادى حلفا أو على التحديد بلدة (فرس) حيث أنقذت البعثة الهولندية كنيسة فرس .

وصلنا الآن قرية (أبو حنضل) التي يتكلم أهلها لغة الفادكا . على البعد أرى انسانين كأنهما عصوان سوداوان يدبان على الأرض أرجح أنهما من الصيادين لأن الشاطئ عندهما يركن اليه قاربان صغيران من قوارب الصيد .

وبعد قرية (أبو حنضل) مرت باخرتنا أمام قرية (الديوان) ويلاحظ أن اسم القرية عليه الطابع المملوكى التركى .

نحن الآن امام قرية (الدر) وكانت قديما قبل انشاء خزان أسوان عاصمة النوبة وفي الدر معبد لرمسيس الثانى وفيها مسجد وفيها مدرسة ابتدائية ونسبة التعليم بالدر مرتفعة نسبيا (بين الذكور بالطبع) .

ويقابل الدر فى الغرب (توماس) وقرية توماس دون سائر قرى بلاد النوبة . . ستهجر الى اسنا وذلك أن كثيرين من قريتي توماس وعافية ، هاجروا من تلقاء أنفسهم الى اسنا عند التعلية الثانية للخزان واستوطنوا بها . فلما جاء التهجير الجديد ، احست توماس ، اسنا ، أقرب البلاد اليها .

وتتضمن قرية توماس نجع الشيخ داوود .

وعلى صخور توماس سجل قدماء المصريين فى عهد الدولة القديمة نقوشا كثيرة تنم على اهتمامهم بالنوبة السفلى وقد عثر فى توماس على نصوص ترجع الى عهد ملوك الاسرة الخامسة والسادسة لابل استشراف اهتمام مصر بالنوبة فى عهد هذه الاسرة الى اكتشاف مجاهل أفريقية

فوصلت الى الشلال الثانى ثم امتد النفوذ المصرى حتى « كرمه » عند الشلال الثالث . وعند « كرمه » هذه بنى امتمحات الأول . قلة كما يعزى الى سنوسرت الأول بناء قلة « كومان » لفتح مناجم الذهب فى وادى العلافى . واتصلت عناية الملوك الفراعين بالنوبة حتى بلغت هذه العناية ذروتها فى عهد رمسيس الثانى صاحب معابدها المشهورة التى تختلف الدنيا فى أشياء كثيرة وتتفق على انقاذها وتذهب الدول مذاهب شتى وتبقى عندها أثرا نفسيا تعزز به حضارة الانسان .

الآن أتوقف قليلا وأصف معبد عمدا والطريق الى عمدا على يمين السايح اليه جبل أملس رماله حرير أصفر فى لون المشمش تسطع عليه الشمس فتجعل لونه براقا . وعند القمة تطل رهوس صخور بنية اللون ولكن الجبل فيما يلى النيل قطيفة برتقالية وكأنه حلية للصفة المدلة بالنهر العظيم .

ويلى هذا فى شبه قوس ، جبل تعلوه بيوت صغيرة وأشجار صغيرة . . . تكسو الجبل طبقة رمادية اللون فى مواضع منه ، وفى مواضع أخرى طبقة صفراء وتلمس الشمس المنظر فتجعل الرمادى على البعد بنفسجيا مشربا بحرة ، وتجعل الاصفر قرمزيا . ويتكرر المنظر على يسارى فيخيل الى أن الجبل يطوق النيل ويجعل من ذراعيه دائرة حوله ، فما نكاد نصل الى محيطها الموهوم حتى تنفرج ذراعا الجبل أمام الدافق المنساب فيمضى فى موكبه ونحن فى رحابه . . . والجبل فى خدمته لا يزال فهو يقف آنا ممثلا ويبدو أحيانا على شكل صف من وحوش ضخمة رابضة فى تربص تقوم على حراسة النيل .

أما معبد عمدا فقد بناء الملك تحتمس الثالث من ملوك الاسرة الثامنة عشرة من الدولة الحديثة ويعتبر تحتمس أعظم ملك مصرى يعتز به تاريخنا سواء فى فتوحاته الحربية أم الانشائية .

وقد مات العظيم تحتمس ولم يكمل معبد عمدا فأكمله ابنه امنوفيس الثانى ثم تحتمس الرابع .

وفى مدخل معبد عمدا تضح الثنائية المصرية فعلى يمينه الملك تحتمس الثالث لابسا تاج الوجه البحرى (الأحمر) فى حضرة الاله

حورآختى وعلى اليسار نجد تحتمس لابسا تاج الوجه القبلى ٠٠ فى حضرة
الاله حورآختى ٠

وفى المدخل من الداخل نجد (خراطيشا) تحمل اسماء (من
معات رع) وهو سيتى الأول والد رمسيس الثانى الذى نقش اسمه على
معبد عمدا ٠ وكانت هواية رمسيس الثانى نقش اسمه على المعابد ٠

ويلى المدخل صالة الأعمدة وفيها ستة أعمدة ، وعلى الجدار الأيمن
من صالة الأعمدة نجد الملك تحتمس الثالث فى حضرة الاله ختوم ثم
صورة « تحوت » فى يده قلم على بروز فى الحائط ٠ ونحوت اله الحكمة
والعرفة فى مصر القديمة وكان فى عصر من العصور يعتبر وزيراً للاله
رع ٠ وفى هذه الصورة يرمز الفنان المصرى لنحوت بطائر الابيس كما
يرمزون للاله نحوت بالقرد ٠

ومن الاله نحوت جاء اسم (النحاسية) فموس معناها مولود ٠
وتحتمس ٠٠ (تحوت موسى) معناها مولود الاله تحوت ٠ ويذكرنا هذا
بموسى (موسى) أى هانوا المولود هتفة فرعون عندما رقى اليه الخبر
فى القصة المعروفة ٠

والاله تحوت هو الذى اتخذته جامعة القاهرة شعاراً لها ٠

فاذا تجاوزنا صورة اله الحكمة رب القلم وجدنا صورة أخرى له وهو
يسجل سننى حكم الملك فى شجرة تسمى الشجرة المقدسة والشجرة
المقدسة (ظاهرة) نراها فى كل المعابد ٠

ثم تحتمس فى حضرة الاله حتحور ٠٠ ثم فتحة مكتوب عليها
الدعوات ٠٠

وعلى الجدار الغربى من الصالة الملك تحتمس الثالث بتاج الوجه
البحرى فى حضرة الاله خنوم ذو رأس الكبش والاله يعطى رمز الحياة
الى الملك ٠

ثم تحتمس فى حضرة الاله حور آختى ثم فى حضرة آمون رع ملك
الآلهة ٠٠

ثم تحتمس فى تاج الوجه البحرى ثم تحتمس فى تاج الوجه
القبلى ٠٠

وعلى الجدار الأيسر الملك تحتمس فى حضرة الالهة ايزيس ثم الاله
أمين رع ثم الاله تحوت ثم الملك تحتمس الثالث .

ثم تحتمس الثالث بين الاله حورآختى والالهة سانت زوجة الاله
خنوم .

وبعد هذا ندخل صالة مستطيلة على الجدار الغربى فيها ثلاث مداخل
تقضى الى ثلاث حجرات صغيرة .

الحجرة الأولى : على جدارها الأيمن نجد الملك امنحتب الثانى فى
حضرة الاله رع حور آختى .

وعلى الجدار الأيسر نجد الملك نحتصس الثالث فى حضرة الاله رع حور
حورا ختى .

وعلى الجدار الغربى الملك امنحتب الثانى فى حضرة الاله آمون رع .

الحجرة الوسطى : على الجدار الأيمن نجد الملك تحتمس الثالث فى
حضرة الاله آمون رع والالهة سانت والاله حور آختى .

وعلى الجدار الغربى لوحة تذكارية تسجل تاريخ بناء المعبد .

وعلى الجدار الأيسر امنحتب الثانى فى حضرة الاله آمون رع ثم فى
حضرة الاله حور آختى ثم فى حضرة الآلهة حتحور . وفى نهاية هذه الحجرة
نجد مدخلين على يمين ويسار يفضيان الى حجرتين صغيرتين كانتا فى الحقيقة
جزءين من الحجرة الأولى والحجرة الثالثة ثم عزلا عنهما فى العصر القبطى .

الحجرة الثالثة : وبها صور للملك فى حضرة الآلهة المختلفة .

ويلاحظ ان نقوش هذا المعبد وكتابات بارزة .

ومعبد عمدا يعتبر من أكبر المعابد الموجودة فى النوبة كما انه أول
المعابد التى شوهت فى عصر الملك اخناتون الذى كفر بالآلهة ونبد الاله
آمون ودعا الى عبادة الاله آتون أى القوة التى تحرك قرص الشمس . وهو
أسمى ما وصل اليه تفكير الانسان قبل الرسائل والأنبياء .

ومعبد عمدا من المعابد التى تحولت الى كنائس ولنقوش معبد عمدا
أهمية تاريخية .

نحن الآن أمام قرية (عافية) وفيها عملت البعثة الهولندية . أرى

سربا من البط أبيض الرؤوس والرقاب أسود الجس سابعا فى النيل فى وحدة متألفة كما تخرج نساء الريف جمعا يتهاذى • وأمواج النيل قمم طفله خضراء يتناسعن صفوفا صفوفا فى رأى العين وأحيانا يبدو النهر الجميل المعشوق كأن صفحته حرير أخضر من (كاروهات) متحركة أو ريجات مرتعشة وقد نثرت عليها الشمس نقطا كبيرة فضية بريقها خاطف كالبدرة ولكن التى نلقيا هنا أم (العريس) •

وبعد قرية عافية قرية (قنا) ثم قرية (ابريم) ثم قرية (عنيبة) وقد أصبحت عنيبة مركز النوبة بعد الدر • وفيها مستشفى كبير ومدرسة ثانوية داخلية ومركز بوليس ويعقد بها مجلس قضائي كل أسبوع اذ يأتى اليها قاض من أسوان يفصل فى المشاكل العادية اذ لا تقع بالنوبة جرائم • وفى عنيبة مشروعات الطلمبات وبها أرض مستصلحة • وبها من الآثار مقبرة (بنوت) حاكم الاقليم فى عصر رمسيس • السادس •

والى الشمال من عنيبة توجد مقبرة اهتم بها الخبراء وأوصوا بنقلها • مقبرة لا تزال نقوشها تزهو بألوانها وان لم يبق منها غير غرفة صغيرة تلك هى مقبرة بنوت الذى نحتها فى الصخر فى عهد الملك رمسيس السادس •

وهذه المنطقة التى تضم (عنيبة) و (قصر ابريم) منطقة أثرية كان الفراعنة •• يركزون عليها فى الدفاع عن الجنوب وأحجارها تحتفظ بأسماء الملوك تحتمس وطبراقه كما تحتفظ صخور منطقة معبد اليسيى الذى بناه الملك تحتمس •• الثالث بنقوش يرجع تاريخها الى عهد الدولة الحديثة •• وبين اليسيى وقصر ابريم نقوش من الأسرة الحادية عشرة •

وفى جنوب قصر ابريم كنيسة صارت الى مسجد وان ظلت تحتفظ بطابعها المعماري وقد أوصى الخبراء بنقلها •

وأخيرا هناك هياكل ابريم وعددها خمس ملوك مصر :

تحتمس الثالث ورمسيس الثانى والملكة حتشمبسوت وتحتمس الثالث وامنوفيس الثانى الذى تمثله النقوش فى عزة الفراعين يتقبل الجراية من أهالى الجنوب ••



وقرى توماس وعافية وابريم وعنيبة وفرقندى ، لم تهاجر بعد وهن

المناطق التي تنتظر دورها في الهجرة (بلانة) ثان وثالث وجزء من
 (أبو سمبل) .

نحن الآن أمام قرية (الجنينة والشباك) والاسم كما يبدو شاعري
 وطريف وربما تزيد طرافته اذا عرفنا ان هذه القرية ليس بها (جنينة)
 اذ انها تقع على الضفة الشرقية للنيل . وقد سارت الأخبار هذه الأيام
 بأن أهالي الجنينة والشباك يعيشون في قصة حببية اليهم . فقد أصروا
 عندما أزمعوا الرحيل على أن يصحبوا معهم طفلا عاش فيهم منذ قرن مضى
 كالحلم الوردى أو الطيف السارى فتعلقوا بذكره تعلقا يمتزج فيه الحب
 بالتوقير الذي يحيله الزمن كلما تقادم الى كرامة تلتقى عندها الحقيقة مع
 الخيالات والأوهام .

هذا الطفل أصبح عنوانا في صحفنا اليوم بوصفه (الميت الوحيد
 الذى هاجر الى النوبة الجديدة) ففي قرية الجنينة والشباك الجديدة
 (كان الجثمان يسير في مشهد مهيب تحف به الزغاريد ودقات الطبول . .
 بدلا من الصراخ والنحيب ومع ذلك فقد كان في مقدمة المشيعين مندوبون
 عن وزارة الاسكان ووزارة الشؤون الاجتماعية ومحافظ أسوان ورئيس
 مجلس مدينة كوم أمبو وعشرات من رجال الشرطة وألوف من أهالي النوبة
 الذين جاءوا لتوديع الشيخ الميرغنى الى مقره الأخير) .

ولم يكن الشيخ الا الطفل الذى لم يتجاوز الثانية من عمره حين
 صحبه والده الحسيب النسيب السيد محجوب الميرغنى شيخ الطريقة
 الميرغينية فى سفره الى السودان واختار أن ترسوا الباخرة على قرية
 الجنينة والشباك ليواصل رحلته وعند عودته توفي صغيره فى الباخرة
 فقرر الوالد المحزون دفنه فى نفس المكان الذى صلى فيه عند ذهابه الى
 السودان وسماه « محمد الكبير » .

وينسج الخيال الشعبى حول لفظة « الكبير » هذه قصة لا تخلو من
 غرابة على طرافتها فأهالي النوبة يؤكدون لمن يتساءل أن يخهم الطفل كان
 يرفض الرضاعة فى شهر رمضان فاذا حل موعد الافطار أقبل الطفل على
 رضيعته كما يقبل الصائم على طعامه فى ميقاته المعلوم ثم يصمت الراوى
 وكأنه يتساءل بدوره ، أليس عذرا واضحا فى التشبث به ؟؟ أليس من
 حقه الاجلال والتوقير ؟؟

على أن هذه ليست المرة الأولى التى ينقل فيها الطفل الشيخ من

مرقده فقد نقل جثمانه للمرة الأولى عام ١٩٣٣ عند التعلية الثانية. لخزان أسوان . فقد أخطر النوبيون الجهات الرسمية وطلبوا إليها نقل الجثمان من مكانه الى مكان أعلى من منسوب المياه بعد التعلية (وحضر مندوب من الحكومة وأمور المركز وطبيب الصحة الذى أمر بإحضار شهود لرؤية ممن حضروا الدفن حتى يتأكد من أن السيد محمد الكبير مدفون فى هذا المكان .٠٠ فعلا استدعينا اثنين كانوا على قيد الحياة عمر كل منهما ٩٠ سنة الأول اسمه عابدين غيبة والثاني اسمه داود محمد موسى وقرروا كتابة ان هذا القبر هو قبر الحسيب النسيب محمد الكبير .٠٠ وبعد استجوابهم أمرت الجهات المسئولة باستخراج الجثة .٠٠ وبدأنا عملية حفر الأرض حتى وصلنا الى الجثة وكانت الدهشة عندما رأيناها كما هى وكأنها دفنت بالأمس .٠٠ فقد رأينا النصف الأعلى من الجثة كما هو والنصف الأسفل سليما ولكنه منفصل عند المفصل فرفعناه ووضعناه فى كفن جديد ونقلناه الى ارتفاع بعيد عن منسوب المياه) .

ومن الطريف والغريب أن أهل عنيبة ، حين انتشرت الملايا بالنوبة سنة ١٩٣٤ طلبوا نقل الجثمان اليهم باعتبار عنيبة مركز النوبة فرفض أهل الجينية والشباك الا اذا انتقلوا معه جميعهم الى عنيبة فألغى نقل الجثمان .٠٠ الى هذا الحد يغالى أهل النوبة بشيخهم الصغير الكبير فاذا ينتشر الوباء يفكر قوم ، فى مقام الروح ، فى الشيخ الميت دون الأحياء ، وفى غمرة الخطر المحدث يشغل آخرون به عن أنفسهم فيرفضون نقله ويتبعونه أن القلب الانسانى أعلى شئ فى الدنيا اذا أحب واذا دان بالوفاء .

ويبدو أن النيل فى هذه المنطقة يدل قراه كما نذله . فبعد (الجينية والشباك) مررنا أمام قرية (مصمص) وهى تذكرنا بالأستاذ مصطفى أمين فى مطلع حياته الصحفية .

وتقع قرية (توشكا) على الضفتين .٠٠ أما الشرق ففيه مقبرة أثرية ل (حكانفر) أى الحاكم الطيب وقد نهبت .٠٠ وحكا نفر كان حاكم المنطقة أيام توت عنخ آمون .

وفى أيام توت عنخ آمون كان هناك نبىلا من النبلاء اسمه (حوى) .٠٠ وحوى هذا له مقبرة فى الأقصر . وقد وجد فى مقبرة (حكانفر) صورة له تمثله وهو يقدم القرابين الى حوى ليقدّمها الى الملك .

وقرية توشكا كان بها مشروع طلّبات شرقا وغربا .

وبعد توشكا تأتي قرية (ارمنا) وارمنا اسم قديس قبطى .

نحن فى الطريق الى (فرقندى) سفح الجبل الذى يطل على النيل لونه برتقالى وهو مخطى الصفحة حتى ليخيل اليه انه من طمى لا رمال . وعندما ينتهى السفح البرتقالى نجد لافتة صغيرة كتب عليها (فرقندى) يكثف عندها النخيل .

ويلاحظ أن بيوت فرقندى سقفها مسطح لأنهم يستخدمون فيه جريد النخيل الذى تسخو به منطقته .

البيوت التى تكاد تكون خالية والتى كانت خالية تمثل الفن الشعبى أصبحت الآن تخدم فنا لأخر فهى فى الغروب تصنع من الشاطئ الذهبى وشفوف الأصيل والجبل والنهر والنخيل الباقي على العهد ، لوحات فاتنة يعرضها النيل الفنان .

ومن بعيد لمحت عيني على الجبل عربة تسير . . وراءها اثنان فى ملابس . . فرعونية زاهية . . يا الهى انها عربة رمسيس الحربية وانه هو فى ملابسه الزاهية وبزته ووقفته . وهالته أيضا . . أحلم هو ولكنى فى النهار وفى تمام يقطتى الموكب يقصد الشفق الوردى الذى بلون الجبل ويذهب صفحة النيل وخسعت روى ماذا أرى ؟ فراعنة يا الهى ؟ وهتفت برفيقى أنظر فقال : أين ؟ قلت هناك . . قال : ماذا ؟ عربة وراءها اثنان فى زى فرعونى . . ومرة أخرى أخذ يردد أين أين لا أرى شيئا . . ولكنى كنت أرى كالمذهولة . . كنت أرى رأى العين فأخذت أردد بدورى : هناك . . هناك . . ها هى . . عربة . . تسير . .

وكانت الباخرة قد اقتربت من المكان الذى رأيت فيه ما رأيت فلم نجد شيئا . .

مازال هذا المشهد حيا فى ذاكرتى وشعوره وسيظل بألوانه الزاهية . . بنوره بروعته . . بدهشته أقصد بدهشتى أنا بروعى . . ان معابدهم ماثلة فى هذه المنطقة لم . . لم لا يكون ما رأيت حقيقة . . لقد رأيت العربة . . رأيتها تسير رأيت رمسيس ولم آكن فى ذلك الوقت أفكر فى المعابد . . كنت فى هذه اللحظة مستغرقة فى النيل المتألق فى أفراح الأصيل واذا بعيني ترى ما رأيت . . هل شبه لى من امتلاء نفسى بهم خاصة فى هذه الرحلة ؟ . . هل الأغصان بأوراقها . . والشفق من خلفها صنعت من بعيد هذا المنظر ؟ ربما ولكنى رأيت العربة تسير . . رأيتها تسير . .

ومرت فترة صمت طويلة كنت فيها هائلة سعيدة وكنت فيها
حائرة شبه مرهقة كانت ألوان من الشعور ولا أتبين منها شيئا أولا يبين
لي بينها موقف .. هل رأيت ؟ نعم ريت .. أحقا ؟ نعم حقا وصدقا ..
ألا يمكن أن يكون خيالا ؟ ولكني رأيت العربية تسير .. رأيته تسير .



الليل وبقايا الشفق وبقايا حديث وبقايا صمت والجبل شبه خط
مستقيم كأنه لا تضاريس به هل نام النيل وشرب منه الجبل في هذه
اللحظة قصة عرق الصبا ؟ ان قومنا في الصعيد يعتقدون ان النيل ينام
لحظة في ليلة القدر والسعيد من شرب منه في هذه اللحظة فانه يهبه من
القوة ما يستطيع معه أن يمسح الريال بفركة من صابعه كما يقولون أما
الشقى فهو الذى يقترب منه ساعة يقظته انه عندئذ يطويه .. وهو
صدى لاعتقاد مصر القديمة فيه فقد كان أسلافنا يقولون بأن للنيل يوما
فى السنة ينام فيه والسعيد من يشرب منه فى هذا اليوم انه يمدّه بفيض
من القوة وروح من حياة .

من بعيد تلمع نجمتان على صفحة الماء .. اننا الآن موعودون بمعيد .
(أبو سمبل) . النجوم تكبر وتكثر انها الآن حبل من الثريات على
صدر النيل من بعيد .

الأنوار الآن تبدو دائرية .. دائرة من النور وسط النيل يقابلها
على الضفة اليمنى شريط من النور .. هل عاد أوزوريس وهل النور لمعة
عيون ايزيس من الفرع أو ابتسامات هائلة سعيدة يشرق بها وجه
حورس .

السما فوقى تلمع فيها فجأة نجوم كثيرة الجبل الآن يبدو أمامى
كأنه استعرض فى النيل على شكل كوبرى ضخم يعلو ثلاث شوارع
مائية .. وعلى البعد تقف عوامة مضيئة لقصر مسحور من قصور الأساطير
كل شيء حولى أسطورة على النيل مسطورة فى النهر الخالد مسحورة .

أبو سمبل .. أنا أكتب واقفة اجلالا للملوك أبناء الشمس .

أبو سمبل وقد عكست عليه أنوار الكشافات المغروسة فى الرمال
عند قدميه .

عيني وقد تجمعت فيها حواسي كلها ٠٠ عيني تطل منها روحي ،
على ملكي رمسيس الثاني ٠٠ لولا ضخامة التمثال لقلت لكم اني اراه
ولكن هل يمكن أن يكون هذا الوجه من الحجر ٠٠ انه وجه حي ٠٠ وجه
منعم ملامحه صافية ٠٠ عيون هائلة قريرة وشفاه ريا جذلانة تكمن فيها
ابتسامة ينم عنها بشر الوجه كله ويخفيها أو يداريها ولا يوارىها ، وقار
الملك وجلال الفراعين .

رمسيس وله الجلسة مطمئنة واثقة وسمت مستقر ظافر ٠٠ أليس
في ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ؟؟

ان الأولين والآخرين في خدمته أولئك نحتوا معبده في الجبل
وهؤلاء يقومون الآن بصيانتة ورفعته فوق الجبل والى جانبه الجميلة
نفرتاري كما اشتتهى واختار .

ان مصر مولعة بتخليده في القديم والحديث .

أنا لسعدى ، فخورة مبهورة ولكنى لست وحدى فالعمال أمامي
يعملون في جو روحي وتسرى الى أذنى من على يمين وشمال الفاظ : حضارة
٠٠٠ فن فأنلفت فاذا القائل أولئك الذين لوحتهم الشمس وشقق أرجلهم
الحصى والرمال ٠٠ أولئك الكادحون المجهولون الذين يصنعون التساريخ
بانقاذهم التاريخ ٠٠

آمنت بالانسان المصرى الأول ٠٠ الذى روض الصخر وصادق النهر
وتحدى قوى الطبيعة على قلة وسائله ونقل الأحجار ورفع البناء ورسم
ونقش التماثيل لها شفاه ترى وعيون تبتسم .

وآمنت بالانسان المصرى الحاضر الذى آل على نفسه أن يستخلص
من الجبل معابده غير عابىء بالصعاب لأنه يعرف انه حفيد أولئك الذين
لم يقف فى طريقهم شيء على طول التاريخ .

وآمنت بالانسان فى كل مكان فحولى فى كل مكان أحل به وجوه
مختلفة الألوان ، جاءت من وراء البحار تسعى للشرف الكبير انقاذ حضارة
الفراعنة أى حضارة الانسانية .

معبد أبو سمبل

والاسم القديم للمنطقة (أبشيك) ٠٠ غير ان هناك قرية فى الشرق
اسمها أبو سمبل وقد شاع تسمية المعبد باسمها .

وقد سبر المهندس المصرى القديم الجبل وفتح قلبه ليتربع فيه معبد مليكه بين ثلاث طبقات صخرية ٠٠ السفلى صلبة لتكون بمثابة الأساس للمعبد والعليا مثلها صلبة لتحتمل الجبل فوقه أما الوسطى فرملية لينة ٠٠ يسهل تشكيلا ٠٠ الى هذا المدى بلغ علمهم بطبقات الأرض (الجيولوجيا) وهذه الدلالة قيمة كبيرة من قيم هذا المعبد العظيم .

كما نحت المعبد بحيث تشرق عليه الشمس أول ما تشرق فى ميقات معلوم من شهر أكتوبر وشهر فبراير يقدر أن الموعدين يمثل أحدهما مولد رمسيس أى (عيد ميلاده) ويمثل الآخر عيده الثلاثينى أى بلوغ حكمه الثلاثين عاما وكان ملوك مصر من يبلغ منهم هذا الأمد فى الحكم يحتفل به احتفالا كبيرا واعدة .

وقد ظلت الشمس على موعد مع المعبد آلاف السنين لا تتقدم ولا تتأخر ولا تتحول ولا تريم ٠٠ الى هذا المدى بلغ علمهم فى الفلك وهذه الدلالة قيمة كبيرة من قيم هذا المعبد العظيم .

نحن الآن أمام المعبد الكبير الذى بلغ ارتفاع واجهته ٣٣ مترا وعرضها ٣٨ مترا معبد رمسيس حيث تطل علينا من عليائها تماثيله الأربعة التى يبلغ طول التمثال منها عشرون مترا . ويعلو المدخل تمثال لاله حور آختى اله المعبد متوسطا التماثيل ٠٠ الأربعة يعلو هذا صفان من النصوص الهيروغليفية عبارة عن أسماء وألقاب رمسيس الثانى وفوق هذا صف من القردة رافعة أيديها الأمامية محيية اله الشمس عند الشروق .

وبين يدي الملك تماثيل لزوجته نفرتاوى وأمه وبناته وأبنائه ٠٠ والى اليمين واليسار اله النيل (حابى) .

فاذا دلفنا الى المعبد وطالعنا الجدار الشرقى على يمين رأينا ٠٠ (رمسيس) لابس التاج المزدوج وفى يده دبوس القتال وقد تجمع أعداؤه تحت قدميه يسترحمون ٠٠ بأكف ضارعة . وأمام رمسيس اله حور آختى .

وفى منتصف الحائط صف من بنات رمسيس وعددهن تسع تحصل كل منهم الصلاصل (الستروم) ثم رمسيس فى حضرة اله أتوم (اله ظهر فى رأى قدماء المصريين على تل فى محيط وخلق من نفسه الهين

السما والأرض فتزوجا وخلفا اثنين تزوجا وأنجبا أوزوريس - ايزيس - ست - تفتيش) .

ثم رمسيس فى حضرة الاله خنسو اله القمر ثم رمسيس فى حضرة الاله (مين) اله التناسل ثم رمسيس فى حضرة الاله حور آختى والالهة سخمت .

وعلى يسار الداخل رمسيس فى حضرة الاله آمون رع وبينهما الأسرى الشماليون والجنوبيون . وفى وسط الجدار صف من الأمراء وعددهم ثمانية . ثم رمسيس فى . حضرة الاله حور آختى ثم رمسيس فى حضرة الاله بتاح ثم رمسيس فى حضرة الاله آمون رع ، ثم رمسيس فى حضرة الاله آمون رع والالهة موت .

صالة الأعمدة :

وفى صالة الأعمدة ثمانية نماثيل لرمسيس من الطراز الأوزيرى فهى فيما يلى الجانب المثل على الممر على هيئة أوزوريس وهذه الأعمدة مربعة قدت من الصخر وعليها رمسيس فى حضرة الالهة المختلفة وخاصة الاله آمون رع والاله حور آختى . ويتوقف الصالة مزين تارة بالصقر المجنح وتارة بالنجوم . . .

وعلى جدران صالة الأعمدة نجد مناظر حربية تمثل رمسيس فى حروبه مع أعدائه فى الشمال والجنوب . ولعل أروع نقوش المعبد العظيم معركة قادش ورمسيس البطل يجندل أعداء مصر فينهارون ما بين صريع ، وجاث على قدميه يستغفر ، وضارع الى الالهة المصرية أن تتشفع له عند الملك الجليل . ان المصرى ليدخله الغرور لا محالة والزهو والفرحة وهو يرى رمسيس ، نسيت أقول والحب ، قد شعر للمعركة وكل ما فيه قد استحال شهاباً منقضا حتى لجام جواده قد شده الى وسطه لتتفرع يدها للطعن والنزال . . . وقد صور الفنان المصرى يثاً بقدميه رقبة عدو ويطعن بيده آخر ويمسك باليد الأخرى . . تلايب ثالث . لكن المعركة لا تزال قائمة فقامى يخفق من أجله وعينى تزغرد له ، ولهفتى لى على خطاه . . لقد لبثت أنا على بعد المعركة وبعد السنين وهو ماض كأبطال الأساطير لا يتوقف ولا يناله أعياء .

ان الجدار الشمالى من صالة الأعمدة صفحة عريضة من تاريخ مصر

تصور كيف زحف جيش مصر الى مدينة قادش بعرباته الحربية فيقهقر عنها جيش الحيثيين ويعود رمسيس بعد معركة فاصلة ظافرا معتليا عربته يمشى فى ركابه مع من مشى ، الأسد أسده الأليف ويعود الى عصره مظلما ليقول أليس لى ملك مصر والحيثيين . .

ان الفنان المصرى العظيم يمثل رمسيس العظيم فى الأعمال الجاهدة ولا أثر للجهد عليه كأنه يأتى شيئا عاديا بل شيئا سهلا . فلا عضلات نافرة كالتى تبدو فى التماثيل اليونانية والرومانية .

وفى الجدار الشمالى من صالة الأعمدة نجد حجرتين استعملتا مخازن . وفى الجدار الغربى من هذه الصالة نجد ثلاثة مدخل المدخل الأيمن يفضى الى حجرة مستطيلة بالجدار الشمالى منها نجد حجرتين طويلتين كانتا مخزنين . وعلى هذا النسق المدخل الأيسر .

أما المدخل الأوسط فيفضى الى صالة مربعة بها أعمدة مربعة على الجدار الأيمن والأيسر نجد الملك رمسيس واقفا ومرتديا الزى الملكى يحرق البخور وتقف خلفه الملكة نفرتارى وفى يدها الصلاصل وأمامهما الكهنة حالقى الرؤوس حاملين القارب - المقدس .

ومناظر هذه الصالة كلها مناظر دينية تمثل (رمسيس) تارة مع الثالوث المقدس لطيبة آمون وموت وخنسو .

ثم رمسيس فى حضرة الاله (مين) اله التناسل .

وعلى الأعمدة رمسيس فى حضرة الاله آمون الذى يحتضنه . كما نجد الالهة موت والالهة حتحور .

وبالجدار الغربى من هذه الصالة مدخل يفضى الى قدس الأقداس الذى يتصدره الآلهة الأربعة . . رع حور آختى ثم الملك رمسيس ، واضعا موضع الآلهة ثم الاله آمون رع ثم الاله بتاح اله الصناعات والفنانين وبين هذا الحرم وبين المدخل نحو ستين مترا × تقطعها الشمس فى أيام معلومة من شهرى أكتوبر وفبراير من كل عام لتمثل بين يدي آلهة مصر الأربعة وتضىء العجايب السماء التى أضاءت الدنيا . . ولأيتها نورا ومجدا وعلمنا وفنا وقيما عالية يشرف بها الانسان فى مصر . . فى كل مكان يقدس الحنسارة ويجل التاريخ .

هذا هو معبد أبو سمبل أجمل مهابه مصر وأعظم بناء أودسه انسان

ضمير الصخر ليعبد كما قال المدير العام لليونسكو في ندائه ، (من أروع المنشآت المعمارية في العالم) وقال الأستاذ جازولا (انهما « معبدى أبو سمبل » لا يخصان فقط الذين شيدهما بل يخصان التراث الثقافى للانسانية جمعاء) (١) .

أما المعبد الثانى فقد بناه رمسيس لزوجته الأثيرة نفرتارى والهة المعبد الالهة حتحور . والمعبد شكل فى الصخر وفى واجهته على جانبى المدخت ست تماثيل منها أربعة لرمسيس الثانى على وجهه ابتسامة مزهوة وفى عينيها نقّة وفرحة وفى وقفته اعتداد وعزة ، أستطيع أن أجزم أن فرعون موسى ليس وحده الذى قال (أليس لى مك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى) كلهم قالوها . بل قلتها أنا فى سرى والعلن آلاف المرات ما أسعدنا بمصر وطننا يجرى فيه كل هذا النهر العظيم .

وعلى يسار المدخل نمثال للملكة نفرتارى . . نفرتارى الجميلة ترفع فى يدها آلة موسيقية تعلوها رأس الالهة حتحور وعلى يمين نفرتارى نمثال لرمسيس على رأسه التاج المزدوج وعلى يسارها رمسيس على رأسه التاج الملكى ويفصل التماثيل خراطيش .

يقف الى جانبى الملك الأمراء والأميرات الأعزاء عنده وأقربهم الى نفسه يسعى أمن حرخبشى اف أى سيف الاله آمون .

وعلى يمين المدخل ثلاثة تماثيل أيضا تتوسطها نفرتارى والى جانبها رمسيس لابسا تاج الوجه القبلى .

صالة الأعمدة : وبها ستة أعمدة مربعة على الجانبين والأعمدة مربعة . . الجانب المثل منها على الصالة ينتهى عند القمة برءوس حتحورية أرى على جانب العمود الملكة نفرتارى انها جميلة حقا ممشوقة هيفاء عذبة القسمات خليقة حقا بحب الملك العظيم . . عيني لا تريد أن تتحول عن الصورة غير ملوم فيها الملك الجبار .

على الجدار الأيمن رمسيس الثانى لابسا تاج الوجه البحرى ممسكا بيده دبوس القتال يضرب به عدوا . وعلى يمينه صورة للاله رع حورآختى ووراءه وقفت نفرتارى . . الجميلة . كيف صور المصرى الفنان نفرتارى

(١) مشروع انقاذ آثار النوبة ص ١٨ .

فى شقوقها فلم يحجب الحجر الشقوق ولا ما وراءها • كيف طوع المصرى
الحجر فيلس بل انصاع فحمله من الايحاءات واللفظات والبسمات
والنظرات والحركات ما أراد له أن يروع به •

وعلى الجدار الشمالى رمسيس يحمل زهورا ويصب ماء أمام الاله
خنوع ذى رأس الكبش يليه الملكة نفرتارى تحمل فى يدها آلتين.
موسيقيتين تقدمهما للالهة حتحور •

ووراء رمسيس الاله بتاح اله منف اله الصناعات والعمال والفنانين • •
وفى أقصى اليمين رمسيس أمامه عدد من القرابين • •

وعلى جوانب الأعمدة المواجهة للجدار الشمالى الاله خنسو اله القمر
ثم الالهة موت الهة الحرب زوجة الاله آمون رع ملك الالهة ثم تمثال
رمسيس • وعلى الجانب الآخر من العمود تمثال الاله حورس منطقة
(ميعام) أى عنيبة • •

وعلى جانب عمود الالهة موت الملك رمسيس يقدم القربان بخورا
وعلى جانب حورس كوبان (١) •

وعلى عمود الاله خنسو ، الاله خنوم له رأس كبش • ومن الناحية
الأخرى الالهة ايزيس على هيئة الالهة حتحور ويفرق الأثريون بينها فى
هذا المعبد بالكتابة •

وعلى يسار المدخل الاله آمون رع ثم رمسيس يؤدب أحد الخارجين.
عليه من الجنوب ثم الملكة نفرتارى •

أما الجدار الجنوبى فيمثل (رمسيس) فى حضرة الالهة حتحور
التي تحمل فى الصورة آلة موسيقية حين حمل هو رمز العيد الثلاثينى
لحكمه •

يلى هذا رمسيس بين الاله ست والاله حورس منطقة أيام •
يلى هذا الالهة عنفت زوجة الاله خنوم تقدم لها نفرتارى زهور
اللوتس بيد واليد الأخرى بها الصلاصل الموسيقية •
يلى هذا رمسيس بالزى الرسمى يقدم رمز العدالة • الالهة ماعة الى
الاله آمون رع ملك الالهة •

(١) كوبان جع من قرية العلاقى •

الأعمدة على يسار المدخل :

العمود الأول على واجهتيه نفر تاري وعلى الواجهة الثالثة الاله حورس
اله منطقة بوهن التي تقع في حلغا عند الشلال الثاني .
العمود الثاني :

على واجهته الاله تحوت اله الحكمة والمعرفة . وعلى الواجهة الأخرى
الالهة ماعة الهة الحق والعدالة وعلى الواجهة الثالثة الالهة سانت زوجة
الاله خنوم .

العمود الثالث :

على واجهته الملكة نفر تاري وعلى الواجهة الأخرى الالهة حت حور . وعلى
الواجهة الثالثة الالهة (ور كاوت) .

الجدار الغربي :

الجدار الغربي : من صالة الأعمدة به ثلاثة مداخل تفضى الى صالة
مستطيلة أصغر من صالة الأعمدة .

والمداخل الثلاثة على يمينها ويسارها نجد الملكة نفر تاري في حضرة
الالهة حت حور .

أما المدخل الأوسط فعلى يمينه رمسيس بتاج الوجه البحري وعلى
يساره رمسيس بتاج الوجه القبلي .

ثم نفر تاري في حضرة الالهة موت ونفر تاري تقدم اللوتس والبردي
قربانا .

الصالة المستطيلة :

تلي صالة الأعمدة وأجمل منظر بها نجده على جدارها الشرقي وهو
منظر . . التتويج وفيه تبدو نفر تاري بين الالهة ايزيس والالهة حت حور
وهن ممسكات بعلامة الحياة (عنخ) .

وعلى الجدار الشرقي من الصالة المستطيلة منظر آخر يتمثل فيه
رمسيس ووراءه نفر تاري تحمل زهرة اللوتس والصلاصل وأمامه الالهة
وتا - ور) .

أما الجدار الغربى ففي أعلاه ثالث اسوان الالهة خنوم وعنفت
وسانت . . وأمامهم الملكة نفرتارى الرقيقة تقدم زهور اللوتس وتقدم
معها مائدة حافلة باللحوم والخبز والطيور قربانا .

يلى هذا رمسيس بالتاج المزدوج فى حضرة الاله حور آختى . والى
اليسار رمسيس فى حضرة الاله آمون والملك يقدم له انائين قربانا . كما
يقدم رمسيس فى الطرف الأعلى من يسار ، اللوتس قربانا الى ثالث
أسوان .

أما الجدار الجنوبى من الصالة المستطيلة فأظهر ما فيه البقرة
الحيوان المقدس للالهة حتحور وأمامها نفرتارى تقدم اليها الزهور قربانا .

فاذا ما خلفنا الصالة المستطيلة وجدنا قدس الأقداس وفى صدره
تمثال للالهة حتحور رمزا لحنان الأمومة . ومن الطريق اذا ما واجهنا
الجدار الشمالى من قدس الأقداس اننا نجد رمسيس الملك يقدم القربان
الى رمسيس الاله ووراء نفرتارى . أى انه يقدم الى نفسه القربان .

وعلى الجانبين من باب قدس الأقداس نجد الاله حابى اله النيل وقد
صوره الفنان ممتلئ الجسم امارة نعمة ورغد ووضع على رأسه اللوتس
والبردى نباتية . . التقليدين .

أما الجدار الجنوبى فيشرق بالملكة نفرتارى تقدم البخور للالهة موت
والالهة حتحور .

قصة مشروع انقاذ معبدى (أبو سمبل)

منذ القرن التاسع عشر والمهتمون بحضارة الانسان وآثاره الأولى
تتجه عنايتهم الى معبد (أبو سمبل) ففي أوائل ذلك القرن أزاح «بلزوني»
— وهو ايطالى الجنسية — الرمال عنه ثم تبعه فى منتصف القرن التاسع
عشر أيضا ، « لبيوس » الألمانى فأكمل تنظيف المعبد ولم يغفل صيانتة
مربيت أما مصلحة الآثار فقد عمدت الى بناء حوائط فى أعلى الجبل لمنع
تسرب وانسياب الرمال على واجهة المعبد ومدخله .

اقترن مشروع انقاذ معبدى (أبو سمبل) ببناء السد العالى فان
وصول منسوب الماء ستين مترا أعلى من منسوبه العادى يعنى غمر آثار
النوبة واغراقها . وكم ببلاد النوبة من معابد ومقابر ومدن قديمة فى
الرمال .

وقد أهابت الحكومة المصرية بمنظمة اليونسكو أن تقف وراء مشروع الانقاذ ، فوجهت اليونسكو نداء الى الدول والجامعات والهيئات العلمية المعنية بالآثار . وذلك في الحقل التاريخي الذي أقيم في مقر منظمة اليونسكو بباريس في ٨ مارس سنة ١٩٦٠ ومما جاء في نداء المدير العام لليونسكو .

(بدأ العمل في بناء السد العالي ، الذي سيحول وادي النيل الأوسط الى بحيرة واسعة في خلال خمس سنوات ، مما يهدد بالغرق أبنية عظيمة تعد من أروع المنشآت المعمارية في العالم) .

وليس من السهل الاختيار بين تراث الماضي ورفاهية شعب يعيش في ظل هذا التراث ، الذي يعد من أعظم ما خلفه التاريخ .

لهذا لم يكن غريبا ان تتوجه حكومة الجمهورية العربية المتحدة وحكومة جمهورية السودان الى منظمة اليونسكو ، تطلبان محاولة انقاذ الآثار المهددة . وتلك الآثار التي ربما تضع في غد قريب ، ليست ملكا للبلدين المؤتمنين عليها فقط ، بل هي ملك للعالم كله ؛ وللعالم الحق كل الحق في ضمان بقائها ؛ ويجب عليه ان يقوم بحمايتها .

وفضلا عن ذلك ، فان الأمر ليس مجرد انقاذ شيء مهدد بالضياع بل هو أيضا اكتشاف ثروة لاتزال خفية ، وإخراجها الى النور ، فهو أمر يستمتع به الجميع وبذلك نرى ان عهدا جديدا قد فُتح للتقدم الرائع والثراء الكبير في ميدان الدراسات المصرية القديمة ، وبدلا من ان يحرم العالم من جزء من روائعه الفنية فسوف يعود الأمل الى الانسانية بأن نكتشف روائع أخرى ، لا زالت مطهورة ومجهولة حتى اليوم .

ان هذه القضية النبيلة تستحق منا كل استجابة ، لا تقل عنها حزما ونبلا ومن أجل ذلك ، فأني أوجه ، بكل ثقة ، الدعوة الى الحكومات والمعاهد والمؤسسات العامة والخاصة ، وإلى الرجال المخلصين في كل مكان للاسهام في انجاح هذه المهمة التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ ، كما أدعوا الى تقديم الخدمات .

واخيرا ، (مصر هبة النيل) وهي جملة اغريقية قديمة ، انتشرت وتعلمها عدد لا حصر له من الطلاب . فعلى شعوب العالم أجمع ان تتحلى

اليوم الكيلا يطوى النيل فى قاعه ، بسبب المشاريع البناء التى ترمى الى زيادة الخصب ومنايع القوى ، العجائب التى ورثناها نحن الأجيال الحاضرة من أجيال طوتها الدهور منذ أزمئة سحيقة .



وقد اشترطت مصر شروطا .

- ١ . الدولة التى لا تسهم فى مشروع الانقاذ لا تعطىها مصر مستقبلا
- امتياز الحفر فى أى منطقة فى مصر .
- ٢ . الآثار المكتشفة من حفائر بلاد النوبة تقسم مناصفة على ان تحتفظ مصر بما لا نظير له عندها .
- ٣ . تهدى مصر خمس معابد للدول التى تبذل مجهودا كبيرا .

وقد سجلت وزارة الثقافة والارشاد القومى فى كتابها (مشروع انقاذ آثار النوبة) للسيدة « بيكسون » مندوبة الفيليين انسائيتها الرفيعة التى تبنت فى المجلس التنفيذى حين مس قلبها ما خلفت مصر من روائع البقش والنحت والعمارة فقالت (انه من الامور المؤثرة فى النفس أن تشعر الجمهورية العربية المتحدة بانها مضطرة لان تمنح بعض كنوزها جزاء عمل من واجب الدول القيام به ، واني لأتمنى ان لاتضطر الجمهورية العربية المتحدة للتنازل عن بعض معابدها ، فان خروج هذه المعابد من الاقليم المصرى يفقدها قيمتها اذ ما تركت بيئتها الجغرافية) .

كما أعلن مندوب البرازيل اثناء نظر المشروع تنازل بلاده عن نصيبها المتبقى فى ميزانية المنظمة وقدره ١٢٨٠٠ دولار أمريكى لصالح انقاذ آثار النوبة وبهذا اعتبرت البرازيل اول من أيدى مساهمة مادية فى مشروع الانقاذ .

وفى سنة ١٩٦٠ بدأ المشروع يأخذ دورا ايجابيا وبدأت البعثات الأجنبية والمصرية عملها وقدمت تقاريرها الى منظمة اليونسكو .

وقام مركز تسجيل الآثار بتسجيل المعابد تسجيلا علميا دقيقا وشرعت مصلحة الآثار فى عملية فك بعض المعابد فقامت فى صيف سنة ١٩٦٠ بفك معبد دابور ومعبد قرطاسى ومعبد طافا .

وقد تم نقل هذه المعابد الى أسوان وأعيد بناء معبد قرطاسى فى شتاء سنة ١٩٦٣ بجوار منطقة السد العالى غربا .

أما معهد دابود وطافا فلم يتم إعادة تركيبها وهنا نذكر لبولندا أنها كانت من أولى الدول التي أبدت رغبة نبيلة في تقديم المهندسين لمساعدة مصلحة الآثار ، في نقل هذين المعبدين .

كما قامت مصلحة الآثار في صيف سنة ١٩٦٢ بنقل المعابد الآتية
دندور - الدكة - المحرقة .

وتم نقل معبد دندور الى أسوان أما معبدا الدكة والمحرقة فموجودان الآن (بعد فكهما) في منطقة وادى السبع .

كما اضطلعت الحكومة الألمانية بفك وتركيب معبد كلايشة هدية لمصر وقد تم نقله في صيف سنة ١٩٦١ ، سنة ١٩٦٢ وأعيد بناؤه سنة ١٩٦٣ بجوار منطقة السد العالى .

أبو سمبل

مر مشروع انقاذ (أبو سمبل) خاصة بمراحل عدة وقدمت من أجله مشروعات عدة تناولها كتاب (مشروع انقاذ آثار النوبة) لهذا نعرض هنا للقصة الكاملة في مشروع الانقاذ .

المشروع الإيطالى :

قدم مهندس إيطالى يدعى بيري جازولا مشروعا يقضى برفع المعبد كتلة واحدة وذلك بوساطة روافع ترفع المعبد ٦٠ مترا ويوضع في مكان مماثل لموقعه .

المشروع الفرنسى :

قدم بيت هندسى عن طريق مهندسىه الفرنسى ويدعى كوين مشروعا يقضى ببناء سد يقى المعبدين .

وقد عرضت اليونسكو المشروعين على مصر لتختار فاستدعت مصر خبراء من جميع بقاع .. العالم وشاهدوا المعبد على الطبيعة ليتحققوا من صلاحية كل من المشروعين .

ومن المؤسف ان الموضوع دخل فى مناقشات لها خبىء يستهدف السد العالى .

وفى نهاية المطاف انتهى الخبراء الى تفضيل المشروع الايطالى ومعنى هذا ان التكاليف تبلغ ٨٠ مليوناً من الدولارات .

رفضت الدول الكبيرة دفع نصيبها فى المشروع أى روسيا
انجلترا ، أمريكا ، فرنسا .

تقدمت مصر بمشروع أقل نفقة من المشروع الايطالى .

وتقدمت فرنسا بمشروع آخر .

أما المشروع المصرى فيقضى بتقطيع المعبد وإعادة ترتيبه وتركيبه .

وأما المشروع الفرنسى فيقضى بإدخال المعبد داخل عوامات حتى إذا ارتفع منسوب الماء ارتفعت العوامات وارتفع المعبد بارتفاعها .

عرض المشروعان على اليونسكو فوافق الأعضاء بأغلبية على المشروع
المصرى .

وقد طرح المشروع المصرى مناقصة عالمية فتقدمت الى مصر شركات
ايطالية ، وفرنسية وأمريكية والمانية فرسا العطاء على شركة هوختيف
الألمانية وهى الشركة التى قامت بتنفيذ مشروع كهرباء خزان أسوان .

وستتقاضى هوختيف ١٠ مليون جنيه مصرى .

وقد بدأ العمل بإقامة سد تكاليفه ٢ مليون جنيه ولو ان المشروع
بدى بتنفيذه من سنتين لأغنانا عن السد المزمع إقامته بما يكبده من
تكاليف .

وهذا السد يستغرق بناؤه سنة أما تقطيع المعبدین وعادة بنائهما

فيتم فى تقدير الخبراء سنة ١٩٧٠ .

وشركة هوختيف تعاونها شركة أطلس المصرية التى تقوم ببناء

مدينة سكنية ٠٠ للموظفين والعمال .

وهى تستخدم كثيراً من العمال الفنيين والمهندسين المصريين .

ويشرف على تنفيذ العقد المكتب الهندسى المصرى لانتقاد أبو سمبل

وهو تابع لوزارة الثقافة والإرشاد وفى المكتب الهندسى خبراء استشاريون

استقدمتهم مصر من السويد من بيت هندسى كبير اسمه ف ب ب •
وقد وافق المستشارون على العمليات الجارية • ويقيم اثنان منهم
بأبى سمبل •
ومن أجل (أبو سمبل) دخل معرض توت عنخ آمون فى أمريكا
وسيزور هذا المعرض كندا وأوروبا لهذا الغرض •
ومن أجل (أبو سمبل) المعرض المصرى فى اليابان للآثار
الفرعونية • •
وقد تبرعت الحكومة الأمريكية بمليون جنيه لنقل المعابد الصخرية •

آثار النوبة

المعابد :

دابود - قرطاس - طافا - بيت الوالى - كلابشة - جرف حسين
دندور - الدكة - المحرقة - السبوع - عمدا - الدر - اللىسيه - مقاصير
أبريم - أبو عوده - معبد (أبو سمبل) •
وقد تم نقل بعضها وتركيب الآخر ولم يبق الا جرف حسين - الدر
اللىسيه مقاصير أبريم - أبو عوده •

وقد كانت المعابد كلها يلحق بها فصول لدراسة الكهنوت كما حول
كثير من المعابد الى كنائس فى العصر القبطى كمعبد (وادى السبوع
ومعبد (أبو عوده) كما حولت بعض الكنائس بدورها الى مساجد بعد
انتشار الاسلام فى هذه البقاع وان ظلت أديرة على عهدها فى القرنين
الثالث عشر والرابع عشر •

القلاع الأثرية والحصون :

- ١ - قلعة ساباجورا •
- ٢ - كوبان (لم يبق منها شئ) •
- ٣ - اخمندى •
- ٤ - قلعة قصر أبريم •

٥ - قلعة جبل عدا *

٦ - قلعة الشيخ داوود (توماس) *

وقد أقيمت القلاع فى النقاط الاستراتيجية على طول خطوط
المواصلات فى النيل وقد سجل مركز تسجيل الآثار منها : الفنتين - بجة -
عنيبه - فرس - سره - بوهن - بوهن الجنوبية - مرجسى - شلفق -
أورونارتى - قمة - سمنة الرئيسية سمنة غرب *

ويبدو ان هذه المنطقة كانت عرضة للغزو حتى ان ملوك الدولة
الوسطى أقاموا فى منطقة الشلال الثانى وحدها سبع قلاع باعتبارها حدا
جنوبيا لمصر ، وقد بلغت أهمية هذه المنطقة حدا جعل لمرء الجنوب
يسمون « حراس الباب الجنوبى مما يدل على أنها كانت ذات مكانة خاصة
من الناحيتين التجارية والحربية » (١) *

المقابر :

وأهمها مقبرة بنوت *

الجبانات الأثرية :

فى مناطق عنيبه - ابريم - عدا - قصر الوز - بلانه - ارمنيا -
توشكا *

لننتقل بعد هذا الى الحديث عن البعثات الأجنبية والمصرية التى
ساهمت فى مشروع انقاذ آثار النوبة *

البعثات الأجنبية والمصرية التى ساهمت

فى مشروع انقاذ آثار النوبة

من سنة ٦٠ - ١٩٦٤

١ - بعثة مركز البحوث الأمريكية : فى منطقة جبل عدا جنوب
(أبو سمبل) وقد عملت موسمين سنة ٦٣ وسنة ٦٤ *

٢ - بعثة جامعة شيكاغو : فى منطقة بلانه وقسطل وقد عملت فى

(١) كتاب « بلاد النوبة » وزارة الثقافة والارشاد *

مواسم سنة ٦١ ، سنة ٦٣ ، سنة ٦٤ (الموسم أربعة شهور وتفضل عادة شهور الشتاء) .

كما قامت بعثات لمصلحة الآثار عام ١٩٥٧ و ١٩٥٨ بحفر الجبانات الملكية في قسطل وبلانه التي لم تكشف عنها بعثة الأستاذ أمري أستاذ المصنولوجيا بجامعة لندن عام ١٩٣٤ وذلت نتائج الكشف كما يقول كتاب (مشروع انقاذ آثار النوبة) . « على انه لا تزال هناك آثار غنية ، حتى في المواقع التي تناولها من قبل معول الحفار » .

٣ - بعثة جامعتي بنسلفانيا وويل معا : عملت في مواسم سنة ١٩٦٠ ، سنة ١٩٦١ ، سنة ١٩٦٢ ، سنة ١٩٦٣ ، سنة ١٩٦٤ في منطقة توشكي وارميا جنوب غيبه .

٤ - بعثة جامعة ييل : وهي بعثة أخرى قامت سنة ٦٤ بمسح أثرى للمنطقة كلها شرقا من ادندان وهي آخر قرية مصرية في الجنوب تقع على الحدود بين مصر والسودان ، الى كروسكو .

وقد قامت قبل ذلك أي سنة ٦٣ بجس منطقة كوم امبو تمهيدا لتهجير النوبيين اليها واستصلاح الأراضي الزراعية .

٥ - بعثة جامعة دندريه : عملت في منطقة توماس ومصمص أربع مواسم من سنة ٦١ ، الى سنة ١٩٦٤ .

٦ - البعثة النمساوية : عملت في منطقة السبالة ثلاث مواسم من سنة ٦٢ الى سنة ١٩٦٤ .

٧ - البعثة التشيكية : عملت باديء الأمر في منطقة طافا سنة ١٩٦١ ثم في منطقة كروسكو سنة ٦٣ . وهي الآن تقوم بمسح أثرى من كلابشة الى كروسكو .

٨ - البعثة الروسية : عملت (بالعلاقى) سنة ٦٢ ، سنة ١٩٦٣ .

٩ - البعثة الهندية : عملت موسما واحدا وهو موسمي سنة ٦٣ في منطقة عافية .

١٠ - بعثة معهد الآثار الألماني : عملت في موسم سنة ٥٩ ، سنة ٦٠ في منطقة عمدا (شمال معبد عمدا) وفي صيف سنة ٦٣ وقد قامت

بحفائر في أساسيات معبد كلابشة بحثا عن أشياء دفينية تحت المعبد
وقد عثرت على حجارة معبد يعتبر أقدم من معبد كلابشة .
١١ - بعثة معهد الآثار الفرنسي :

وقد قامت بحفائر في منطقة معبد السبوع سنة ٦١ ، سنة ١٩٦٤
أي موسمين .

١٢ - البعثة اليوجوسلافية : قامت بنقل نقوش الكنيسة التي كانت
موجودة في معبد وادي السبوع ، وكذلك نقوش كنيسة (أبو عودة
وذلك أواخر سنة ٦٣ وأوائل سنة ١٩٦٤ .

١٣ - بعثة ستراسبورج : قامت بحفائر في قرية الشنيخ داوود
أحدى قرى منطقة توماس موسمين سنة ٦١ ، سنة ١٩٦٤ .

١٤ - البعثة الانجليزية : قامت بمجهود جبار يعتبر أول مسح
لا أثرى للمنطقة من وادي حلفا حتى الشلال الأول وذلك في موسمي
سنة ١٩٦٠ ، سنة ١٩٦١ ، ثم قامت بحفائر في منطقة (قصر ابريم)
في موسمي سنة ٦٣ ، سنة ١٩٦٤ .

وقد وجدت البعثة الانجليزية مسجدا كان أصله كنيسة ثم حول
الى جامع وجدوا به سلما كشف تنظيغه عن كنيسة يرجع تاريخها الى
العصر الذي وقعت به موقعة الشهداء حين كان المسيحيون يلجأون الى
التخفي ويبنون كنائسهم تحت الأرض وقد وجدت البعثة قسسينا مدفونا
بملابسه وفي جيبويه كتابان باللغة القبطية ستقوم البعثة بتقويتها حتى
يمكن قراءتهما . كما وجدت البعثة أوراق بردي . . ومخطوطات قبطية
ويونانية وعثرنا على لفة كبيرة من الورق يبلغ طولها بضعة أمتار ويرجع
تاريخها الى العصر القبطي مكتوبة باللغة العربية لم تنشر بعد نشرنا عليها
كما تعرفت البعثة الى اسم المنحوت الأول منقوشا على الجدار ويؤيد هذا
الرأى القائل بأن أمه نوبية . ومعنى المنحوت :

الاله آمون في المقدمة أو الاله آمون يرشدني .

واسم اللدنية باللغة اليونانية (بريموس) وقد أخذ اليونان الاسم
سنة ١٩٢٧ قبل الميلاد تقريبا عن الاسم الفرعوني (عم) الذي تطور الى
برعم (بر بيت) ثم برم .

فقال اليونان بريموس ثم بريجوس وجاء العرب فقالوا ابريم .

وتحت هذه الكنيسة وجدت البعثة الانجليزية كنيسة أخرى يفضى
درجها الى مدخل خارجي يرجح انه كان مدخلا سريا .

١٥ - البعثة الهولندية : عملت بالمنطقة شمال معبدى (أبو سمبل)
فى موسمى سنة ٦٣ ، سنة ١٩٦٤ وقد اكتشفت فى هذه المنطقة كنيسة بها
نقوش تمثل القديسين والكنيسة مبنية من اللبن والحجرات مغطاة بالرمال
مما ساعد على حفظ النقوش بها .

١٦ - البعثة البولندية : قامت بحفائر سنة ٦١ فى دابود بعد ان
كانت مصلحة الآثار قد قامت بنقل المعبد سنة ١٩٦٠ ولكنها لم تجد
شيئا .

١٧ - بعثة جامعة القاهرة : برئاسة الدكتور عبد المنعم أبو بكر .
وقد قامت بحفريات فى منطقة عنيبه من سنة ١٩٥٩ حتى سنة ٦٤ وقد
عثرت على مبان من العصر المتأخر ما بين ٦٠٠ سنة ، ٧٠٠ سنة قبل الميلاد .
كما عثرت على أوان وعقود وجبانة من الدولة الحديثة .

١٨ - البعثة الإيطالية :

فى سنة ٥٩ ، سنة ١٩٦٠ درست قلعة سباجوز أو قلعة أخمندى دراسة
علمية . وفى صيف سنة ٦٢ ، سنة ٦٣ عملت البعثة الإيطالية بقلعة كوبان
شرق الدكة .

١٩ - بعثة متحف تورينو بإيطاليا :

عملت موسمين ، موسم صيف سنة ٦١ والموسم الثانى صيف سنة
١٩٦٢ . وقد قامت بحفائر فى قرية دهميت وعثرت على لوحات حجرية
مكتوبة وقامت بدراسة بعض المقابر التى قام الدكتور أحمد فخرى بكشفها
سنة ١٩٣٠ عند التعلية الأخيرة لخزان أسوان .

وقد سبقت هذه البعثات ، بعثات أخرى مصرية وأجنبية فى القرن
العشرين وخاصة منذ بدأ التفكير فى إنشاء السد العالى (١) .

وبالمناطق الأثرية فى النوبة ، غير البعثات ، شركات عدة فهناك
شركة بشور للمقاولات ومجالها :

(١) انظر كتاب « مشروع الناز آثار النوبة » ص ٢٦ - ٢٧ .

بيت الوالى - معبد وادى السبوع - مقبرة بنوت « حاكم بلاد
النوبة فى عهد رمسيس السادس » - عنيبه •

وتتولى معبد عمدا شركة فرنسية تعاونها شركة مصر للأسمنت
المسلح •

وأظهر الشركات فى المنطقة شركة (هوختيف) (١) الألمانية وان
كانت فى الحقيقة شركة مساهمة من جميع الدول •

وقد ظفرت شركة هوختيف بامتياز مشروع رفع « أبو سمبل » •

وشركة هوختيف هذه هى التى نفذت كبرياء خزان أسوان سنة
١٩٥٦ - سنة ١٩٥٨ بعد العدوان الثلاثى وكان المشروع فى يد شركة
مرسيليا الفرنسية من سنة ٥٣ - سنة ١٩٥٦ •

وعند معبد أبو سمبل تتحرك اسطورة حية وجه مصرى سمح
لوحته الشمس ترف عليه دائما ابتسامة طيبة • الوجه والابتسامة
لحجار مصرى يناديه المهندسون والخبراء مخلصين « الرئيس حبشى
ويعاملونه وهم المثقفون والأعلون فى سلم التمدن الاجتماعى معاملة الاتباع
لرئيس • لكل مشكلة عنده حل ولكل سؤال جواب هكذا يعتقدون
ويقولون • وليس الأمر وقفا على الهندسة والبناء والأحجار بل الطب
أيضا يلجأ للنازلون بساحة أبو سمبل ، كلهم اليه من متعلمين واميين
فهو يجبر الكسور ويطيب للملدوغ وسيظل وحده صاحب هذا الأمر حتى
تنتقل وحدة طبية صغيرة الى المكان السحيق •

وأقبل الرجل من بعيد وتدافعت الأصوات والأصابع كلها تقول :
الرئيس حبشى • حسبته فى الأربعين من خطواته السريعة المتدفقة وقامته
المنتصبة ووجهه المتورد وبشرته المستوية وبشره الفياض وأكثر من هذا
استبانت بالصعاب التى نفخر لها أفواها من الدهشة •

وكم من قصص للرئيس حبشى :

(١) اسم هوختيف من مقطعين هوخ بمعنى « عال » تيف بمعنى « عميق » ، والاسم
مشتق من طبيعة عملها فى الأنفاق تحت الأرض والكبارى العلوية • فوقها •

وهذه قصة :

كان ذلك سنة ١٩٤٧ حين خرجت بعثة فى مهمة الى معبد هيس فى الواحات الخارجة لترميمه . ولم يكن الطريق معبدا أو ممهدا فاستقل أفرادها عربات الحدود . وسار الرئيس حبشى وعماله وأسراتهم ومعه المهندس ابراهيم عبد العزيز فاختلفا على الطريق وانصاعت الرحلة لرأى المهندس بالطبع فلم تبلغ الغاية لأنها ضلت الطريق دونها وتعطلت السيارة فتحرك الرئيس حبشى من جديد وتطوع . . للاستطلاع . ولمح طريقا سار فيه وحين كر راجعا استهدى جبلا آخر فضل بدوره طريقه وظل ضالا ثلاثة أيام كانت البعثة أثناءها بلغت الحدود وأبلغتها وقامت الحدود بإبلاغ مصلحة الآثار . وخفت الطيارات تجوب المكان بحثا عن الرجل الجواب

وفى فترة انقطاعه عن الركب لمح سيارة كبيرة محملة بالصفائح فجر نفسه إليها يتوكأ على عصاه أغبر أشعت فخافوا منه حتى أطلقوا سيقانهم للريح وهو ينادى بهم مستنجدا حتى زابلهم الخوف ورقوا له فعادوا أدراجهم .

ويبتسم الرئيس حبشى من قسوة الانسان أحيانا ، ويقول : عرفوا قصتى فطلبوا الى مقابل مساعدتهم ان انقل الصفائح التى كانوا خلأوها حين ولوا هاربين منى ، الى سيارة النقل التابعة لهم . انا الذى لا أقوى على حمل جسمى الواهن من الجوع والطريق .

— وماذا صنعت ياريس حبشى . . ؟

— ان المضطر يا ابنتى مجبور . . امتثلت للأمر وحملت الصفائح المملوءة بكل ضعفى . . بكل عذابى . .

وروى لى الأستاذ عبد الحفيظ عبد العال كبير مفتشى الآثار وأمين منطقة الأهرام المنتدب انه حين تقرر نقل آثار تونة الجبل والمنيا الى مبنى المطافى فى ملوى لتخزينها . . حدث ان تخلف ناووس من حجر الجرانيت الرمادى فى الشارع أمام تفتيش الآثار بملوى . وحدث بعد هذا ان ائتمل التفتيش الى شقة على النيل وتركوا الناووس اعتمادا على نقله وعدم امكان سرقة .

ويبدو ان الذووس راق أطفال الصعيد قدار لعبهم حوله . .

وذعر صاحب البيت فكتب الى مصلحة الآثار طالبا نقله اخلاء

لمسؤوليته فطلبت المصلحة الى كبير مفتشى الآثار نقله الى المخازن الجديدة
أى مطافى ملوى . يقول الأستاذ عبد الحفيظ عبد العال :

أحضرت عمال تونة الجبل ورئيسهم السيد بشارى من قفط وأخذنا
فى نقل الناووس فى الساعة الثامنة صباحا ، الى المخازن .

واقترح رئيس مجلس مدينة ملوى الدكتور ناجى سيف للنصر ان
يوضع أمام مدخل مجلس المدينة وهو فى الطريق الى المخازن (المطافى)
فسررت لانه يوفر جهدا كبيرا .

ولما لم يكن عندنا ونش فقد وضعناه على درافيل (هواسير) تستند
الى حصيرة من ألواح الخشب تجرى عليها . وأخذ العمال يسحبونه
بالجبال حينما ويدفعه آخرون .

واستمر العمل من ٨ر٥ صباحا الى ٥ر٥ مساء والشهر رمضان والجو
حار والمسافة خمسون مترا فاعتبرناه عملا عظيما حتى بلغ من سرورى اننى
نفحت العمال مالا تقديرا لجهودهم .

ومر عام وجاءت عملية نقل آثار فى ملوى . . فكتب المفتش الذى
عهد اليه بالناووس ، الى مصلحة الآثار راجيا نقله الى المخازن اخلاء
لمسؤوليته وهنا وقع العبء على من جديد ولم أجد بدا من مصارحة
المسؤولين .

لا . . ابحنوا عن مهندس ينقله بوساطة ونش أو كلفوا الرئيس
حبشى بنقله . ليس لهذا الأمر غيره .

(فكلفوا) الرئيس حبشى واستدعوه الى ملوى لنقل الناووس .

ونظر الرئيس حبشى الى الناووس ونظرنا اليه ماذا عساه فاعلا ولم
يطل انتظارنا لقد اختار الرجل العنيد أربعة من عمال تونة الجبل الذين
سبق لهم العمل فى نقل الناووس .

وبدأ الرئيس حبشى العمل الساعة ١٢ ظهرا وبعد ساعة ونصف أى
فى الواحدة والنصف كان الناووس داخل مخازن المطافى بقى ان نعرف
ان المسافة الثانية كانت ضعف المسافة الأولى .

— كيف . . . ؟

— احضر الرجل الخبير درافيل أكبر قطرا واستخدم ثلاثة درافيل

بدلاً من اثنين ووضعها تحت الناووس على مسافات في وقت واحد وبدأ رجلان من أمام يشدان الناووس بالحبل حين كان حبشى والعامل الثالث يدفعانه من الخلف وكلما خلا الدرفيل الخلفى أسرع « الرئيس » بوضعه أمام الناووس ، هذا وحركة السحب والدفع مستمرة •

وفى استحياء واكبار معا يقول الأستاذ عبد الحفيظ : لقد استخدمت أنا درفيلين فكان الناووس فى تدافعه الى الامام يقع على الأرض من خلف فنحضر (عتلة) ونرفعه من الأرض ونحمله على الدرفيل الامامى ريثما نضع الدرفيل الثانى فى الامام هذا فضلا عن ان كثرة عدد العمال يحدث ارتباكاً ••

والآن يضطلع الرئيس حبشى بنقل اللوحات الضخمة فى معبد أبو سمبل وعددها ٦٥ لوحة يبلغ وزن الواحدة منها عشرات الأطنان •• ويمرح ببصره الى مقر شركة هوكتيف التى ستتقاضى ١٠ مليوناً من الجنيهات مقابل نقل المعبد ويبتسم وأسمع ابتسامتيه تقول بغير حروف :

آه لو عهدوا بالمعبد الى ••

ولكنها شركة هوكتيف أما هو •• فرجل بسيط اسمه •• حبشى •

البحر الأحمر

فى البحر الأحمر

انه غيرك يا نيل ليس فيه وداعتك وعذوبتك وانسيابك والضفاف
انه جبار قاس على عادة البحار وان كان أخفها وطأة خاصة فى
خليجيه .

القوارب يانيل تتهاذى بالشرار ، وتستلقى على صدرك فى دلال
يملى لها حناك ، وتباركها رحمتك وتزفها نسائمك وتحدها أشجار
الصفصاف والنخيل ، على الضفاف وحقول الذهب ، أما القوارب فيه
فخائفة مذعورة كقلب الأم . . ولوج فيه عات قاس كطبع الطغاة . . يرفع
ويفض لا يثبت على حال .

كان الله فى عون الرجال البحارة . . انهم يواجهون حياة قاسية
عنية محفوفة بالمكاره والمخاطر . . وفى هذه اللحظات يكبر الرجل فى
عين المرأة . . هذه تجربة لا تقدر عليها . . لون بطولى من العمل لا تستطيعه
. . من أى طعام يتغذى هؤلاء الذين يجالدون العواصف والرياح والأمواج
. . والبحر . . هذه السواعد التى تجذب الجبال المفتولة طورا وتتعلق
بها حيناً وتتدلى منها آناً وتتسلى عليها أحياناً . . هذه السواعد من أى
مادة يراها خالقها ؟ .

لشد ما يرتفع ثمن لقمة العيش فى بعض الحالات والأمكنة والأعمال
. . ويجلس سكان المدن والعواصم - ومادروا - يتحدثون عن رطوبة الجو
وحراة الصيف أو برد الشتاء ، وملل الفراغ الفج . . هذه النفاهات التى
تشغل الخليلين .

والفنارات فى البحر هى الشئ المعلوم المحدد وسط هذا العالم
المجهول السحيق الغور البعيد الأعماق . . انها علامة انسانية وسط
مظاهر الطبيعة المحيطة بها من سماء وماء وجبال وسحب وكأن الفئسار
يستشعر الألفة حين تترأى له السفينة فهو يرسل الومض متتابعاً هتفة
مشبوق وتحية صاحب .

وكالقادام من سفر يحمل الطيوب والألطف والعطايا تحمل الباخرة الى الفئار ما يغنيه أياما وترسل اليه في عرض البحر على ظهر قارب يشق العباب اليه ثم يعود لتأخذه الباخرة بين يديها ثم ترفعه الى صدرها كطفل حيث يسكن اليها ويسكن عندها حتى يلوح فانار جديد فيتهيا للنزول من جديد .

والفئارات في البحر الأحمر دنيا أخرى ، انها تقوم على شعب مرجانية من عجيب أمرها انها في المياه أشد صلابة من حجر الصوان فاذا خرجت منه تفتت . فهي كالسلك الذي يلهو عندها ، لاتعيش الا في الماء .

والفئارات رتشد الى مكان الشعب حتى تتجنبها البواخر فلا تتحطم عليها ثم هي تؤدي بعد هذا رسالة الضوء وتحيي بالنور . . ولكن الذين يعيشون فيها ينسلخون من العالم المعمور في وحدة قاتلة فقليل منهم من يعرف كيف يقشع الوقت الذي يقطع سيفه الكنيرين أو يقطع أعصابهم فكم من حالة تروى بين رجال البحر عن كادت عقولهم تذهب من رجال الفئارات .

ومع هذا فكل شيء نسبي اذ يغرى تضاعف المرتب بعضا منهم على العمل بالفئارات تحت ضغط ظروفهم المطبقة .

ومن رحمة الله بهم انهم يتناوبون كل أربعة شهور .

وفي البحر الأحمر جبال ملونة تتشكل في اثواب السحاب كالطيور التي تبدل ألوان ريشها . . ان هذه الجبال تعيش في بحبوحة من الأفق الذي يكسوها في كل ساعة من ساعات النهار والليل غلالة شفة تتكسر عليها أضواء النهار وتهوم فوقها أحلام المساء . وهي على البعد تبدو كأنها مرسومة رسما على طرف الأفق عند التقاء السماء بالأرض .

جبال ولكنها على الرغم من اسمها فيها انسياب ورسوخ في الوقت نفسه حتى آثار التعرية فيها مناسبة . انها تبدو لعيني كأنها شلالات من رمال رمادية عليها من الأفق طرحة حرير من الثل . . دائما الجبال في هذه المنطقة محجبة ولو بشفيف من ألوان السماء أو شعاع الضياء . . ألوانها في الصعيد تخضع لحكم البيئة ؟ . .

وتدنو صحراؤنا الشرقية من البحر الأحمر بين حين وآخر ناهدا على

صدرها أهرامات صغيرة تزهو في الشمس وتبدو في الظل كلوحة معلقة
بين الأرض والسماء .

وفي الليل رأيت باخرة تتلألأ بالأنوار . . كانت بعيدة وكانت
باخرتنا تتأرجح على صفحة البحر - تتأرجح في عصبية - فبدت لعيني
الباخرة الأخرى كأنها هي التي تعلق وتهبط . وقد ضاء منها البعد فكانت
كأنها لعبة أطفال تحركها خيوط في كف صغير عابث .

وفي البحر الأحمر لنا موانئ لعل أهمها الغردقة عاصمة محافظة
البحر الأحمر ، ويقولون أن اسمها يشكله لفظان : خور - جده لما بينها
وبين جدة من طريق اتصال . . ويقال انه نسبة الى نبات « الغردق » الذي
ينمو شيطانيا في هذه البقعة من الصحراء .

أهم ما في الغردقة معهد الأحياء البحرية حيث ترى العين عوالم
شتى من الأسماك والشعب المرجانية كانت تعيش في البحر . . عوالم
تروع بالألوان والأحجام والأشكال والتباين والطبائع والمزايا . . ولو أن
المشاهد يفوته الكثير في زحام التكديس الذي يفرضه ضيق المكان .

ان المعهد كسائر متاحفنا يفتقد فن العرض المغري الجذاب .

ومن معالم الغردقة أيضا فندق هيلتون بموقعه الفاخر على بحر من
الزمرّد ، وبمبناه الدائري الأنيق وبلسمات الفن في كل شبر فيه

من كان يظن أن مثل هذا الفندق النائي غاص بنزلائه حتى لا تجد
مكانا خاليا به . . ومن هم نزلاؤه ؟ . . انهم الأجانب من كل صقع جاءوا
الى مصر . . الى الغردقة حيث يحف الهواء ويطيب ، ويفتن الماء ويتجدد
ألوانه ، وتبتسم السماء وتصفو صفاء النفس المصرية السمحة المتفكهة
دائما .

ومن البحر الأحمر والصحراء الشرقية يخاليل العين المصرية أمل
واعد تبشر به بريمات البترول هنا وهناك في منطقة الطور وبيير مرجان،
على طول الطريق تنتشر البعثات اليابانية والأمريكية وراء الذهب الأسود .

انى أحلم من الآن بذلك اليوم الذي تتفجر فيه ، في الصحراء المصرية
عيون البترول وتتفجر معها الطاقات المصرية . . طاقات البناء والذكاء
والعمل . .

يارب . .

والباحرة فى البحر كالانسان لها اسم وجنسية وموطن هو المرفأ الأم .

وهى تسجل كالعقار الثابت وتتحرك كالمنقول .

ولكل جزء فى الباحرة اسم بالطبع ولعل أطرف هذه الأسماء :

القمرة : أى الحجره .

والمشى : أى غرفة القيادة .

والشرك : أى حجره الآلات (الماكينات) .

وأمتع ما فى البحر قيادة السفين . ان هذا اللون من القيادة تجربة انسانية نفيسة . انها حس حضارى ووجدان انساني وذوق .

عملية تقدير وتدير يجب ألا تخطئ والا ضاعت الحياة ، لا حياة واحدة ، بل حيوات كثيرة . ان قيادة الباحرة كالطيارة ، خير مرب للشخصية بتجسيما مسئولية صاحبها ، فقبطان الباحرة هو المسئول الأول عن كل أعمال طاقم الباحرة . قد يخطئ غيره ولكن يسأل هو لا يشفع له حق طبيعى فى النوم أو الراحة أو المناوبة . وهذا اللون من الحساب لا يوجد فى أى عمل آخر . ان الخطأ فى الأعمال الأخرى قد يحمل على المرءوسين باعتبارهم أداة التنفيذ ولكن الأمر فى الباحرة مختلف جدا . ان قبطان الباحرة ، المنبع ، الذى ينبثق عنه كل تصرف . كل من فيها يصدر فى أعماله بأذنه فهو صاحب الخطأ والصواب .

والقبطان اذا بلغ عرض البحر له جميع سلطات الدولة ، يستطيع أن يحبس ويستطيع أن يحكم بالاعدام على المتمرّد . يستطيع أن يزوج ويستطيع أن يفرض المنازعات .

انه الوحيد الذى يجمع بين السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية . حتى اذا خرج من المياه لاقليمية ودخل مياه أخرى انتقلت السلطة الى السفارة المصرية فى البلد الأجنبى فاذا عاد الى المرفأ الأم انتقلت السلطة الى حكومته .

قد يكون قبطان الباحرة زوجا وأبا ولكنه فى البحر ينسى كل شئ الا المسئولية الجسمية المنوطة به . ولئلا يمام عينه دائما . هذه

المسئولية ترهقه ولكنها ترفعه في عين نفسه وتزيد ثقته بها .. انه بطل
يجالده الطبيعة ويواجه الأخطار .

• يقدر فلقه بقدر انتصاره عندما يعود سالما بمن معه .

انه في حاجة الى جرعة كبيرة من الايمان تشد من أزره حين تصله
بالله .. انه هنا كالطبيب علمه وحده ، مهما عظم أو رسخ ، لا يكفي .

• أكبر من علم الانسان .. توفيق الله .

هذا الشعور بالحاجة الى الله .. الى الايمان به ينزع بالقبطان الى
السمو النفسى .. يرفعه اليه .. انه يعتقد في قرارة نفسه أن الخطأ ..
أى خطأ يوهن علاقته بالله فيتخلى عنه .. ابن الفكرة الشائعة عن (زوجة
كل مينا) قد تصدق على بعض البحارة ممن يكذبون ولكنهم لا يسألون
أو تهون مسئوليتهم ، ولهذا ينفضون متابعهم في كل مرفأ .. ان الذى
يفصل بين الحياة والموت . خيط رفيع في مفهومهم ودوافعهم فما تكاد
مباهج الدنيا تلوح لهم حتى يقبلوا عليها يعبون منها ظالمين .. ولكن
القبطان لا .. انه عالم آخر ..

وتنسى الحياة الصاخبة خطر الضابط البحرى بل تظلمه وتحسبه
قليلا ثم يتسنى لها أن تخبره فتندم وتصحح فكرتها ثم تعود فتنساه
من جديد .

وللبحر حرمان وتقاليد فاذا قابلت باخرة ، باخرة أخرى أطلقت
صفارتها أو البروجى ثلاثا تحية لها . ويبدأ التحية أحدث القائدين رتبة
فيرد الأكبر وينهى هو التحية أولا .

ومن تقاليد البحر أن المركب التجارى يحىي أولا المركب الحربى
برفع العلم .

• هناك ما هو أئمن من المال والتجارة .

وحيتنا على القرب باخرة عائدة من اليمن ، ومع التحية رفعت العلم
.. ومع العلم ارتفعت أيدينا ملوحة لأبنائنا العائدين .. شيء واحد هو
الذى نزل .. انه دموعنا .

كانت رحلتى هذه على البحر الأحمر سنة ١٩٦٦ بالباخرة (عابدة
وكان أحدث مرة زرت فيها البحر الأحمر سنة ٨٣ ماذا رأيت ؟

رأيت مصر فى الغردقة

كثيرون يرون ، مصر ، ٠٠٠٠ القاهرة .

والقاهرة أم المدائن ولها فى القلب المصرى . وقدة ، نتوهج على
القرب والبعد .

ولكن مصر هى القاهرة ، وكل مدينة مصرية ، وأربعة آلاف
قرية ٠٠٠ مصر هى : السهل ، والجبل ، والوادي ، والصحراء ، والسماء ،
والأرض مصر هى : التراث ، والقيمة ، والماضى ، والحاضر ، والمستقبل
مصر هى : الانسان ، والمكان ، والزمان .

مصر كبيرة معنى ومبنى ٠٠٠

ولهذا رأيتها فى الغردقة

هذه المدينة القديمة ، الجديدة ، مدينتى كالميا ٠٠ كالقاهرة ٠٠٠
أنى ، مصرية ، أملك الوجهن ، والصحراويين ، والبحرين ، والنيل هو
بحر ، ونهر ، وأنهار وجنات وعيون ٠٠ أملك هذا كله بدون عقد تملك
ما بى حاجة اليه .

الغردقة أو « حورجت » اسمها المصرى أى أرض حور ٠٠ أرض
حورس ٠٠ ومن هنا اسمها المحور (حور جدا) الذى صار الى « غردقة » .

انها مدينة قديمة ٠٠ وانها مدينة جديدة ٠٠ لقد رأيتها قبل ، منذ
سنت سنوات ولكنى هذا الاسبوع رأيت جديدا فى كل مكان بها ٠٠ رأيت
مدينة عفية فتية تعلم بالمستقبل وهى التى تتن بالماضى رأيت المشروعات،
تجسيدا على الأرض ، ونبتا فى القلب . رأيت كورناشا عرضه ٤٠
أربعين مترا .

رأيت صناعات وفنونا شعبية . رأيت مدينة نظيفة على الساحل
وفى الداخل ٠٠٠ الحى الشعبى بها ، ليس به ورقة على الأرض رأيت
أذن الهدوء ، وسمعت عيني السكنينة ٠٠ ليس فى الغردقة قسامة صوتية
أو دن أى نوع . وعرفت السر ٠٠

لقد دعا محافظها ، سحابها وأهلبها الى الاحتشاد لانتظمتها مرة واحدة

فظلت نظيفة منذ ذلك اليوم .. فالقاعدة القائلة (ما أصنعه يصنعني)
صادقة دائما .. وقد صنعوا هذه القيمة فحافظوا عليها .

ويذكرني هذا بيوم (سوبيتك) في روسيا وهو آخر يوم في
الخريف عندهم وفيه يخرج الناس جميعا وعلى رأسهم رئيس الاتحاد من
السادسة صباحا حتى السادسة مساء .. ويشترك مائتان وأربعون مليوناً
في جميع أوراق الخريف المتناثرة ويزيجون الثلوج الساقطة والمتراكمة
فيتنفس النخيل الأخضر ويبدأ الربيع وقد لبست أرضهم ثوبا أخضر جميلا
رائعا .

ويرفض الجميع أن يتقاضوا أجرا اضافيا أو أساسيا وتذهب حصيلة
هذا اليوم الى صندوق التنمية .. ومن هنا يحافظ كل مواطن على المصنع
والمرح والسينما والشارع لأن المال العام ، ماله وعرق جبينه .
وبهذا تتحقق أغراض كثيرة وكبيرة في وقت واحد .

عندنا أجهزة تعرف ما تحت الجلد أو تزعم هذا فليتها تعرف خرائب
المكان كخرائب الانسان .. وليتها تعرف من دمروهما معا .. وليتها
تعالجهما معا .

للغردقة أحلام كبيرة بحكم مساحتها الكبيرة وطاقة البحر فيها
وبكارة الطبيعة ، وبكارة الاحساس الذي لمستته في كل من رأيته من
أهلها ، لا ينقصها الا المال وهو شيء مذهل حقا اذ الغردقة أغنى المحافظات
موارد .. فيها وحدها ٨٠٪ ثمانون في المائة من البترول المصرى . ان
مسايد الأسماك فيها وما يتصل بها من صناعات تكفى لسد حاجة مصر
كلها بل التصدير أيضا ..

وغير هذا كثير وفير ثم تفتقد الغردقة المال لا لأنه غير موجود ولكن
لأن الميزانية العامة توزع على المحافظات حسب عدد السكان !

وبهذا تستقطب أجهزة القاهرة المال والاصلاح فتنهار مرافقها أكثر
لأن عامل الجذب اليها يزداد بينما لو وجهنا هذا المال الى الريف (بحقه)
والى المحافظات الواعدة ، تخففنا الضغط على القاهرة التى حجب الزحام
والقتام والارهاق والضغط جمالها ، وصباحتها ، ونفاستها ، أيضا .
أغنى المحافظات فى الطبيعة ، أفقرها فى واقع المال ! مرة أخرى
أقول : هل مصر هى القاهرة فقط ؟ ان المال لا يكون بنسبة عدد السكان

فحسب بل بنسبة طاقة التنمية في المكان فان العائد في النهاية لمصر كلها .

ان الفردقة ومن ورائها الصحراء الشرقية - منجم مصر الاول كما يقول الدكتور جمال حمدان - بترونها المعدنية من ذهب وأحجار كريمة . ومحاجر المرمر والسماقي الامبراطوري والبروفير الارجواني حيث يضم جبل الدخان ووادي الفواخير كتلا من الجرانيت الأبيض والأسود النادر التي بنى منها الرومان معابد روما .

(والواقع ان دور هذه الثروة المعدنية كان أساسيا في صناعة الحضارة المصرية قبل التاريخ وبعد الفرعونية ، مثلما هي حيوية واستراتيجية اليوم في صناعتنا الحديثة المعاصرة .) شخصية مصر ٤٧٨ .

الفردقة والبحر الأحمر طريق مصر ونافذها ومنفذها الى آسيا وأفريقيا . يقول الجغرافي الكبير الدكتور جمال حمدان :

(من المحقق أن الصحراء الشرقية ، على الرغم من كل شيء ، كانت طوال التاريخ طريقا هاما في شبكة اتصالات مصر بالعالم الخارجي ، أهم على الأقل من نظيرتها الصحراء الغربية بالتأكيد . لقد كانت ممرا أكثر منها مقرا ، واقلية حركة أكثر منها اقلية استقرار . وبهذا جمعت بين طرفي متناقضة ميرة ، وان لم تكن غير مألوفة ، وهي أنها صحراء عزلة ، انظر ص ٤ ولكن اقلية عبور أو مرور) شخصية مصر ص ٤٨١ .

ويقول : (. . . ساحل الصحراء الشرقية ، من وجهة نظر مصر ، هو أئمن ما فيها تقليديا ، ومن أجله كان عليها أن تعبر الصحراء بالاتردد ، وعلى الأول على الرغم من كل معوقاته أقامت سلسلة موانئها عبر التاريخ ، وعلى الثانية على الرغم من كل وعورتها فرضت شبكة طرقها التاريخية بلا كلل .) ص ٤٨٢ .

الفردقة بهذا كله ، وراء حضارة مصر القديمة بانجازاتها الباتعة والرائعة . فهل يكون لها في الحديث الحظر نفسه ، والدور نفسه ؟

ان العالم الدكتور جمال حمدان يقول :

(ان التعدين في الصحراء الشرقية تطور من المعادن النفيسة أساسا في الماضي الى المعادن الصناعية في الوقت الحالى ، من الذهب والفضة والفيروز والزبرجد الى الفوسفات والحديد والبتروول وبعض المعادن الاخرى

الصغيرة . وقد صيحب هذا التطور انتقال في مراكز النعدين من قلب الصحراء وداخلها بعامة الى ساحلها بصفة خاصة حيث نتركز معظم ركازات ورواسب المعادن الجديدة (ص ٤٧٨ .

ان الغردقة هذه بكل ما أسلفت ، مساحة عريضة ليقظة شاملة ، وانطلاقة جديدة . (فاذا أمكن حل مشكلة المياه فلسوف تكتمل الثورة البشرية والعمرانية المحلية الصغيرة التي وضعت جرنومتها أدوات الحضارة الحديثة ، لتتحول الصحراء الشرقية يوما ما من صحراء عزلة الى أكثر من اقليم مرور ، لتصبح « جبهة ريافة » جديدة على جبهة مصر الشرقية » ص ٤٨٦ .

ان الغردقة خامة نادرة للسياحة التي غدت صناعة وفنا وعلم .

السياحة العلاجية : بطاقات المكان من شمس ورمال ومياه معدنية وبحر ونباتات طبيعية ، وطينة الشعب المرجانية .

وسياحة تاريخية : بدءا مما قبل الأسرات ومرورا بعصور مصر التاريخية انظر ص ٥٠٠ كلها بما تظمه من آثار في امتداد موصول .

وسياحة دينية : بما فيها من أديرة مسيحية ، ومزارات اسلامية - دير انبا انطونيوس وانبا بولس بعيدا خلف منطقة خليج السويس في الشمال ، ومعتزل الشيخ الشاذلي في منطقة بير شاذلي في الجنوب .

والغردقة طريق طبيعي مباشر سريع الى الحجاز ارتكازا الى « سفاجة » حيث تتصل ب « جدة » و « ينبع » وما وراء هذا من تخفيض الزحام ، وتوفير استهلاك السيارات ، واستهلاك الطرق .

سياحة ثقافية : بما تضم من معاهد بحوث علمية وطبية .

سياحة شبابية : (الكارافان والمخيمات)

سياحة رياضية : من تسلق جبال ، وصيد في الوديان والصحاري والغوص والتصوير تحت الماء ، والفروسية ، والرماية . . الخ .

هذه المحافظة التي نربو شواطئها على ألف كيلومتر حتى حدود السودان تفتقد الربط بينها وبين المحافظات الاخرى بل بين أجزائها نفسها بعضها ببعض .

وهى بحاجة ماسة الى شبكات طرق ، وشبكات مياه ، وشبكات الغاز ، وشبكات الكهرباء .

وهناك مشكلة جديدة أعنى تلويث الشواطئ . وبتدمير السروة السمكية وهو وزر يتحتم أن تتحمله الشركات التى تتمتع بامتياز التنقيب عن البترول وتتمتع بعائد البترول ، كما يحدث فى البلاد البترولية .

وعلى الرغم من هذا كله فان الغردقة التى كانت منذ وقت قريب أو بضع سنوات ، أشبه بقرية ، هى الغردقة التى تزخر الآن بالحياة والبناء والانشاء والتطوير .

والازدهار فى أى مكان يعنى أو يساوى **ادارة وشيعة** . وتذكرت عصور مصر الذهبية على امتداد تاريخها كله ، واقتراها بحسن الادارة .

ان منجزات مصر الحضارية كان وراءها ادارة رشيدة ، وسديدة والا لما طرحت هذا العطاء بدءا من بناء الأهرام الذى نشهد معجزته بعبقريه الادارة التى أحكمت انتظام سير العمل فيه وكأنه سيمفونية لا نشاز فيها .

ومن حسن حظ الغردقة أنها لا تصدر صدفا حتى لا تهدر الوقت والمال فى المانشيتات والوعود .. انها تعمل فى صمت وفى جد وكده دائم ودائب .

والصمت الذكى جمع للنفس وميلاد للقيمة .

وفى الصمت يطرح الغراس الطيب فاذا الغردقة اليوم على وعد بجنة أكملها دائم وظلها فينان ..

وكم فى مصر من جنات وعيون لو وجدت كالغردقة من يحبها والحب عطاء .. ويعيشها والعيش نداء .. ويحسها والاحساس تجاوب .

الحجاز

الحرم النبوى

فى غيبة طويلة عن مصر والانسان المصرى ، ومن أجله أرقرق الحرف ، وأوتق الحدث ، وأحقق جوابا على سؤال حائر أسمع به بالعين أو الاحساس .
لانى الى هذا التراث أنتمى بالكيان كله .

لم يكن غيابا بل حضورا مزدوجا . . سافرت من مصر الى الحجاز ثم الى المغرب ثم الى انجلترا . . كنت خارجها ، فيها . . وحديثى الطواف عن هذه الرحلات يقول . .

أبدأ برحلة الحجاز . . رحم الله أستاذنا المازنى صاحب هذا العنوان الذى أعطاه أحد كتبه . .

نحن فى طريقنا الى المطار . . اختناقات كثيرة كالعادة فى شوارع القاهرة حتى فى الزمالك حيث تبدو الجزيرة مترفة فى كل شيء . . ولكن تصادف وجود كراكة ضخمة تسد الطريق كوحش مفترس بين مستشفى المعلمين والنادى الأهلى أو هكذا بدت لى من ضيقى وخوفى على الموعد ، انها الطائرة وانها العمرة . . كانت الكراكة تفترس الوقت على الأقل .

وصلنا المطار نلهث . . موظف المطار قال نحاول إيجاد مكانين !! حيث وصلنا متأخرين . . رفضت هذا المنطق فى كلمات قليلة هادئة وان كنت متوترة . . ثم بسرعة بعد هذا وزن الحقائق ومراجعة الجوازات . . الموظف الآخر نطق اسمى أحسست به قارئا لى . . فلمى ليس وسحبه صديقى . . انه منبع ثر لصداقات تفتح لى كل طريق . . حمدا لله .

مضينا الى صالة الانتظار . . لم تمض ربع ساعة حتى جاء موظف المطار وطلب الى البطاقات الزرقاء المرفقة بالتذكرة . . قدمتها له . . وأعطانى بدلا منها بطاقات حمراء الخاصة بالدرجة الاولى . . لم أدر مصدر هذا التكريم وهذه المجاملة من مصر أم من السعودية . . هذه وطنى وتلك ، دينى . . انها فاتحة خير على كل حال . . أو براعة استهلال على رأى البلاغيين . . وتذكرت موظف المطار الذى لوح بعدم وجود أماكن !!

لا خير الا خيرك . . ولا اله غيرك . . لك الحمد ولك الرضا .

عند الخروج الى الطائرة جاء مدير من الخارجية واصطحبني وابنتي الى باب آخر خاص وركبنا سيارة صغيرة غير الاتوبيس لنصل الطائرة
أولا ...

تكريم آخر ...

نخرج الآن الى الطائرة .. اختلج كياني بالدموع .

هل هو شوق الى مصر ولما أغادرها بعد .. برح الشوق ولم أبرح !!
أم شوق الى الحجاز ؟ والشوق اليه غلاب .

في الطائرة - الدرجة الأولى - ما كدنا نجلس حتى دارت المرطبات
فالفطائر فالحلوى فالقهوة العربية . وهي شراب الحبان زكية رقيقة اللون
والنكهة .

بدأت الرحلة الساعة ٣٤٥ .. ما أن صعدت الطائرة حتى أحسستنا
ببعض مطبات هوائية .

أمعنت في الصعود .

أحسست أنى بين سمائين سماء فوقى صافية تتربع فيها الشمس
وسماء تحتى من سحب مندوف .. أكداس من قطن أبيض أو شبيهه .

ترى أى أرض تحت هذا السحاب .. لكأنه جبال ثلجية .. اننا
بالطبع فوق صحرائنا الشرقية ومنها الى البحر الأحمر .. البحر مرقش
أو مرصع بالسحاب . يبدو أن السحاب يذوب فى البحر .. غارق
لشوشته .

من جديد عادت جبال الثلج . توارى البحر .. لا يؤنسنا
الا الشمس .. معذورة مصر القديمة أن أحبتها ..
الشمس أقوى .. بددت السحاب الا قليلا .

أصف والطائرة تتأرجح يمينا ويسارا وأعلى وأسفل بل أكثر من
هذا . أمر الطيار المضيفات أن يأخذن أماكنهن فى كراسيهن ويربطن الأحزمة
وهذا نذير .

بعض الركاب لم يتناول طعامه من التوتير .. والبعض لم يصل اليه
بعد الطعام ولن يصل لأن المضيفات ربطن الأحزمة .

صوت الطيار يعلن قرب الوصول .. باق ١٧ دقيقة .. وصلنا
مطار المدينة في أفراح الأصيل وسرعان ما أقبل الليل .

ما كدنا نخطو بضع خطوات حتى سمعت صوتا ينادى اسمى ..
انه كما يخيل الى من زيه وسمته وصوته مستول بالمطار تقدم لاستقبالى
ونقدمنا ومعى ابنتى وسهل الاجراءات بالطبع . وما كدنا نخرج من
المطار حتى سمعت اسمى مرة أخرى .. هذه المرة ضابط برتبة كبيرة
وشاب عربى نبيل قال انه مندوب الامير . وفتح لنا باب سيارة فارهة ..
لقد أرسله الأمير عبد الله الفيصل من جده مقر اقامته الى المدينة ليستقبلنا
باسمه . يقول انه قطع المسافة فى خمس ساعات .

هذه هى المدينة .. وهذا هو الحرم النبوى يسير فيه المسلم طويلا
فى كل اتجاه ثم لا يبلغ نهايته من أى ناحية أتاه .. انه مدينة النور ..
ومدينة الناس هامش له وخلفية صورة عميقة الأبعاد .. كل شيء فيه
يبدو للعين المشوقة المشوقة ، صيغ من نور .. الأعمدة البيضاء الملساء
نور .. الأعمدة الوردية تزيد النور نورا .. كل شيء حولى يروع ويأسر
..... هو الذى كان لا يملك فى هذا المكان غير بيت متواضع من حجرتين
وكان على نظافة فيه عالية ، زاهدا فى ملبسه وطعامه .. بسيطا فى حياته
سمحا سهل الأكثاف .. على خلق عظيم .. بالمؤمنين رؤوف رحيم .. كل
هذا البهاء له النقى الصفى السخى الوارف الظلال وما طلبه ولكن الله
جزاه بصدقه فقد كان الصادق الأمين .

ما طلب بناء ولا قصورا ولا ملكا ولا سلطانا وباسمه عاش الملوك ..
وبهديه عاش الشعوب .

والتقى على محبته واجلاله الحاكم والمحكوم وقلما يلتقيان .

ويذهب الناهبون صناع أقنعة العظمة وممثلوها ويبقى هو البسيط
الزاهد ويزيد كل يوم خلودا .. بل يضعه كاتب لا يدين بدينه على رأس
المائة الخالدين فى الشرق والغرب .

لم يكتب عن نفسه كتابا وكتب عنه الكاتبون فى الشرق والغرب
فى كل عصر وجيل مكتبة كاملة . ويهتف « كارليل » (لو لم يكن فى
محمد الصدق ما بلغ هذا الشاؤ) .

ودلفت الى الروضة الشريفة حيث مثوى الأعظم العطرات .. وكنت
لا أدرى بنفسى وأنا أفضى اليها خفيفة الخطى كائنى أطير حتى وقفت فى

ساحتك ٠٠ قبالتك غارقة في دموعي ٠٠ من خشيتي بكيت ٠٠ من هيبتي لك بكيت ٠٠ من محبتي بكيت ٠٠ بكيت كما لم أبك من قبل أنا التي عرفت دموع اليتم ودموع الألم في حياتي وحياة وطني ولكن دموعي في حضرتك كانت دموعا عذبة بلا عذاب ٠٠ دموعا ندية فيها شوق وحنان وإيمان ٠٠ ورأيت الناس يملأون المكان على سعته الوسيعة أتوا اليك أفواجا ومن كل بقعة اليك انتهوا من غربة وشتات لأنك كريم دارك للغريب واللائد والزائر رأيتهم قيساما وقعودا من كل سن ولون كم هي راضية مرضية الصلاة في رحابك وعرفت معنى أن يصلي الناس ما يشاءون في سائر أنحاء الدنيا واذا أمنيتهم والدعاء أن يظفروا بالصلاة عندك فيقول المشاهد للمصل (حرما) ويجيب (جميعا) ٠

هذا الحرم بهالات النور وهذا الجمع الطهور مهما كانت ذنوبه من قبل فان دموع توبته بين يديك تغسل بحرا من الآثام ٠

يكفى أنهم صادقون بمحض ارادتهم جاءوا ٠٠ بملء حبههم جاءوا غير مساقين غير مدفوعين غير كارهين بل مشوقين وملهوفين ٠ طفت بك طاف دعائي وطاف صمتي وطاف فكري وانهلت بعد الدموع ، الذكريات أو كأنى أراك في بيتك المصري تعمره زوجك مارية القبطية الصعيدية وابنتا منك ابراهيم وسمعتك توصي بمصر وأهلها خيرا لأننا لك أصهار ولابنتك أخوال وسمعتك عندما تهدم بناء الكعبة ويشير عليك من حولك باستحضار بناء من فارس فتقول بل ادعوا لها بنائين من مصر وهي شهادة غالية لنا بأننا أهل بناء وإنشاء وعمارة وحضارة ٠

ورأيتك وصاحبك مهاجرين من مكة الى المدينة والليل والألم والشجن وعذاب الجحود والكفور والملاحاة ويذكرك ذاكر بدعاء نوح على عذاته (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) فتأبى وتقول في هدوء الواصل ربك والواصل بنفسه ٠ تقول في سماحة الأخيار والأطهار (رب اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون) ٠

رأيتك في الغار تقول للصديق وقد لفه الصمت اللهيف لا تحزن ان الله معنا ٠٠ لم تتخل عنك طمأنينة النفس ٠

رأيتك تدخل المدينة فتثور وتغدو منذ ذلك الحين دون سائر المدن المدينة المنورة ٠ ويهدأ وجيبك ويسكن دبيب القلب ونمسح يد النعمى

آثار الشقاء وتسمع مضيفك ينادى ولديه متهللا ليظفرا برؤيتك : يا سالم
ويا ياسر فتبتسم متفائلا وتقول : الحمد لله لنا فى الدار يسر .

ومن الذكريات التى تطيف بك ما صنعه رجالان صنعتهما على عينك
وكم رجالا صنعهم الاسلام ، دين الانسان .

ويتهدى فى سمعى صوت الصديق وقد آلت اليه امامتك (أيها
الناس أطيعوني ما أطعت الله فيكم فان عصيت الله فلا طاعة لى عليكم)
جوهر الديمقراطية الحقبة بلا قيد أو أذى أو انتفاخ أو انفساخ .

ويمر شريط الذكريات وأرى عطر التاريخ عمر صاحب كتاب القضاء
الذى ناشد قاضيه أن يسوى بين الناس فى وجهه وعدله ومجلسه ...
ولو طلب المساواة فى العدل لكفاه ولكنه ارتفع الى أفق رفيع لم يبلغ
شأوه أحد حين تحرى المساواة فى الوجه أيضا بل أولا فليست المسألة
حرفية العدل بقدر ما هى انسانيته واحترام كرامة الانسان ، كحقه .

وحاول حراس المكان الطاهر أن يسلكوني فى صفوف النساء أى بعيدا
عن المقصورة الجامعة ولكنى أصررت على الاقتراب منها ولمستها بعينى ويدي
فى تعبير عن الامتنان والعرفان بما أنى انسان أعطانى الاسلام من خلال
الرسول وصاحبيه عز العدل والشورى والرأى والارادة .

والفاروق عمر الذى فرق الله به بين الحق والباطل له على دالة ،
وله عندى جميل يعيش فى عقلى ووجدانى منذ ذلك اليوم البعيد من سنة
٦٢٠هـ حين عرضوا عليه فتح مصر فرفض ولكنهم سوغوا له الفتح بأنه
دفاع عن النفس ضد الرومان الذين يحكمون المنطقة ومصر مركز قوة لمن
يملكها .. والهجوم خير وسيلة للدفاع .

ومرة أخرى يقف العادل ثانى الخلفاء الراشدين الأربعة فقط ، يقف
الى جانب مصر حين أمر جنوده ألا يمسوا الأرض فالأرض فى رأيه وضميره
حق لأهلها واكتفى بالجزية التى كانت تمثل فى نظامه ضريبة دفاع ،
يدفع المسلم أضعافها فى الزكاة فضلا عن تكاليف الجندية وحماية
الشعور .. وهنا أشير الى أن المصريين لم يسلموا تخففا من الجزية فان
الاسلام يترتب عليه بحكم فريضة الزكاة أضعافها فضلا عن ضريبة الدم
التي يتفادها الناس فى كل الشعوب والتي كنا الى أوائل هذا القرن
نسحبها « البدلية » . أى البديل العسكرى .

لقد أسلم الناس فى كل مكان لا فى مصر وحدها ، انشراحا للاسلام
وايمانا ببعده واقتناعا ببساطته وعمقه وصدقته معا .

أسلمنا يوم أعطى للمصرى درته وأمره أن يضرب ضارب ابن عمرو
ابن العاص واليه على مصر ساخرا من ابن الأكرمين ، مؤنبا في قوله جامعة
رائعة ٠٠ دافعة دامغة : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم
أحرارا ؟) ٠

أيهما أشد تأثيرا في النفوس كلمة عمر أم فيالق الرومان ولو كانت
حشود الأرض ؟

من أجل هذا كله كانت دموعي « نيلا » روى المقاصر وهي بالارواء
والانداء مقاصير ليست من الأرض بل سماء ما طاولتها سماء ٠٠

البيت الحرام

فى الطريق الى جدة : لكل بلد فجر ، وللمدينة فجران :

الرسول وهو نور متجدد بدد الظلم والظلام وفجر النهار .

ومن أسماء المدينة قديما « طيبة » هل راقت أصحاب منب الذين هاجروا فى الأسرة السادسة المصرية الى الحجاز فسموها طيبة ارواء للحنين ، وارضاء لاحساس مكين يلج على المصرى الجواب بعد المطاف مهما طوف وطاف .. رأينا الطريق الى جدة يكتنفه الجبال من يمين وشمال وأمام .. الطريق يخترق الجبل .. يضيق أحيانا ويتسع أخرى .. الطبيعة قاسية جدا .. أحيانا تطالعنا شجيرات باهتة شابت خضرتها فى مغبرة باهتة .

الطريق مهده مضاء والسيارة فارهة ولكن حين هاجر الرسول عليه السلام من مكة الى المدينة تتوزعه ألوان من القلق ، وتتنازعه عديد من المشاعر .. أى وحشة لاقيتها يارسول الله .. أى عذاب كابدت .. أى صعب جالدت ولكنك صبرت وصابرت لأنك صاحب دعوة .. وصاحب فكرة .. وصاحب ضمير .. لأنك مصلح وهاد ورسول .

ولأنك صادق أمين عاشت دعوتك ، وطرحت رسالتك وأزهر عطاؤك وخلد اسمك على الأيام والأحداث والمحن .

وهذا هو الفرق بين أصحاب الدعوة وأصحاب العصا .

دانت بك العلماء .. والأقوياء والضعفاء .. والأحرار والأرقاء .. والبسطاء والأغنياء .. والمتواضعون والكبراء .. حين لا يدين بالعصا حتى الصغار والمتصاغرین الذين يخيفهم سطوتها ، أو تجذبهم منبتها .. فيتساقطون على المن والأذى والقذى ويسقطون فى النهاية بسقوطها لا يبقى منهم ذكر ولا يحفل بهم تاريخ مبغوضين فى الدنيا والآخرة .. اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ..

هان سعيهم وهانوا ..

ساعة ٠٠ ساعتان ٠٠ ثلاث ٠٠ والجبال رابضة رابدة وحشني النيل
والنخيل والجزيرة ٠٠ وتذكرت قول ذلك العربي الذكي الذي قال لنا يوما
مازحا كالجاد أو جادا كالمزح وكنا بعد الهزيمة نعيش شدة ترهقنا من أمرنا
عسرا :

✽ تأخذون البترول وتعطون النيل وأم كلثوم ؟

وعلى القهر والعسر قلنا في كبرياء : لا .

ألف لا يا حبيبة لن نرضى بك بديلا طعمنا الشهد أو سجرعنا
العلقم .

إنك مع العسر واليسر ، مصر وكفى .

✽ ✽ ✽

نكمل الطريق الى جدة ٠٠

ابتسمت ابنتي الى جانبي ولعت عينها ٠٠ وسألتها بغير حروف
فقلت : السيارة التي مرقت الآن مكتوبا عليها « الصبر طيب » . قلت
ياصغيرتي بلديك رائد في كل ألوان التعبير حتى البسيط منه ٠٠ غالبتها ،
مصرية ، روح الفكاهة فقلت : ولكن صاحب السيارة لم يكتب « شافك
ياحرامي » فقلت لأن بلديك أيضا عانى طويلا من اللصوص .

✽ ✽ ✽

نمر الآن بمنطقة رابغ ٠٠ البحر الأحمر على يميني غير بعيد ٠٠
وغير بعيد أيضا شاطئه الآخر ٠٠ شاطئ أنا حيث السويس ورأس غارب
والغردقة وبرناس .

بعض الجبال حمراء أي حديد ٠٠ قلت لشاب سعودي متقف ثقافة
رفيعة ليتكم تستفيدون بها فتقوم صناعة وصناعات ولكنه قال في هدوء
خلى البال ، قال في طيبة :

— البترول مريحنا ٠٠ لما يخلص نفكر في الحديد . ثم هناك دول
وقبرة نعيش على صناعة الحديد أو تصديره لماذا ننافسها ؟

مرة أخرى الجبل ٠٠ هذا الجبل ليس له صديق الا أشجار قليلة
وحفنة من البيوت في مدخل المدينة المنورة ٠٠ هذه المدينة المفتوحة القلب
منذ ذلك اليوم البعيد الغالي الذي استقبلت فيه الرسول وأمنت به بعد خوف

وطمأنته وهددته آلامه .. هذه المدينة الطيبة التى تكلاً كل شيء حتى
الحجر .. حتى هذا الجبل .

حقاً رأيت على مشارف جدة بيوتا صغيرة قابضة عند أقدام هذا
الجبل وبعض أشجار أقصد نخيلاً بعضه أخضر وبعضه أصفر الأوراق جف
ماؤها .. أصحابه هجروه فمات من الظم والقسيوة ..

ما كدنا نخلف قرية الحسينية حتى ضاق الطريق وأطبق الجبل ..
رأيت على البعد ثلاث أعرايات كأنهن ، فى اللون ، من جنوب
أفريقيا .. هل لوجنتين الشمس الى هذا الحد ؟



جبل بدر .. هنفه ندت عن لسان محدثي العربى .. قال هذا
جبل بدر هل سمعت عنها ؟

وكيف ؟ ان بدر فى وجدان كل مسلم .. هنا دارت معركة بين الحق
والباطل .. وانتصر الحق فى بدر .. وانتصر فى أحد أيضاً لولا ضعف
النفس البشرية أمام الغنائم ولكن بعد بدر وأحد والخندق والحديبية ظهر
الحق وظفر .. وزهق الباطل وامحق أن الباطل كان زهوقاً .

من جدة الى مكة :

الطريق موحش نكتنفه الجبال . واذا كان موحشاً على الرغم من
الكهرباء والكبارى والمنازل والمدائن نرى كيف كان هذا الطريق قبل نصف
قرن بل قبل عشرات القرون ؟ كان قفراً أجرد والآن يحسد الناس أصحابه
ونسوا أنه تعويض عن عذاب طويل وحرمان أطول .

بارك الله لهم فى الرزق الجديد بالعسلم وحسن التدبير وذكاء
الاستخدام .

ان من يدخل الحرمين يحس أن البترول نعمة على المسلمين جميعاً
فكل هذا الاغداق المعمارى والقيمى على بيتين هما قبلة المسلمين على اختلاف
ديارهم ، هو اضافة الى الوجدان المسلم والراية الاسلامية .

ودخلنا مكة .. انها طراز آخر غير المدينة وجدة .. لقد توغلت
مكة فى الجبل صاعدة .. وذكرتنى مكة جبال أوربا حيث تأخذ البيوت
مكانها على السفوح والمنحدرات كالقمم .. طابع خاص لمكة لا تخطئه
العين ..

ومدن الحجاز الثلاثة التي رأيتها على التوالي : المدينة - جدة - مكة
ليس بها تراب أو ذباب .. هنا غبطتهم .

البيت الحرام :

الكعبة .. مع خيوط الفجر الأولى سعت إليه بعد سفر طويل .
الطريق إليه مغطى بالناس الساعين المشوقين والمكان فيه مغطى بالطائفين
الراكعين الخاشعين السجدة الباكين .. كل إليه مشوف .. كل به يطوف
كل به تتعلق عيناه ويداه ورجاؤه ودعاؤه وهيئته ولوعة دموعه من كل
طريق إليه .. من كل فج عميق إليه يهرعون مهرولين وزاحفين ، حثيث
الخطى فى خفة وقعيد محمول فى محفة .. اذا استبد الشوق بالمسلم إليه
لا يعرف الصعب أو المستحيل ..

فى هذا البيت الله وحده الأكبر وهو وحده الأعلى وهو وحده الأعظم
هنا تسقط الأقنعة كل الأقنعة تسقط الزيوف .. حيث الانسان كل
الإنسان لا يستثنى غنى أو متعلم أو ملك أو أمير .. الكل فى هذا البيت
صغير صغير والعظمة لك .. ضعيف ضعيف والقوة لك .. عاجز عاجز
والحول وال طول لك امحت الفوارق والفروق كبيرها والدقيق .. بل لعل
أشد الناس خشوعا وخضوعا .. بكاء ونحيبا الأشداء الأقوياء .. لعل
التكفير عن غرور الانسان .. لعلها الحقيقة التى غابت فى زحام المدينة ..
لعلها الحاجة اليك .. لعلها العودة الى رحابك .. لعله اللواذ ببابك ..
لعل .. كم تعلم ولا نعلم انك وحدك علام القلوب والغيوب .

وطفت مع الطائفين وكبرت ورجوت ودعوت وسعيت وصليت وحين
وقفت أمام الحجر الأسود حال بينى وبينه خلق كثير ولم أتحول بل انتظرت
مرجة بين الصفوف ودنوت منه وقبلته لأن من هو خير منى قبله محمد
رسول الله عليه السلام وبعده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب والنبي قال له
(والله انى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أن رسول الله قبلك
ما قبلتك) .

وصليت فى مقام ابراهيم وصليت فى حجر اسماعيل ورأيت كيف
سجدوا للوجه عليه وكيف تنحنى حتى الجباه السماء على غيره لأنه وحده
ذو الجلال والاکرام .

هذا الملاً دوائر دوائر من الرجال وأخرى من النساء وأخرى من
الأطفال أطفال لا يتجاوز عمر بعضهم بضع سنين يصلون في ملابس
الأحرام .. أطفال قد لا يستوعبون كل هذه التلييات والابتهاالات .. بل
قد لا يستوعبون ملابسهم نفسها لكن هذا المشهد لا ينمحي من نفس كل
من يراه .

وجاء دور السعي بين الصفا والمروه .. شرف من الحجاره هنا وشرف
من الجبل هناك وبينهما يسعي المعتمر أو الحاج ولكن المكان قام عليه بناء
مهيب فالتقت الطبيعة بالانسان والمكان نهران أحدهما للسعي والآخر
للمعودة وفي الوسط نهران آخران للمرضى أصحاب الكراسي وهنا رأيت
ألوانا من البر .. ابنا يدفع الكرسي ساعيا بأمه بين الصفا والمروه وأبا
يحمل ثلاثة من صغاره في الكرسي ويدفعه أمامه .. انه لون من العطاء ..
وما أقدر الآباء على العطاء .. ليت الأبناء يعرفون .

قد يستشعر الانسان الهيبة حين يدخل مشهد الامام الحسين
أو ضريح السيدة زينب أو مسجد السلطان حسن ولكن هذا المسجد ..
البيت الحرام لون آخر من الاحساس مختلف جدا .. هذا بيت لكل
الناس .. لكل الأجناس وما أن يدخلوه حتى تذوب فروق اللون والجنس
ويصبحوا بنعمة الله اخوانا .. وقد لا تسعف اللغة لاختلافها وتفاوتها
فتنوب العيون والأيدى في التعبير .

وقد يجهد السعي بين الصفا والمروه ، الساعين مع ما يحسون به
من راحة نفسية أن كتب الله لهم أداء هذه الفريضة التي تعز على الكثيرين
جهدا ومالا ولكن وجه العبرة فيها اعلاء الانسان اما تعصف بها الحيرة وهي
ترى وليدها يكاد يقتله الظما ولا تملك الا قطرة ثم الأمل بعد اليأس حين
يبدل الله كربها أمنا وراحة وسلاما ويتفجر الماء من الصخر ومن المواقف
ما يفتت قلب الحجر .

أما زمزم عين الماء الثره التي لا تقيض . انها أحد معالم البيت وأمنية
البعيد فدعاء المسلمين فيما بينهم حين تسود المحبة الشرب من زمزم
والصلاة في الحرمين .

ونودى للصلاة فاذا بهم يذرون البيع والتجارة حتى ولم يفسادروا
معالمهم ولكنهم يفلقونها .. ويفص المكان بالناس على سعته ولكن هذا
الاحتشاد ظاهرة دائمة موصولة حتى في غير أوقات الصلاة .. اليه الناس

يوفضون آناء الليل وآناء النهار فاما صلاة واما اعتصار واما طواف
واما تعيد واما تهجد واما راحة واستراحة اذ الانسان يتملاه .

كم يروع البيت بعد الطهارة والعمارة ، بالنظافة وكم يضوع بالطيب
واتذكر مسجد الحسين وبصمة الاهمال لا تخفى وصوت النذير لزارئه من
كثرة نصائح الحراسة على المال !! ما الذى صرنا اليه ؟ مع أن معظم
المعتمرين مصريون ! ويلتزمون هنا بالنظافة والمواقيت والصوت الخفيض .
ماذا عدا عما بدا ؟

ويربى الحمام ويطعم فى مكان آخر خارج البيت الحرام ولكنه يدفع
عليه ويحط عنده نظيفا مثله فلم يحدث أن تركت حمامة واحدة فضلاتها
على كثرة ما يرفرف حواليه ويحوم .

(انا أعطيناك الكوثر . . .)

يفسر البعض الكوثر بالجنة أو بأنه اسم نهر فى الجنة . .
إن الجنة يدخلها مؤمنون كثيرون وصالحون كثيرون ولكن ما أراه هو
جنة على غير مثال . . اجماع هؤلاء جميعا جنة . . والحب والاكبار جنة . .
وخلود الذكر جنة . . والأثر العالى الغالى الباقي على الحياة وبعد الحياة
جنة .

جنة البيت الحرام فى مكة وجنة الروضة الشريفة فى المدينة بل
تمتاز على الجنة بأنها تقترب به وتنتمى اليه دينيا وشخصا .

(انا فتحنا لك فتحا مبينا . . .)

أجل الفتح فتح العقول والقلوب . .

مزارات المدينة المنورة

جبل أحد :

جبل عال يرقد في سفحه سيد الشهداء حمزة في قبر لا يميزه من سطح الأرض غير خط دائري من الطوب على شكل مستطيل يشترك معه فيه ٠٠ في قبر آخر ، عبد الله بن جحش .

وعلى مقربة منهما مقبرة أكبر حجما تضم ٦٥ شهيدا من شهداء أحد .
مقابر لا يرتفع بها البنيان ولكن يرتفع بها « الانسان » الذي توسده ثراها ، ثريا تشرف به شجاعة القلب والضمير .

ويحيط بهذه المقابر المزارات سور تطل عليه من ناحية الجبل بيوت حديثة من آثار زحف العمران ومن الناحية الاخرى بيوت أثرية من مخلفات العصر التركي .

وعلى يمين السور مسجد عم الرسول ، مسجد حمزة .

وينبثق من جبل أحد تل يقال له (تل الرماة) الذي اختاره الرسول موقعا حصينا ، في معركة أحد فلما تركوا هذا المكان سعيا وراء الغنائم دارت عليهم المعركة .

وعلى مقربة من جبل أحد المدينة القديمة المتمثلة في مجموعة التخييل والتلال .

ويقال أنه سأل سائل : أين الحرم ؟

فجاءه الجواب : (ما بين جبليها حرم) أى أنها كلها حرم .
وانها كذلك .

مسجد القبلتين :

مسجد صغير به قبلة شمالية كانت ترمز الى بيت المقدس، وقد طليت الآن تدويبا لمعالمها .

وقبله جنوبية زمزا ملكة المكرمة .

والمسجد محرابه موضح .

وقد جدد بالطبع . . تقول هذا بغير حروف المراح التسع المدلاه
من سقفه وجهازا التكيف وعدادات الكهرباء . . والموكيت على الأرض
والسجاد .

على باب المسجد رجال ونساء فى هيئة متواضعة يبيعون سلعا
صغيرة .

قلت لطبيب مصرى يرافقنى فى هذه الزيارة : كيف يكون فى بلد
البترول فقراء كهؤلاء ؟ وابتسم قائلا ليس فى هذا البلد فقير .

ان فى المكتب الصحى - وهو رئيس المكتب الصحى - عندى فراش
تتحمه العين . . زرى الهيئة الى درجة أننا فى قرارة نفوسنا نأنف أن
نشرب من يده الشاى . . هذا الفراش الذى لا يحمل مؤهلا أو علما
يتقاضى مرتبا ٤٠٠٠ أربعة آلاف ريال سعودى أى ألف جنيه مصرى اذا
حظى الجنيه المصرى بأربعة ريال فى المقابل . . أى ما لا يتقاضاه أكبر
موظف عندنا وهو رئيس الحكومة . فالهيئة هنا ليست شرطا أو دليلا
ان الحكومة هنا تعطى خريج الجامعة عند تخرجه خمسين ألف ريال توددا
ليقبل وظيفة الحكومة !!

وتعطى الشسباب الذى يريد الزواج عشرين ألف ريال هدية أو
تشجيعا على اكمال نصف الدين !! وهؤلاء الذين توهمنهم فقراء يأخذون
الكثير من الحكومة ولكن ما يأتونه من حرف خفيفة نوع من التسلى أو زيادة
الدخل لم لا . .

لقد كنت واهمة .

وتذكرت قولى لصديق مصرى مرة أنظر الى الشوارع الرخامى لقد
غطى الشوارع بالرخام الأحمر الصناعى لوجود مادة عازلة للحرارة به
أما رصيف الحرم وهو فى اتساع شارع فانه من الرخام الأبيض . . فلم
يجارنى فى دهشتى بل قال ان هذا البلد يجب أن تكون الشوارع فيه
طوبة فضة وطوبة ذهب .

بعض الناس يغبطون أهل الجزيرة العربية على الثراء الجديد ولكنى
من قلبى أسعد بسعادتهم من حقهم أن يسعدوا . . من حقهم أن يعيشوا

بعد طول حرمان .. زادهم الله مالا بل انى أدعوه أن يعطيهم الى جانب المال حسن التدبير له ، وأن يعطيهم العلم لتتم نعمته عليهم .

المساجد السبع :

هناك سبع مساجد متقاربة في المدينة لا يزيد مساحة الواحد منها عن صالة في بيت كبير .. ويفسر القائلون هذه المساجد بأنها من انشاء سبع سيدات أردن بها أن تكون مقابر لهن وقائل يقول ان هذه المساجد لشهداء .

المساجد تحمل هذه الأسماء الكريمة :

مسجد « أبو بكر الصديق » - مسجد « عمر فاروق » - مسجد « سلمان الفارسي » - مسجد « علي كرم الله وجهه » .. الخ وأكبرها جميعا مسجد الفتح الذي هو مسجد « الرسول » عليه السلام .

ومع هذا ففي المدينة المنورة مسجد آخر يحمل اسم « سيدنا عمر » بشارع قباء ومسجد « سيدنا أبو بكر الصديق » وهو على مقربة من مسجد الغمامة « مسجد الرسول » . انه صديقه في الدنيا والآخرة في الحرم النبوي وفي المسجد .

مسجد قباء :

أول مسجد بنى في المدينة المنورة وقد كتب عليه - في الداخل - المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين .

كما كتب (من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان كأجر عمرة .) .

مسجد قبا له روح .. له طابع خاص . الأعمدة الرخامية المضلعة أضلاعاً رفيعة بيضاء وواجهته من الداخل مضلعة تضليعا رفيعا على التوالي أبيض وأسود .

وفي المسجد على صفه دكة المرددين الخشبية على أعمدة رخامية .
وفي المساجد صغيره أو كبيره مكتبات قرآنية .

السقوف منخفضة

السقوف العالية والقبوات جاءت مع الشراء .. والشراء عمارة وبوابة الحضارة .

مسجد الغمامة :

بنى فى البقعة التى ربى فيها الرسول طفلا ولوحظ أن هناك غمامة كانت تظله أينما ذهب .

البقيع :

انه مثنى فاطمة الزهراء وابراهيم ابن الرسول صلى الله عليه وسلم وعثمان والعباس والحسن بن على وغيرهم وصفية عمة رسول الله عليه السلام .

والبقيع محاط بسور حديدى ولا يسمح بالدخول ولكن العين تقف به من خارج الأسوار .



وفى المدينة شارع يحمل اسم أبى ذر قريبا من شارع الحرم النبوى .

فى المدينة حركة انشائية واسعة . فى المدينة زراعة عمرانية .. زراعة مبان .

الأسماء فى المدينة اسلامية ذات احياءات عميقة ومريحة .. ومن الراحة حمام الحمى يرفرف أمام الحرم جماعات بل فى المدينة .

ومن الطريف أن فى المدينة أسماء مصرية خالصة : استديو الاهرام فندق شبرا - وفى الاذاعة السعودية صورة من البرامج المصرية (الكأس لمن) بل مسلسلات مصرية أو مسلسلات تنهج نهج المسلسلات المصرية بل تردد أسماء النجوم المصريين فى الحوار .

وفى المدينة شارع السكة الحديد وكان به خط حديدى يصل بين المدينة ودمشق وتركيا ثم يتصل بقطار الشرق السريع الذاهب الى أوروبا .

ويقال ان النية تتجه الى احيائه الآن .
وفى آخر شارع قباء قلعة تركية غدت أطلالا .

ومن الطريف أن فى أحد ميادين المدينة قاعدة عليها « دلة » أى كنية .

اذن القهوة العربية رمز .. وهنا استشعرت الحجل .. لقد كنت فى ضيافة الأمير عبد الله الفيصل أخذ فنجان القهوة ثم أتشأغل عنه حتى يمر الساقى ويجمع الفناجين .. ولما كانت فناجين القهوة تدور تباعا يتلو بعضها بعضا فقد لاحظ الأمير أنى لا أتناول ما بها من قهوة . ولما حان وقت الغداء ودارت الفناجين قبيل الجلوس الى المائدة قال للساقى ضاحكا : انها لا تشرب القهوة .



وأخيرا فى المدينة لمحت عيني لافتة من القماش على طريقتنا فى مصر مكتوبا عليها :

٢٠ مليون جالون من المياه العذبة لرفاهية المدينة !

المياه بالجالون رفاهية وبشرى ولو كانت ٢٠ مليون .. أى نعمة حباننا الله بك يا نبيل .

غالية المدينة بما هى مثوى الأعظم العطرات .. ان الرجدان المسلم لا يريد أن يبرحها .. ولكن لابد لى من رؤية مزارات الحجاز فتحركت وتلفتت عيني كالشريف الرضى حتى اذا بعدت المعالم ولا أقول خفيت الطلول ، تلفت القلب .

بعد مزارات المدينة أقف عند مزارات الحجاز مع أن القاعدة ذكر الخاص بعد العام .. ولكنها المدينة المنورة .

مزارات الحجاز :

غار حراء حيث آوى اليه الرسول مع أبى بكر الصديق والصديق . غار شكله خشبى وهو حجرى . قمته كهف مميز .. به الآن شق ويتسلق الناس الى هذه القمة للاستطلاع أو الاستمتاع .. يصعدون مرة ولكن الرسول صعد مرارا للتهجد والتعب .

أن يفعل الرسول هذا قبل الرسالة .. ويفعل ما فعل بعد الرسالة ليس شيئا عاديا ..

أنه أكثر من كبير بكل المقاييس .

جامع النمرة : وما وفر له من بناء وبهاء .. نحن هنا حيث صلى الرسول صلاة الظهر .. نحن بين وادى عرنه ووادى عرفه ..

جبل الرحمة : حيث صلى الرسول وخطب خطبة الوداع .

به سلم واضح التهذيب . كل شيء مسته يد التيسير والتخطيط حتى الجبل أصبح مدرجا وقد انتشرت به أعمدة النور .

بعض صخر جبل الرحمة كتبت عليه أسماء . واقترب من الأحجار لقراءة الأسماء فأجدها لمصريين بدليل العناوين المذيل بها الأسماء !! اننا نحب الكتابة حتى ما كان منها عشوائيا أو فضولا .

المشعر الحرام :

المزدلفة حيث تجمع الجمرات

فى هذا المكان المشعر الحرام أقيم فوقه مسجد فخم الآن .

فى هذا المكان صلى الرسول بالمسلمين المغرب والعشاء قصرا وجمعا وانتظر حتى صلاة الفجر .

كل شيء يبلور الآن ويأخذ الوضع اللائق به . ان أكبر نعمة أسبغها الله على الحجاز ، الاسلام . فكل « اسلامى » له الصدارة فى التفكير والتعبير .. التعبير عنه ، والتعبير به .

حتى الجمر تهينه الحكومة بأحجام صغيرة نكاد نكون متساوية لتوفر على الناس جمع الجمرات .

المذبح : وبه محرقتان لحرق لحوم الهدى .

ثم نهدينا الى منى حيث مسجد الحيف .. حيث صلى الرسول عليه السلام ، الفجر قبل أن يقف على عرفات .

جمرة العقبة :

أى مجمر العقبة حيث يرمى الناس الجمرات فى هذا المكان أنشئ كوبرى دون أن ينسخ هذه الذكرى حيث حدد الموضع تحت الكوبرى بحيث يستطيع الناس أن يرموا الجمرات اذا وقفوا أسفل الكوبرى ويستطيع من يريد أن يرمى من أعلى الكوبرى وتنزل الجمرات فى الدائرة المقصودة .

وفى مدخل مكة قبر السيدة الكريمة العظيمة « خديجة رضى الله عنها » العظيمة التى بعد التشبيه بها تطاولا الى تشبيه الثرى بالثرى .

السيدة العظيمة التى وقفت وراء الاسلام برجاجة العقل ودمائه الخلق وعمق الشخصية ثم بمالها الموروث فأنفقته فى سبيل الدعوة وخدمته لنشرها فكم من أرقاء اشتريتهم ثم أعتقتهم . . انسانية ودينا معا . . وهبت وما نهبت . . ولا غرو فهى شريفة قومها . . خديجة بنت خويلد وهى خديجة زوجة الرسول العظيم ضمت المجد من أطرافه .

وعلى مقربة من قبر خديجة مزار المسلمين ، مقابر أعمام الرسول وفى شعب عالية بيت الرسول عليه السلام وقد بنوا فى المكان مكتبة تسمى مكتبة مكة : لعلهم خافوا الافتتان لقد دانت به العلماء فى الحياة وبعد الحياة واقترن باسمه العلم والنور فى الحياة وبعد الحياة .

وفى الحرم يرى من أعلى الجبل مسجد بلال . . وكأننى على البعد أسمعه صوتا جميلا يسرى مع أنداء الفجر يتهدى بكلمة « الله أكبر » .

أين منه أبو جهل وأبو لهب وامراته حمالة الخطب . . ذهبوا كالزبد وزهقوا كالباطل وهكذا كل جاهل وكل لهب .

أحد . . أحد

أنه ألم لها رنة فى التاريخ الاسلامى ان استمسك بلال بالحق بعد أن ظهر له نوره ، واصراره عليه ، موقف يستمد منه أصحاب المبادئ مهما لقوا من عنت وعناء . . انهم بصمودهم الصابر ، وصبر الصامد أقوى الأقوياء . .

جمادى الآخر ١٤٠٢

أبريل ١٩٨٢

المغرب

الدار البيضاء

- الليل رهيب غامض فى البحر والجو أى الطائرة •
- أقلعت بنا الطائرة المغربية من مطار القاهرة فى الخامسة والرابع صباحا •
- لم يؤنس الليل الا نور القاهرة •• دائما من الطائرة نبدو حبيبتى عقدا من الآلىء على صدر الليل •
- وأمعنت الطائرة فى التحليق وأمعنت القاهرة فى البعد •• وأمعن الشوق اليها فى قلبى •
- وتنفس الصبح وأزهرت السماء بالأزرق الصافى وتلاقى خط الأفق بالبحر الذى كان يغطيه السحاب وكأنهما سماءان أو صدفة لؤلؤية ونحن بطائرنا فى جوفها •
- واقتربت الطائرة من المغرب فوزعت علينا المضيفة بطاقات التعريف •
- ومن الطريف أن خانة الميلاد كتب فيها (تاريخ الازدياد) حسنا أن يكون المولود ، اضافة ، لا عددا •
- بدأت الأرض تظهر صخرية ، متفاوتة الارتفاعات تتخللها مربعات وأشكال تكعيبية من الخضرة تتناثر فيها البيوت تبدو من عل كلعب الأطفال • وكبرت اللعب فى عيني •• انها دور جميلة مشرقة •• الطائرة تدنو من الأرض • هبطت فى المطار •
- رأيت كورنيش الاسكندرية فى الدار البيضاء حتى الأسماء (شاطئ ميامي) مثلا •• والمكتبات : دار الفكر ودار الكتاب ومكتبة المعارف •• وهناك معهد وادى النيل وحي المحمدى •
- الدار البيضاء مدينة بيضاء يزيد بياضها نصوعا ، اللون الأخضر •• حدائق وأعناجا •• الحدائق جزء من البيوت الصغيرة كالقصور والفيلات •

الحداثق فى عين ذئاب وحديقة الحيوان فى (عين سباع) هذه المدينة الرقيقة أخلق بها عيون المها لا الذئاب ولا السباع .

على الرغم من أن المدينة جديدة ، ويعتبرونها أوربية الا انها مغربية الطابع . حتى محطة السكة الحديد بيضاء مغربية .

أما المدينة القديمة فهي أيضا نظيفة واحدة الارتفاع . بيضاء . من العادات الطيبة فى المغرب من ولعهم بالنظافة ، انهم يطلون البيوت . كل عام .

والبيوت القديمة بداخلها حديقة ونوافدها من الزجاج الملون والحديد المطروق . الأحياء الشعبية وحى « الانفا » بثرائه يستويان فى المحافظة على اللون الأبيض .

حتى منطقة المعامل نظيفة وهادئة هدوء ملحوظا بالقياس الى مناطق المعامل .

حتى المنطقة الفقيرة دمة لا أصوات عالية أو نائية . السائلون فى المغرب يكاد وأحدهم يمس فى أذنك بدعاء لطيف خفيض (الله يرحم الوالد) . ونساؤها يلبسن الخمار (البيشة) والخمار أسود وألوان .

ومن طرائف المغرب التى طالعتها بدءا بالدار البيضاء انهم يطلقون على الكنيسة (مسجد للأجانب) . وهى تسمية فيها الاحساس بوحدة المعابد . كل دار عبادة عند أصحابها ، مسجد . انها مساجد الاسلام .

وفى المغرب يبدلون الناء ، طاء ، طاكسى - طوطال . وهو التاكسى الصغير ولونه أحمر أما التاكسى الكبير فلونه أبيض - موسيطانيا .

ويسمون الأوقاف ، الأحباس أى يحبسون الخير عليها ويخصونها به .

ودار المحكمة : مجمع المحاكم .

الشيود : العادلين . فى احياء جميل ومن أجمل الأسماء التى استوقفتنى مدرسة اسمها « الأنامل الذهبية » .

والشارع : الشريعة وفى تونس يسمون الشارع : النهج .

وبمناسبة الشارع . الطرق في المغرب سهلة موطأة الاكتاف
هناك زجاجات أو أعناقها . . . وندت عن ابنتي رنة ألم . . . قالت :
قسمونا على القاهرة . . . لم نعرف لها حقاً . . . مسخنا الجميلة كر
في كل شيء .

وأحسست بالهم أعرفه . . . فطالما أحسست به كلما رأيت ا:
عليها في الشكل أو الروح .

العين في المغرب لا تلمح عساكر مرور الا على مسافات بعيدة :-
حين يستقيم الناس لا محل للسلطة .
الطربوش في المغرب يعلو الرؤوس بقية من العصر العثماني .
السبراميك والفسيفساء في القصور ، دانتلا بالألوان .
الفوسفات بترول المغرب ومعه الموالح ويطلقون كلمة موالح
الفاكهة والخضر .

وفي (المحمدية) مصانع تكرير البترول .

وفيها فندقان كبيران أحدهما : الميرديان .
وبيوتها قليلة الطوابق ذات طابع واحد وبيضاء أيضا .
وعلى طول الطريق ، القوي بيضاء .

قلما يراهم اللون الأبيض في المغرب لون آخر اذا استث
مراكش « الحمراء » .

الطريق من الدار البيضاء الى الرباط حوير . . . وهو اتجا
أخضر الجانبين أزهر . ولكنه في « الصخيرات » حيث القصر الملك
يصير واحدا .

وأهل المغرب لا يتكلمون على لافتات القماش .

وفي المغرب نهر أم الربيع ينحدر من جبال الأطلس ويصب
المحيط الأطلسي قريبا من مدينة « صويرة » .

ويبلغ طوله نحو ستمائة كيلو متر .

أنت أنت الله اله الناس .

وكل بلد تعتز بشيء من صنعتك وتبقى أنت بعد هذا الصانع الأكبر
والمنعم الأكبر على الانسان في كل مكان وزمان ما أكرمك يا وهاب
وما أعظمك لك الملك وحدك .. ملك السموات والأرض في الدنيا .

ومالك يوم الدين أى العالم الآخر في استقطاب رائع لمعانى الثواب
والعقاب والحساب والجنة والنار ، في بلاغة منقطعة النظير .
ومالك هذه سيطرة كاملة تامة .

من أجل هذا كانت الفاتحة وآية الكرسي من آيات الكليات
فانت الله الذى لا اله الا هو (وحدانية) الحى (ومن عداك موقوت يموت)
القيوم الذى يقيم كل شيء فهو يحكمه ويملكه بالحكمة والعدل والعلم .
لا تأخذه سنة ولا نوم يقظة دائمة .. نوعية مستحيلة على غيره ..
حتى السنة - بكسر السين - لا تأخذه .

يملك من فى السموات والأرض (وبوبه) .

من ذا الذى يشفع عنده الا بإذنه (ملك الناس . اله الناس) .
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم (محيط) .. ولا يحيطون بشيء
من علمه (كل شيء قاصرا أمامه .. ليس له كفوا أحد) .
وسمع كرميه السموات والأرض (هو فى كل شيء .. وفى كل
شيء تراه)

ولا يتوذه حفظهما (قادر) ..
وهو العلى (أعظم الرفعة) العظيم ..
ما أعظمك وما أكرمك ..

أبريل سنة ١٩٨٢

الرباط

- الطريق الى الرباط حرير اوتوستراد أخضر الجانبين أزهر •
- وتقع فيه أو عليه « المحمدية » حيث مصانع تكرير البترول •
- وفي المحمدية ، فندقان ، أحدهما الميرديان •
- ويبيتها قليلة الطوابق ذات طابع واحد وببضاء أيضا • • فلما يزاحم ، اللون الأبيض ، في المغرب ، لون آخر • •
- رأينا في طريقنا نهر « أم الربيع » ينحدر من جبل الأطلس ويصب في المحيط الأطلسي قريبا من مدينة صويرة وطوله نحو ستمائة متر ، والنهر في المغرب يطلق عليه « الوادي » •
- كل بلد يعتز بعطية من عطايك • • من صنعتك • • وتبقى انت يا الهى بعد هذا الصانع الأكبر والمالك الأكبر والمنعم الأكبر على الانسان في كل مكان وزمان • ما أكرمك وما أعظمك لك الملك ولك النعمة •
- « الصخيرات » حيث القصر الصيفي للملك • الطريق هنا يصبح واحدا • • بعد قليل رأينا المحيط الأطلسي •
- ها مدخل الرباط عمارات جديدة مستديرة • الفتحات أنصاف دوائر • • الطوابق محدودة • • اللون أبيض عاجي • والطراز الدائري طابع الرباط •
- الرباط هي العاصمة الادارية حين تشكل « الدار البيضاء » الدار البيضاء العاصمة الاقتصادية •
- في مدخل الرباط محطة عامة للسيارات ومثلها في وسط المدينة حتى لا يثقل الزحام ، المدينة •
- وفي الرباط حديقة للحيوان وحديقة عامة كبيرة والشوارع خضراء ظليلة ينعم بعضها بجريزتين كليهما ذات صفين من الأشجار •

أهم ما لفت نظري سور المدينة . . سور قديم يحيط بها . باب
الروح شبهته ابنتي بشارع الشانزليزيه وفي آخره قوس النصر
وتذكرت أسوار القاهرة وما وصلت اليه .

السور له بوابات وقد احتوى المدينة حتى القصر الملكي . وقد
ترك السور بدون طلاء احتراماً للمقدم .

بوابة أو باب السفراء فقصر الملك مسموح الدخول منه . على
اليسار بيوت الحاشية وزارات . . وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
وزارة الصناعات التقليدية . . الأسماء عربية صراح . . وتذكرت موجة
الأسماء المستعجمة عندنا حتى الأسماء الشعبية لبست القبعة فوق
اللاس . . فقرنى ، كرونك ، وازينهم (ارتيزان الخ .

مررنا برئاسة الوزراء . العمارة على الطراز الأندلسي أى المغربى
فعمارة الأندلس هى المنقولة عن المغرب وكم بالرباط من فليات أندلسية
أى مغربية .

وفى القصر مسجد أهل فاس . وفى القصر حديقة عامة .

جنود الحرس فى الزى الأحمر .

سور القصر مصمت ولكن الأبواب مفتوحة .

وفى الرباط المدينة الرباعية الخضراء تستدير الأشياء : البوابات
والشرفات والنوافذ . . حتى مدينة شلا وهى رومانية أصلاً ثم أخذها
الفتح العربى فاستدارت البوابات فيها وفى الرباط نهر « أبو رقرق »
وهو ضيق كثرعة .

وفى الرباط « صنعة حسان » أى منارة .

ومن معالم الرباط « ضريح محمد الخامس » والسور الفيروزى وهو
قطعة فنية . . الحرس على الجياد . . السقف من الخشب المذهب . .
السلم الرخامى العريض . شرفة مستطيلة رخامية خضراء يطل منها
الزائر على الضريح الداخلى المجزع على أرضية رخامية سوداء وهو محاط
بالورد . . وحوله كوردون .

الأرضية مرصعة بالصدف الملون كأنها مرآة .

ورخام الضريح منقوش كأنه دنتلا من الرخام .

- الاعلام الحمراء ذات النجمة الخضراء فى سرايها حول الضريح
- فى كل جانب كبير ثلاثة أبواب وفى كل جانب صغير باب واحد الأبواب
- تفتح على المسجد الكبير الجامع للرجال والنساء
- لم ترتفع عيني من على الضريح
- القبة من الخشب المذهب « عجيبة »
- النوافذ من السيراميك والزجاج الملون
- الجدران من الفسيفساء والصدف يعلوها نوافذ شكلية من السيراميك
- المذهب

فى ركن الضريح شلته مربعة ووسادة حمراء يجلس عليها قارئ القرآن وأمامه المصحف على كرسى المصحف •• يقرأ فى صمت لا ترى ولا تسمع الا شفتين تتحركان •

النجمة من النحاس المشغول مضلعة تنتهى بنقطة تعلوها قنديل مستدير يعلوه متوازي الأضلاع أو سداسى الأضلاع فى تواز •

الآيات أعلى الجدران الفسيفسائية ••

لكل أمة نظرتها الى الموت •• لقد تذكرت قبراً متواضعاً يضم عظيماً شامخاً هو الملك فيصل يبدو أن المغاربة تغلب عليهم ، مثلنا فى مصر ، العاطفة فيسمونها أضرحة تتحدى البلى •

منارة حسان يتوسلون بالحبل فى الصعود •

انها بالأعمدة الرومانية تطل على المدينة •

مدينة سلا قديمة بيضاء وهى فى الحقيقة مدينتان : « سلا القديمة على الشمال فوق ربوة ، « وسلا » الجديدة على اليمين فوق ربوة أخرى •

الشوارع فى الرباط كسائر المغرب نظيفة فى عين كل زائر •

النظافة طبيعية لا مستحدثة للزيارات الرسمية أو موكب جنازة الشاة •

ومن معالم الرباط شارع محمد الخامس وهو واسع فخم جميل نظيف •

- ومجلس النواب أمامه أقدم فندق اسمه « باليا »
- حتى الحى الشعبى بالرباط الأشجار على الجانبين •

حتى السجن أبيض وأمامه حديقة على ربوة .. حقا لن يغنى هذا شيئا عن الحرية ولكنه لمحة انسانية تكبر على الغضب والعقاب أو قل :
دمائة الأصليل .

بل ان « المزبلة » حديقة !! وتذكرت الحديقة العالمية « الازبكية »
التي صارت اليوم مزبلة .

وبالرباط متحف « لودايا » انه متحف للتاريخ .. تعرض به
الأزياء المغربية على مسار العصور .. وكل قديم وتاريخ تطوره .

وفي المتحف ركن الموسيقى وبه أنواع الطبول والنفير . العود
الموجود قديم يحمل اسم صاحبه « سيدنا مولانا عبد القادر » العود في
المغرب يسمونه « كنبرى » والصاجات الكبيرة - قرقبات أما الصاجات
الصغيرة فاسمها نواقيس .. والطبل : دربوكة . موسيقى الموكب موسيقى
هناخبة . وموسيقى الآلة المسماة الموسيقى الأندلسية مجموعة من
أكمنجة ، عود ، ربابة .

وفي المتحف ركن موسيقى اقليم « سوس » .

وفي المتحف ركن يمثل « البيت المغربي » به صندوق الجهاز
« وصفه » لرب الأسرة ، ومنجرة ، وغطاء هرمي لحفظ الخبز والطعام .
وأرائك ومعرض وسائل .

ونموذج لبيت آخر :

ركن به نموذج عروس باطيه . ركن به نموذج عروس فاسيه .

وخمار المغربيات يبدأ أعلى الفم وينسكب على الصدر . يبدو أن
المغاربة تغلبوا على مشكلة الثثرة النسائية .

وفي المتحف أرائك تطل على المحيط يرتاح اليها ويرتاح عليها
الزوار يتناولون الشاي وقد انبسط أمامهم المحيط الأطلسي تحوم فوقه
الطيور البيضاء كالببوت المغربية وقد فرشت الأرائك بالاصص والزهور .
تصور هذه الاطلالة على المحيط .

والشاي يقدم مع كوبين لكل شخص كوب للشاي وكوب فارغ
للتبريد ؟ النعناع صحبه فى الكوب • أكواب الشاي قبل الحافة تستدير
الى الخارج •

كل شيء فى المغرب رقيق ناعم •

سيارة تعليم كتب عليها • أيها السائق تذكر مرحلتك الأولى •
والمغربي من رفته ، ودمائته ، حتى حين يشتد غضبه ، لا يمس
الآباء بل يقول على السوء : كلب على كلب •• ان السوء وحده يستحق
اللعنة التى تنحصر فيه •

الدعاء فى المغرب رقيق : « دمت » •• « الله يعطيك الصحة »
« يطول عمرك » بدون شدة — ليس فى الدعاء المغربى ، أو منه ، « يوقف
نموك » ، « يشفى الكلاب ويضرك » وان كانت هذه على سلاطتها صورة
كاريكاتورية طعمة •

ومع هذا يرى المغربى وهو انسان رقيق ودود ، اللهجة المصرية ،
عربية متحضرة •• ويرى مصر أم الدنيا •

مدن مغربية

رحلة المغرب

كانت زيارتي للمغرب في فبراير ٠٠٠ سألت المصريين الذين زاروا المغرب قبلي في ذلك الوقت من العام ٠٠ وصفوا البرد والتبرد (بفتح الباء) والثلج ٠ احتل المعطف الثقيل جانبا كبيرا من حقيبتي فاذا بي لا أحتاجة في الدار البيضاء والرباط فما بالك بمدن الجنوب ٠٠٠ في طبعنا التضيخيم والتفخيم ٠٠ أو لعله دفع مصر يصور لنا كل جو خارجها قارسا ٠٠

لا تزال في الرباط حبت الأرض حمراء بجوز فيها الفاكهة ٠

أخذنا طريقنا الى فندق الفردوس لتناول الغذاء ٠٠ الطريق اليه صاعد في الجبل الى قمة يهبط بعدها في طريقه الى المحيط الاطلسي حيث ميني الفندق ٠٠ ولكن ما ان تدخله حتى تسلم القاعات به الى قاعات الى درج بعده درج ويظل المكان بعد هذا مطلا على المحيط من عل حيث تلال الزبد تتدافع نحو شرفتنا أو شرفة المطعم ٠ وأماننا لا أقول تلال أخرى بل جبل مغطى بالخضرة كالجبال الأوروبية ٠ كم بين المغرب وأوروبا في عيني ووجداني ٠

المطعم به حوض سباحة اذا نظرت اليه وحده رأيت جميلا ولكن اذا التفتت الى المحيط ابتسمت ٠٠ ضاع المسكين ٠٠ حقا كما يقول مثلنا المغربي : (من قصد البحر ، استقل الساقيا) ٠

وتذكرني كلمة مسكين بطرائف اللهجة المغربية ٠ فكلمة « مسكين » تعنى الطيب ٠ وقد حكى لى مضيقي المغربي انها امتدح يوما صديقا مصريا بأنه مسكين فسكت الصديق المصري وراح - المضيف المغربي يكررها حقوة به فاذا بالمصري يظهر عليه الضيق ويحتج بأنه ليس مسكينا بل مليئا ٠٠

• وأدرك الرجل الطيب أقصد المغربى فروق التعبير •

ومن هذه المفارقات كلمة العافية فهي فى المغربية معناها : النار •
وهناك قصة طريفة بطلها اللهجة المصرية هذه المرة • دعا مصرى لصديقه
المغربى على طريقتنا فى مصر : الله يعطيك العافية فرد عليه قائلا : تأكلك •
وضحكنا منبسطين فكل ما حولنا فى الحقيقة يبعث السرور •
المحيط الاطلسى يمتد أمامنا •• والزهور على مائدتنا جميلة والأرض تحت
أقدامنا فرشت بالموكيت الأخضر كأنه حشائش خضراء (جازون) •

• حتى الزبدة حلقات على عرش من الخس •

وفى المغرب يطلقون على الزبدة المحلية : بنديه أى زبدة بلدى من
اللبن أما الزبدة المستوردة — فاسمها عندهم زبدة روقية •
المائدة المغربية متأثرة بالمائدة الفرنسية فالجبين بأنواعه يحتل ركننا
كبيرا فيها •

المطعم يتكثر بالوفرة فالنافورات أدوار والمشكاوات أدوار وبعد
الغداء حرصت على زيارة بلدة « قنطرة » حيث المصرى الوطنى الانسان
الدكتور سليم صبرى ••

— كيف غبت عن مصر عشر سنوات وأنا أعرف حبك لها !

قال :

— من حبنى غبت وبعدت حتى لا أرى ما كان يفعل بها •• غبت حتى
لا أرى عذاباتها وهى حبنا الكبير استقبلنا واستقبلناه كلانا رأى مصر فى
الأخر •• صدق انها حبنا الكبير ••

مكناس :

الطريق اليها صاعد فى الجبل •• والجبل مطرز بالخضرة •• منظر
لسنابل القمح • ثم شق الطريق ، الجبل •• الشجيرات صفوف صفوف
على الجبل متلاقية ومتوازية •• المرتفعات الخضراء على شكل الموج قمم
واستدارات • فى الجبل فى بعض مواضعه صخرى القلب لا يلين فلم
يقدر عليه الا التين الشوكى •

وفى « عين الكرمة » الأرض منقوشة بالبارز •

وبدت لنا مكناس مدينة بيضاء متربعة على الجبل . . مدينة ذات
طابع أندلسي لها سور ضخيم يشبه سور القاهرة الشمالى .

ومكناس مدينة اسماعيلية علوية .

وسور مكناس له أبواب . ودخل السور سجن النصارى . وفى
السور أبواب تفتح على ساحات وقصور ومساجد وشوارع وملاعب
وحدائق وبحيرة يسمونها « المسبح » .

ومكناس مدينة مزدوجة : مدينة خارج السور ومدينة داخل السور
وفى مكناس ساحة المنصور .

وفى مكناس رأيت لافتة قماش فانزعجت ولما اقتربت منها رأيتها
اعلانا عن معرض فحمدت الله وقاهم ربى شر نفاق ولافتات القماش ونجا
مصر ، منها فهى وصمة فى التفكير والتعبير معا .

الشارع فى فاس به جزيرة أى حديقة فى الوسط ثم وصفان من
الأشجار على الجانبين . المدينة المغربية مدينتان : المدينة القديمة تحتفظ
بعطر العراق . . والمدينة الجديدة . . مدينة لا تنسلخ من القديم
ولا تتنكر له بل تحتفظ به على تطويره . وفى فاس ٣٥٠ مسجدا .

وفاس القديمة يحيط بها سور به مائة باب .

وسكان فاس ٧٥٠ ألف نسمة منهم ٦٥٠ ألف صانع يدوى .

وأهلها من اعتزازهم بها يرونها عاصمة العالم الاسلامى وعاصمة
أفريقيا السوداء . . وهى عندهم مدينة المؤتمرات .

وفاس بها مائتا ألف سقاية للماء أى نافورة .

وبها مقبرة للعلماء يثوى بها منهم ، ابن الخطيب وابن المحروق .

وفاس بها منزل ابن خلدون .

والمثل الفرنسى يقول : زر « فاس » ثم عد مرة أخرى وزر « نيس »
ومت بها .

وقد تأسست مدينة فاس على يد ادريس الثانى ٨٠٨ هـ .

والمدينة القديمة فى سفح الجبل من القرن التاسع الهجرى .

وتبلغ الكثافة البشرية فى المدينة القديمة ٩٠٠٠ تسعة آلاف
شخص فى الكيلو المربع حين تبلغ ٤٨ فقط فى المدينة الجديدة !! يخيل
الى من لو رأوا شبرا أو باب الشعرية فانهم يصعقون .

وقصر الجامعى اعظم فندقا فى فاس .

والحي الشعبى فى « فاس » شوارعه ضيقة اقرب الى الأزقة وهو
سوق المدينة يباع فيها سائر مطالبها من أطعمه وصناعات صغيرة . وبه
سوق للنحاس وسوق للحبوب .

وبه مدرسة العطارين أسسها أبو الحسن الميرنى فى القرن الرابع
عشر الهجرى وبها خمسة وسبعون بيتا للطلبة ومسجدا للصلاة .

وقد لفت نظرى فى سيرى أن حنفيات الماء مفتوحة على الدوام
وسألت فكان الجواب « ما فى مشكل » أى لا ضير أو لا بأس .

وفى مدينة فاس أينما يمت وجهى قابلت « أم كلثوم » صوتا
وصورة .. ويروى الحنين . هذا النهر من الجمال أعرفه .. فالنيل له
روافد غنية .. هذا الصوت اللؤلؤى ينتمى إلينا وننتمى إليه .

وفى فاس ، سماحة الناس ترجمها العمارة المغربية بالخطوط
الدائرية الطيعة .. والخط المستدير فيه احتضان وقد برىء من حدة
الخط المشدود .

وفى فاس الجبل لوحة مرسومة .. وجميع الطرق بلا استثناء ،
حرير .. سرت بلا حفر ، وطففت بدموع محبوسة على القاهرة على
الجميلة التى ضيعناها ومن حقها أن تضوع ولا تضيع ..

انعرش بالشعب

رحلة المغرب :

فى قرية « ميريرت » من ضواحي مدينة « فاس » وكان الوقت عيد الملك يعلقون الأعلام الوطنية وباقتصاد ودون تكثر وشعارهم (الله • الوطن • الملك) وكم بين الله والوطن وبين الفرد كائنا من كان ولو كان ملكا يعلو رأسه التاج •• ورأيت على البعد ، بضع لافتات بسيطة •• فقلت فى سرى « لافتات أيضا » هل سيقفهم هذا الوباء ؟ وكان ألى لأنى أحب المغرب فرجوت له النجاه من داء يؤذى الحبيبة مصر •

وثناء هذه الثوانى اقتربت السيارة فانقشع ضيقى •• ان اللافتات المغربية القليلة تبارك - الوحدة المغربية واهم من هذا تسجيلهم عليها : (العرش بالشعب) ••• هو ، به وكل عرش لا يستند الى الشعب زائل ان الشعوب هى الباقية وهى مصدر السلطات جميعا •

وفى فاس كسائر المدن العربية القديمة عندنا وعندهم ، رأيت الكتاب والعريف وعصاه ، والصبية يتداخل بعضهم فى بعض وتتدخل أصواتهم ، مثلهم ، بعضها فى بعض وهى بايقاعها النفيرى جزء من شخصية الزقاق الكائن به الكتاب •

وفى الطريق من « فاس » الى « مراكش » رأيت أكواخا متواضعة من قماش متواضع وعرفت أنها للرحل فى المنطقة ••• انهم يعيشون الجبل والصحرأ أى الحرية •

لقد افتقد المغاربة الجليد عامين •• وكانوا متلهفين عليه تلهف الحى على الماء مطرا أو جليدا أو فيضانا ••• ونزل الجليد هذا العام فشكروا زادهم الله نعمة •

ويتورد خد الجبل وهو حديد •• طبيعة مدونة مغنطرة لها فى كل أوان وكل مكان ثوب ، يروع ويفتن • وتتبدى هذه الطبيعة وتتبعدد فى بلدة « خنيفرة » وهى مشهورة بجمال النساء ومنها الملكة •

وتأخذ البيوت فى « خنيفرة » لون الورد محاكاة للجبل فيما يبدو .
الإنسان ابن بيئته كأنهم يغمسون الفرشاة ذوب الحديد . حتى الحديد
يذوب أمام الجمال .

مرة أخرى أقول الطرق كلها حريز فى القرية كالمدينة ، كل شىء
ميسور . . المواصلات واصله موصولة . . هذه الراحة تعمق فى القلب
للبلد وأهله . ان السياحة ليست الفندقية وعدد الغرف . . السياحة طرق
ممهدة وموطأة الاكتاف . . مواصلات سهلة مسعفة . . تليفون دولى . .
احترام التراث . . توكير التاريخ . . حفظ الأثر . . معاملة دمة . . احساس
بالتناسب والجمال فلا تركب الكبارى القبيحة بين المساجد الأثرية ،
ولا تبني المساكن الشعبية بما عليها أمام مسجد السلطان حسن . . آه .
كم أحمل لك وكم أحمل من أجلك يا عاصمة العواصم . . يا حبيبة
يا قاهرة .

فى الطريق من « فاس » الى مراكش ، بعد ساعة بدأ الصعود فى
الجبل . . المطر ينزل من السماء ومن الينابيع فى الجبال . . البيوت
سقوفها مخروطية الملابس المغربية تنتهى بغطاء للرأس . . حتى ملابس
السهرة للسيدات التى لا تستعمل صاحبها غطاء الرأس . . ولكنه غدا
تقليدا فى الزى المغربى . حتى فى الجبل الطرق مرصوفة ناعمة نظيفة
مخططة .

ندف الثلج تطرز الجبل كأنها « القصب » .

وفى « ايفران » يلبس الجبل من الجليد فراء أبيض بفل .
العين يروعها حتى الشجر الذى تجرد من أوراقه ووقف أغصانا
راقصة . . أشجار تحيط ببحيرات الماء وتنتفرع أغصانها فى تشكيل يجعل
من الشجرة ورقة كبيرة .

وتناولنا طعامنا فى فندق ايفران وايفران فى لغة البربر تعنى :
الكهف مائدتنا تطل على الحديقة . . على مرأى منا البيوت ذات الشقوق
الحمراء وراءها جدار من الأشجار السرحاء وأمامها أشجار الأرز وقمم
ناصعة يغطيها الجليد .

السقف نسيج مشغول والباب خشب مشغول .
الطبيعة مشغولة كأروع ما أبدع الفنان الأعظم .
السقف جمالون مغطى بالمرايا .

يكلم « ايفران » من يقول : سويسرا المغرب .. انها أجمل . لولا
الحياة لطلبت الى رفيق الرحلة أن يسكت المذياع .. لقد كان يذيع
موسيقى ولكنى أريد أن يعمق الصمت وارتشف وارتشف موسيقى
الطبيعة .

الأرز يفترش بساطا ناصع البياض من الجليد .
هنا الله والانسان ...

لا يشوب هذا الصفاء ختل أو خبل .. أو جهل .

أكبر دليل على تحضر المغرب أن ليس به لافتات قماش تقطر نفاقا
وتؤله الفرد ولو كان عتوا غشيما كافورا بلا مسك .

وفي الغروب كانت جبال الصخر على يسارى .. وجبال السحاب
أمامى مفضضة وارجوانية .. الشمس جمرة ملتهبة كأنها قلب أطاع ،
الخيام ، فحفق .. وفي ضرام الحب احترق .. وهذا شأنها .. فى كل
يوم تهوى وتعشق .

أسرى وأسير الى مراكش .. المدينة الارجوانية . ومراكش لفظ
بربرى من مقطعين « مر » ، « كش » أى سر سريعا لأن القوافل فى
الصحراء مهددة بقطاع الطريق .

وكانت مراكش عاصمة السعديين فى القرن العاشر الهجرى السادس
عشر الميلادى وفيها اليوم مقبرتهم .

لقد انتصر السلطان أحمد المنصور الذهبى على الصليبيين فى معركة
وادی المخازن بين العريش وطنجة بقيادة سياستيان ملك البرتغال وهذه
المعركة تسمى معركة الثلاث ملوك (١٥٧٥ م) .

ومراكش الأرجوانية أو الحمراء ، خضراء الميادين والطرق .
والنافورات فى المغرب ، معرض تشكيلي .

وكما أسس « فاس » الادارسة ، أسس «مراكش» الدولة المرابطية
فى القرن الحادى عشر وأول ملوكهم يوسف بن تاشفين ثم خلفها الى
« فاس » .

ومراكش منازلها موسيكية لآى مزيج من الأندلس والبربر .

والبربر فى مراكش يشكلون ٦٠٪ والباقي من أصل عربى وصديقنا

المغربى فى رحلتنا يردد انا بربرى اى من البربر ولا عليه فكل أصيل الى
عرقه ، ينتمى .

وقد استوقفنى طابع المدينة الموحد مما لا يأتى صدفة أو اعتباطا
فعرفت أن الحكومة المغربية تلزم الناس فى مراكش بالطلاء الأحمر
تأصيلا لطابع المدينة .

والمدن الجبلية بعامة عادة حمراء انعكاسا للبيئة .
وتزهو مراكش بقصر البديع وهو فى رؤيتهم وقصتهم ، أحسن
ما يوجد فى العالم العربى والاسلامى فى القرن السادس عشر الميلادى .
ودخل ملك العلويين اسماعيل وخرّب القصر ونقل نفائسه الى « مكناس »
عاصمة الاسماعيليين .

ويهود المغرب سلالة أولئك الذين فروا من اسبانيا فى القرن
الحادى عشر .

وفى مراكش مسرح للفلكلور الشعبى المغربى .
وفى المغرب سمعت بأذنى القرآن الكريم مرتلا وسرت فى سمعى
القاهرة وهى تجود وتجيد .

المغرب جنات وعيون الأخضر يغطى السهل والجبل باستثناء الشوارع
وبالطبع والجمال فى المغرب يشرينى ويزدهينى فأقول فى نفسى : كل
هذا الجمال لنا أبناء الوطن العربى الكبير . . ان اسرائيل التى تؤرقنا
فقاعة لولا أمريكا التى تقف وراءها بقوى الشر أسلحة وانحيازاً أسمع
أذان العصر . . وجدت الكلمة التى أبحث عنها :

الله أكبر

مايو ١٩٨٢

مراكش

• حرصت على زيارة جامعة مراكش

الطالبات المغربيات يلبس البنطلون أو الزي المغربي وهن حاسرات
الرهوس ولكن الوجوه على طبيعتها لم تلتطخ بالأصباغ •

• انهن طالبات فحسب واحترمنهن كثيرا

ان موسم السياحة في مراكش من فبراير الى مايو .. ربيعها
وتأنيها شركات سينمائية وبيوت أزياء •

تأسست (مراكش) سنة ١٠٦٠ حين تأسست (فاس) سنة ٨٠٨
أسسها ادريس الثاني •

وفي فاس جامعة القرويين أسستها السيدة فاطمة الفهرية وهي ثرية
من القيروان عاصمة تونس سنة ١٠٧٠ في عهد المرابطين هذه السيدة
هاجرت الى فاس وعاشت وماتت بها •

• ان جامعة القرويين يد من أيادي المرأة العربية -

والسيدة المغربية تلبس اللثام وأخرى تركب دراجة • انه حكم
التطور •

وفي المغرب يسمون مجلس السمر « مشخرة » ولعلها أصل للكلمة
المصرية : فشخرة بعد الاعلال والابدال •

ومجالس الظرفاء في المغرب تسمى الحرافيش ولعل هذه التسمية
انتقلت اليها أيضا • ومجالس الفكاهة فيها « تكثر » وكاريكاتير قائم على
المبالغة •

طرق مراكش مستقيمة في طنجة الطرق صاعدة وهابطة وفي
« مكناس » أيضا •

ولمراكش سور يبلغ طوله ١٢ كيلو مترا •

• وأكبر الشوارع فى مراكش شارع المنارة •

وتكاد مراكش أن تكون حديقة كبيرة فالفنادق لها حدائق غناء والقصور حدائق والميادين حدائق حتى المقابر حدائق أيضا الحدائق المغربية حدائق حقيقية لم تصوح أشجارها ولم تغرس فى قلبها شوكة من الطوب تسمى بوليس النجدة ومنه نستنجد •

وفى مراكش خمس مطارات دولية فى « الدار البيضاء » ومراكش وفاس وطنجة والرباط •

حديقة المنارة :

الحديقة الكبيرة بها خمسمائة شجرة زيتون والنخيل من أثر المرابطين كصحراويين وهو عندهم بركة •

أسست الحديقة فى دولة الموحدين فى القرن الثانى عشر وباقية زينة ومفخرة للمدينة بينما الأزبكية التى تأسست فى القرن التاسع عشر أزيلت ليقوم على أطلالها مبنى بوليس النجدة •

تصل الحرارة فى مراكش الى ٤٥ درجة فى الصيف ان المدينة تقع فى الجنوب وفى الداخل •

وفى مراكش أيضا حديقة الأجلد وهى أكبر من حديقة المنارة تأسست فى القرن الثانى عشر من أثر الموحدين • وبها زيتون ونخل وبركتان •

والحديقتان (المنارة والجلد) عامتان ومع هذا لا ترى بها ورقا على الأرض أو بقايا طعام مع الفارق بين مراكش والقاهرة مساحة وعددا وقدا ولكن كان المرشد الذى يرافقنا مرشدا جويا فيما مضى وهو يجيد أربع لغات •

ومراكش تحتفظ بآثار حكامها فمن أعمال الموحدين حديقة المنارة وحديقة الأجلد والجامع وجامع الكتبية •

ومن آثار السعديين قصر البديع والقبور •

ومن آثار العلويين قصر البهية وقصر دار سيدى سعيد •

ومن آثار المرابطين : الأسوار •

وفى مراكش نزلنا فى قصر المامونيه وهو قصر من القرن السابع

عشر ويقترن هذا القصر بأسماء الملوك حتى بات معلوما ان هذا الجناح
نزل به هذا الملك أو هذا الأمير .

كما تقتنن مراكش بمسيرة الصحراء سنة ١٩٧٥ حيث سار ٣٥٠
ألف يحملون القرآن واستردوا الصحراء المغربية من اسبانيا وموريتانيا
ولهذا يسمون مراكش باب الصحراء ويسمون هذه المسيرة : المسيرة
الخضراء .

وأكبر ثلاث عائلات من البربر :
الصنهاجة ومنهم المرابطون .
مصودة .

زنانه ومنهم الزناني بطل القصة الشعبية الدائعة بيننا وأجمل
ما شددني في مراكش شجرة اللوز انها رقيقة قواما وأغصانا وزهرا
تمليتها في طريقي الى وادي ديوريكا حيث تناولنا الغذاء في مطعم صاحبه
أجنبي لقد ركز علينا من بين الرواد نظرات نافذة وكلما وقعت أعيننا
عليه تشاغل تم أخذ يسارقنا النظر من جديد وعند خروجنا ودعنا حتى
باب السيارة وقدم لي ولابنتي زهرتي الكلا ووقف حتى غادرت السيارة ،
المكان .

وفي مراكش جبل أطلس بلونه الوردي ومنه بيوت مراكش كما
تحتم البلدية ولهذا تدعى مراكش الحمراء .

في البلاد العربية ألفاظ كثيرة مستقاة من الجذور العرقية كالبربر
في المغرب . وهذا سر غرابتها عندنا . وفي مصر ألفاظ كثيرة فرعونية
لكن اللهجة المصرية بكاملها مفهومة لذيوع صحافة مصر واذاعتها وكتبها
وأفلامها وفنونها المسموعة والمرئية .

وفي المغرب وادي أم الربيع أي النهر أو الربيع فالوادي هو النهر
في اللهجة المغربية .

وبالمغرب أربع وديان أي أربع أنهار يتراوح أطوالها ما بين ٥٠٠ -
١٢٠٠ كيلو مترا وأعلى جبل بالمغرب جبل طيبكال بالأطلس الكبير وارتفاعه
٤١٦٥ مترا . لكن مضيق جبل طارق شطر المغرب عن أوروبا .

وفي المغرب تناولنا طعامنا مرة في مطعم رومانشو لكي نصله دخلنا
قلب جبل الأطلس الى مسافة ٣٠ كيلو مترا ان قلبه بعيد الأعماق .

السحاب والجبل كداهما يجعل الجبل مخمليا اذ تختفى صلابته
وصخريته تحت تراب الحديد هذا التراب الذى يستعمله سكان مراكش
مكافئ السممت • أبدا يبدو بيوت المدينة كأنها قطعة من الجبل •

الجبانة فى مراكش يسمونها باب الرب •

الانسان يتحايل دائما على الموت فيسقيه بغير أسمائه فى محاولة
المساعدة اجبارية له •

ومن التحايل على الموت ، حلم الانسان بالخلود •

وكازيمو مراكش حديث البناء والأثاث والأسلوب ولكنه بعد
البرنامج الأوربي من موسيقى ورقص - يقدم الفولكلور المغربى كما يقدم
العشاء المغربى •

والنمر التى رايناها ألعاب سيركية تؤديها مجموعة متفاوتة الأعمار
منهم رحلان فى سن متقدم مسكين الانسان اذا اضطرته لقمة العيش أن
يعمل فى سن الراحة : بيلوانا أو أى عمل شاق أو صغير صغير القيمة أو
صغير الوسيلة •

ومن النمر (رفاعى ثعابين) •

ومن النمر رقصة للجنوب ورقصة للشمال •

ثم الراقصة الشرقية المعهودة وقد لاحظت ابنتى أن الراقصات
الشرقيات بالمغرب لا يبتسمن أبدا وانهن أقرب الى الأكروبات منهن الى
دلال الراقصة الشرقية وأنوثتها المتدفقة •

وفى الليلة السابقة تناولنا عشاءنا فى مطعم الفردوس هو مغربى
من قسة رأسه الى أخمص قدمه مغربى بطراز وطعامه وفرقته الموسيقية
وغناؤه ورقصه • ويعج بالأجانب الذين لا ينسون فى بلادنا العربية آلات
التصوير التى يظنها أهلنا الطيبون تحية لنا مع أن لها فرضا خبيثا •

وفى مراكش زرت من آثارها (دار سعيد) وهو وزير مغربى عاش
فى أواخر القرن التاسع عشر • كان نائبا للحاكم •

استرعى عيني أن الحلى محفوظة لم تنهب •• الألوانى •• الأسلحة •
الملابس - الأثاث - السجاجيد الأزياء •• حتى كيس الحبوب •• حتى
الأحذية •

كنت صغيرة ، مصر توحشني ولكني الآن نجوت من أشواقى بعد ان
ملأت على كياني .. فى كل نبضة .. فى كل قطرة حتى أصبحت
خارجها أراها هى وكل ما عداها خلفية لها .

نسيت أن أقول ان قصر البديع نهبه حاكم ولكنه لم يختف بل نقل
الى مكان آخر وآل فى النهاية الى صاحبه الحقيقي : البلد .. المغرب .

قطعت السيارة من مراکش الى الدار البيضاء شوطا من طريق أخضر
تحف به الأشجار من الجانبين ويبدو أن رفيق الرحلة المغربى لاحظ
اعجابى الصامت بالبساط الأخضر وغابات الشجر فقال : ان ما ترينه
كان صحراء ثم شجرناه وفى المغرب يوم (التشجير) يحل فى ١٢ فبراير
من كل عام قوامه الشباب حتى يسهموا فى بناء بلدهم .

وفى الطريق مررنا ببلدة صغيرة تسمى : الخنفرة وهى معروفة
بجمال النساء ومنها الملكة .

وفى مصر الخنفرة مقرونة بالبرد .


واذا كان الجمال يشيع الدفء فى القلوب ، والمشاعر ، استطعنا أن
نضم الكلمة الى ألفاظ الأضداد .

الجبل فى المغرب خطوط ومصابط خضراء ، ومن حين الى حين نرى
فى الطريق لا سيما قرب القرى ، قبة صغيرة لشيخ يتبرك به الناس ان
الانسان هو الانسان فى كل مكان .. حتى بعد الأديان .

وقد هبطت الأمية فى المغرب الى ٢٠٪

الاسعار فى المغرب مرتفعة وفى المغرب : سائلون ولكنهم أفراد
قلائل . وهم صامتون يقتربون منك على استحياء لايسألون الناس
الحافا .

و « المنادى » أعنى منادى السيارات فى المغرب ، انسان رقيق وديع
مستعد لارشاد سيارتك أعطيته أم لم نعطه فهو يؤدى عمله بالقدر نفسه
من الحماسة .

وتشتهر المغرب بصناعاتها الجلدية • وفرنسا تحرص على لون معين.
من الحقائق سيخى الجلد جدا وتطلب أن يوضع عليه حرف  علامه
كارتيه Cartier لتبيعه في فرنسا والعالم باسمها وهو مصنوع
في المغرب ، كما يأخذ الغرب وخاصة أمريكا السجاد اليدوى الفاخر من
مصر وتسوقه على أنه سجاد عجمي !

لندن

حين يرتفع الانسان عن الأرض

فى الطريق الى لندن لحضور المؤتمر الاسلامى بدعوة منه .

من الطائرة رأيت جزيرة كريت ثم اسطانبول ثم جبال الألب يغطيها الجليد . . . تطيب الرؤية الجامعة من الطائرة فى معالم الطبيعة حيث تؤدي الشمولية . . . بل قد يفضلها المشاهد حيث تختصر المساحات ان البلاد من الطائرة خريطة حية ملونة . . . أما حين يكون الانسان جزءا من المراتب ، فلا يغنى البعد لأن الانسان بأصغريه . . . الانسان ليس حجما ولكن دقائق وحقائق . . . الانسان لمسة عين ، ونظرة قلب ، ورؤية حركة ، ورقة احساس ، وخفة ريح ، وعذوبة روح ، وخفقة حب ، ودفقة شعور ولمحة ذكاء ، ونفحة عطاء . . . الانسان رنة صوت ، وتعبير صمت ، وصمت كلام .

من الطائرة رأيت سويسرا حيث جبال الألب ، مساحات خضراء وفى مصر الوادى يزحف الطوب ، وتسفح الخضرة ، ويذبح اللون الرواح حتى لا يرتاح ذلك الشقى . . . أعنى الانسان المصرى .

سويسرا من الطائرة كاروهات خضراء وصفراء تتخللها خطوط زرقاء هى البحيرات والعيون .

وفى الطائرة قرأت فى صحيفة الديلى ميل ، صرخة تدعو الى تدارك هذا الجيل من الشباب . . . يدعو فيها كاتبها Neil Kinnock الى أن يكون فى كل مدرسة ثانوية ، مدرس على الأقل مهمته تدريس مواد السلام Peace Studies وبث السلام فى النفوس والدعوة اليه فى جيل يتنفس الحرب ويعيش الاستعداد للحرب .

لعلها صحوة من أوروبا التى جرت العالم الى حربين عالميتين فى ربع قرن ولا تزال تروعه بالحروب الباردة وباختراعات القنابل الذرية فالنوية . . . الخ وسائل التدمير الشامل لكل ما أبدعه الانسان فى عمر البشرية كلها .

وفى الطائرة قرأت فى مجلة British Airway high life موضوعا عن اللؤلؤة أو الجوهر اللؤلؤى أو كما يسمونه The Gentle Jewel ومن طرائفه بعد أن استهله بقله : (لست فى حاجة الى ابتلاع اللؤلؤ ولو أن كليوباترة فعلتها فقد ذوبت اللؤلؤة فى الخل وزدردتها دفعة واحدة .

✳ تتكون اللؤلؤة حول حبة رمل فى بطن الودعه .

✳ اللآلىء ، لجاذبيتها ، أطفال الطبيعة Natures children

✳ حين يتحدد لبس الماس بالنسب الرشيد فان لبس اللؤلؤ تستطيعه الكهله وحلوة الثانية عشر .

✳ لقد استطاع اللؤلؤ أن يهدى ويغالى به منذ خرجت الهة الحب « افروديت » من محارة .

✳ اللؤلؤ فى بريطانيا له سمعة ملكية فالمملكة اليزابيث الأولى جلست للبورترية فى حلة نثرت عليها اللآلىء فجعلت الكنوز من البحر هواية البلاط المفضلة حتى الملكة فيكتوريا بصرامتها لم تستطع مقاومة فتح خزانة المملكة عند زيارة الامبراطورة أوجينى مع نابليون الثالث .

والملكة الكسندرا زوجة ابنها وضعت تقليدا للؤلؤ أن يحرم زوجها ادوارد لبسه على غير الملكيين فى الحفلات الرسمية .

✳ وعندما تزوج الأمير تشارلز سببحت كاتدرائية سانت بول فى ضياء لؤلؤى وعروسه على جيدها عقد من اللؤلؤ سافر معها الى شهر العسل .

✳ وقد جعل ذبوع الرومانسية فى القرن الثامن عشر ، اللؤلؤ ، أحب الأحجار .

✳ لقد حارب الانسان من أجل اللؤلؤ (الذى أحضره بومباى الى روما بعد انتصاراته الشرقية وحارب الناس باللؤلؤ لأنه كان يلبس فى المعركة كدرع ومات الرجال من أجله خاصة فى حركات المقاومة الأولى من أجل نقل الهدية الثمينة من سرير البحر .

ومنذ ثمانين عاما استطاع أحد الصيادين اليابانيين أن يشقب

محادرة ويكتشف أن الطبيعة بطنتها بمادة Nacrous تحيلها الى لؤلؤة •
وهنا بدأت ثورة اللؤلؤ المزروع Cultured Pearl تغير سوق الصياغة
وتمقرط اللؤلؤ فغدا اللؤلؤ الذي كان قاصرا على الملوك والنبلاء فى حوزتنا
جميعا ان الكلمة الاغريقية Pearl تعنى النقاء الكامل ولكن اللؤلؤ
الصناعى المطروح الآن لا يبلغ نصف هذه الحقيقة •

ان الحياة الجنسية لمحادرة اللؤلؤ عمل كبير حاشد لأولئك الذين
يقومون على مزارع المحارات الساحلية •

ان مهد الرومانسية حيث تقبل الشمس شواطئ جنوب الباسفيك
ولكن محادرة اللؤلؤ تتطلب أكبر كثيرا من شريك نمودجى وفندق ذى خمس
نجوم • انها لا تبالي الهزات والاثارة عندما يكون الحمل بالبيض فى
أواخر الربيع •• انها تحب أن تعيش فى درجة حرارة من ١٨ - ٢٥ درجة
نرهما موجة حرارة أو موجة برد •

ان مزرعة اللؤلؤ فى الحقيقة باخرة مجهزة مستشفى • وتطعم
المحادرة وتسقى ويحسن أن تكون عند فتحة نهر ليحتفظ اللؤلؤ بنضارته
وبباضه •

ولكن الأنثى المدللة عندما تبلغ السادسة من سنيها تكون فى
منتصف العمر النسبى لنوعها •• وهنا يفقد لؤلؤها صقله وبريقه ••
فى سائر الكائنات ، التالى ، فى الشباب •

ويسيطر اليابانيون فى عصرنا هذا على مزارع اللؤلؤ حيثما كانت فى
اليابان أو استراليا أو جنوا •• ان اليابان تصدر ما قيمته ٢٥٠ مليون
دولار سنويا •

ان اللؤلؤ زينة للجسم نفسه • قد يصنع اللؤلؤ ملحمة بالمقابلة
مع القטיפه السوداء وكذلك مع الصوف والتويد ولكن أبسط وقفة له ،
تأتى من ذاته •• عندما يستلقى اللؤلؤ على رقبة عارية خالية •

ان اللؤلؤ يضى ويتألق عندما يلبس وقد قبس من حرارة الجلد
ويتداخل اللؤلؤ بعد هذا مع الأحجار الأخرى عند الصياغة فى تشكيلات
مزدوجة ومجتمعة فيزيدها بهرا •

لا غرو أن يكون الطريق الى الجنة ينتهى فى بوابات لؤلؤية •
No wonder that the road to Heaven ends in pearly gates.

الطائرة الآن نحلق فوق انجلترا ٠٠ انها مربعات خضراء وصفراء
وتبدو البيوت فى وسطها كأنها عقود منظومة من النظام فى الوضع
الأرضى لها ونظام الارتفاع المتساوى ٠

وعندما أمعنت الطائرة فى الاقتراب من الأرض عرفت سر العقد
المنظوم ٠٠ انه وحدة الطراز ٠٠ البيت الانجليزى ذى السقف الجمالونى
والحديقة الجميلة ٠٠ والبيوت على خط ٠٠ والخطوط خطوط ٠٠ آه ٠٠
عيني على حبيبتنا القاهرة التى يعدو ويعتدى على جمالها كرنفال العمارة
والألوان ٠

باقى على الهبوط دقائق والمنظر تحتى يسبح فى ضوء الشمس
بشرى بجو دافئ فى انجلترا ٠٠ لقد زرت انجلترا فى أغسطس وكانت
الأمطار غزيرة ليل نهار ٠

فأخذ طريقنا الى مكتب الجوازات فى مطار هيثرو ٠٠ لا أصدق
عيني ٠ لقد قرأت فى الطائرة مقالا عنه فى الدليل ميل يصفه الكاتب بأنه
أسوأ مطار فى العالم وأكثر المطارات تخلفا وأنه طرأ عليه تحسن طفيف!!
ولكنه لا يزال سيئا ٠

ان ما أراه الآن قمة فى النظام والنظافة والهدوء ٠٠ هدوء المتحضرين
لا المتخلفين ٠٠ كل شئ يمر فى سهولة ويسر وسرعة فائقة التقطت
حقائبي ثم تحركت الى مكتب الاستعلامات لأسأل عن مندوب المؤتمر الذى
سيصحبني الى قلعة Faraham Castle حيث يعقد المؤتمر الاسلامى
وما كدت أسأل حتى وجدت قبالتي انسانا يحمل على صدره عبارة ترحيب
بى ويحمل بين يديه لافتة كبيرة عليها اسمى ٠٠ ولم أتم سؤالى بعد أن
أتانى الجواب ٠٠ كل شئ مرسوم فى دقة بالغة وفى احسن اساس عميق
بالمسؤولية ٠

فى طريقنا الى القلعة مررنا بمدينة صغيرة Town يطلق عليها
« فمبرا » بها جبل فى قمته مدرسة بنات وعلى بعد بعيد منها مدرسة
بنين ثم مدرسة مختلطة ٠

الشوارع نظيفة ناعمة ٠ الشمس ساطعة بل حارة ٠٠ أقولها أنا
بمنت الصعيد ٠

فى « فمبرا » الصغيرة ! كلية للتكنولوجيا Technical Collage
وفى فمبرا مطار حربى

وفى فمبرا مركز ضخيم لاختبار الطائرات .
ومكتبة يرجع تاريخها الى سنة ١٨٦٠ م !!
وكنيسة كبيرة

وفمبرا بعد هذا فى عين سائق السيارة « مدينة صغيرة » !

ونذكرت الدكتور جمال حمدان حيث عرف الفرق بين
وال Town فى كتابه (جغرافية المدن) . بأن الأولى City
فيها كنيسة دون الثانية . . ولم أملك الا أن أقول ان السائق أحد اثنين:
: اما أن يكون طموحا جدا فيرى هذا كله
واما أن يكون متواضعا جدا . . لأنى لا أملك فى المقابل الا أن أثق
فى علم الدكتور جمال حمدان .

كل شئ فى لندن يتمتع بالحرية حتى التاكسيات حرة فى اختيار
الوانها ولكن الجميع يحسن استخدام الحرية ويرعاها .

وبعد « فمبرا » مررنا بمدينة أخرى يطلق عليها
Aldershot . . مدينة عسكرية . . بها مدينة سكنية للعسكريين ومستشفى ومركز
تسويق ومرافق كثيرة . . وابتسمت وأنا أسأل السائق هل هذه أيضا
مدينة صغيرة ؟ فقال ! in between انها فى نظرة « بين بين » .

وبعد (الدارشط) وصلنا قلعة فاران
Farham Castle انها قلعة .

قلعة بنوافذها الحديدية العالية . . قلعة بسراديبيها ودهاليزها
التي توقع الذكى لا العادى فقط فى الحيرة والارتباك والتهيه .

قلعة بلوحاتها القديمة وسقوفها العالية وأدوات الحرب المبتوثة فيها
هنا وهناك وساعاتها العتيقة ودرجها الحلزوني وحجرات نومها الخالية
من الوسائل الحديثة الترفيهية ، بل والضرورية . . ليس هناك حجرة
بها تليفون أو تليفزيون أو حتى راديو أو حتى لمبة كبيرة لأعوض بالقراءة

وسألت مسئولة فى جهاز ادارتها فقالت ان هذا مقصود لأن هذه
القلعة للمؤتمرات . . وللقراءة والمحاضرة قاعات . . أما الحجرات فللنوم
فقط مما ينتفى معه وجود ضوء قوى أو مدعاة للسهر كالتليفزيون أو مصدر
صوت كالتليفون .

منطق .

ولكنى عوفت قسوة الحبس الانفرادى . . حتى ولو كان فى حجرة
نظيفة بقلعة فاران .

أما المؤتمر الاسلامى فمن حقه أن يفرد له الحديث .

أبريل ١٩٨٢



National Organization of the Alexandria Library (GOAL)
مركز الدراسات والبحوث

المتحف المصرى ••• فى لندن

كالمسلة فى ميدان الكونكورد فى باريس ، المتحف المصرى فى لندن،
• قلب المصرى معلق به ، يهفو اليه مهما بعد الزار • واستشرفت اليه ••
ورفرفت روحى عنبه •• وتمت وابل من المطر بلغته • واحنواى واحتويته
•• كان رفيقى أديب عراقى •• بدأنا الجولة فاذا بالقسم العراقى على
اليسار قاعة مربعة صغيرة أشبه بحجرة حين ضرب المتحف المصرى بسهم
وافر فى المكان •• انه المتحف المصرى فى بريطانيا لا المتحف البريطانى
فكل ما عداه اضافات متواضعة •

هل نغضب أم نأسى ؟ فما أراه ان دل على الوفرة والغنى الباذخ
• فهو فى الوقت نفسه يدل على النهب الذى تعرضت مصر له فى غفلة من
الزمان وغفلة أشد منا •

قال الصديق الأديب « اتسرقتم كثير » ولم أحر جوابا •• ماذا أقول؟
حتى لو كانت هذه الكلمة تغطية ذكية لتواضع الأقسام الأخرى الى جانب
المتحف المصرى •
وبدأت ••

تفتح كيانى كله •• عينى تلمس ويدى ترى وقدمى تغدو وتروح
ثم تتسمر أمام رائحة من الرائعات •• وأشدها بصعوبة لتتسمر من جديد
أمام رائحة أخرى وأترشف الروعة وأعجب منها عللا بعد نهل فما أروى على
كثرة العب وطول الرشيف •

وأمام رمسيس فى سموحه الدائم فلقد ارتفع فى المتحف على قاعدة
عالية جدا حتى يشرب الناظر اليه •• أمام رمسيس بوجهه المصرى الملكى
• وجهه الظافر الفائق النعمة الذى تشع السعادة من عينيه ووجنتيه وكأنه
يقول لساعته (أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي) ••
آية •• كل مصرى حتى ولو كان بسيطا متواضعا ، يقولها بغير حروف
•• ان الانتماء اليها ، وحده ، الغنى الكامل والعز الكامل •• فما بالنا
إذا قالها رمسيس أو مرمتاح أو غرهما من أبناء الشمس ؟

أنهار من الماء بجري من تحته في مصر وأنهار من البشر نجري من تحته في انجلترا .. وهو من عليائه ، بهذه الأنهار ، هنا وهناك حتى الخلود الذي يبتغيه .. ما عليه من ألوف السنين .. ألم يستقبل في فرنسا بالتحية العسكرية والسلام المصري .. ملك الملوك غائبا وحاضرا ..

ويبدو أني قلت هذا بغير حروف قلته بكياني كله فقد صاح الصديق العراقي : ما أسعده .. انك أمامه تهتزين حبا وزهوا وقد استعصيت على الحاكمين أحياء .. ونسى الصديق ، الفرق ..

حجر رشيد على قاعدة .. وعلى الجدار علقت لوحات كبيرة تراجع بلغات شتى ..

ولكن حجر رشيد على ضخامته قد يستطاع نقله ولكن هذه الأعمدة الضخمة هذه التماثيل الفخمة .. هذه الجداريات التي تلف الجدران من جهاتها الأربع في قاعة المومياء التي تبلغ ضعف مثلتها المصرية !! هذه التوابيت .. كيف نقل هذا كله حتى ولو كان أصحابه يغطون في نوم عميق ؟

لم أعجب بعد هذا من الحشد الحاشد من الحلى والتماثيل الصغيرة وأدوات الحياة اليومية والمفارش وأثواب الكتان والآلات الهندسية وروائع الكريسمال الأبيض والوردي لتمثال الالهة نفتيس والألبستر والأماست والنحاس المشغول واللوحات المنسوجة وفرائد العقيق والفيروز والذهب .. انها أسهل حملا ..

وحول هذا أطفال وشباب المدارس يرسمون ومن ورائهم أساتذة يشرحون ويوجهون .. وأسمع .. تحية لى غير مقصودة والإنسان لا الغواني وحدهن ، يغره الثناء حتى ولو كان بالتبعية لمن يحب ..

والمتحف المصري في لندن موضوعات قائمة في أركان كاملة في وجهات زجاجية كبيرة مدرجة موزعة الاضاءة لتبرز المعروضات النور والظلال .. وقد كتبت في أعلاها عنوانا جامعاً للموضوع المعروض مثل (الغزل والنسيج) ، (السحر في الحياة اليومية) ، (الخدم في أعمالهم) ، (الطعام والشراب) ، (الابحار) ، (الزراعة) ، (الأسلحة والحرب) ، (الأسلحة والصيد) ، (المصاييح) ، (الشمعدانات والمسارح) (الموازين والصنوج) ، (النحاتين والفنسانين) ، (الألوان) (الأقلام والفرش) ، (الفنانين واليدويين) ، (الاثاث) ، والكرسى أرجله رأس بطة والكرسى المتوازن والكرسى سفنح ويغلق ، (السلال

والجمال) ، (مساند الرأس) (البيوت والبناء) ، (العمل في الأحجار) ،
 (الأحجار منذ ٣١٠٠ سنة ق.م) ، (الأحجار ٢١٠٠ سنة ق.م)
 (الأحجار ١٥٠٠ سنة ق.م) الى الاحجار ٢٠٠ سنة ق.م) ، (الأدوات
 الحجرية) ، (الأدوات البرونزية) (الأدوات الهندسية) ومن
 أروع ما راعنى وأسرنى فى هذا المتحف موضوع لم يعطوه عنوانا وان كان
 أرق وأرقى الموضوعات .. انه فى نظرى : « الحنان » ركن كامل للعظيمة
 « ايزيس » مع حورس .

تمثالها وهى تستقبله وليدا وقد أشرق كيائها كله .. أم .

ايزيس وحورس بين يديها عقب ولادته وقد ضجكت عينها وشفتها
 ووجنتها ويدها .. زغرد كيائها كله .. كدت أقول لها ان لم أكن قلتها
 بالفعل .. « مبروك » وحمدا لله على السلامة .

ايزيس وهى تهم بارضاع حورس فتختبر اللبن فى ثديها .

ايزيس وهى تضمه وتسكب فى فمه نفسها مع اللبن .

ايزيس .. وهى تحمله .. وهى تضمه .. وهى تهدده .. وهى
 جمعه بين يديها .

ما أروعها .. ما أرقها .. ما أشفها ، ما أطعمها .. ست الستات .

ووقفت طويلا أمام الجميلة هاتور .. واكتشفت ان الجمال ليس فقط
 فى وجهها وقامتها ووقفها ولكنه أيضا فى حركة جميلة من يديها وقد
 صورها المنال فى وضع من تصف بدلال شيئا صغيرا « محندق » فصور
 الكفين متوازيين فى غير تطابق وبينهما ارتفاع رقيق رشيق مثلها ..
 حركة هفافة رفاة سكره .

وتقسيم المعروضات (موضوعات) يعين المشاهد والدارس ويجلو
 الأشياء بالتكامل والموضوعية .. وهو أسلوب يجدر بنا أن نأخذ به فى
 همتنا الحاضرة لجلو المتحف والارتفاع به ، والارتفاع اليه .

لى كلمة بعد المتحف ، عن الفنادق .. كلمة ذات صلة بالحضارة .
 الفنادق الكبيرة فى لندن مثل فندق تكتب أوراقها وتعليماتها بالانجليزية
 والعربية .

ولقد سادت العربية أوروبا فى القرون الوسطى ابان ازدهار الحضارة

الاسلامية في الأندلس • والآن تسود العربية تجية للمال العربي •
واجتذابا له •

كانت لغة العلم والفن • فتعلمها الغرب ليلحق بأهلها في زهو
حضارتهم في الأندلس وفي مصر حيث أقبل الأوربيون ليدرسوا الطب
بالعربية في مستشفى قلاوون •

أقولها بمناسبة قضية التراث والمعاصرة التي تشكل واقعا الآن •
ان الحضارات الانسانية موجات موجات • وهي تتبادل للأخذ والعطاء •
وما دمنا أعطينا في يوم من الأيام فنحن قادرون على العطاء • والايمان
بالقدرة زاد على الطريق وتحضير أنفسنا لاعتلاء المسرح من جديد بلا استعلاء
أو استخذاء • بل اقتداء بمحاولة أعانها الاصرار على الوصول •

أبريل ١٩٨٢

فرنسا

حوار علمي في موندبلييه

حضرت حوارا علميا منذ بضعة أسابيع رنبه معهد ميدياس بمدينة موندبلييه في العاشر والحادي عشر من ديسمبر سنة ١٩٨٢ حول « حضارات شعوب البحر الأبيض المتوسط » وكان يرأسه الأستاذ الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وقد أعطاني هذا الحوار انطباعات شتى أولها :

الخوف على الانسان انسان الحضارات القديمة من التشكيك والنحديب وقد سبني لى القول ان الخوف عليه من الأساطيل فى البحر الأبيض . ماذا يكون لو اصطدمت غواصتان نوويتان ؟ ان آثار هذا لا تحصى الا بعد ١٠٠ سنة .

الانطباع الثانى : هو احساس الشعوب بدورها بعد مسخ الحكومات للعلاقات بين البلاد .

الانطباع الثالث : بقدر حاجة شعوب البحر الأبيض الى التنمية بقدر حذرنا منها فى صورتها الراهنة حتى لقد تسائل سائل ما هى التنمية ؟ ما مقياسها ماذا نريد منها ؟

وهنا أعلن الرئيس الدكتور اسماعيل صبرى بأن التنمية اذا أردنا الا ندفع ثمنها غاليا يجب أن تكون نابعة منا . تنمية بأنفسنا بإمكانياتنا لا بالنقطة الرابعة ومساعدات أصحاب الأغراض الخفية .

الانطباع الرابع : احساس الأعضاء بأن علماء البحر الأبيض اتصالاتهم بالشمال أكثر ولهذا ميولهم تدور بدورها فى فلك هذه الاتصالات وينبع الميول الاستجابة والنفع .

ومن هنا يجب أن تكون التسهيلات الممنوحة لعلماء وطلاب الجامعات فى البحر الأبيض وأطل فى المؤتمر سؤال اننا هنا فى الحقيقة نمثل المثقفين فقط لماذا لا تلتقى القطاعات الأخرى من شعوب البحر الأبيض بل بلغ الأمر أن أحد الأعضاء ، قال ان المثقفين أقل الناس استماعا الى الحضارات الأخرى .

لماذا لا يلتقى الطلاب والعلماء بل لماذا لا يلتقى انفلاحون من كل
 شئ ؟ ان الفلاح أيضا مستعد لسماع الآخرين فيما يتعلق بالزراعة
 على الأقل .

وهنا خطر لى خاطر . .

ان الانسان المصرى البسيط لو رأى العالم المتحضر لأحدث هذا له
 هزة بعيدة المدى .

ان المسئولين وزوجاتهم وحاشيتهم وموظفيهم كلفوا مصر رحلات
 وطائرات وعادوا كما ذهبوا لم يزيدها فى أنفسهم قيمة على الرغم من
 مكاسبهم الأخرى المادية . لم يرد البلد على خاطرهم ولو حدث لنقلوا اليه
 ما عنده المتحضرين وأول هذا احترام الانسان فلا يزيفون ارادته بالرقم
 الهزلى الذى غدا أضحوكة بين الناس فى مصر وخارجها . لو تكلم رقم ٩
 لأعلن براءته منهم . .

احترام الانسان فلا يحملونه على النفاق بمكافأة المنافق وتقدير
 أهل الثقة على أهل الخبرة .

البسطاء اذا سافروا تعلموا جوهر (الانتماء) أو معنى الوطنية انه
 .حفاظة على الأرض وما عليها محافظة على الممتلكات العامة : على الشارع . .
 على الشجرة . . على النبات . . على النور . . على الماء . . على الحرية
 لأن الذى يسئ الى الحرية لا يستحقها ولا أقول يحرمها لأن الحرية حق
 وليست منحة قابلة للمنع والمنع . . للوهب والحرمان .

جواهر الوطنية محافظة على النهر الذى أكبره وأجله أوائلنا ولا تزال
 بعد الأديان تسميه النهر المبارك من اعزاز يقترب من التقديس .

جواهر الوطنية عدم بالوطن لا هتاف ، واحساس بكل شئ فيه
 وإضافة اليه نربأ على السلب وتعف عن النهب بالوطنية عطاء المال فى
 ابتار ، وعطاء النفس فى فداء .

حين سافر رفاعة الطهطاوى لم يجمع المال بل جمع نفسه فى عملية
 صقل وتشقيف واختيار وترجمة ولما عاد الى مصر غير وجه الحياة فيها
 و . . ذلك انه كان يحب مصر كتيبة فى أرضها . . كان ابنها عشيق
 ترابها فكانت شغله الشاغل فى الحل والترحال . .

حتى محمد على نمصرت آماله فاقترنت البعثات عنده بنهضة مصر

ولا ينكر الا جاحد أو جاهل ذميم ان الرجل خلق بمصر صناعات وجعل
لمصر جيشا وحقق لمصر انتصارات وجعلها فى موضع السيادة والريادة
والقيادة حتى خافها الغرب والشرق وتأمروا عليه وعليها فكانت المؤامرة
اعترافا بمكانتها وطاقاتها وقدرتها التى لا تحدها الا المؤامرة أو الخيانة ..
حتى العقبات نتجدها مصر وكم اقتحمت العقبة وفى كل مرة يزول الشر
عنها ويذهب أعداؤها وتظل هى الباقية .

وسفر البسطاء يعلمهم احترام أنفسهم حين يرون الانسان المتحضر
يعرف حقه ويقوم بواجبه فلا يباع ويشترى ولا ينتقاماً لعملقه القزميه
ولا يتكلم الا صدقا ولا يهدر وقتا أو مالا حتى الفراغ مشحون بالمتعة
والقيمة معا .

وطرح السمنار أو الحوار من خلال السيدة كرلستيان سوريو وهى
باحثة فى المركز القومى للبحث العلمى دور النساء فى البحر الأبيض
المتوسط بصفتهم مواطنات - ما عدا الفلسطينيات - كما تقول فى رنة
أسى لا تخفى ، وهى صرخة مكبوتة لعلها تنفذ الى ضمير العالم المتحضر
لعله يتذكر شعبا انتزع من أرضه وألقى به بعيدا بلا هوية .

ومع هذا فاليهود فى مونبلييه على الرغم من وجود جمعية حقوق
فلسطين بتأثير كثرة عدد الطلبة العرب وانضمام المنصفين من الفرنسيين.
اليهم ..

مع هذا اليهود فى مونبلييه لهم أثر وتأثير لتغلغلهم الاقتصادى
وما يتبعه من قوة المال .. وبالتالى دورهم المحسوب فى انتخاب عمدة
المدينة ..

وهناك اعتبار آخر أن اليهود فى الجنوب كانوا فى الجزائر أصلا
ونزحوا منها على أثر عملية التحرير الجزائرية فهم يكرهون العرب .

واعتبار آخر أن فرنسا كانت قبل غزو هتلر لها تتعاطف مع
النازية وتكره اليهود وتوقع بهم وتبدل الحال بعد اجتياح باريس ونشأة
المقاومة الفرنسية على يد ديغول .

وغدت فرنسا اليوم تحس عقدة الذنب التى لا يفتأ اليهود أصحاب
حائط المبكى يعمقونها . كل هذا مجتمعا ومتفرقا يجعل هواهم مع اليهود
حتى بعد مذابح صبرا وشاتيلا التى لا يتجاوز الألم لها ، السطح ، الى
الأعماق .

في مونبلييه لم نغيب القاهرة عن عيني لحظة ٠٠ أرى مسرح الكوميديا ٠ انه تماما صورة من الأوبرا المشتعلة ٠٠ وأتذكر ٠٠ أتذكر الأوبرا ودموعي عليها ومن خلال الدمع أرى بنت بلد أخرى في ملاءها اللف تبكي منى ٠ وكانت في وقفها وموقفها أبلغ منى تعبيرا ٠٠ بكيت انا لأن مصر علمني فعرفت معنى الأوبرا فنا وقيمة ثم دخلت الاوبرا وشاهدت روايتها ٠٠ بقدر هذا كله بكيت ولكن تلك السى لم نل شيئا ، يعنى بكاؤها شيئا واحدا هو نفديسها لهذا التراب وما عليه ٠٠ انه تبر في عين الاصيل ٠

ورأيت القاهرة حين طفت بالاحياء القديمة فى « مونبلييه » وكيف يحافظ بلدية المدينة عليها كمسا هي ٠٠ حتى أعمال النظافة والترميم لا تمس الطابع الأصلى ٠ على كل معلم لافتة بالتاريخ والأحداث ٠٠ على كل بيت لافتة تحمل اسم صاحب البيت الأول ٠

لقد بلغ من اعزازهم للاحياء القديمة انهم يرفعون أسعار البيوت فيها الى حد لا يبلغه الا القادرون فغدت مهوى الأغنياء الذين يعتزون بالسكنى فى بيت قديم له تاريخ ٠

وقرأت هذا المعنى فى محطة السكة الحديد التى بنيت فى القرن التاسع عشر ٠ هذه المحطة عندما أرادوا ادخال القطار الشديد السرعة ٠٠ وما يتطلبه من أرصفة عريضة استحدثوا الكثير فى المحطة من الداخل اما الواجهة فقد أبقوا عليها كما هى مع اعادة طلاؤها ٠

ان المباني الجديدة خارج المدينة ٠٠ وليس بينها على كل حال ناطحات سحاب التى تغزو القاهرة الآن وتزحف الى الاسكندرية أيضا حتى لا يبقى عندنا شئ لم يمسحه التشويه ٠

لم يفكر أحد فى القاهرة هل مرافقها القديمة التى نتعامل عليها الآن وهى التى أقيمت لنصف مليون فاذا بها تنوء باثنى عشر مليوناً تعداد القاهرة الحالى ٠٠ لم يفكر أحد من عابرة الاسكان هل مدينتنا يناسبها ناطحات السحاب سكلا وموضوعا ٠ بل ان مونبلييه فى نزعة المحافظة على قديمها تقوم فيها الآن حركة بحث لتاريخها القديم ولغتها القديمة ٠

لقد كانت فرنسا باريس وما حولها أما الجنوب « البروفانس » بدءا من مرسيليا الى حدود إيطاليا غربا ٠٠ ومن مرسيليا الى مونبلييه

وما بعدها شرقا فقد ضمته فرنسا اليه بعد الحروب الدينية بين الكاثوليك والهرطقة وما تخللها من مذابح .

ومونبلييه قبل هذا التاريخ كانت تتكلم الاكستانية (وهى فرع من اللاتينية) ..

والآن بعد الأخذ باللامركزية يحاول عمدة مونبلييه وأهلها معا إبراز شخصية خاصة لمدينتهم « مونبلييه » يحاولون العودة الى اللغة الأوكتانية والملابس الشعبية وكل قديم لهم فى الموسيقى والمعمار والثقافة .. يحنون الى الطعام التقليدى فى عملية خلق ذاتية متكاملة لهم .

وقد لاحظت أن أسماء الشوارع فى مونبلييه مكتوبة باللغتين : الفرنسية والاوكتانية !!

وفى القاهرة تنتشر بعد الانفتاح (الغازى) من الغزو ومن الشوبس معا الأسماء الأعجمية .حتى الأسماء الشعبية القحة لبست القبة فقرنى قرنك وعليش عايشكو ، وسيد ، سيدان .. هات يا زمان .

وفى مونبلييه رأيت طفلا فرنسيا فى الرابعة من عمره يحاول أن يجلس على الزرع، فنهرته أمه وحذرتة أن يفعلها . ونظرت الى هذه الأم أتفحصها .. كانت سيدة متواضعة لا أحسن أنها شاعرة أو حامله مؤهلات ولكن ما فعلته كان أسلوب ثقافة وتفكير تحضر .

راعنى فى مونبلييه ميدان جون جورس وهو مناضل اشتراكى مشهور بل مؤسس الحركة الاشتراكية فى فرنسا حتى ان الرئيس ميران عقب توليه الحكم سعى الى قبره يزوره هذا الميدان يأتيه المزارعون من الريف فى السابعة صباحا يبيعون الخضر والفاكهة الطازجة حتى الواحدة بعد الظهر ثم يحملون ما بقى فى عرباتهم ويكنسون الميدان ويفسلونه بالماء الغزير بخراطيم تزودهم البلدية بها وطبعا بالميدان بلاعات مربعة فلا يتركون الميدان الا وهو يشف من النظافة حتى اذا رأيته فى المساء لا تصدق . وهنا ينشر فيه المطاعم والمقاهى المحيطة به ، لاكراسى والمناضد لروادها طلاب العشاء أو طلاب السهر .. !!

لا فرق يذكر بين مونبلييه أو أى مدينة فرنسية وبين باريس نفسها الا فى المساحة والأضواء الرسمية فكل مدينة تتمتع بالمرح والسينما

وصالات العرض والموسيقى والمتاحف والفنون والفنادق والمستشفيات
والمجال التجارية الكبيرة والشوارع النظيفة والأحياء المتميزة والهدوء
والنظافة والجمال والثقافة .. ومن هنا لا تعاني العواصم من الاختناقات
والتهرؤات والهجرتين هجرة داخلية إليها زحفاً من الريف أى تعريف
المدينة وهجرة منها الى البلاد الأخرى فى عملية استنزاف عقلى . كما
تكاثر القاهرة .

لا أمل فى اصلاح القاهرة الا باصلاح الريف ومدن الأقاليم ورفع
كفاءتها وإنسانيتها وتحقيق ذاتيتها ليعتز أهلها بها وتعتمد هى بنفسها
فلا تكون هناك حاجة الى النزوح منها الى القاهرة التى شقيت بما لا مزيد
عليه .

لن تجدى الكبارى والانفاق مادام الزحف مستمرا الى القاهرة ولن
يتوقف الزحف مادام الريف والأقاليم تعاني التوسع والحرمان والفقدان
فى كل شئ .

ومونبلييه التى لا يتجاوز سكانها مائتى ألف نسمة بها ثلاث جامعات
غير المدارس العليا التى تعادل المعاهد عندنا وأربعة معاهد للبحث العلمى
أحدها لبحث مشاكل الزراعة بين التخلف والتنمية ومعهد جردات
بمونبلييه يجمع الأبحاث والدراسات على التكنيك الزراعى .. وغير قليل
من المراكز العلمية فى باريس نفضل الانتقال الى مونبلييه بل انتقلت
بالفعل حتى غدت مونبلييه مدينة الجنوب مركزا علميا .

ودونبلييه بها الكثير من مراكز الاعلام الخاصة بالمرأة وحقوقها
وبالمدينة كثير من الجمعيات وبعضها يبدو لنا غريبا كجمعية مرضى الكلى
وجمعية محبى أسماك الزينة وجمعية آباء طلبة المدارس العلمانية وجمعية
آباء طلبة المدارس الدينية . الخ .

ويحمل هذا العدد الوافر من الجمعيات دلالتين : استنهاها إيمانهم
بالحوار واللقاء اثرأ لأنفسهم ووقتهم ، والأخرى افتقادهم الانصال
الانسانى أو التعاطف .. فمرضى الكلى مثلاً لا يجد أحداً يهتم بشكواه
ولا يجد جواباً لسؤال المريض يدفعه قلقة الى الأسئلة ومن هنا يجد
طلبته عند مرضى الكلى أمثاله حيث يستمعون الى التجارب المتماثلة أو
المقاربة .

وفى مونبلييه وجدت خيمة كبيرة يجمعون فيها اللعب القديمة أو

التي مر عليها ثلاث سنوات يأتي الأطفال بلعبهم قبل عيد الميلاد ليهدوها إلى أطفال يفتقدونها وهناك رأيت عمدة المدينة بنفسه يشرف على تنظيم العملية . . ويتعلم الأطفال الاحساس بالجماعة وبالغير . . يتعلمون العطاء وهو قيمة خافية قبل أن يكون مادية .

ولو لم اكن مصرية لكنني كنت في غنى عن ذكر الخدائق المنتشرة في المدينة لمتعة الأطفال والشيوخ ولكني أركز على هذه النقطة من غيرتي على القاهرة التي تفنق الخضرة والحديقة والأزهار والاشجار .

بل ان في مونبلييه على حدودها غابة تزيد على ستة كيلو مترات بها ممرات ذات أسهم للشمسية وأخرى للجري وأدوات جمباز من جذوع الشجر كل هذا للتمتع بالطبيعة والخضرة والهواء النقي والرياضة معا .

وعلى ذكر الرياضة يهتم الفرنسيون في مدنهم جميعا بالرياضة اهتماما بالغاً . منظر مألوف عندهم أن ترى يوم الأحد الجيد والأب والابن يركب كل منهم دراجة بل منظر مألوف أن ترى سيدة في التسعين من عمرها تركب دراجة للرياضة .

ومضارب التنس في فرنسا تصمم أحجاما مختلفة لاستعمال طفل الرابعة من عمره حتى المضرب المعتاد .

وفي مونبلييه عدد وافر من حمامات السباحة ذات الرسم الرمزي وصلات الرقص التوقيعي وبعضها تعدد البلدية وتجعل الدخول اليه مجانا لا للاحتراف أو حنى الاجادة ولكن للاحتفاظ بالحيوية والرشاقة أو على الأقل عدم الترهل .

ويوم الأحد يمكن أن يسمى يوم الجري فالناس يمارسون رياضة الجري في الشوارع نفسها لأن الشوارع هناك مستقيمة لا حفر فيها ، محددة لها رصيف واسع يلتزم به المارة والبلدية معا .

وفي « مونبلييه » قلما ترى فرنسيا لا يصحب أو يسحب كلبا ولكنها كلاب - والحق يقال - لا تعوى أو تتحرش بأحد . . يبدو أنها تعرف الاتيكيت كأصحابها . . وقد عرفت انها من « بيت » وان لها ناسا غير انهم يرسلونها وحدها لتجول . . ثم تعود . حتى الكلاب في فرنسا تتمتع بالحرية .



مونبلييه . . رسييليا . . الخ كلها تظفر بمطارات حديثة ضخمة

يبدو معها مطار القاهرة العاصمة الكبرى متواضعا في امكاناته على الأقل .
 مونبلييه المدينة القديمة تقوم على ربوة وقد طُفِت بها وصعدت أعلى
 الربوة فشاهدت الجانب الآخر الأحدث من المدينة يليه الريف ثم الجبل
 ومعنى هذا أنه لبس هناك خوازيق حجرية أى ناطحات سحاب تحجب
 الرؤية . حقا توجد خارج المدينة بضعة عمارات عالية يسكن فيها
 المغتربون من طلبة وعمال . أما أهل البلد فيأمنون الى الطراز التقليدى
 للمدينة .

وفى أعلى الربوة حديقة جميلة Jardin de Pirro لها بوابتان
 كبيرتان من الحديد المذهب وله سور حجرى جميل . الحديقة عالية النظافة
 حتى أوراق الشجر التى تسقط عندهم بكثرة فى الخريف والشتاء
 تستعمل البلدية الآلة الشافطة فتغذى الحديقة بلا شائبة . فى هذه
 الحديقة متعة للعين وراحة للجسم وفى الصيف تحفل بالعروض من كل
 نوع وبها كشك للموسيقى وبحيرات صناعية وقوس نصر وتمثال اللويس
 الرابع عشر . .

وفى هذه الحديقة أيضا تتجمع المسيرات ومنها تخرج المظاهرات
 حديقة لها دور فى حياة المدينة .

وبعد ما جرى للعيون لم تصرح بلدية مونبلييه بالبناء أمامه وخلفه
 وداخله وخارجه لم تصرح لمعلق خشبي بالبناء الى جانبه ثم الزحف عليه
 كما فعلت محافظة القاهرة فى مجرى العيون عندنا . .

وعلى مقربة من هذه الحديقة ، حديقة رائعة للنباتات أسسها هنرى
 الرابع فى أواخر القرن السادس عشر (١٥٩٣) هذه الحديقة مدرجات
 من النبات ونافورات وبحيرات صناعية وصوبت لنباتات المناطق
 الاستوائية .

وترعى هذه الحديقة جامعة مونبلييه اعلاء للقيم حين تعتدى جامعة
 القاهرة على النيل وتبنى على المسطح المائى ناديا لها .

وفى مونبلييه على مسافات لا تبدو ٥٠٠ متر (خمسمائة متر)
 جراجات تحت الأرض تتكون الواحد منها من أربع طوابق ١٠٠ وسكانها
 لا يتجاوزون مائتى ألف نسمة حين لا يوجد جراج واحد من هذا النوع
 فى القاهرة التى يبلغ سكانها ١٢ مليوناً وغدت شوارعها جراجات تعوق
 المرور وتهدر الوقت والأعصاب معا .

وفى مونبلييه، كلية الطب التى بناها العرب وعلى واجهتها الساعة الشمسية . وهى معلم من معالم مونبلييه .

والى جانب كلية الطب كاتدرائية سان بيير وهى اسلامية الطراز المعماري ذات برجين كبيرين يروعان الداخل اليها . دخلتها فاذا بها قباب معقودة ونوافذ من الزجاج الملون والكراسى بها مثبتة حتى لا يختل نظامها وهى مصقولة من احترامهم للانسان ونظيفة أيضا من احترام الانسان لها وللمكان فلم أقرأ على كرسي عنوانا أو قلبا مرسوما .

وبالكاترائية أضخم أروج رأيت فى حياتى ولهذا تقام فيها حفلات الموسيقى الكلاسيكية . ان التقابل فى المعمار يجعل الصوت مرنا جميل الوقع فى الآذان والنفوس .

جميلة مونبلييه بهدونها واتساقها واصص الزرع الأخضر التى تعلقها البلدية فى شوارعها وفى النوافذ العامة . وبمناسبة أعياد الميلاد نرت البلدية الأنوار فى المدينة لا صارخة مشوشة بل فى أشكال جميلة أبرزها ما كان على شكل أجراس العيد .

وعلى بعد خمسين كيلو من مونبلييه تقوم مدينة اجمورت التى خرج منها لويس التاسع لغزو مصر وهى حافلة بالأبراج والقلاع وتمثال لويس وعليه تاريخ الغزوة . والفرنسيون يعتبرونه قديسا والطلبة المصريون فى فرنسا يخلو لهم أن يذكروا الفرنسيين بأن لويس هذا لم ينل من مصر مأربا بل أسرته مصر فى دار ابن لقمان .

رأيت أخ عربى فى مونبلييه أكتب ثم خرج وعاد فرأيت أكتب وهنا صاح : أما تتنفسين ؟

قلت : انى هنا وحدى والقلم صديقى .

قال : ولكن يبدو انه صديق كبير

ثم أردف يقول : يبدو أن النيل علمكم الفيض فيض هذا النهر ليس ماء فحسب ولكنه فيض فى النفوس .

وأحسست لحظتها أنى أكبر من عمرى وأطول من قامتى . انى أنسب الى النهر العظيم الفياض . . . مصرية من مصر .

أطوف ما أطوف شرفا وغربا ثم أشتهي العودة •
وكالشريف الرضى ، الى مصر وأنا أعرف الفرق الحالى بل أعيشه •
وأعاني منه مرتين :

الأولى لأننى انسانه أحب الحياة •

والأخرى لأننى مصرية أحب مصر أكثر من الحياة ••• أكثر بكثير •
ومن هنا يرهقنى البعد ولو كان قريبا فى الزمان أو المكان • فما
تكاد الطائفة تفلح حتى يهرع القلم وحده الى الكتابه من باب امتصاص
اللحظة ، أو صلاة الشوق ، أو صلات المحبوب •

وتبدأ الرحلة ويبدأ الحنين • ويسافر جسمى الى فرنسا وغيرها ••
ويسافر قلبى الى مصر معبده ومسجده •• وداره ومناره •• وهواه ومناه
وقدس الأقداس •

المعهد العربي بباريس

معهد ضخم فخم يروع انشائه الدول العربية صاحبة البترول في باريس وأهدت اليه الحكومة الفرنسية في عهد ديستان قطعة أرض على نهر السين واحتج اليهود حديثا فاستبدلت بها أرضا أخرى لاثقة وافية بالغرض .

أسجل هنا هذه المبادرة لأصحابها من الأشقاء في مثل هذا يصرف عائد البترول حتى ترتفع في أعين الغرباء .

وأسجل أن مثل هذا الصرح لا يجوز أن تغيب مصر عنه لا سيما وأن الكل يفتقدها . .

مصر التي أهدر المهدرون كثيرا من أموالها في الاحتفالات والرحلات والتفاهات لا يعز عليها أن تشترك في مثل هذا المعهد ولو رمزيا من حيث المال فسوف يعوض المادة ثقلها العلمي والحضاري وهو في القيمة بلا حدود .

أكتب هذا يحدوني الأمل في الأخذ به لأهميته القصوى فالحضور المصري لا يغيب في الأعمال الكبرى لا سيما العلمية والفنية والتاريخية فهذه رسالة مصر منذ القدم .

وقد قابلت في فرنسا الكثيرين من أبناء الأمم العربية وحنينهم الى مصر لا يخفى بعد طول الغياب عن الساحة العربية ويتنفس هذا الحنين من خلال حديثهم عن حاضرها وأملهم في غدها . . من خلال سؤالهم عنها وبالحروف والصوت من وقدة الأشواق ما أعرفه .

ان البلاد هي الشعوب بآمالها وغاياتها وأهدافها وإراداتها والشعوب العربية جميعا ترفض القطيعة قولا وعملا فما يكاد يلتقي أبنائها في مكان حتى تتصافح الأيدي وتلتقي القلوب وتتشاور العقول والأفكار .

الدين والعلم والفن والفكر حقائق باقية وثابة لا يعدو عليها الصراع أو النزاع فلتنبق هذه الحقائق والعلائق بشباتها وخلودها في ارتقاس

وامتناع لا يمسسه سوء ولا تنالها المشاكل والأهواء لأنها أكبر وأبقى.
وأجدى ..

ان المعهد العربى بباريس يزدهر بالكفاءات العلمية المصرية
فلا تحرموا المعهد ولا تحرموا مصر قيله هذا الدور الكبير الذى يتطلب
اليها .

ان الكل هنا يتشوقون الى مصر ويتشوقون بقيت الاجراءات الرسمية
وما أسهلها عندما تصدق النيات وتحسم الارادة المخلصة .

أقولها : المعهد العربى بباريس هدف يستحق . والمنقفون المصريون .
يطالبون بالوجود المصرى فيه . والمتقفون العرب يرحبون ويتمنون .

رحلة باريس

وراء قضبة مضربة الأهرام

النفس الى فرنسا

انها المرة الأولى التي نسافر فيها أنا وطاهر وحدنا ونترك الأولاد .
احساس شجي يستبد بي حتى قبل موعد السفر بأسبوع . أتلمس
التفاؤل وأهرب من اللفظ العارض اذا يتضمن معنى الفراق أو البعد .
أحدق في الاولاد دون أن يشعروا . أعرفهم من طرف خفي بكل
شيء يتعلق بنا . لا أريد التصريح حتى لا يقلقوا أو ينزعجوا . لعل
النميح يأخذون منه حرفية اللفظ لا ما وراءه .

في المطار غمر من الدموع ملاً كياني كله وأخذ طريقه الى عيني
فتماسكت حتى لا يتأثروا . دخلت الى منطقة السفر . . اقدمي تسير
الى الامام ورأسي يتلفت الى الوراء متعلقاً بهم . مشدودة اليهم لا أريد أن
أرفع عيني عنهم . يرعاهم الله لنا غبنا أو حضرنا .

أخاف من ركوب الطائرات . تسيطر على الاوهام . معلقة الطائرة بين
الأرض والسماء . . ومعلقاً معها القلب الانساني بين الخوف والرجاء .
بدأت الطائرة تقلع ثم ترتفع عن الأرض ثم تحلق ثم تعلو ممعنة في
التحليق والبعد .

كان مقعدي الى جوار نافذة . . بعد وقت لاحت منى التفاتته من
خلالها . . رأيت الطائرة تطير فوق بحر من السحاب وكنا نحن الركاب
نرى الشمس التي تحتجب عن الأرض وراء السحاب الذي علوناه .

الرحلة ناعمة رخاء . . يبدو أن الطائرة تقترب من (نيس) فهي
نظير الآن بين السحاب والغباب أرى البحر . .

نيس على البعد . . أرى جزيرة صغيرة على مسافة من الشاطئ . .
نيس . . والشمس . . بشرى . . لقد سبقت رحلتنا أخبار الصقيع
في أوروبا ها هي تى الشمس . ولو أن نيس في جنوب فرنسا وباريس
في الشمال ولكنها بشرى على كل حال .

لم تغادر الطائرة في نيس توجهننا باريس . من جديده أقلعت الطائرة
 . نحن في طريقنا الى العاصمة الفرنسية التي وصلناها في الموعد المحدد
 بالدقيقة .

المرّة الأولى التي أرى فيها مطار شارل ديغول . لقد سافرت الى
 باريس قبل هذا ولكن كانت رحلتنا من مصر بالباخرة الى باريس
 بالقطار .

المطار ضخم مزدحم ولكن هادئ . كل انسان يسير الى وجهته وسيلته
 السلم الكهربائي المنشر في المطار . وجدنا أنفسنا بعد السلالمة الكهربائي
 في قاعة واسعة بها اجراءات الجوزات والجمرك . هناك مكان يذهب اليه
 من معهم أشياء للتسجيل هنا افترض الصدق .

بسرعة أخذنا تأشيرة الدخول وبسرعة وجدنا حقائبنا على السير
 الكهربائي فالتقطناها ومضينا لم يستوقفنا أحد ولم يلاحظنا أحد بأسئلة
 ولم يفتحها أحد .

لم نكنه نخطو الى خارج الجوزات والجمرك حتى رأينا مسيو بواسل
 مدير الادارة - القانونية لجريدة ليموند في انتظارنا يسلم ورحب بنا وقال
 انه اصطحب معه زوجته التي تعرف الانجليزية .

خارج المطار وجدنا سيارة ليموند في انتظارنا قدم لي الرجل المقعد
 الامامي حتى أرى باريس أثناء الطريق شكرته وعرف أنها ليست المرة
 الأولى التي نزور فيها باريس .

في الطريق دار حديث الاخبار والجو كالعاده ولم يفتنا بالطبع
 التنويه بالشمس التي استقبلناها في باريس أو استقبلنا أو لعلها قادمة
 معنا من القاهرة . قدوم حسن وطيب . وضعنا دعاية وتيمنا .

باريس على البر جميلة ولكن القاهرة كانت تكون أجمل لو منحناها
 نصف ما نلمسه من نظافة العاصمة الفرنسية .

وصلنا الفندق . فندق رتشمند . فندق فاخر أنيق فيه رضى
 للذوق المترف في كل شيء فضلا عن توسطه العاصمة فعلى بعد أمتار ان
 لم يكن خطوات ، الاوبرا ، وأكبر محلات باريس لافايت وبرتامب
 (الربيع) والمطاعم ودور السينما وكل ما يريده الانسان من باريس مما
 وقر لنا قضاء الكثير من الرغبات والأغراض .

صعدت حجرتي بالدور الرابع بالفندق • حجرة جميلة تشرق بالذوق والجمال والدفء •

في حجرتنا بالفندق وجدنا الحمام الفاخر الندفئة المنتشرة في كل ركن • وجدنا التليفزيون والتليفون والثلاجة وصينية المرطبات وألوان الشراب ومتى ؟ في يناير أوروبا •

وجدنا الذوق الغنى في الألوان والاثاث حتى الجدار •
وجدنا فازه كبيرة جميلة مملوءة بالورد ومن بينها ورد بلدى يقول •
والى جانبها علبة كبيرة من الشيكولاته •
وبطاقات التحية من المستشار القانونى لجريدة
ومن مندوبها الصحفى فى القاهرة مسيو جان بيير هوجو

وخطاب منه أيضا يؤكد اعداده لاقامتى فى باريس وكيف أعلن هذا
للسفارة المصرية ومندوبة - الأهرام بباريس •
ووكالة أنباء الشرق الأوسط

وصفحة بعناوين وتليفونات جريدة ليومند ومسيو بواسل ومسيو
جان بيير والسفارة المصرية والملحق المصرى الثقافى والملحق المصرى
الصحفى •

وممثل مصر فى اليونسكو الاستاذ سعيد ذو الفقار
ووكالة أنباء الشرق الأوسط

والصحفية المصرية عائشة عبد الغفار مندوبة الاهرام بباريس
والسيدة نهى خليل الصديقة المصرية لى ولمسيو جان بيير ولهضبة
الأهرام •

وكم من صداقات مصرية ولدت فى باريس كاملة النمو •

المصرية زينب التى جاءتنى من تلقاء نفسها فى الفندق تدعونى الى
قضاء يوم فى المدينة الجامعية وأكبر من دعوتها قولها : فى الليالى العظيمة
فى الغربية غربتنا فى باريس وسط مكايده الصهيونية واثمارها بكل ما هو

عربي بعامة ومصرى بخاصة ، كان كتابك شخصية مصر يحضن خوفي •
كنت أتدثر به في قلقي فأهدأ ••

هل أنسى ؟

وجدت على المائدة نوته فاخرة للسنة الجديدة وأوراق للكتابة وكتاب
دليل بالانجليزية عن باريس لفتات مسعدة •

عندنا ننتكلم كثيرا عن الايمان والكفر مع أن الدين المعاملة ، كما
يقول تراثنا •

على ضوء هذه المعاملة أليس هؤلاء القوم مؤمنين ؟ بالقياس الصحيح ؟

في المحكمة

وصلنا المحكمة • بناء ضخم مهيب يتقاما الى جانبه مبنى مجلس الدولة المتآكل الدرج المحدود القاعات المتواضع الاثاث •

أشار الملحق الصحفي الفرنسي بالقاهرة مسئلو جان بيير الى بدروم مظلم كانت النورة الفرنسية تتحفظ فيه على الملكة ماري انطوانيت ويقول جان بيير : مسكينة في نطق مرقق بين العربية والفرنسية ولم أضحك هذه المرة فالطغاة لا يستحقون اشفاقا لم يعرفوه ولو أن ماري انطوانيت قد يشفع لها صغر سنها ونشأتها الملكية المترفة التي تجهل الفقر بالطبع والطبيعة لا أن تعرفه وتتجاهله •

تناولنا غذاءنا في مطعم المحكمة • كان غذاء شهييا حقسا • كانت تقدمه سيده متقدمة في السن ولكنها كانت خلية من النحل لا واحدة وكانت حاضرة الدهن لا يفوتها شيء على كثرة من تخدمهم •

أنتقلنا الى قاعة المحكمة في الواحدة والنصف أقصد قاعة الجلسة التي تتبعها القضية في أكثر قاعات المحكمة وأعمدتها وطرقاتها وأبوابها وقبابها ونقوشها وأبوابها الحديدية الضخمة المزينة بالنحاس الأصفر •

في المحكمة

دخل القضاة في هالتهم دون أن يصيح حاجب : محكمة

بدأت القضايا وأصحابها • همس جان بيير في أذني مونك مويش بتهنيش (يقصد مونك ماجاش •

القضايا التي نظرت في البداية فيها طرائف كثيرة فرجل عض زوجته ، وفنأة صغيرة سرقت من محل أدوات ماكياج • تتزين المرأة وان لم تجد •

تسرق وتزني • ليتها لا تتصدق على الجمال •

سيدة شابة تقوم بدور الحاجب فهي تنادى على القضايا • وهي تصحب الشهود الى خارج القاعة وتأتى بهم اليها •

نظام المحكمة الفرنسية فى الشهادة أن تسمع كل شاهد على حدة • ولهذا تخرج الحاجبة بالشاهد الآخر من باب جانبى فى القاعة يفضى الى حجرة مغلقة. ينتظر بها الشاهد حتى يطلب • • والحجرة ليس لها منفذ آخر حتى لا يتصل به أحد ، الى أن تأتى الحاجبة لاصطحابه الى قاعة الجلسة عندما يحين دوره •

ومررت بهذه التجربة ولكنى حين مثلت أمام القاضى للشهادة أسرابت أعناق المصريين فى القاعة بل تطلع الى الحاضرون جميعا منهم مدام روشيه نوبل كوز وزوجها رجل اليونسكو ، ، وأعضاء سفارتنا وجامعة السوربون وفرنسيون يكتبون عن مصر ، وهصريون يتلقون العلم فى فرنسا • هذا ومن بنوه سواء بسواء •

كان يوما مشهودا وقف فيه الله الى جانب مصر حين يسر أسرى بمدد منه وتوفيق •

حاول محامى الخصم أن يزعمنى • • سأل ولماذا لم تكتبى مصادرک التى تتحدثن عنها فى كتابك ؟ فجاء جوابى محددا الصفحات بل الاقتباسات التى أخذتها بنصها الانجليزى مضافا اليها ترجمتى العربية للنص •

سألنى محامى الخصم : هل دفع مونك مليون جنيه كما ذكرتم ؟ - لا تسألنى عما دفع ولو كان مئات الملايين وهو ما لم يحدث • لقد دفع قطرة مما أخذ منا •

دفع من ثمن أرضنا التى باع ٥٪ من أرض الهضبة فقط بشمانية ملايين أودع نصفها فى الخارج فى بنوك انجلترا بالمليون الذى تتحدث عن حفنة من ترابنا •

سألنى القاضى ما الذى أثار مخاوفك بالدرجة الأولى ؟

- تشويه البيئة الأثرية بالاسكان وما يلحقه والبحيرة التى أزمعوا

حفرها بحجم ١٢ فدانا تحت أقدام الهرم هو الذى عاش على الجفاف.
مرتفعاً على منسوب ماء النيل .

سألتى محامى ليموند ماذا كانت تقول القاهرة قبل مقال ليموند ؟

— اشتعل رأى العام المصرى والعالمى لما يراد بالهرم وبما انكشف
من حقيقة المغامرين . بعد كتابتى وكتابه أساتذة من جامعة عين شمس.
والاستجواب الذى قدمه مستشار سابق بمحكمة النقض وهو الاستجواب
الوحيد الذى نجح على فلة الاستجواب الناجحة في مصر .

وكتبت التيمس وصحف أمريكا وأوروبا وآسيا فلم يكن فى وسع
مندوب ليموند أن يضع يديه فى جيبه ويقف متفرجاً .

ولم يكن فى وسع جريدة عالمية مثل ليموند أن تكتفى بقراءة
الموضوع فى الصحف الأخرى .

— هل سبق أن وصف القاهرة فى مونك بأنه مفلس قبل مقال
ليموند ؟

أنا المسئولة وحدى عن هذا الوصف فقد جاء فى كتابى ص ١١٩
عن اصحاب المشروع انهم مفلسون مطردون من شركة كليرتون لكنسا
استنادا الى المجلة الكندية الاقتصادية الصادرة فى بلدهم بل استنادا الى
مضبطة البرلمان الكندى وعن مقاطعة نوساوشيا .

لقد كتب مراسل ليموند منسيو هوجو بعد أن أطلع على وثائقى
وبعد أن صدر الحكم فى صالحى ، ضدهم ، وبعد أن نقلت عنى الصحف
والاذاعات فأنا المسئولة وحدى عن كل ما قيل فى هذا الموضوع .

لقد جاء فى العقد انهم سيمنون مدنا سياحية وحدائق وملاعب الخ .

هل هذا كله يقابل نصف مليون دولار ؟

هل قصدت مصر بالانفتاح نصف مليون ان المشروع كما هو وارد
فى العقد لو حازت صحته من النواحي الأثرية والهندسية وهو جريمة
فى تقديرها يتكلف آلاف الملايين من الجنيهات ويتطلب أن تقوم به شركة
علاقة من ناحية المال والتكنولوجيا والسمعة لا شركة وهمية .

ماذا يعنى نصف مليون دولار فى عصر التضخم ؟

ان المشروع قام على الايهام ايهام النعيمير وهو تخريب فأى وصف
يوصف به انما هو باب تسميتى للأشياء بأسمائها .

وتقرير لجنة الخبراء المصرية الحكومية يدين المشروع أصحابه ماليا
وقانونيا وحضاريا .

وسألنى القاضى فى نهاية شهادتى أن كنت أريد إضافة أخرى فقلت
انى باسم أقدم حضارة يشرفنى الانتماء اليها باسم مصر الحضارة
أشكر فرنسا المدنية لوقفها مع مصر ثلاث مرات .

الأولى يوم حلت رموز حجر رشيد

الثانية يوم أسهمت فى انقاذ معبدى « أبوسمبل »

الثالثة يوم أيدت مقاومة مشروع هضبة الأهرام .

وهنا وقفت مدام توبل كور وهتفت - على غير عادة المحاكم
الفرنسية - برافو برافو برافو .

وكان هناك هتاف آخر أعلى صوتا، وصلنى بدون حروف .. هتاف
لمعت به عيون المصريين فى القاعة . ان مصر فى عين المصرى وقلبه أينما
حل وحيثما كان .

لقد قدمنى محامى جريدة ليموند تقديما حافلا واستشهد بكتابتى فى
مرافعته مرات .

مرات يتجه الى القضاة قائلا : ماذا قالت ليموند الى ما جاء بكتاب
دكتورة نعمات ؟

ماذا قالت ليموند لم تقله القاهرة ولندن وباريس وكندا والعالم
كله ؟

مرافعته ممتازة كل نقطة كان يضمها ملف مستقل . لقد تشرب
الموضوع بما لا مزيد عليه وزارد على وثائقنا وثيقة جديدة هى كتاب صدر
فى كندا يصور أبعاد قضية كليرتون ومونك .

وبعد أن عدت الى القاهرة رتبت من الحصول على الكتاب من كندا
وحصلت عليه .

وقدمته بعد هذا الى الدفاع المصرى فى قضية التعويض التى رفعها

الأفانقون ضد مصر من باب استلاب أى شىء والنصاب عادة يقدم خطته على واحدة من اثنين :

أما الظفر بالغميمة أى الصفقة

واما التعويض

كان أروع ما فى مرافعة المحامى الفرنسى استهلالها بقوله : اننى حزين ان محامى الخصم تكلم عن مونك ولم يتكلم عن الاهرام الذى تعلمه لنا المدرسة أطفالا أول ما نتلقى فيها من دروس وأول ما تعلمه لنا الجامعة أيضا وأول ما نتلقى فيها من محاضرات •

ذكرت مونك ومليون دولار ولم تذكر بماذا يقدر الهرم ؟ هل هناك مال كفاء للهرم ؟

ووقف المدعى العام ونقض كلام محامى الخصم مع أن المفروض أن المدعى العام يمثل الانهام ويدين ولا يبرىء •

لقد قال لى ، بعد عودتى ، الاستاذ مصطفى مرعى •• لقد كانت هذه القضية خاسرة لولا شهادتك فالقانون الفرنسى ، لا يعرض فى حالة الاتهام ولو كان واقعا ملموسا ، الا ذلك الذى يوجه الى موظف الحكومة عند اثباته ، تحصينا لمال الشعب بجعل المواطن رقيبا من خارج السلطة على الموظف العام •

ولكن شهادتك وانتقالك عبر البحار سيده مصرى بل كاتبة مصرية جعل للقضية وزنا أدبيا وحضاريا فوق كل اعتبار •

ورفعت الجلسة فى الثامنة الا ربعا مساء بعد ست ساعات ونصف تخللتها استراحة دقائق لا تتجاوز خمس دقائق •

وخرج المصريون متهللين اصطحبنا الملحق الإعلامى المصرى الدكتور ممدوح البلتاجي الى الفندق فى سيارته ويقدر هو بوقفتى أى بشهادة الحق كانت ثقته على المترجم الذى لم يرتفع فى رأيه الى مستوى الأصيل الغربى للشهادة •

حديث فى الثقافة :

باريس •• مدينة الحرية والأوبرا والموسيقى وفيكاتور هوجو

زرتها للمرة الأولى سنة ١٩٧٣ • كان الشهر أغسطس ولكن المطر
قدم نفسه لنا صيفا • أما المرة الثانية فقد زرتها فى يناير هذا العام •
طبيعى المطر ينهمر •• الشوارع مغطاة بندف الثلج « النيج » كما
يسميه الفرنسيون • باريس فى غلالة بيضاء ناصعة البياض • السائرون
يحتمون من الطبيعة : الرؤوس تحت المظلات ، والأجسام خلف الماطف
الثقيلة •

حتى فى الليل تسير الناس فى شوارع باريس ناشرة المظلات
لتتقى المطر المتدافع •

- منظر غريب المظلات فى الليل
- يالالى القاهرة عودى
- لم يمض يوم وشفنى الشوق يا حبيبة
- يالالى القاهرة جودى

على الآلام والمصاعب أنا بك عزيزة •• بعيدا عنك غريبة
يالالى القاهرة

يالالى القاهرة حيث الشتاء ربيع ، والهوى جميع ، والدفء
سلام ، ووثام ومحبة •

المظلات والاحذية ذات الرقبة العالية هى السائدة •• الأطفال
يلبسون (بوتا) من الفراء كأنهم حيوانات صغيرة • ولكن الحياة ماضية
لا تتوقف ، وسريعة الايقاع جدا •

بعد ساعات هدأت الامطار •• الشوارع نظيفة مغسولة •• مال

الرجو الى الدفء نسبيا . . الدفء الذى يحسه المرء عادة بعد المطر أو غب المطر كما يقول النحويون .

كل شىء فى باريس نظيف أنيق مألوق ولكنه باهظ الثمن أيضا .
العربية نقرأها فى المحلات العامة ، وفى دليل المدينة ، والاعلانات
لأن أصحابها منتشرون فى باريس تسبقهم نقودهم .

منذ بضعة قرون كانت العربية يتعلمها الغربيون استشرافا
واستشرافا حين كانت للعرب دولة فى الاندلس . يومئذ كانت العربية
لغة العلم والحضارة لغة الأدب الى وقت ليس ببعيد ففى أوائل القرن
الثامن عشر نقل كتاب (ألف ليلة وليلة) الى كل لغة حتى قال فولتير
انه لم يزاو من القصص الا بعد ان قرأ ألف ليلة وليلة أربع عشرة
مرة . وتمنى القصصى الفرنسى (استندال) أن يمحو الله من ذاكرته
كتاب ألف ليلة وليلة حتى يعيد قراءته فيستعيد متعته .

وقد اقترنت بموضوعات الأدب العربى أسماء طائفة من عباقرة
الشعر فى أوروبا بأسرها خلال القرن الرابع عشر وما بعده منهم
« بوكاشيو » « ادنتى » و « بترارك » الايطاليين ، و « شوهر » الانجليزى
و « سرفانتس » الاسبانى . انه موضوع كبير يستحق العودة اليه
بتفصيل . فقط اسجل هنا أن أوروبا بعامة وفرنسا بخاصة كانت تأخذ
عن العربية علمها بل قوافيها وألفاظها مما سجله شعراء التروبادور حتى
قيل ان كلمة « تروبادور » من الطرب .

أخذ الغرب عن العربية من اعجاب ، ولكنها اليوم تشق طريقها بقوة
الريال والدينار . . انها قوة على كل حال

حين دعتنى جريدة ليموند لزيارتها ، كان همى أن أرى رحلة الحرف
ما بين الصفحة التى خطه عليها كاتبه ، وبين الصفحة التى يطالعها فيها
قارئه . . رحلة طويلة مضمينة ولكنها تتم فى ساعات

من أكبر نعم الحضارة الحديثة : الطباعة . وقد يسع المال أن
يشترى أشياء وأشياء ولكن مال الدنيا لا يشتري صحيفة ذات قيمة ،
أو كتاب ذا عطاء ، ساعة الطلب أو فى أى وقت .
خرجت فى جولة على الاقدام مع مرافقة فرنسية . ذهبنا الى قصر
لويس الثالث عشر يمتد أمامه ميدان واسع مستطيل

أهم ما فى هذا الميدان ليس القصر أو أصحابه ولكن بيت الشاعر
الكاتب الفرنسى فيكتور هوجو . ان فرنسا ليست ، آل لويس ولكن
« فيكتور هوجو » و « فولتير » و « الاوبرا » و « باستور » وقيم الفن
والعلم والحضارة .

الناس مثلى يذهبون الى بيت « فيكتور هوجو » . يدخلون المتحف
على يسار الداخل حجرة زجاجية صغيرة لقطع التذاكر . التذكرة
فيمتها ثلاثة فرنكات أى نحو ستين قرشا أى ثلاثة أضعاف – تذكرة
المتحف المصرى بكل ما تعنى كلمة المتحف المصرى .

فى بيت فيكتور هوجو أى متحفه ، كل شئ يروى بالكلمة
والصورة . طفولته . ورفاقه . المدارس التى تعلم بها . معلموه .
ناظر المدرسة . رسومه وهو صغير . صورة فى ملابس مختلفة .

شبابه . أعماله . معاصروه .

أسرته . أمه . أبوه . زوجته . أولاده . أحفاده . أولاده
الخالدون أى كتبه فى طبعتها الأولى .

لوحاته . لوحات رسمها الفنانون لشخصيات رواياته كالبؤساء .
غلاف كل كتاب .

ما كتبته عنه الصحافة حتى الكاريكاتير الذى رسم له ولشخصياته
الكرسى الذى كان يجلس عليه وقد أحيط بكرودون حتى لا يجلس
عليه غير فيكتور هوجو فهذا الكرسى لا يملؤه أحد .

وامتلات عيني بالدموع حين تذكرت بيت أم كلثوم الذى باعه من
عاشوا بأم كلثوم ، وفى كنف أم كلثوم .

وترحمت على الوفاء .

طافت الصديقة الفرنسية بعد هذا ، بى ، الحى القديم حيث تباع
النحف والأشياء القديمة ثم حى اليهود . . . وتقول السيدة : لم يعد
اليهود (جيتو) فى باريس ومع هذا يتجمعون فى هذه المنطقة حيث يجد
المشاهد محلات خاصة بهم . . . يجد الطعام الخاص بهم . . . معبدهم . . .
عاداتهم .

بعد هذا ذهبنا الى ميدان بومبيدو أو ميدان بوبو كما يقول

رحلة – ٣٣٧

الفرنسيون مع اختلاف بسيط بينهم وبين المصريين فى تسمية نجمهم الخطيب « بيبو » .

هناك المبنى الضخم الحديث الذى أراده بومبيدو ، مجمعا للفنون الحديثة ومكتبة عامة . ولكن هذا المبنى يثير غضب الفرنسيين المتعلقين بعاصمتهم الجميلة باريس ذات الطابع الخاص فى البناء .

انهم يعتبرون هذا المبنى نشازا فى السمفونية المجسمة التى اسمها باريس . كان الله فى عون القاهرة التى جعلنا منها كرنفالا متنافرا فى كل شئ ، وفى كل ناحية منها ، لا ميدان واحد فحسب .

سرنا سيرنا سيرا طويلا . . . واذا بالسيدة الفرنسية تلتفت الى وتقول . . . هنا شارع سان دى فى حيث تقف الخطيئة فى كل ركن . . . وعلى مقربة من هنا كنيسة أوستاش الشهيرة Eglise stenstache .

وامتزج صمتى بدهشتى فقالت : لا عليك . الناس الآن لا يذهبون الى الكنائس . واذا ذهبوا فانهم يقصدون سماع الموسيقى .

عيب العواصم الكبيرة انها تجمع أخلاطا من الناس والأخلاق والسلوك .

مررنا بميدان لويس الرابع عشر . تمثاله على حصانه يتوسط الميدان . لم يتعثر شئ . . لم يزيغ شئ . . لم ينسك شئ . لم ينتحل شئ .

عادت معى الصديقة الفرنسية الى الفندق . . تحدثنا عن الأوبرا والموسيقى والأدب . قالت : لقد انحدر الأدب الفرنسى اليوم لكثرة أدياء الكتابة ، ومحترفى الأدب ، مع السرعة ، والرغبة المحمومة فى الكسب . اننا الآن نلتمس الكتابة الأدبية عند أهل جنوب فرنسا حيث يهيئهم لها قريهم من الطبيعة . . من الشمس والبحر . . ثم بعدهم عن العاصمة حيث الصراع يدور على كل شئ .

جاء ذكر اللغات . قالت محدثتى : قلما يحسن الفرنسيون لغة أخرى . قلت : فى جمال لغتهم وأناقتها ورقتها ما يكفيهم . ضحكتم السيدة الفرنسية فى زهو لا يخفى وأمنت على قولى .

كنت صادقة معها فهذا رأى فى اللغة الفرنسية ولكن يبقى ان كل لغة نافذة جديدة واسعة على العالم ، وكل لغة تفتح لصاحبها باب

أصحابها ٠٠ باب ديارهم وباب قلوبهم فى وقت واحد ٠ ويبقى بعد هذا .
وفوقه ، ما أثار عن الرسول الكريم : (من تعلم لغة قوم أمن سرهم) ٠

وهنا حملت بينى وبين نفسى شهرةنا التقليدية باتقان اللغات
الأجنبية حتى منذ عهد الملكة حتشبسوت كما يسجل هذا «الدير البحري»
وهو معبدها بالأقصر ٠

ومع حب الفرنسيين ، باريس ، اذا سألت فى فرنسا عن عنوان
أو طريق ، لا تجد من هو أعلم منك به فى الغالب ٠

ان الفرنسيين يسرون فى باريس بالخريطة ! وباريس أصغر حجما
من القاهرة ٠ ولكنهم يعرفون باريس « القيمة » ٠ ونحن على النقيض ٠٠
نعرف شوارع القاهرة لا قيمتها ٠

فاليرى جيسكار ديستان

نعرف أن الفرنسيين مؤيدين ومعارضين ، يحترمون دكتور فاليرى.
جيسكار ديستان رئيس فرنسا فى السبعينات ٠ وأنا مثلهم أحترمه
لثقافة والدماثة معا ٠

وتوقعت أن أقرأ عنه كثيرا فى الصحافة الفرنسية ٠٠ وأراه كثيرا
على الشاشة الفرنسية ، وأسمع عنه كثيرا من الاذاعة الفرنسية ٠٠
ولكنى خلال عشرة أيام فى باريس كنت خلالها أتابع البرامج وأقرأ
(ليموند) و (الفيجارو) يوميا ٠٠٠ لم أر صورته الا مرة واحدة فى
الصفحة الثانية من جريدة الفيجارو فى ركن محدود من هذه الصفحة ٠٠٠
بينما قرأت عن المخرج المصرى يوسف شاهين فى الصفحة الأولى من جريدة
ليموند عدد الجمعة ١٢/١/١٩٧٨ ٠ وعرفت ديستان أكثر ٠

أحضر لنا المستشار القانونى عدة نسخ ٠٠٠ من جريدة ليموند
بمناسبة قضية هضبة الأهرام التى وقفت فى ساحة المحكمة الفرنسية
شاهدة عليها ، وفيها ٠

طبعا الجريدة أبرزت القضية فى صفحتها الأولى ٠

وبهذه المناسبة عناوين الصفحة الأولى وسائر الصفحات على السواء
فى الصحف الفرنسية مدة اقامتى بباريس مثل ليموند ٠٠ الفيجارو الخ
هى عناوين كل الناس ٠٠٠ حتى الأخبار السياسية عناوينها دقيقة
وموضوعية ومتبعة أى منسوبة الى بلاد مختلفة ٠٠٠ عناوين أحداث
لا أفراد ٠

فى فرنسا لا تتشابه الأيام أو الصحف • لكل كيان ووجود وسمة خاصة •

لكل رأى وأسلوب يمليه ضميرهم وحده •
الناس هنا يحبون حياتهم •

المتشابه فى باريس طرز البناء • والتشابه هنا محمود • انه يعطى طابعا خاصا للمدينة ليس فيها التنافر فى الشكل أو الحجم أو الأسلوب •
ليست باريس كرنفالا كالذى صنعناه بالقاهرة • حتى ارتفاع البيوت بكاد يكون واحدا كأنه محسوب بالمسطرة •

فى باريس هدوء ساج • ليس هناك اختلاط فى الأصوات أو الحركات أو الميكروفونات أيضا •

ميدان الكونكورد يشرف ويزدان بالمسلة المصرية • انها السفارة الكبيرة لمصر • الفرنسيون يحبونها ويعتزون بها • وهم الآن يحاولون نفي التهمة عنهم فيما يتعلق بها • انهم يرددون على مسامعنا أنها أهديت اليهم فى محاولة نفي اغتصابها • وعلى سبيل التأكيد أو الاقناع ••
اقناع أنفسهم واقناعنا - يقولون : (محمد على) أهدها اليهم •

قلت لمحدثي الفرنسي : لا عليك لقد كنا فى الماضى نحزن ونفضب لما خرج من آثار مصر ولكننا اليوم ونحن نرى ما عندنا يتبدد أو يتهدد ،
نعترف بأنكم أرحم منا بآثارنا وأكرم صونا لها وأكثر تقديرا •

مأساة أن يصبح الانسان أو الأثر وهو انسان مصفى لا يعلق به لحم أو شحم •• انسان بما أودع فيه من قلب صاحبه •

مأساة أن يصبح كلانا غريبا فى وطنه •

الصحافة .. الثقافة .. المسرح فى فرنسا

دعانا رئيس تحرير جريدة ليوموند ميسيو فوفيه الى مقابلة للترحيب بنا وتوديعنا . تمت المقابلة فى مكتبه . مجرد حجرة واسعة بها مكتب خشب الجوز ومنضدة اجتماعات و ٢ فوتي .

رئيس تحرير ليوموند العالمية التى تستطيع أن تقيل حكومة ولكن الحكومة لا تملك شيئا للموند ومع هذا المكتب خال من التهويل والتضخيم فى الأثاث أو الديكور أو السكرتارية داخل «الأبواب والحجائب خارج الأبواب» .

رحب بنا الرجل الكبير قائلا : أرحب بكم أهل مهنة واحدة هى الكتابة والرأى .

سألنا هل الصحف المصرية نشرت عن قضية ليوموند أى قضية مصر التى وقفت فيها ليوموند ؟
- واجبت بالإيجاب .

المسرح الفرنسى :

رأيت مساء الجمعة ١٢/١/١٩٧٨ مسرحية فرنسية .

المسرح الفرنسى لا يتقيد الآن بالمسرح الافريقى القديم . لقد أسدل الستار مرات عديدة المسرح الفرنسى مناظر لا فصول وجمهوره مثلثا يحب القفلات الدرامية ومن تقاليده أن تقدم البطلة سائر الفنانين المخرج ومصمم الملابس ومصمم الديكور والسيناريست والممثلين والممثلات واحدا واحدا وأخيرا البطل الذى يقدمها فى النهاية .

المسرحية التى شاهدها :

الشارع الفرنسي

على الحقيقة لا المجاز • مررت صباح يوم بعامل يحفر فى الرصيف
بالة كهربائية • ووقفت على بعد أقرب ما يجرى ••• كان العامل يحفر
كانه يقيس بمقياس دقيق ، والحفر طوله نحو ثلاثة أمتار ولكنه مهذب
الجوانب متساو ••• ذكرنى ببائع البسبوسة وسكينه القطع وكيف يقطع
فى سرعة واستواء • وتظل الصينية بعد هذا مستوية فى مكان الخط •
ومضيت لقضاء عمل • وفى عودنى بعد ساعتين ونصف تقريبا كان
الرصيف قد استوى ناعما ممهدا كأن لم يكن به شيء • وظننت أنى ضللت
الطريق ! ان النكتة المصرية تعلم الشوارع بالمطبات والحفر •
عمل هو احترام المكان أو الانسان •
انه كلاهما فى فرنسا •

فرنسا والثقافة :

بالفندق دفتر كبير أسبوعى هو قوائم بكل ما يهم الانسان المقيم
بباريس بعد حصر شامل •
للمسارح •• الحفلات الموسيقى ••• لدور السينما •• للمطاعم ••
المقاهى •• الملاهى • كل شيء •
أهم مالفت نظرى فيه قاعات المحاضرات وكيف أن هناك رسم دخول
لسماع أى محاضرة •
وهو مؤشر الى قيمة الثقافة فى هذا البلد ••• هناك يدفعون مالا
لسماع محاضرة • وعندنا بدون مقابل ويقبل عليها الأقلون بعد رجاء فى
معظم الأحوال • هل كل الناس هنا يجدون رزقهم رغدا وحرىاتهم مكفولة
مفرغوا لنعيم الروح من ثقافة وفن وألوان النرف العلى ؟
ولكن هذه الصورة تقابلها بكل أسف صورة أخرى فى مكان آخر من
باريس •

محطة المترو :

محطة سالزبورج فيها عربيات يسألن الناس الحاجة • تالت ••
لماذا ؟ ان المهاجر ينطوى على طموح ورغبة فى العمل والمقاومة والكفاح •
فهل ترك هؤلاء ديارهن للتسول فى بلاد الغرباء ؟

أما يكفى مافى بلاد العرب من مآخذ حتى نعبر بها البحر وننشرها
هناك ؟

حتى العرب فى فرنسا معرض للاهمال واللاوعى . الأكشاك الزجاجية
للتليفونات مكسورة . . . تحطيم وتخريب فى كل ناحية . . والحكومة
الفرنسية تترك هذا يجرى كأنها سعيدة به . ولو شاءت إيقافه لسهل
عليها الأمر . . . الانضباط سهل ولكنهم يريدون محاربة العرب
بسلحهم . .

أشياء كثيرة ظاهرة وخفية ضد العرب فى الغرب والولم الأكبر يقع
عليها أولا فنحن نعطيهام مادة للتشهير الصامت والناطق ، بنا .

ميدان الباستيل :

ميدان الباستيل يقوم فى وسطه نصب شامخ الارتفاع عليه نمثال
على شكل ملك طائر .

وكان يقوم تحته فى الماضى سجن الباستيل ان الحرية كرمه .
وكل معنى كريم يعيش فى النور أما السجن بظلمه وظلامه فقد اختار تحت
الأرض لأن الجريمة بطبعها ترتكب فى اختفاء والتواء .

البيوت الفرنسية :

البيوت والعمائر فى فرنسا ليس عليها بوابون يتمطون فى
الشمس . الأبواب مغلقة والقاصد أى شقة من الشقق يضغط على جرس
الباب الخارجى للعمارة فيفتح ثم يغلقه وراءه . ويترجى بعد هذا الى
مقصده .

ان المهن الطفيلية أو القمئية لا وجود لها فى فرنسا .

ليس فى فرنسا بائع يانصيب أو ماسع أذية أو منادى سيارات .
انى لا أوافق برتراند رسل فى رأيه فيها فقد نادى الرجل بصرف بدل
قماء لأصحابها . ولكنى أرى الحل فى استبدال مهن أخرى كريمة
بها

الصحافة الفرنسية :

كالإذاعة الفرنسية مسموعة ومرئية للانسان الفرنسى رجولة . .

حول أمانيه واهتماماته واقتصاده وفنونه وعلومه وما يجرى في العالم خارج وطنه .

ليس في الإعلام الفرنسي بكل قنواته حديث معاد غليظ عن علاوات المواطنين الفرنسيين فهذا حق لا بد لأحده فيه . وليس في الإعلام الفرنسي تصريحات حكومية أو شرايط ومقصات أو أحاديث موسوعية أو توجيهات أو مطولات تحتكر وتحتقر وقت الانسان .

كل انسان له دور ووجود وذات وحساب ونخصص فلا يستمد طبيب مثلاً طبه من مهندس لأن المهندس وزير الصحة وهذا لا يحدث في البلاد المتقدمة لقد كنت ، أقرأ الصحف في تفصيل وأحرص على مشاهدة وسماع البرامج ثم انتهت زيارتي لفرنسا بعد عشرة أيام لم أعرف اسم وزير أو كبير .



حدث أن قامت مظاهرة في باريس فاذاً بالتلفزيون الفرنسي يعرضها في كل نشرات الأخبار ذلك اليوم الذي حدثت فيه بالصوت والصورة وكم يحدث عطل فني عند هذه اللقطة .

الأغاني في فرنسا للحياة . . للناس . . الفن في هذه البلاد كبير كبير غال : الكلمة والوقت والانسان .

برنامج ديني

شاهدت يوم الأحد في التلفزيون حديث ديني يذاع من الكنيسة لم يكن الحديث يتولاه رجل واحد بل ثلاثة من رجال الدين عندهم ، كانوا يتناوبون الكلام وان كان أوسطهم له الصدارة وأكثرهم تولية للمراسم والطقوس .

وكان في ركن الكنيسة كورس من المنشدين والمغنين تقوده سيدة مدينة جمّة النشاط .

وكان هناك بيانو ومايسترو في الجانب الآخر وقد اشترك الحاضرون في أوقات مختلفة في الغناء تارة ، وفي الصلاة تارة أخرى . وفي جزء من هذا الحفل الديني الحافل كان رجل الدين يدعو والحاضرون يؤمنون . . . يقولون Amen المنقولة عن الكنيسة المصرية ، المنقولة عن المعبد المصري .

وعن الكنيسة المصرية ورثت الكنيسة المسيحية في كل مكان الموسيقى . ان أقدم موسيقى كنسية في العالم هي موسيقى الكنيسة المصرية التي ورثتها بدورها عن المعبد المصري وما تزال بعض القطع الموسيقية بأسمائها الهيروغليفية الى اليوم مثل اللحن الستجاري والدهن الاتريبي . الخ (١) .

الحقيقة كانت الموسيقى التي صاحبت هذا الحديث جميلة رائعة . أما الحديث فانه مثل سائر الأحاديث الدينية في كل بيت من بيوت العبادة يحض على خير ويعلى من قيم العدل والصدق . ولعل تأثيره يعود الفضل واضح النبرات . . . وكثيرا ما يصل الخفوت الى قوة التوثيق الأكبر فيه ، الى أسلوب الأداء . فقد كان رجل الدين هادئ الصوت والتصديق .

ان المسيحية في بساطتها ودمائتها ونواضعها لم تمنع الكيسة في الغرب من أن تعبط نفسها بهالة كبيرة من فنون الصوت والرسم والنحت والزخرفة بهالة كبيرة من المراسم والطقوس والشارات والملابس الخاصة والسمت المعين والفواصل في المعمار ، بين رجال الدين وعامة الناس تجعل لهم مكانة مميزة فان هذا التنافير المكثف له وقعته على النفوس وخاصة بين البسطاء والأتقياء .

وتذكرت كتاب رودلف اوتو (فكرة المقدس) (٢) .

ما أروع احساس الانسان بأنه مع الله بلا وسيط وفي أى مكان وزمان . على أن الدين لله تحت أى اسم وهو خير كله .

وتذكرت أيضا قول رينان ذلك الفيلسوف الفرنسي الذي حارب الاسلام في حدة وشدة ثم قال في النهاية :

(اننى ما دخلت مسجدا قط الا اعترانى شعور بالأسف على اننى لم أكن مسلما) .

ليس أشد أسرا للنفس الانسانية من البساطة والسماحة ، على العزة والاقتدار .

(١) كتاب (شخصية مصر) للدكتورة نيمات أحمد فؤاد .

The Idea of the Holy by : Rudolf Otto.

(٢) كتاب

ان الزمن الطويل بيننا وبين مولد الأديان بعد بنا عن المنبع المتدفق
فى سلاسة محببة تسنولى باليسر الرقيق على النفوس والعقول .

ما أبغيه هنا هو أن يكون حديثنا عن الدين حديث متحضرين فى
صوت هادى عميق ليعمق أثره فى النفوس . وقد أمر الاسلام المتحدث
أن يخفض من صوته حتى الجدل بله الحديث أمر فيه بالأسلوب الأحسن
وليس من هذا ما يفعله بعض الخطباء فى يوم الجمعة وليس من هذا
صخب الميكروفون فى أصفى كلمات .

العودة :

بدأت رحلة العودة بعد الشوق . . شوف الليالى العشر جاءت مندوبة
ليمود فى الساعة الرابعة لأن طريق المطار يفقدون له ساعة لما يحدث
به كبير من تعطيل . واصطحبتنا فى سيارة الجريدة فاذا بنا نصل الى
المطار فى ثلث ساعة .

لباريس عدة أبواب للخروج . . . باريس ذات الطابع الواحد حنى
ان العمارات الأمريكية - المربعات والمستطيلات لم تجرؤ على الظهور
الا خارج حدود مطار شارل ديغول له نيف وثلاثون بوابة وقد
كان دخولنا من رقم ٦ الخاص بالاييرفرانس . كل شئ تم فى هدوء ويسر
يانع حتى اننا نزلنا بالسلم الى Nuri أو الكهربائى الاتوماتيكي الى
أسفل المطار فاذا به مدينة كاملة . عديد من المطاعم النظيفة والمحلات
النحارية لكافة السلع ، الانتقال فى المطار حتى من جهة الى أخرى على
نفس المستوى يتم اتوماتيكيا وقد لاحظت هذا فى محطات المترو . فى
فرنسا نستطيع أن نعبر شارعاً طويلاً اتوماتيكيا .

تقدمت الى جمرك المطار لاعتماد خصم التصدير على مشترياتي فلم
يسألنى عن هذه المشتريات ولم يراجعنى أو يراجعها اعتمادها فوراً .

فى المطار ظهرت الوجوه السمر واللهجة العذبة . مصريون مسافرون
عند الموقد سرتا فى ممر اتوماتيكي أسلمنا الى باب الطائرة . والدخول
الى الطائرة يتم بأرقام حسب مكان الجلوس .

الطائرة بوينج ٧٠٧ . بدأنا نحس المطبات والهزة أحيانا فى الطائرة
سينما عرضت فيلماً عن عساكر نابليون . فى مصر أنام كثيراً فى السينما
من ارهاق عند بدء العرض فى الطائرة قلت لعللى أنام فأصبحو على مصر

وبهذا تقتضب السينما خوفى والطريق ولكننى لم أتم • أعصابى المشدودة
أيقظت يقظتى كنت منتظرة الاعلان عن الاسكندرية كما أعلن الطيار عن
جنيف وروما ولكن طال الوقت •

وفى سرى قلت ألم تبد الاسكندرية بعد ؟ واذا بالصوت يعلن عن
قرب القاهرة وتجمعت حواسى فى عينى ونظرت من خلال النافذة فاذا
بعقود النور متألثة على صدر القاهرة والنيل فى الليل هوى فى قلبها
وهى بنورها عقد على صدر الليل حببىتى القاهرة واقتربت الطائرة من
الأرض الطاهرة حتى لمستها فتأهبنا للمقاء •

وفى المطار قال لى الكثيرون حمد الله على السلامة • ضابط المطار
بمجرد فتح الجواز - آخرون فى المطار •

أقبلت على سيدة لا أعرفها وقبلتنى • حبيبتها وسألتها على استحياء
طالبة أتصرف اليها ولكنها قالت واحدة لا تعرفينها ولكنها تعرفك
وتدعو لك •

وبكى من فرط التأثر • لو أن قريبة فعلتها لكان الأمر عاديا ولكن
انسانة لا أعرفها ولم أرها من قبل تعطينى غاليا على غير انتظار ، أسرتنى
• وأعطينى من الحنان • نعيم الاحساس بالانتماء انها مصرية وقد أسدت
الى ما أسدت لأنى مصرية أقدس هذا التراب • أعزز به من صلة
وقربى •

ويعيش كثيرون عمرهم بالطول وأعيش عمرى بالعرض بفضل هذه
اللفتات الدافئة الحميمة الكريمة ويعمق كل يوم ايمانى بهذا البلد
وبالانسان على أرضه • انى أؤمن بالانسان حيثما كان ولكن أهلى على
امتداد الوادى • هذه العشرات من الملايين أهلى وهذه الأرض كلها دارى
• انتمائى اليهم واليها أقوى وأكبر من عقود التمليك التى يكتبها الحبر
على الورق حين كتب انتمائى الدم والحب والصدق والوفاء أبذله خفاقا
فيعود الى دفاقا وكأنه سنابل القمح فى حقولنا الذهبية الطيبة الوفية •

مع النيل
السودان

رحلة السودان مع النيل

رحلة عاشت في وجداني قبل أن أقطعها ٠٠٠ طوفت بكثير من بلاد
العالم فكان طوافي يزيد احساسى بهذه الرحلة كمن يفتح عينيه فى
الكثير أمامه ٠٠ ولكنه لا يرى أنفه المثبت فى وجهه ٠

أرى انجلترا - فرنسا - إيطاليا - اسبانيا ٠ الخ ولا أرى السودان
٠٠ والسودان عيني بل - انسان العين المصرية ٠

فمصر الرياض وسوداتها
عيون الرياض وخليجاتها
وأهلوه منذ جرى عذبه
عشيرة مصر وجيرانها

وأذنت الأمنية بتحقيق فى ١٥ فبراير سنة ١٩٧٩ ، قال لى ضابط
الجوازات بمطار القاهرة : كم سمعت عنك ولم أكن أصدق ٠ الآن صدقت
٠٠ لا أقول شرفت المطار بل شرفت مصر ٠

ليس من غرور الغوانى بالثناء ولكن امتنان قلبى لأهل وناسى
الذين لا يضيع بينهم عمل عامل ٠

انى أعيش على مثل هذه الاستجابة ٠ أنمو عليها زادا ، وأستنشقيها
هواء بل أستنشقيها عبيرا ٠

وصل الدكتور الصياد ، المطار ، بعدى بساعة ٠ تهلل وقال :

لقد سافرت السودان مرارا فالسفر لا يشكل عندي اضافة ولكنى
أسافر هذه المرة من أجلك قبلت السفر عندما عرفت أنك مسافرة ٠
وهذه نسمة تقدير أخرى ٠

وتذكرت بينى وبين نفسى خوفاً منه عندما كنت طالبة عنده فى
كلية الآداب ٠ لقد غدا اليوم صديقا ٠ وغدوت بدورى زميلة وفد
تفانى وطريق ٠

رحلة طويلة فى الزمان قطعتها فى ثوان وأنا جالسة فى بهو المطار .

طائرة شركة مصر للطيران تحركت فى موعدها لم تقدم أو تؤخر ثانية واحدة على عكس الشائع - الذائع عنها . هل الأمر صدفة أم حظ ؟ والحظ توفيق من الله ؟

الطائرة صغيره . خشيت المطبات ولكنها أعطتنا رحلة مريحة . هل هو (صفاء الجو) بين القاهرة والخرطوم ؟

وصلنا الخرطوم . وجدنا فى انتظارنا عند سلم الطائرة الاستاد مبارك المغربى (١) رئيس مجلس الآداب والفنون بالسودان ، ووكيل وزارة الثقافة السودانية ، وأربعة من رجال الثقافة السودانيين وملحق مصر الاعلامى ، وملحق مصر الثقافى وأحد رجال السفارة .

كنا قادمين من القاهرة فى فبراير نلبس ملابس محتوسة من البود لا أقول شتوية كاملة ولكنهم جميعا كانوا فى ثياب الصيف .

رحيبهم بنا ليس كالترحيب فى أى مكان . كان فيه شئ نعرفه فالخرطوم صورة من أسوان . انهم أهلنا رجال السفارة ورجال السودان .

ورافقنا مستقبلونا الى فندق السودان وهو فندق حديث فحم يطل على النيل الأزرق .

فى الطريق كان الدكتور الصياد يحدثنى عن المعالم التى تقوم على يسار السائر ولكنى كنت لا أرى الا النيل على يمينى . كان الليل والسور يحجبانه ولكن عينى كانت تنفذ من الحجب لتشرب منه .

ما ان دخلت حجرتى بالفندق وهى تطل على النيل ، ولها شرفة واسعة تملأه حتى نحيث الستائر ، ترقبا للصباح حتى أراه .

ودقت الساعة الخامسة . تنفس الصبح وخرجت اليه . فى اطلالة عليه . . النيل الأزرق . النيل . . . يا كثير الأسماء والآلاء . . . أزرق أبيض . . كالشمس تتعدد ألوانها وهى واحدة الضياء .

النيل الأزرق هادى ساكن .

(١) يمز على أن أعد الرحلة بعد رحيل الأديب الشاعر الاستاذ مبارك المغربى .

وانتظر المفرن ٠٠ المجرن كما يقولون في السودان وفي الطريق
الى نادى الخريجين حيث انعقدت الندوة ، سرنا وشاطئ النيل .

ومن فوق كوبرى النيل الأبيض ، رأيتنه أو رأيتهما معا ٠٠ النيل
الأزرق والنيل الأبيض يلتقيان فى هدوء ، ويمتزجان فى رقة فيها همس
اللمس .

وتذكرت ذلك اليوم الذى حرصت فيه وأنا فى « رأس البر » على
رؤية التفاء النيل بالبحر فى ذلك الموضع الذى يقال له (اللسان) .
يومئذ كتبت :

عند « اللسان » سرت والليل وأفكارى ٠٠٠ وكنت يانيل على يمينى
وكان البحر على يسارى ٠٠٠ وكان ولائى لك بما هو مركز ، فى منك ٠٠
كنت أراك وأحسك فى وقت واحد ولكنى كنت أشاهد البحر فقط ٠٠٠
كان احساسى غامضا مبهما لا أميز فيه الا رقتك الحاملة ، وانسيابك
الداق فى أمان وروعة الى جانب صحبه وجلبته المتحدية ، فما من سائر
بليل الا مسه ، منها ، رشاش .

كنت أجمع بينكما فى نظرة يقظى فاذا بك تبدو لعينى على الأقل
فى مثل اتساعه وتراميه غير انك تنحدر فى اطمئنان الواثق ، حين يهمرج
هو فى جلبه الظافر ٠٠٠ الذى استحوذ على بضعة من النيل .

كان موجك ينفرج فى بساطة طبيعية كثفور عذبة تفتت ، وكان موجه
يتدافع فى سرعة وارتفاع يمثل للعين جبلا صغيرا من الماء ما يلبث أن
يتكسر عند الشاطئ فلا يبقى منه الا بعض زبد وبعض أصداف ٠٠

كنت فى هدوئك تمثل الفيلسوف المجرب الذى خبر الأيام وتناهت
اليه حكمتها فليس من طبعه أو طابعه الجعجة والصياح ٠٠ وهو فى صمته
أقرب الى القلب والعقل والنفس جميعا ٠٠٠ وكان البحر فى دويه الصاحب
كالعلاق لا يعرف ولا يملك غير القوة يهول بها ولا يأسر .

ما هو البحر ؟ انه ماء ٠٠٠ ولكنك ماء ودموع ودماء وتاريخ حافل
طويل ومعان شتى ٠٠٠

أتذكر يا نيل كم من دماء أريقمت على صفحتك لأجناس مختلفة
فالفرس واليونان والرومان والترك والفرنسيون والانجليز ٠٠٠ كلهم
راموا غزوك ، وكثيرون غيرهم حاموا حولك ٠٠٠ فدحرتنا قوما ، ودفعنا

قوما ، وصهرنا قوما ولكننا لم نستسلم ولم نخضع ٠٠ ولم نفرط فيك ٠٠٠
ولن نفعل أبدا ومصر هي مصر (كتبت هذا قبل وعد البعض اسرائيل
بماء النيل) ولكننا كما قلت لم نفرط فيه بل تصدينا لهذا المشروع
الاثيم ووأدناه فى مهده) .

النيل والبحر ٠٠٠ لقد رجعت بنفسى ظمأى فى انتظار النهار لتؤكد
الرؤية وتصبح المشاهدة فإذا بك فى نور الصباح أعجب منك فى ظلام
الليل ٠٠٠ كانت سمرك المحببة المشرية بحمرة جذابة تطغى على البحر
بلونها وسماها فى جزء كبير منه من أثر الالتقاء ٠٠٠ على حين سلمت
أنت من زرقته الداكنة حتى أمواجه الرعن النزقة كانت نهذاً عند الملتقى
لتستقبل العظيم القادم من قلب أفريقيا منتصرا على الصخور والشلالات ٠٠٠
والصحراوات ٠٠ وقوى الطبيعة جميعا ٠٠٠ ما أعظمك غاديا وراثحا
فالخير فى ركابك على الغدو والرواح .

أنا يا نيل كنت أفتح عيني عليك فما تطرف لترتوى منك فى هذا
المشهد الحافل بعينه ٠٠٠ أنك على هدوئك فى صراع مع هذا البحر منذ
آلاف السنين فما نال منك الا ما تلقىه بنفسك فيه بعد أن تقضى وطرك
من الانشاء والنماء والنضرة على حين تظفر أنت منه كل سنة بجديد من
الأرض تنتزعه انتزاعا لتمنحه مصر الشاكرة التى تنسب اليك الخير كله .

كم أخسبت لنا جديدا ، وأمرعت قاحلا حين دهمنا من وراء البحر ،
غيلان تغصب ما نزرع وتحرمنا ثمرة الجنى والحصاد .

كنت تحضرنا وكان البحر يعوق حضارتنا بما ييسره من الغزو
والاستعمار .

حقا لقد حمل البحر ، تجارتنا ، وسار السفين فيه يرفع رايتنا
عبره ٠٠٠ وينقل عليه مع التجارة المصرية ، الحضارة المصرية بوسائلها
ومناعمها ، وعقائدها ، وعلومها الى بلاد الشرق والغرب حيث تحمل
سلع مصر وترسو سفائنها ، ولكننا ندين لك وحدك بالولاء ، والوفاء
والحمد ٠٠٠ فأنت يا نيل الأصل فى كل ما نزهو به ولو بدا ، على يد
غيرك ، آتيا .

لكن ما لى أحمل على البحر اذ أقرنه بك ٠٠٠ وفيه جمال طالما راقنى
فى مواضع بعيدة عنك ٠٠ هل طغت معانيك على معانيه ؟ أم أنى كرهته
فجأة اذ رآته عيني يأخذ منك بضعة ما أولانا بها ؟ انى لا شك غيرى .

وحان العود فاذا بى أنتزع نفسى من وقفتى عندك ٠٠٠ ويقرأ على
تشبثى بك فى التياحى فيرجعون بى على أن أعود
ألا ليتنى طويت حبك فى قلبى فلم أنزل به الى مجال الحديث ٠٠٠
فاذا بى بعد المطاف وطول الطواف أشعر أن الذى قتلته دون الذى أحسسه
بكثير (١) .

(١) ضمنت هذه السطور مقدمة كتابى عن النيل الذى هو رسالتى فى الدكتوراه

رحلة السودان

نادى الخريجين

مسجد النيلين :

فى الطريق الى نادى الخريجين رأيت مسجدا جميلا متميز الطراز
كأنه مجموعة من القباب . ويبدو أن السودان مغرم بالقباب فهى أنسب
طرز العمارة فى السودان وفى الصعيد على السواء . . . عليها تتكسر
أشعة الشمس فيتلطف الجو تحتها ، ويترطب الهواء وكأنها مظلة من
الرضوان .

قباب المسجد . . . قبة المهدي . . القباب مغطاة مغشاة بصفائح
المعدن فتغدو ناصعة البياض ، شديدة الوهج . . تذكرنى بالهرم عند
انشائه فقد كان سطحه لامعا براقا .

ان مصر والسودان ، وادى الشمس والنور لا تكفيه جهارة الضياء
فيكسو البناء بالبريق وكأنه ينشد ايناسا جديدا .

يبدو أن صفاء النفس ووضوحها ينعكس على الأشياء .

وصلنا النادى . . . صافحتنا العيون اذ الأيدى تنبسط للسلام . .
الودادة نفسها . . . الطيبة نفسها . . ودار الحديث وتناشدنا الأشعار
أنشدت أبياتا للبهاء زهير وفيه من عدوبة مصر الكثير وأنشدت من الأدب
الشعبي النيلى :

واجف ع الشط باصطاد بط وأنا عايم

صادنى غزال زين خدوده حمر ونعايم

وكيف أطوله وما بينى وبينه بعيد

جلبى غرج فى هواه يابا وأنا عايم

وجاء الدكتور حسن عباس صبحى الأستاذ بجامعة الخرطوم وتحدث
طويلا عن زيارته لى فى بيتى . أقسم أنه يوما لم ينم ليلته . . . ظل

سائرا فى شوارع القاهرة يستعيد ما دار من لقاء الأخوة وترحيب المحبة
بين شطرى الوادى أكثر منها بين أخوين من أهله وان سكن أحدهما
الجنوب وأقام الآخر فى الشمال .

يقول الدكتور حسن عباس صبحى عندما أزور مصر « أشم العافية »
وقال أخ آخر سودانى انه تعلم فى مصر خمس سنوات كان لا يغادرها
أثناء الأجازات . كان يعتبر خمس سنوات وقتا قصيرا لا يريد أن
يضيعة .

ودارت الندوة . وحين كان يوجه الخطاب الى خطيب من خطبائها
كنت أحس اسمى أكبر وعمرى أطول فلم يعد اسمى بل بضعه من الخالدة
التي أنتمى اليها مصرية من مصر .

كان سمعى مع الخطباء وكانت يدى تسطر على الورق هذه الدفقة التي
انبثقت دون اعداد كائن فى الوقت نفسه أسمع صوتا فى داخلى .

رأت مصر نفسها فى المرأة

رأيت السودان

حيث النيل شريان الحياة

يا نيل

هل أتيت معى ؟

لا . . . أنا التي أتيت معك

أنا يا أبى التي أتبعك

قد يراك غبرى مجرى ماء

ولكنك عندى

حب فى قلبى

نور على دربى

حياة فى دمي

كساء لأعظمى

منحه . . نفحه . . صفحة

بيضاء نقية

صادقة تقية

تتصوف نتشوف
طاهرة كمحراب
لا تتزلف
فالقول فيك وفاء
وكبرياء
نهر يتدفق بين أضلعي
أحيا به
ويعيش معي
وألنقى وأستقي
وينبت على قلبي
الزهر والثمر
يونس الحرف
أخضر كالشجر
وأغني حبي مواويل
معانيها منك يا نيل
غالية المعاني
بما فيها منك
يا صاحب العطاء الطويل
يا صاحب الجميل
« المقرن ما أروع
ما أعمقه ٠٠ ما أبده
أنت نقرن النيلين
تقرن البلدين
نقرن الروحين
قبل الزمان
بزمان
يا أعرق أصيل

ويمضى موكب الأجيال

جيلا وراء جيل

وتظل أنت

شبابك أخضر

وفاؤك أنضر

لا تهرم لا تشيخ

خالدا خالدا يا نبيل

قال أهلى فى وقدة

متى العودة ؟

قلت :

لم أسافر حنى أعود

أنا فى السودان

معكم • مع النيل

مع نبع الجود

مع سر الوجود

ولمح الأديب السودانى الجالس الى جانبى مولد الكلمات على الصفحة
فأعلنه •• وطلب منى القاءها وأيده الحاضرون •

ماذا أقول ؟ فى رأى ليس بشعر •• وليس بنثر •• انها خفقات
روح •• انها نبضات قلب •• دفقة شعورية •• كلمات لنفسى ••
وللنيل •• والنيل منذ مولدى عليه •• بينى وبينه كلمات •• وأشياء ••
وحاجات ما أن أراه حتى يدور حوار

ويطول السرار

ويبدو أننى لست وحدى فالذين سمعوا هذه الكلمة ، تهللت وجوههم
بانسراحة الراحة ، وكان كلا منهم صاحبها فهى احساس فى قلب
إنسان الوادى •• فى الشمال وفى الجنوب •

رسائل اليه

لهفة عليه

عز انتماء

دين وفاء
عنه أخذناه
منه رشفناه
وتأثر الحاضرون .

يبدو أن التلقائية والعفوية أقرب الأشياء الى القلب .
قال مستشارنا الاعلامي : كدت أبكي وقد تبكى الأذن قبل العين
أحيانا .

رحلة السودان

مسرح العرائس

كان موعدنا فيه السادسة مساءً • والساعة ندنو من الخامسة • نحن في الطريق الى مسرح العرائس • على يسار السائر ، قاعة الصداقة وهي بناء فخيم سامق في شارع كورنيش النيل وبعده المتحف وهيلتون •

مررنا بالبرلمان السوداني • بناء آخر جميل وسألت مرافقي المصري البناء كبير ولكن ماذا عن الديمقراطية فيه ؟ قال : الديمقراطية هنا بخير • قلت : لعلها •

عندما وصلنا ، المسرح ، تجاوزناه فقد استضافنا الاستاذ مبارك المغربي بالسير دقائق أكثر على النيل • سار بنا على كوبرى « شمبات نسبة الى قرية شمبات وهو يقضى الى مدخل « أم درمان » •

ومن فوق هذا الكوبرى رأينا « مقرن » توتى • وهي جزيرة سودانية لها فى النيل وفى الشعر مكان ومكانة •

على باب مسرح العرائس جمع من الأطفال وذوهم • النور مقطوع • هل تسلل فار السبئية الى هنا ؟

انتظرنا ساعة عدنا بعدها الى الفندق ذهبنا الى المسرح القومى • شاهدا فنونا شعبية ورقصات سودانية تمثل مختلف المناطق الجنوب والشرق والغرب • شاهدا على المسرح عرسا سودانيا •

رقصات الجنوب فيها مذاق الغابة الاستوائية • الأجسام نصف عرايا أبنوسية لامعة كأن الليل فصل أجسادا ونحت أجساما • الرؤوس عليها قرون حيوان الوعل • الريش الملون • الرجال الراقصون يتحلون بالعقود والأساور •

وقدرت السفر الطويل الذى قام به القلب المصرى ليصنع الحضارة حتى قبل بناء الأهرام •

ما أظلم هيرودوت أو قوله القاصر (مصر هبة النيل) • ان مصر
هبة النيل وهبة الانسان المصرى •

فى المسرح أهدى الى الأديب السودانى مصطفى عوض الله بشاره
كتابه (أضواء النقد) قال انه فرح حين علم بمقدمى الى السودان بين أعضاء
الوفد المصرى ••

ولم يكتف بأن أهدى بل أطرى نثرا يراه هو أرقى من الشعر •
شكرا له على هديته •• وعلى تحيته •• والتحية هدية •• والهدية
أيضا تحية •

من الناس من يعيش ليأكل • ومنهم من يأكل ليعيش ولكن الانسان
فى الحالى من ضرورياته ، الطعام •• ومع هذا لا أحب أن أتحدث عن الطعام
بله الكتابة عنه ولكنى سأسمح لنفسى أن أتناول لونا استوقفنى فى المائدة
السودانية •• تناولنا فى طعام الغداء شوربة فول سودانى أعجبتنى قدرته
وأنا أزالو المطبخ فى بينى أن يكون الفول مطحونا ثم يحمر ويسقى
بالمرق • ذهبت الى الطاهى لأستوثق فأضاف كثيرا (١) :

انى معتزة بهويتى الصغيرة •• أقصد داخل الكاتبة فى ، سيدة
وكيف لا أكونها وهى (أم) كل شىء ، بعد حبات القلب أى الأبناء •



الفول فى السودان له شخصية مميزة • فهو هنا يطلق عليه ، الاسم
المصرى (مدمس) لأنهم يدفنونه فى الرمل فى عملية تحميص طبيعية •

(١) الفول يطحن ثلاث مرات

يطحن فى مفرمة اللحم بعد نكسره فى الهون

حذر الرجل من طحنه فى الخلاط لأن ٨٠ / ، ريت • وهو يعسد الخلاط ان يكسر •
لأنه صعب الكسر •

يحمر مبشور بصله فى قليل من الزيت بحميرا فاتحا • ان يكون بمضاء ثم يضاف
اليها ملعقه صغيرة من مسحو الفول وحسب الكثافة المطلوبة فى السمك أو العوام •

وهو أجود نوعا وأزكى بالطبع .

بمناسبة الطعام السوداني ، الأكواب في السودان كبيرة بما لا نظير له في مكان آخر . أكواب غداقة .

ألأنه بلد النيلين ؟ أم لأن الحر زيادة حبتين ؟

ومادمت دخلت في باب الطعام السوداني أذكر أنني ميزت شرابا سودانيا قدموه لنا في المسرح اسمه طريف يطلقون عليه : الحلو المر ! .

قال الدكتور الصياد انه نوع من الخبز يحمره ثم يضيفون اليه السكر والليمون . . نوع من الجعة .

هذا الشراب طعمه فيه لمحة من عصير القصب .

الذكريات تنهل ولكني لا أنسى واقعة حدثت في نادى الخريجين .

ففي أثناء الندوة الفكرية ، شق الصمت أو هدوء المكان ، صوت يجار . . والتفتت كل من زاوية كرسيه فاذا على الأرض امرأة عاجزة الساقين تطلب احسانا في صوت مكروب .

تبتت في المكان فجأة كأنما انشقت عنها الأرض .

وجهها فيه حزن ورقة الصفصاف حين تسقط في الحريف .

لماذا يكون في وادينا سائل ؟ وادى الخير والنماء ؟ أقصد مصر والسودان !

يعز على أن أختتم هذه الحلقة بأنة ألم . لهذا أخففها ولا أقول أبرئها لأن هذا الداء تطب له الأمة كلها . .

أتحدث عن (الأسماء) في السودان .

انها طويلة في جمل مثل :

« طيب الأسماء »

« تام زينه » أى تم زينه . تم حسنه ومن الأسماء السودانية بين النساء : السكات وهو الصمت في العامية المصرية وكان الاسم رد على التهمة التي تلصق بالمرأة وهى الثرثرة .

وتضاف الأسماء في السودان كثيرا الى الله : - خير الله - عبد الله

عوض الله - قريب الله وتشذ القاعدة أحيانا فقد قدم لنا نائب وكيل وزارة
الثقافة اسمه كمن يتخلص من حرج يحس به :

- أنا اسمي أحمد بابكر كابوس .

ويضيف ضاحكا :

المصريون بلطفهم المعهود يخففونه فيقولون قابوس في محاولة تشبيهه
بسلطان عمان .

قلت : مصر يحلو لها فيما يبدو خلع السلطنة على الجميع حتى الأغنية
المصرية اشتغلت بالمراسم هي الأخرى فجعلت : الحبيب - يسعد أوقاته -
على الجمال سلطان .

وضحكنا .

رحلة السودان

نادى ناصر ومحاورة متوهجة

وكثير من الاسماء فى السودان مصرية فمدرسة فاروى - مدرسة جمال عبد الناصر الثانوية ونادى ناصر ٠٠ الخ .
الخرطوم نفسها تبدو مدينة مصرية بمصر العليا انها مزيج من أسوان ومرسى مطروح .

جمعت جغرافيتنا من أطرافها كمجد مهبار الشاعر الفارسى .
والجامعة هى جامعة القاهرة فرع الخرطوم . والوجوه فيها لمحة من مصر والسودانيون يعتزون بخولة مصرية . كثيرون منهم احوالهم مصريون .
فى المساء ذهبنا الى نادى ناصر لنستمع الى محاضرة عن الأدب الشعبى السودانى من الشيخ عبد الله البشير .
استقبلونا استقبالا حافلا وجلسنا فاذا برئيس الندوة يعلن فى الميكروفون : ٠٠٠٠ صاحبة كتاب « الجمال والحرية والشخصية الانسانية فى أدب العقاد » - الكتاب نفذ ستحدثنا الليلة عن العقاد أستاذ السودانين .

وكانت مفاجأة لى . ولكنى اضطرت الى القبول وصعدت الى المنصة وقلت :

- لقد جئت النادى مستمعة لا متحدثة . وحين يتناول الحديث العقاد وهو متعدد الجوانب فانه يحتاج الى لياالى لا ليلة واحدة فما بالنا وليلتنا هذه موهوبة للأدب الشعبى السودانى لهذا سأقتصر على جانب واحد من جوانب العقاد وهو عبقرياته الاسلامية .

وتحدثت فى تركيز حتى لا ينغبر برنامج الاحتفال لا سيما وأنهم أنرونى بالاستهلال .

وفى اليوم التالى ذهبنا مرة أخرى الى نادى ناصر حيث تقام ندوة العلاقات الثقافية كان يدير الندوة الأديب السودانى الهادى بابكر استهلكت

الندوة محاضرتي وموضوعها (وادى النيل ووادى الدين) وهى للقراءة وحدها حتى لا تقطع السياق .

فى النامنة مساء ذهبنا الى منزل السفير المصرى فى السودان بدعوة منه للعشاء . منزل سفير وكفى وسفير مصر .

استقبلنى سفيرنا سعد القطاوى استقبالا حفيا . ما أن ظهرت من الباب حتى خف متهللا يمد كلتا يديه للحاضرين قائلا :

انى انتظر هذا المساء لأراك . . لقد رأيتك فى كتابك وكتابى الأثير الذى أقرأ فيه كل مساء (شخصية مصر) ولكنى كنت نواقا الى رؤيتك كالكتاب وأكبر .

عرفت فيما بعد حبه لمصر فأدركت أن ترحيبه واعتزازه فى تلك الليلة كان تحية لمصر . كان يراها فينا . . كان فخورا بها هى . . هى المنبع ونحن بضعة منها بضعة فقط وتظل هى الكل الكامل والمتكامل . . .

وعندما حان موعد العشاء دعانى سفيرنا أولا وأفسح لى بيديه الطريق الى المائدة ثم تبعنى باقى الضيوف .

وكان مثله فى الحفاوة بى الدكتور عثمان بدران وزير الزراعة الأسبق الذى قال :

بدأ ينقشع عن نفسى اليأس عندما كنت أتابعك فى هضبة الأهرام . لن يموت بلد يحبه أبناؤه كل هذا الحب . أن تقفى بكل هذا الصمود فى هذه المعمة يزيد فخرا بك وبمصر .

واشترك فى الحديث ، الوزير الليبى على شمو . ثم قال السفير أن المحافظ يقصد محافظ الخرطوم وقف فى البرلمان السودانى يتكلم عن هضبة الأهرام رافضا من أجلها مشروعات الانفتاح حتى لا تتكرر الفضيحة فى السودان وهذا ثابت فى مضبطة البرلمان . السودانى .

عندما ودعنا السفير شاكرين ، خرج معى من باب الحديقة مطمئنا على انتظار سيارتى وظل واقفا حتى أخذت السيارة دورتها حول الميدان وانطلقت فى طريقها .

ولكن أن يستقبلنى سفيرنا هذا الاستقبال ، يفهم . . ان السفارة المصرية فى أى بلد ، بيتى . . بيت المصرى من حيث أتى وان كان سفيرنا فى السودان نموذج عزيز عال ولكن أن يحتفى بى حفاوة غالية ، مدير

الاذاعة السودانية الاستاذ محمود أبو العزائم فذاك دلالة أعتز بها لا سيما وأنها حفاوة فيها ذاتية وليست تقليدية • ما أن رأني الرجل حتى قال قاطعا على المذيع السوداني الذي يقدمني :

..... صاحبة هضبة الأهرام وكتاب النيل والمأزني وأم كلثوم وشخصية مصر ثم أضاف أن هضبة الأهرام بعد توفيق الله ، أحد عوامل نجاحها « الأسلوب » فقد يصمد انسان ويكتب ثم لا يؤتي هذا التأثير •

في المساء كان موعدنا مع النادي المصري • حاضرننا عن المرتكرات النقفية بين مصر والسودان نكلمت عن وجوب اعادة كتابة المماهج في طريق توحيدها ، تركيزا على قيم الدين والفن والعلم والحضارة القيم التابطة والباقية لا على منغيرات نزول بزوال ملابساتها ومناسباتها •

اعادة كتابة التاريخ بحيث يكون رأسيا لا أفقيا أى ناربخ أمة وادى النيل لا تاريخ أفراد •

أن يكون المسجد والجامعة مركز اشعاع لا خطب منبرية أو برامج مدرسية •

أن تكون هناك اطلالة شبابية واشرافة شبابية دائما بل يكون هناك بيوت شباب فى شطرى الوادى لأن العلم محبة وتبادل الزيارات خاصة بين الشباب وسيلتنا الى الامتزاز •

وقد طلب الدكتور الصياد أن تكون كلمتى كافية عن الوفد كله ، وطلب فتح باب المناقشة •

جاءتنى أسئلة كثيرة فجرت موضوعات أخرى وفي النهاية قال الدكتور الصياد أنا وزميلاي مستعدون ولو أن بيننا الدكتور نيمات ولكن اذا وجد رجل وعشرون امرأة تكلمنا بصيغة الذكر • تقول (القمران) والمراد الشمس والقمر فاذا بهذه الاثارة تشخل بنا فى محاوره متوهجة ضحك لها المجتمعون كثيرا •

قلت : الشمس مؤنثة ومنها يستمد القمر نوره :

وما التأنيث لاسم الشمس عيب

ولا التذكير فخر للهلال

ذ. الصياد : السماء مذكرة

• نيمات : السماء مؤنثة يقول الله تعالى : (والسماء ذات البروج) ويقول

« اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتشرت . واذا النجوم بعثت .. »

فالسماء وكواكبها ونجومها مؤنثة

وصفق الناس طويلا .

د . الصياد : ان الله خلق آدم ليعمر الأرض ثم خلق حواء لتكون خادمته .

د . نعمات : ان الله حين أراد تعمير الأرض خلق حواء . ولو كان آدم قادرا

على تعميرها بمفرده لاكتفى به . . ولاستطاع أن يعمر بيته بالخدم .

ان المرأة قرينة أى عدل النفس لا خادمة .

سلوا الدكتور الصياد وهو متزوج من سيدة فاضلة هل هى قرينته

أم الصفة الاخرى التى يقول بها .

وضيح المكان بالتصفيق والضحك .

د . الصياد : ان الله خلق حواء من ضلع آدم .

د . نعمات : لتكون أقرب الى قلبه . ومن هنا امتسلاً الأدب فى كل لغة

بالنسيب والتشبيب والغزل .

والآية تقول « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا

اليها . »

وفى قراءة أخرى « أنفسكم » بفتح الفاء .

ان الرجل مهما بلغ ابن أمه . وحياته كلها تبدأ بامرأة هى أمه وتنتهى

الى امرأة هى زوجته

سأل صحابى ، الرسول ، عليه السلام : من أحق الناس بمحبتى

يا رسول الله ؟

قال : أمك

ثم من ؟

قال : أمك

قال ثم من ؟

قال : أمك

قال ثم من ؟

قال : أبوك

وأراد الملحق الصحفي المصرى أن نسمر فى الحوار لولا أننا أوقفناه
ليبدأ العشاء ثم السهرة رعاية لباقي المدعوين •

وهذه هى المرة الثانية فى هذا اليوم الذى تحاورت فيها مع الدكتور
الصيد •

فقد حدث أن تناولنا الشاي فى المجلس القومى للفنون والآداب •
وكان فى استقبالنا وزير الثقافة السودانى • وقام أمين عام المجلس القومى
بالقاء قصيدة نرحب فأخذنا نرد عليه تحية بتحية •

قال الدكتور الصيد : اننى لست أديبا - وهو فى رأى أديب -
بل جغرافيا والجغرافيا أهم شئ للانسان • والتكامل بين مصر والسودان
يقوم على الجغرافيا •

وهنا قلت : ان الدكتور الصيد أسناذى عندما كنت طالبة بكلية
الآداب ولكنى أخالفه فى الأصل كانت الكلمة •

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بناة المعالى كيف تبنى المكارم

ولكنى أوافق فى أن العلم وسيلة المحبة واذا كان الله قد أمرنا أن
ننظر فى خلق السموات والأرض وأن نمشى فى مناكبها فأولى بنا أن نتعمق
أوطاننا ونعرفها ليكون حينا لها صدقا لا تقليدا فان الهمم كما أقول دائما
وطنية البسطاء • والانتماء ليس شهادة الميلاد ولكن « الاضافة » الى
الوطن والعلم به والانطلاق من أرضية اعتناق قضايام هو الشاهد
الصحيح •

أعود الى الدكتور الصيد • يقول انه ليس أديبا وأقول أنه أديب •
لقد وضع مرة امتحانا يقول :

اشرح البيتين الآتين شرحا جغرافيا :

والماء تسكبه فيسبك عسجدا

والأرض تغرقها فيحيا المغرق

تسود ديباجا اذا فارقتها

فاذا حضرت اخضوض الاستبرق

ويضح التلاميذ الصغار فيضح فيهم :

وماذا فى هذا ؟ انه رى الحياض •

بل كثيرا ما ترنم الدكتور الصياد فى السودان بالشعر ٠٠ ومن شعره هو :

هنا عليك وأنت ما هنت
أنت الحبيبة كيفما كنت
ماذا جرى فنفرت عابسة
أغضبت لما قلت « يا بنتى » ؟
عفوا ٠٠٠ فوجهك فى براءته
مازال يحمل صورة البنت
ان كنت قد أخطأت معذرة
أنت الأنوثة كلها أنت

ان حوارنا على تعارضه فى رأى كان يحمل من معانى الاحترام والاعتزاز ولا أدل على هذا من أن الدكتور الصياد عندما عرض على الاخوة فى السودان البقاء بينهم أستاذًا بكلية البنات أو أستاذًا زائرًا واعتذرت ألح الدكتور الصياد على فى قبول منصب أستاذ زائر بجامعة الخرطوم ٠٠ واعتذرت أيضا .

ولكنى اعتززت بثقته وتقديره .

ومن باب التقدير الذى أعتز به أيضا ما عرضه على المسئولون فى السودان أن يعطونى بيتا على النيل لأكتب كتابا عن السودان كتابى (النيل فى الأدب المصرى) ٠٠ ولكنى اكتفيت بوعد الكتابة ، وفى بيتى فى القاهرة ، اذا تهيأت لى المادة العلمية ونهيا لى الوقت المواتى .

وانى خالصة النية فالنيل لا يتجزأ ودليلى أنى فى كتابى (النيل فى الأدب المصرى) وقفت طويلا عند النيل فى المآثورات السودانية بل والنوبية . ان من حثهم ، على ، اخوة الدرب ورفقة العمر أن يطلبوا الى هذا الطلب ٠٠ ومن حق النيل .

رحلة السودان

خزان جبل الأولياء وخزان حب في كيان صغير

جبلان : جبل أليا ٠٠ وجبل المنيرة (صخور محمية وهما تلان في الحقيقة لا جبلان ٠

النيل الأبيض عند جبل أليا ، ملك ٠٠ على يسار الداخل أو السائر على الكوبرى الصغير ٠٠ ولكنه على اليمين أقل اتساعا ٠ انه لا يحب القيود النى نسميها خزانات ٠

عناك على ربوة مرتفعة بيت جميل «فيللا» يتلى النيل ٠ في هذا البيت المحظوظ كان يقيم أحمد عبد القوى باشا أول مصرى بل أول مقيم في هذه المنطقة ٠ كما كان الماحى بك يقيم في حى الشجرة الذى يقابل المسافر من الخرطوم الى جبل الأولياء ٠ وكان الماحى بك مأمورا مصريا في السودان ٠ ثم أصبح الحى يسمى شجرة غوردون ثم غدا الآن يطلق عليه حى الشجرة بدون أسماء ٠ ولا يزال مكانا للمصريين ويمثل القمر الصناعى للسودان ٠

عند جبل الأولياء رأيت أجنب سعوا مثلنا الى هذا المكان الجميل ٠٠ المكان الذى لم يره ذلك الشاعر العربى الذى شبه النيل بصفيحة صبقل ٠ وحسب نفسه بهرنا بالصيقل ٠

موجات النيل هنا نحيلة تتراقص ٠٠ موجات طفلة تثب في مرح الطفولة ٠

طيور تحوم وصيادون يقصدون رب الأسماك رب الرزق العظيم كما كان يسميه قداماؤنا ٠ مر أحدهم أماننا صديقتى السودانية وأنا وبين يديه « مقطف » مملوء بالسماك الباطى الشهى ويعرضه ب ٤٠ قرش (أربعين قرشا) !! وتقول صديقتى السودانية ان السمك هنا عند الخزان ، أطعم ٠

ورأيت صيادين آخرين فى قواربهم الصغيرة يبيعون ويأكلون وهم على مظهرهم البسيط المتواضع سعداء بالنهر .

على الشاطئ أحواض الزهور الوردية لا جواميس مربوطة أو مراحيش قبيحة .

لم يفعل السودانيون بالنيل ما فعلته محافظة القاهرة وزميلتها محافظة الجيزة مما فصلته فى مقالاتى بجريدة الأهرام .

ويذكرنى خزان جبل الأولياء بأوهامى هل يمكن أن يقوم خزان فى الحبشة يحجب عنا ، النيل ؟ العلم يقول لا بل مسنحيل فقوة اندفاع الماء هناك تهدم أى خزان فى أيام معدودة .

وتذكرت لودفيج حين سأل الفلاح المصرى عما اذا كان يعتقد أن الانجليز يكيّدون لمصر فيحبسون عنها ماء النيل . فأجاب الرجل الطيب فى ابتسامة مشيرة الى السماء : « عبتا يحاولون أن يسلبونا النيل . لقد رحبنا الله النهر يجرى حتى يبلغ حقل الفقير فيرويه منه » .

لم يملك الرجل أن هتف مؤمنا :

ما من اله غير الله الا أن الفلاحين يؤمنون بنهر يقرر سخطه أو رضاه فى أعالي أفريقيا ما يكون عليه المحصول المصرى من القلة أو الوفرة .

ولم يتردد أن يجعله فى أديان الشرق ديناً رابعاً مقتبساً من الحياة . . . موجهاً لها منشئاً لقيمهها . . . سجل هذا فى كتابه The Nile

كلنا ذلك الفلاح حتى لو ظفنا العالم كله حتى ولو لم نملك حقلاً . فالنيل لا يسقى الزرع وحده ولكنه يحيى الأنفس والثمرات .

كان يرافقتى من الأخوة السودانين غير صديقتى السودانية الأستاذ الشاعر مبارك المغربى رئيس المجلس القومى للفنون والآداب الذى ما كدت أبدى رغبتي فى زيارة جبل الأولياء ولم يكن هذا فى برنامج الوفد حتى أسرع الى اعداد الرحلة البه وأمنت بقوله :

جرى النيل فى أرضنا كوثرا فأجرى المودة لما جرى
وغنت مع الموج سطرانه توشج بين القلوب العرى
كأنى (بدمياط) رغم النوى يعانق فى لهفة (عطبرا)
وكم بالجزيرة من منظر حكى سحره (المقرن) الأخضر
حببتنا الطبيعة اشراقها فقالوا أحبت فتى أسمر

وعدنا وفي الطريق كان حديثنا عن النيل أيضا • انه حبنا الكبير
مصريين وسودانيين غير أنهم يعدون خزاناتك وينسون خزان حب كبير لك
في كيان صغير •• قلبي •

وأخذت على الطريق أشرب منه بعيني ويلمح الرجل الشاعر ،
ولوعى ، فيقول انى أنافسك فيه •• أنا أيضا عاشق النيل •• وصدقته
مرة أخرى فهو صاحب الأبيات فى وصفه :

ليس هذى رؤى ولا تلك ماء شاطئ النيل جنة فيحاء
لانه السحر يستميل هوى النفس ويفرى القلوب كيف يشاء
فيه من روعة الخيال صنوف فيه من فتنة الجمال بهاء
أرايت الأزهار فى الضفة الخضراء تعلق أديمها للأنداء
أو سمعت الأنين عند السواقى حيث لاضجة ولا ضوضاء
غير لحن الطيور فى الأفق الساجى تغنيه روضة غناء
أيهذا النيل الحبيب سلاما لك منا الاكبار والاعلاء
انت شرياننا ورمز تأخينا لنا ونبراس هدينا الوضاء
ان تدفقت فى الجنوب سخيا فلکم انت للشمال رخاء

قد لايعجب هذا القول أناس لم تعد المعانى الجميلة فى حسابهم
أو القيم الثمينة ولو كانت النيل فى عصر (الباكو) و (الأرنب) من
اصطلاحات أغنياء الانفتاح ولكن الشاعر والفنان ، الأغنى بالموهبة التى
تجعل صاحبها يستطيع كما يصف ولیم بليك « لحظة الابداع » •

أن يرى العالم فى حبة رمل

أن يرى السعادة فى زهرة بريه

ان يرى اللانهاية فى راحة يده

ان يرى الخلود فى لحظه •

لحظة لن يراها أبدا عباد المال والشيطان والسلطان •

رحلة السودان

زوج يدفع ٧٠٠ جنيه مكافأة تلفونية لزوجته

عالم سودانية

جامعة الخرطوم

تمثل في السودان مركز اشعاع ، ومنبر رأى المصنقات هناك
تتقارع بالحجة وتتناقض في الفكرة ولكن لا يعترضها أحد . وتنفس
رؤيتها فتتناول الأوضاع في ايران ومصر والعالم العربى .

سالت مسئولا سودانيا كبرا عن مصنقات جامعة الخرطوم
وما تتضمنه من معارضة عنيفة فقال بدماثة :

• هذه ظاهرة صحية

واحترمت مرتين : مرة لتسليمه بحرية الرأى والأخرى لترفعه عن
الصاق التهم بالمعارضة كما يفعل أغوات السلطان .

المصنقات في جامعة الخرطوم تقول رأبها فينا ولكنى عندما قرأتها
قلت فى مثل هدوء المسئول السودانى :

— هذه ظاهرة صحية .

وتذكرنا مصريين الجامعة المصرية وكيف سلبت ارادتها فغدت تعطى
امتيازاً للجالسين فى منازلهم أو قصورهم أو المتنزهين حول العالم على
حساب الشعب .

الدكتور الصياد قال انه سأل العميد الهمام : هل (المعيده
استوفت شروط التعيين ؟

هل عملت مثلاً (فيش وتشميه)

هل قدمت شهادة حسن سبر وسلوك ؟

عمل قبلاً ، حضرت المحاضرات ؟

وتحجر على الشفاء ، الجواب .

ونتحدث عن انحدار الجامعة عندما فيقول الدكتور الصياد ايضا :
لماذا لاتنحدر ؟ ان الذى يوجهها يمينا ويسارا رابعه ثانوى .. كان
الطلاب فى جامعة الأزهر يتسابقون الى تقديم مركوب الأستاذ دون ان
يعرف أسماءهم لأنهم يرتشفون منه العلم ..

هذا فى العهد البائد ولكن (النظام) فى العهد السائد جعل الطلاب
يكتبون تقارير عن استاذهم !!

الأستاذ كان يعطى عطاءه فى اخلاص وسعادة ولكنه الآن .. لعله
يقول بينه وبين نفسه :

هل يستحقون كتابة التقارير ؟

هل يستحق هؤلاء الجهد ؟

ولو أنى أعتقد أن الكثرة الغالبة سليمة على الرغم من شتى الضغوط
ما بين صروف الزمان وبغى الانسان .

الأزهر والتبشير فى السودان

التبشير فى السودان يسلك هذه الطريقة : كوخ يعيش فيه المبشر
مثلهم خاصة فى الجنوب والى جانبهم حتى يتحسس رغباتهم عن كتب ..
ليلببها فى عملية تودد وغزو نفسى .. يلتقط مشاكلهم ليسارع الى حلها .
أمراضهم يطب لها .. أوجاعهم يخففها يغدو جزءا منهم .

وهنا تأنى المرحلة الثانية بعد أن هياهم شعوريا وفرغ من
اعدادهم .

يدعوهم وفى تلطف .. فى تحسس وتحسس فى هواده ورفق الى
المسيحية .. لا بل يتسلل الى نفوسهم بدعوته . ومن الطبيعى أن يلقي
استجابة .. استجابة سبقتها تمهيدات كثيرة .. فاذا تعارضت المسيحية
بعده اعتناقهم لها مع شئ من عاداتهم أو مألوفاتهم رخص المبشر لهم بها
حتى لا ينفروا أو ينراجعوا .. وهنا ما يعرف باسم المسيحية الأفريقية
وهى المرخص فيها بالمنوعات كتعدد الزوجات وغير هذا مما يسود فى
القبائل الأفريقية .

هذه الكلمة مهداة منى الى الأزهر .

متحف السودان

إن خير تحية سودانية لمصر ، متحف السودان أنه اعزازهم لمصر
بلا شك الذي حدا بهم إلى العناية بآثارها هذه العناية الفاتكة المتحف بعد
المدخل الجميل الأخضر الذي يرف عليه النبات به أدوات مصر من النحاس
ترجع إلى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد وخرز يرجع إلى ٢٠٠٠ ق.م
واسير ورأى *

إناء جميلا من الفخار الأحمر المصقول

إن حضار (كرمه) الواقعة في الشمال تشير إلى مصر * حيث نرى
نميمة على شكل (أبو الهول) من العقيق وآنية محلاة بزهرة اللوتس
وخاتما منقوشا عليه اسم امنحتب الثالث من بلدة (سمنه)
ولوحة كبيرة من الجرانيت عليها كتابة هروغليفية خاصة بالملك
سنوسرت الثالث *

بل في المتحف السوداني جناح سنوسرت *

وفي المتحف السوداني الكاتب امنحتب من الأسرة الثامنة عشرة
جالسا مع زوجته يتقبلان القرابين وفي المتحف السوداني صورة معبد الملك
تحتس الثالث في (سمنه) *

وقد عثر على تمثال أوزوريس الهرم الثالث للملك سنكامنسكين
Senkamensexen في نوري Nuri

وفي المتحف السوداني تمثال للاله رع *

وتمثال للاله آمون وتمثال للاله ايزيس *

وفي المتحف مكايل وسلال من القش المصفور وعقود وحلي من الذهب
من بوهين Buhen وخاتم فضه من (مروي) *

وسكن من الذهب وأزرار من الذهب أيضا وعقد من الزجاج الأزرق
محلي بمادة ذهبية من (مروي) *

وعقد من الدلايات على شكل زهور بألوان مختلفة من مروي *

وكأس من الزجاج الأزرق عليه رسوم باللون الذهبي تقدمه ملكة
للاله أوزوريس *

دار الهاتف في الخرطوم

عشنا حاولت الاتصال ببنتى فى القاهرة من فندق السودان . ذهبت الى دار الهاتف . قابلنى رئيسه بترحاب ثم ابتسم . وعرفت أن الدخول الى عرينه ممنوع بعد الهجوم الأخير على دار الهاتف الذى راح ضحيته أكثر من ثلاثمائة شخص .

— كيف دخلت وبالباب جندى مدجج بالسلاح ؟

ولكن الذى حدث أن السائق المخصص لى ، همس فى اذن الجندى . . . فأفسح لى الطريق رئيس دار الهاتف حدثنى ان الايراد اليومى للدار يربو على ٣٣٠٠٠ ثلاثة وثلاثين ألف جنيه فبعد الثلاث دقائق الأولى يحسب عن الدقيقة ، جنيهان .

وهنا يروى الرجل طرفه فقد دفع زوج هجرته زوجته الى أوربا فى مكاملة استعطاف سبعمائة جنيه ٧٠٠ جنيه !!

وهنا يقول رئيس المصلحة : هذا المبلغ كاف ليتزوج أخرى .

ويلكوكس ورى الحياض

ويلكوكس مهندس الرى الانجليزى أول من قال بوجوب العودة الى رى الحياض كل خمس سنوات مرة فى عملية اراحة للأرض واعطائها فرصة تتزود بالطمى وتلتقط أنفاسها .

ان الرى الدائم خلق من الملايين الخمسة الصالحة للزراعة ثلاثة عشر مليوناً من لأفدنة دون زيادة فى الأرض بل المحصول .

بمعنى أن بعض المناطق تزود مرتين والبعض الآخر يزود ثلاث مرات .

ولكن نظام الرى الدائم هذا أصاب الفلاح بالكسل . . . فهو يفتح حوال الماء ثم ينام طول الليل على طريقة الفلاحة حين تدع طفلها يرضع طول النهار .

وهنا يزيد الماء عن حاجة الأرض (الأرض تطيل) .

الزواج فى السودان

فى بعض القبائل أو فى الجنوب بصفة عامة يضرب العريس بالسياط

ضربا مبرحا فاذا نددت عنه لفظه (آه) رفضته العروس أو أجملت طلبه
عامين على الأقل حتى ننسى قوله (آه) !!

عامين على الأقل حتى ننسى قوله (آه) !!

ويتصل بالزواج الختان والسودانيون يرونه عادة فرعونية أو يردونه
إلى مصر القديمة ولكن الختان كما يقول الدكتور أحمد بدوي لم يرد في
النصوص الفرعونية .

وسواء هذا أو ذاك فإن الختان متبع بل وفي مبالغة فيه يشفق منها
المثقفون فيهم .

وهناك غير الختان طقوس وطقوس لم يتخلص منها السودان الشقيق
بعد . لقد كان هم الانجليز الإبقاء على الطقوس السودانية لتجميد
السودان وحجبه عن التطور حتى تسهل مهمتهم ولكنه الآن يتطور .

أقولها كما قال جاليليو عندما حملوه على انكار دوران الأرض

ولكنها تدور .

يقول برتراند راسل :

(ما أيسر أن تنتشر مساوئ الغرب : القلق والروح العسكرية
والغضب واعتقادنا الجازم في الآله أما أفضل ما في الغرب روح البحث
الحر ، وإدراك الظروف التي تؤدي إلى الرفاهية العامة والتحرر من
الخرافة - فإن الدول القوية في الغرب تصرف الشرق عن التحلي به) .

ليست هذه وحدها التي تذكر للانجليز في السودان . . . لقد
تذكرنا مصريين وسودانيين في إحدى الأمسيات اغتيال السردار الانجليزي
الذي دبره الانجليز أنفسهم ليتخذوه ذريعة لفصل السودان عن مصر . . .

تري لماذا لم ترفض حكومة الوفد ، الإنذار الذي وجهته انجلترا إلى
مصر وقتئذ ؟

ما هو أقصى وأقصى عقاب ؟

أن تحتل مصر ؟ كانت محتملة .

هنا ترسم علامة تعجب كبيرة وعلامة استفهام أكبر .

ومن العجيب أن سعد زغلول نفذ الإنذار ثم استقال !
وكان الطبعي أن يرفض ويستقيل أليس لغزا محيرا ؟
وحتى حين يجثم الهم لا ينسى المصريون (القفشة) أو (النكتة)
حين قتل السردار سنة ١٩٢٤ كان وزير المالية في مصر علي
الشمس باشا . وقد طلبت إنجلترا فيما طلبت أن تدفع مصر غرامة
لأرملة السردار نصف مليون جنيه (كانت ميزانية مصر ١٧ مليونا) .
وهنا قال المصريون عن علي الشمس : (أنه أقصر وزير مالية مضى
على أطول شيك) .
ودفعت مصر نصف مليون جنيه فيما أصابها من غرم حين عجزت
سنة ١٩٣٣ أن تشتري مشروع الجزيرة في السودان ، وكان الثمن زهاء
وكان العائد وافر الرجحان .

رحلة السودان

طرائف سودانية

دعنتى صديقه سودانية كريمة على الغداء تكريماً لى هى تعمل بوزارة الثقافة السودانية . فحاولت اقناعها بالمثل الشعبى عندنا (المشغول لايشغل) وأنى يكفينى مصاحبته لى فى الحل والترحال مدة اقامتى هناك ولكنها أصرت . . فطلبت منها أن نستبدل بالغداء ، الافطار طنا منى أن أخفف عنها لأنى لا أريد ارهاقها . وقد اخترت الافطار باعتباره مهماً تكثر المرء فيه فهو لايعد وأشياء بسيطة وجاهزة كالجبن والفول .

قبلت الصديقة مسرورة . وذهبت فى منتصف العاشرة صباحاً فإذا بى افاجاً بوليمة مطبوخة دسمة دونها بكثير مائدة الغداء فى بيوتنا فى مصر . . ولما لاحظت صديقتى دهشتى قالت بعد أن عرفتنى بالأطباق السودانية التى حشدتها على مائدة الافطار ، ان العادة فى السودان أن تقدم الأطباق السودانية الدسمة فى الافطار !

وغلبتنى أخت النيل .

وفى السودان تنطق القاف غينا وحين يعيا المصريون عن فهم المهجة العراقية وغيرها من اللهجات فان الحديث فى السودان كان يجرى سائفاً سهلاً مع قليل من الاختلاف فى المسميات وقد تكون الكلمة واحدة والمختلف هو المضمون مثل .

كله كله أى أبدا أبدا

الليلة أى اليوم

المساء أى الليلة .

والدليل على قلة الاختلافات أن المصريين هناك يجمعونها فى عبارة واحدة تقول باستثناء كلمة عنجريب أى سرير .

(الزول جال للحرم من جليل شنو جالت ليهو الكاديسه العويره الصبطنه مريحت براها حسه) أن الشخص (الزول) قال لحرمه من

قبل أن شيء (شنو) قالت له القطه (الكاديسه) العبيطه (العويره)
المرتجفه (الصبطنه) مرقت وحدها (براها) هذه الساعه (حسه) ويعرف
السودانيون هذا ويضحكون كمن لا حيلة له مع الحبيب .

انهم يعرفون مكانه مصر ويعرفون أيضا سماعة مصر .

لقد أنشأ الأقباط المصريون مدارس في السودان فكانت هذه المدارس
تلقى مساعدات مالية من الحكومة المصرية وكانت الغالبية من تلاميذ هذه
المدارس من أبناء المسلمين . وترن في سمعى قصيدة الصديق السوداني
الكريم ، الشاعر مبارك المغربي :

يا مصر يا أملى العرو	به ياسـلاح العزل
يا واحدة الظمان في	درب الحياة المحمل
يا مواطن العلم الذى	بعطائه لم يبخل
كم من بيضاء قد	أسديت دون تفضل
أولاك لم ترق النهى	متن السماك الأعزل
فى كل ضرب فى العلو	م وفى الفنون مؤصل
قد صنعت من فتن الهوى	لغة الكتاب المنزل
وسموت بالأدب الرفيع	مع فعاد عذب المنهل
لولاك ما عزت شعـعو	ب الشرق بعد تذلل
لولاك ما خرجت فلو	ل الغاصب المتسلل
ولنا جلا شعب المغو	ل عن الحياض الهمل
ولما زهت أفريقيا	بجبينها المتهلل



والصيد فى السودان تروى عنه طرائف أو هى طرائف فى نظرنا .
فالنسناس يضعون أمامه اناء واسعا من الجعه فيشرب حتى يشمل
وينام الى جانب الاناء ويصحو ليجد نفسه فى قفص .

أما الفيل فانهم يضعون فى طريقه حفرة مغطاة بالقش ويسيرون
خلفه على مسافة بعيدة فهو لا يحب أن يرى انسانا أو يشم رائحته .

ويقع الفيل فى الحفرة . وهو بطبيعته ثقيل الوزن .

وهنا تدور تمثيلية آدمية اذ يحضرون أشخاصا يضربونه بعد أن
بتركوه بدون طعام ثم يحضرون هم أنفسهم أشخاصا يذودون عنه

يعطمونهم فيأنس اليهم وينقاد لهم !! وينتهى به المطاف الى القفص أيضا .
 معه حق الدكتور حسين مؤنس في معرض تنوييه برواية (الفيران
 والناس) أن ينوء بالفار أيضا على الرغم مما تقاسيه هذه الأيام . فالفار
 في رأيه أو في قوله (يعيش معك في بيتك) . ويشاركك عيشتك
 وطعامك ولكنه لا يريد أن ينشئ معك أى علاقة . فلا يكاد يسمع حسك
 حتى يختفي فإذا سكنت حسك وهدأت حركتك خرج يمارس حياته فهو
 معك ومنك وعليك ولكنه يرفضك . . لأنه لو قبلك فلا مفر له من أن
 يسمح لك بالتحكم في حياته كما فعلت مع القط والكلب . وأضيف
 والفيل .

بقيت كلمة لا من باب الطرائف ولكن من باب التحية . التحية
 للقرية السودانية . ان القرى في السودان ليست متلاصقة كالحال عندنا
 وليست أيضا مشعته الرأس أى أسطح البيوت نظيفة من الحطب
 والبوص .

وقد كنا نحسب الحطب والبوص مبعث الخوف من الحرائق فإذا
 بنا اليوم نكتشف أنه أحد أسباب الفيران التى تعيش مع الجحور فى
 التراكمت غير النظيفة .

وبعد كم بالسودان من طرائف وكم بالسودان من لطائف واعل
 الطف بالسودان :

• المرأة السودانية

• الطببة السودانية ما أطيبهم أخوة النيل .

قبرص التركية

جزيرة قبرص ماهى قصتها ؟

٢٧ ديسمبر سنة ٨٢ موعده سفرى الى جزيرة قبرص حيث دعانى
أمين الاتحاد الدولى للبنوك الاسلاميه الدكتور أحمد النجار لالقاء عدة
محاضرات فى الحضارة الاسلاميه .

السفر بدأ فى الحقيقه يوم ٨٢/١٢/٢٨ اذ تأخر وصول الطائرة
التركية الى القاهرة حتى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل أى فى بداية
اليوم الجديد . ولم تتحرك بعد أن ركبنا الا فى ٢٤٠ أى فى الثالثة
الا ثلثا . ولما كان طريقها ، القاهرة - ايطاليا بجنوب تركيا ومنها الى
قبرص فقد وصلنا قبرص فى السادسة صباحا وبعد الاستراحة فى المطار
فى بهو كبار الزوار ثم الخروج من المطار فى طريقنا الى فندق Salamis
كانت السابعة والنصف وصعدت الى حجرتى ووجدت نفسى أدخل
السرير بملابسى ولم أدر بعد هذا الا وقد فتحت عينى فى تمام الثانية
عشرة ظهرا .

تناولت طعام الغداء بدعوة من الدكتور أحمد فى بيت ابنه خالد
وزوجته اللطيفة هبة جاءنى خالد الفندق واصطحبنى الى بيته (بانجلو) .
الجبلى والبحر والهدوء والزهور ولكن خالد يقول أين الأصوات
العالية حتى أين الكلايكسات حتى هذا وحشنا فما بال الجوانب المشرقة
من الجميله الحبيبه مصر ؟

وفرحت لأن الكلام صادر عن شاب مصرى يلقى كل شئ يتمناه فى
جزيرة قبرص التى تكاد تأتمر بأمر والده . واستقبلتنى زوجته وهى
هروس لم يمض على زواجهما ثلاثة أشهر . . تقول « هبة » أى السمره
الجميلة :

كنت أظن العيش سهلا راضيا فى أى مكان مادام الانسان الى
جانبه رفيق يرتاح اليه ويحبه ولكنى وجدت أو عرفت أن مكانا واحدا فى
الدنيا ليس ككل الأمكنة : الوطن . . وعرفت أن الأهل نعمة لا يغنى
غناها أحد من الناس مهما عزوا أو وصلوا أو اتصلوا .

وبدكرت بمولها خطابات ابنتى فى امريكا فحنان تكتب لى الصفحات
من مظاهر الحياة المنرفة فى امريكا تم تقول ولكنى أعد الدقائق لا الليالى
لأعود ... وحشمتنى مصر

لك نومة فى القلب يا حبيبة لا ينتزعها مكان أو زمان .

ظاهرة بلا شك ولها أبعاد

أن تعمد البنوك الاسلامية الى اعداد جيل من الشباب للعمل فيها
تتوقع له أو توفر هي له ثقافة شاملة بالمعنى الجامع للثقافة ، بناء جديد
للإنسان المسلم .

والمكان أيضا جزء من الظاهرة وبعد من أبعادها ... أن نضع
الشباب فى جزيرة هادئة ليس فيها ما يشغلهم فى أوطانهم الخاصة ،
لون من الخلوة والتصفية يعين على تجميع النفس وتركيز الحواس فى
عملية احتشاد للتحصيل والتثقيف والاثراء الحضارى .

أن تطلب البنوك الاسلامية ، ما يزيد على ما تطلبه البنوك الأخرى
من تخصص اقتصادى ، ظاهرة .

ان التخصص وحده ، حرفة ووظيفة فى الحياة ، ولكن الثقافة
المتنوعة والجامعة أفق أعلى

فى انسانية الانسان ... وفى نوعية التفكير ... وفى مستوى
الأداء أيضا .

فالإنسان ، كل ، لا يتجزأ ... الانسان المحدود قد يؤدى فى الموضع
المحدود ...

ولكن الانسان المثقف ، يشرى كل شئ حوله ويرفع كفاءته بقدر
احساسه هو بالحياة والناس والأشياء .

وأن تعمد البنوك الاسلامية الى الثقافة الاسلامية والدينية ليس من
باب المشيخة أو التعصب ولكنه ايمان بضرورة الدين للإنسان يرشد به
سلوكه ، ويرتفع به أسلوبه النفسى واليومي . فالدين حين يصبح فهما
وينفذ العقل الى جوهره ، قيمه عليا أرفع وأوقع من القسانون الوضعى

الذى يغرى فيه غياب الرقابة ، المخالفة ولكن الدين الحقيقى . رقابة داخل الذات لاتعيب . . . انها الضمير .

قيمة كبرى أن يحف الانسان ويشف من تلقاء نفسه لا جزعا ولا طمعا .

هنا يعتمد عليه فى كل شئ ويعهد اليه بكل شئ انها الثقة .

وانها الطمأنينة من رضا النفس وكلاهما أغلى من المال الذى تضحيه بنوك الأرض قاطبه . ثم انى أرى فى هذه الظاهرة خطة احياء ، كبرى . فالذى يتأمل هذا الدين يجد قوة ذاتية كبرى ، فيه ، قد استطاع أن يصنع من القبائل المحتربه ، ومن البدائية الجاهلية ، أمة ودولة وحضارة وثقافة فكيف به اذا غرس فى نفوس ارتفعت كثيرا لعوامل الزمن والحضارة القديمة وطول العهد بالتهذيب والتشذيب ؟

انها صقوة بلا ريب

وانها نهضة حقيقية قادمة بعيدا عن الشعارات والمتاجرات . . . أنه توظيف لجدينا اللسان الاسلامى وتوظيف أكبر للانسان المسلم وهنا يتحول للعدد الى عدة لاشدة .

هنيئا جولة

تعقبها صوله .

يوم يغدو الاسلام اقوة تملك الكلمة والقرار

واذ يحسب حسابه ، ويخشى جناحه ، يعيد الآخرون حساباتهم فلا يتخيفه هيف ولا يتهدهد سيف ، ولا يخساده زيف ، ولا يتهمه المغرضون والشائنون ، يضعفنا الذى صنعتته الأحداث والتأمر والتفرقة والإغتيالات ، يوم نسينا الله فأنهينا أنفسنا وسهل على عدونا غزونا أرضا وانسانا .

حاضرت شبابنا من ١١ دولة تعددت ألوانهم وجنسياتهم . . . وكان موضوعى الاسلام كحضارة وثقافة وبناء للإنسان كانوا يسمعون بعيون لا تطرف وأسماع ترى الأعماق البعيدة للكلمات امتدت المحاضرة والمناقشات التى أعقبتها خمس ساعات لا أنا تعبت ولا هم تعبوا وكان روحهم الوثابة برت فى . . .

كانت مهمتى أن أحاضر الشباب فى الجزيرة خمسة أيام على التوالى. فاذا بهم وإذا بى من اليوم الأول نلتقى ونقترب ونأكل على مائدة واحدة . وانتزع نفسى منهم انتزاعا فى كل يوم بعد وقت طويل حافل بالحوار والقضايا والموضوعات وكذلك يفعل أساتذتهم الذين هم بهم يستعين الاتحاد الدول للبنوك الاسلامية على تحقيق رسالته الجديدة على عالم البنوك والمال والأرقام .

فى اليوم الثانى من حضورى الى الجزيرة قابلنى رئيس الجمهورية الذى استقبلنى فى بيته اضافة فى الاحتفاء بكتابة مصرية بل خرج الى حجرة الاستقبال الخارجية ليصحبنى الى مكتبه .

احتفى بى حفاوة بالغة وأهدى الى كتابه : The Cyprus Traingle
أى المثلث القبرصى الذى وضع لاسمه عليه مجردا : R. R. Dehktash
ر . ر . دينتكاش .

والكتاب فى الانجليزية يقع فى ٢١٨ صفحة وهو يرسم صورة مفصلة للجزيرة منذ تاريخها الباكر وما مر عليها من أحداث جسام وصراعات مريعة تخللتها مؤامرات ولونتها دماء وجللتها تضحيات وانتهى بها الأمر الى التقسيم الذى تبنته الدول الكبرى منذ وقت طويل ثم تعد المسرح لفصول الرواية لتتظاهر فى النهاية أنه آخر المطاف لتسدل الستار على النظرية المعهودة « الأمر الواقع » .

قصة تتكرر كل يوم شهدناها فى فلسطين ونشهداها فى قبرص ماثلة للعين بل نسمع عنها فى ماليزيا التى كانت جزءا من سنغافورة يصلها بها كوبرى فاذا بهم يعزلونها حتى لا يتصل الحزام الاسلامى الذى يضم اندونيسيا التى تضم ١٣٥ مليوناً من المسلمين تتحكم فيهم الآن بضعة ملايين من المسيحيين الذين يدينون بدين الرحمة والسماحة يقتربون باسمه ماتهوى سياستهم وكم بين السياسة والدين الذى هو خير كله سواء المسيحية والاسلام .

وقف بى رئيس الجمهورية أمام خريطة قبرص وشرح لى كيف اختفت مائة قرية من هذه الخريطة وكيف قتل فى الحرب الاهلية ٧٣ ألفا .

كان يتكلم عن قبرص فى هدوء ومجبة واستطعت أن أفهمه .

إن الوطن غال ولو كان كوخا من أعواد الشجر لا أرضا وسما.
وبشر.

ولما كان رئيس الجمهورية في لقائه بى قد أمر أن يعد لى برنامج
شامل لزيارة معالم الجزيرة .

وبدأت الجولة فى اليوم التالى كانت الساعة الثامنة صباحا . الملح
ساعتى تشير الى العاشرة ولا تزال السيارة يحف بها الأخضر من
الجانبين فى السهل والجبل . الجبال الخضراء بعيون الماء تنحدر منه
كسويسرا وكالمغرب ويصبح فى فرح جذلان سائق السيارة الأسمر على
الرغم من أن أمه قبرصية وأبوه فلسطينى : تعال أى تعالى (شوف
منظورا به حلوه) أى منظرا حلوا ويتكرر وثبه الجذلان وصياحة الطفل
على الرغم من ضخامة جسمه طولا وعرضا ، كلما رأى عينا صغيرة من
الماء .

ما أطيب البسطاء فى كل مكان . . عندهم من طمأنينة النفس
ما يجعلهم يفرحون بأقل القليل . .

انها نعمة قد يحسدها عليهم أصحاب الغنى الباذخ الذين يؤرقهم
الحرص على ما يخرج عن حدود ممتلكاتهم وقد لا يقاس بما يملكون .

ولا أنسى لفتة هذا الانسان البسيط فقد اذاع مؤشر راديو السيارة
عدة مرات حتى جاءت محطة القاهرة فتهدل وجهه وهو يلتفت الى المقعد
الخلفى حيث أجلس ، فشكرته فى مثل تهلله .

أحسست فى جولتى بمرص التركية اننى منها بين الجبل والبحر
والسهل الثلاثة صمجة ولكنى لاحظت أن السيارة يمضى علينا فيها
انصاف الساعة دون أن الملح سائرا فى الطريق . . بين الحين والحين تمر
سيارة الى جانبنا أو قادمة من الاتجاه المقابل .

وسألت عن عدد سكان الجزيرة فاذا بهم ١٥٠ مائة وخمسون ألفا ؛
بعدم أن قتل منهم فى الحرب الأهلية بينهم وبين القبارصية اليونانيين
٧٣ ألفا !

أرض تحتاج من يزرعها .

ومعدن النحاس عندهم يحتاج من يستخرج أو يعيد الى المناجم

نشاطها ثم يهاجر شباب الجزيرة وراء فرص العمل !! يبدو أن الهجرة
موضة العصر ولو في غير ضرورة .

لقد مررت على قرى مندثرة .. أطلال ويقول مرافقي القبرصي :
كانت قرى بأكلها يخيم عليها سكون رهيب ولا يرى أحد من أهلها.
أحدنا ثم يتبين أن اليونانيين ذكوها بالبلدوزر !
كم مرة وقفنا بقبر كبير جماعي كتبت عليه من الجانبين أرقام كثيرة
بغداد القتلى الذين يضمهم .

قرية وراء قرية دكت دكا . لو أعطوها اسما كتبوا : (كانت قرية
في يوم من الأيام . وغدت حطاما) .

في الطريق مررت بجبل تبدو قمته في صورة كف اليد المفتوحة
وفعلا قال الدليل القبرصي هذا جبل الأصابع الخمسة .

والقبرصيون يسمون الجزء الأخضر من جبالهم الذي يليه البحر :
لبتان قبرص والجزء الآخر الذي تليه الجبال الصماء : سوريا .

وجزيرة قبرص بعد التقسيم الذي أعطى قبرص التركية الإسلامية
ثلث الجزيرة مع أن الجيش التركي كان قد رد اليونانيين على أعقابهم
وأجلاهم عن معظم الجزيرة إلا أن قبرص التركية بهذا الثلث فيها ٨٠٪
من الأرض الزراعية أو الصالحة للزراعة في الجزيرة كلها . ولكن
ما جدوى هذا بدون ايد عاملة تزرعها ! انه الانسان قبل المكان الانسان
روح المكان . ولهذا يقول « توينبي » بنظرية (التحدى) في تفسير
الخصارات . ولهذا أيضا أردد على خلاف الشائع : مصر هبة النيل وهبة
الانسان المصري معا .

قطعت السيارة شوطا بعيدا وصلنا بعده مدينة جونا
وهي مدينة صغيرة ولكنها نظيفة مشرقة وبها قلعة كينتا .

الشوارع في جونه أو غيرها حتى تلك الصاعدة في الجبل نظيفة
مرصوفة ..

وتذكرت خاطري الى الشاطئ الآخر من البحر . في جولتي بقبرص
رأيت فندق زفروس Sfros الذي لفحته نار الحرب الأهلية يحل

ويعلى بناؤه ويشكل من جديد تشكيلا واعداء يرباه بنك فيصل الاسلامي ليكون معهد البنوك الاسلامية .

وبعد جونا رأيت نيقوشا العاصمة وهذا منطوقها بالتركية أما باليونانية فهي نيقوسيا . تماما كاسم الجزيرة فهو سايبس باليونانية والانجليزية وقبرص بالتركية مدينة لطيفة صغيرة ومع هذا قسموها شطرين كبيرين ورأيت الخط الأخضر كما يسمونه يفصل شطري الجزيرة وعلى امتداد البصر رأيت مظاهر نراء يشي بفروق ٠٠ وسألت محدثي التركي عما أرى فقال ان وراء هذا الدولار الامريكي تحت اسم تعويضات عن الحرب ! حرب هم الذين شنوها ولكن هذا هو الوضع ٠٠ حروب خفية وظاهرة ضد الاسلام ومحاولات مكثفة للافتئات على أرضه وافقار أهله . لكنه باق وان كرهوا رأيت في نيقوشا جامعها أو أكبر وأشهر جامع فيها . انه على الطراز البيزنطي بالعقود المتقاطعة يحس المشاهد للوهلة الأولى انه كان كنيسة .

وضع المحراب غريب في مكانه انه في وسط الجدار الأيمن والمحراب له الصدارة عادة . وفي الجانب الآخر أرائك خشبية مغطاة . لما سألت ، قالوا انها لا تستعمل . اذن فيم وجودها ! ٠٠ في نفسى سؤال حائر بعد زيارتي قبرص التركية .

العراق يطلب نوعية معينة من المصريين طلاب الهجرة . انه يشترط الذين قضوا الخدمة العسكرية !! أي الشباب المصري الذي تم تدريبه وهناك يجندونهم بالاكراه ويضعونهم على خط النار الأول فيحصدون ٠٠

هل نعلم هذا ونتجاهل ؟

هل هي طريقة ملفوفة للمساعدة العسكرية ؟

هل هان الدم المصري الى هذا الحد ؟

ارسلوا الشباب اذن الى قبرص حيث الحياة ومجالاتها لا المسوت المحقق عن قضية لسنا من جناتها علم الله ولسنا طرفا فيها .

في المؤتمر الصحفي الذي عقده لى الأمين العام للاتحاد الدولي للبنوك الاسلامية . سألتني شابة صحفية : هل من الممكن أن تعطى مصر في جامعاتها منحة للطلبة القبرصيين وكان سؤالاً ذكياً ومخرجاً اذ عرفنا أن قبرص التركية الاسلامية لم يعترف بها أحد ، بعد ، من الدول الاسلامية

ومنها مصر !! حين نتدفق السياحة على قبرص اليونانية التي ارتكبت
ما ارتكبت بل اننا فى يوم من الايام سايرنا الدعاية لمكاريوس وصورناه
بطلا حقق الجلاء وهو اتفاق مسبق بينه وبين الانجليز الذين كانوا يحكمون
الجزيرة .

انها مؤامرة ذات هدفين :

١ - انتزاع الجزيرة من المسلمين الذين حاولوا زحزحتهم بالاضطهاد
قبل الحرب الاهلية .

٢ - توسيع هوة البعد بين تركيا وبين العالم الاسلامى الذى لم
يعترف الى اليوم بقبرص التركية حتى بخط طيران ٠٠ فان الطائفة تصل
الى تركيا أولا (ايطاليا) فى الجنوب ومنها الى قبرص وتكلف التذكرة
٦٠٠ جنيهه ستمائة جنيهه حين تكلف التذكرة المباشرة الى قبرص اليونانية
التي تنعم بالسياحة المتدفقة عليها من البلاد العربية ، ٨٥ خمسة وثمانين
جنيها ويكفى هذا الفرق المادى لعزلة قبرص التركية .

وهنا خرجت من السؤال بمناشدتي لهم أن يعرفوا العالم بعامة
والاسلامى بخاصة بقضيتهم ويصلوا الجسور المقطوعة ويحصلوا على
اعتراى الدول بهم وهنا تسهل سائر المهمات .

ان مصر التي ترعى فى الأزهر الشريف ٣٦ رواقا لمخلف البلاد
الاسلامية لا تظن على قبرص بالمنح دينية أو مدنية ولكن على قبرص أن
تلملم قضيتها وتجمع نفسها وتضع أولويات لأمانها وضروريات وجودها
هل نعرف قبرص التركية ؟

وهل نعرف بها ؟

سؤال تمثيت أن يجد اجابة واستجابة . . لعل .

ترکیبا

رحلة تركيا

في جامعة مرمره ، بكى الاتراك ، حيننا الى الاسلام :

استانبول أو مدينة (وادي المياه الحلوة) كما يقول كتاب
Beautils of The Bosphong (روائع البسفور) لصاحبه مس باردو
Miss pordox . . المدينة التي تحيط بها من جميع الجوانب الجبال
الجرداء العاطلة . ونطل عليها من الأعلى . كأنها زمردة ضخمة فخمة
رائعة .

استانبول ، أو اسلامبول ، كما تكتب في بعض المراجع ، هو الاسم
الاسلامي للقسطنطينية أطلقه السلطان محمد الفاتح ، عقب استيلائه
عليها في مايو سنة ١٤٥٣ . وهذا الاسم « استانبول » تركي معناه :
دار الاسلام .

ويروى أنه قبل فتح السلطان القسطنطينية بأيام كان كشف موقع
قبر الصحابي أبي أيوب الانصاري أحد قادة الجيش الأموي الذي زحف
على القسطنطينية سنة ٦٧٠ م في عهد يزيد بن معاوية . وقد استشهد
هذا الصحابي الجليل ودفن على مقربة من أسوار القسطنطينية .

وقد أشعل اكتشاف قبره أثناء حصار السلطان للمدينة مشاعر
الجيش العثماني فلما تم فتحها ، أطلق السلطان عليها (اسلامبول)
تيمنا وإبتهاجا . وبني مسجدًا بالقرب من ضريح الصحابي الشهيد أبي
أيوب الانصاري .

ومن الطريف أن استن سلاطين آل عثمان سنة مرعية فكان عقب
اعتلاء كل سلطان جديد ، العرش ، يذهب في موكب رسمي حافل الى
هذا المسجد ثم يزور ضريح أبي أيوب الانصاري وهناك يتسلم السلطان
في جو ديني مهيب ، من يد شيخ الطريقة المولوية - بيوك جلبي - سيف
السلطان عثمان الأول الجد الكبير للسلطين العثمانيين كما يقول : كتاب
(الدولة العثمانية) ج ١ ص ٦٤ للدكتور عبد العزيز الشناوي .

كتاب (الانراك العثمانيون وحضارتهم) بروكلمان كارل ص ٤٦
١٩٨٣/١/١٢ أول مرة أזור فيها استانبول . المطار مغطى بالتلج
المندوف مما يسمونه في فرنسا « نيج » .
أتوبيس واحد كان ينتظر عند سلم الطائرة فازدحم بالركاب الذين
النصقوا واقفون .

ابتسمت فقد رأيت أتوبيسا مزدحما عند الآخرين أيضا ولكن لم
يتكرر هذا خارج المطار فاستنبول تعدادها أربعة ملايين ولكن الاتوبيسات
بها لا تعرف الزحام أو التعلق بالسلم أو التمدد من السقف .

استانبول جبلية وبحرية في آن . انها كما هو معروف ، على
البنفسور ومع هذا ليس على الشاطئ ناطحة سحاب مع أن الأرض مدرجة
ممعنة في الصعود بحيث يجد كل مبنى فرصة لاطلالة على البنفسور .
واعتبار آخر ان البحر واسع فلا يستقطبه أو يزاحمه بناء عال
ولكننا نحن في انانية وافتقاد أو غياب احساس بالغيل بنبي عشوائيا
ناطحات سحاب تنطح الذوق والنهر .

لقب رأيت في استانبول احياء قديمة بيوتها خشبية ولكنها نظيفة
هادئة بادية السمر . ليس فيها فقر مدقع أو اصوات صاخبة أو ألوان
ناقعة .

ورأيت في استانبول في ميدان تكسيم مجموعه من التماثيل على
قاعده واحدة عريضة استوقفتني ثم عرفت أنه اتاتورك ومن معه
لم ينكرهم اتاتورك والشعب حتى اتاتورك لم يدع أنه الأوحيد والمهم
والعلامة الفهامة .

ومحطة استانبول فخمة ولكنها بعيدة جدا عن المدينة . انها على
الميناء وهو تخطيط سليم اقتصادي .

ظاهرتان في استانبول : الأدب الجم الطبيعي . . النظافة .

وهاتان الصفتان تصلان حد المبالغة ، في عين الوافد أو الغريب
على الأقل . (الجرسون) بادی الاناقه والنظافه الشديدة . . صوته خفيض
حامس يملأ الكوب وتحت الاناء فوطه شفافة لالتقاط أى قطرة متخلقة من
عملية الصب . والكوب يمسكه بمنديل من الورق .

استنصافوني في فندق مارمر اينات • الذي لفت نظري ليس
الفخامة وانه لفخم ولكن الذي أثار اعجابي ، النظافة التي لا مثيل لها •
حتى في المساء قبل النوم يمر رجل في ملابس انيقه • وفي ادب جم
يطوى غطاء السرير ثم يضيف اليه بطانية جديدة ثم يشنى حرف الاغطيه
بطريقه حتى لا يتكلف النزول الا أن يغمض عينيه هائثا •

ويفرغ الرجل السلة من أقل ورقة بها ••• ثم يعيد تلميع الحمام
ويضيف اليه صابونا مغلفا •

كان الفراعنه يقولون ان الشمس في مصر غيرها في بلاد الناس
وأقول ان اللون الأبيض في تركيا غيره في بلاد الناس •

والمطعم في هذا الفندق على غير العادة في أعلاه في الدور الثامن
عشر حيث تطل الموائد على البسفور تحيط به استانبول في حنان واحتضان
••منظر خلّاب •

وأحسست أن الطعام في تركيا له طقوس •• وأن شهر المطبخ
التركي لها أساس فعلى باب المطعم وقف انسان نظيف أنيق يقدم النعناع
والشيكولاته بعد الانتهاء من الاكل •

ولهذا الرجل زميل يمر على الحجرات ليلا يضع الى جانب السرير
قطعتان من الملبس •

أما الطعام فلست بحاجة الى أن اصفه وان كان هذا الطعام الشهى
الذى لا يقاوم هو الشيء الوحيد الذى كنت أهرب منه في تركيا حتى لا
يفسد جهد سنين في النظام الذى أفرضه على نفسى وفي قسوة أحيانا كثيره
لا جريا وراء تحافه ولكن جريا وراء شفافية الروح •••• لأنى لا أحسن
الكتابه الا اذا كنت في حالة لا هى امتلاء ولا هى خلاء أى بين الشبع والجوع
والكتابه عندي لا يعدلها شيء • لا أنسى قبل أن أغادر الفندق على الصفحة ،
الشباب المصرى في تركيا ••• في هذا الفندق مهندسان استدعتهما
تركيا لتكوين الكمبيوتر ••• فرحت بقيمة مصرية تقصد لمهمه علميه •
تذكرت السلطان •

أن يعيش وسط هذه الانحناءات والتحيات والتعظيمات والمأكولات
معذور في ولعه بلا ألقاب وفي حياة الاسترخاء •• فالذين كونوا الامبراطورية
أو اقترنوا بالقوة صفه منشاء الدول ثلاثه •

عثمان آل طغرل الذى أسس الدولة واليه انتسبت فيقال آل عثمان
أو العثمانيين • سليم وغزواته •

سليمان القانونى ابن سليم •

أما الباقيون فقد رأوا نعيما وملكا كبيرا • ويبدو أن كل تركى يحس
أنه سلطان... رأيت فى إحدى الطرق ماسح أحذية أمامه صندوق ضخم
من النحاس الأصفر المشغول له بريق صندوق جميل مطعم ملىء
بالخانات والعيون كل شئ فى مكانه •

هذه المهنة تدهى احساسى • قد يعمل انسان بتنظيف الأرض ولا
بد أن يكون هناك من ينظف الأرض فى السلم الاجتماعى ، ولكن أن يمسح
انسان حذاء انسان آخر فلا ولو كانت آلتة صندوق من الذهب الخالص •

فتحت عيني فى السابعة صباحا لأرى البسفور كما تعودت أن افتح
عيني فى مصر على - النيل ولكنى فى هذا التوقيت وجدت الطبيعة نائمة
... الوقت ليل لم تظهر الشمس بعد • لم يستيقظ معى الصباح •

امسكت القلم اسطر هذه الظاهرة • ما أقربه الى كائن لا أكتب به
وانما أقضى اليه • أحدثه • أشركه فى الرؤيه والرؤيا أيضا •

Top Kapl Sarayl

فصر
ابواب وقباب وحدائق ... آيات قرآنيه بأعلى الأبواب • اسماء
السلاطين مشتهة بالقصر •

قاعة ١ :

بدأت الجولة جناح الحزينة على اليمين • فاترينة محفوظة بها البداة
العسكرية - للسلطان وملحقاتها من دروع وسيف من الذهب مرصع
بالاحجار الكريمة ... حتى الحذاء من الذهب المرصع وكذلك الخوذة أى
من الخمص القدم حتى قمة الرأس

بدأت الجولة التى تروى كل ذو عيني ولكنى كنت أرى بقلبي
وعقلى وذاكرتى التى لا تنسى ما حدث لكنوز أسرة محمد على ومتحف محمد
محمود خليل • فى تركيا رأيت ورأيت • فاترينة بها حقائب مرصعة
باللؤلؤ والماس •

وشرايبات طويلة للسلطان محمود جلال الدين • وشرايبات من
اللؤلؤ خلقتها بعين المرأة حقائب يد • ومعها قبعرتان •

فاترينة بها عرش السلطان مراد الرابع . أريكة من
المطعم بالعاج والصدف والفيروز .

فاترينة بها جراب المسدس مرصع بالذؤلؤ وسيوف مرصعة
بالأحجار الكريمة حتى (شباك) الأبريق مشغول ومرصع .
فاترينة بها جراب المسدس مرصع بالذؤلؤ وسيوف مرصعة
بده مرصعة بالفيروز والماس .

فاترينة بها نرجيلة مرصعة وشمعدانات من الذهب ومة
لأطباء الشموع من الذهب ومفرش من القטיפعة الحمراء مرصع
والماس يقرش تحت قدمي السلطان عند باب القصر .

فاترينة بها هدية من الصين للسلطان عبد الحميد عبارة عن
للقصر الصيني بحديقته من الذهب والفضة والأحجار الكريمة
والقصر على قاعدة ذهبية مرصعة .

والقاعدة على قاعدة من خشب الصندل المشغول .

فاترينة بها كشك الموسيقى مرصع وفوق قاعدة من الذهب
داخلها قصر مرصع فوقه فيل من الذهب على وشحه مرصعة .
على شكل أشجار من الذهب تفتح من أعلى فتنبعث منها الموسيقى
فاترينة بها سيوف مرصعة للسلطان سليم الأول .

فاترينة بها درع وسيوف والريشة والحزام والسهم
السهم جميعه من الذهب المرصع .

كل هذا لم تمسسه يد . لم يبدد . لم ينهب . لم
به فصوص زجاجية أو أثاث بدائي . انى أذكر بتفصيل لأن
الجامع فى هذا الموضع قد يبدو من زخرف القول بينما الحقيقة
المسها تفوق الخيال . انى أذكر بتفصيل علنا نتدارك شيئاً
لمصر ان كان قد بقى شيء .

قاعة ٢ :

عرش السلطان أحمد يصعد اليه بارتقاء ثلاث درجات .
العرش خشب مطعم بالصدف والأحجار الكريمة .

مسابيح السلطان من حجر الزبرجد ومسابيح من اللؤلؤ .
طبق كريستال قطره نحو ٧٠ سم وعمقه أو ارتفاعه نحو ٤٠ سم
مملوء بأحجار الزبرجد .

كيف لم يرغب منها شيء ؟ انها مفردة أى من السهل الاختطاف
والإغتراف ؟

لو كنت مكان الأتراك لأفردت لهذا الطبق بمحتوياته ففتحها مستقلا
وسميتها (الأمانة) أو (العفة) أو (القيمة والكبرياء) أو (الشحم)
أو (النزاهة) .

موقف تحار اللغة ، كالعقل ، فيه وخاصة عقل الانبساط المصرى
الذى يعرف ما جرى لكنوزه . وبعد (الطبق) ، ريشة مرصعة بالياقوت
والزبرجد .

قاعدة أحجار الزبرجد زنته ٣٢٦٠ ثلاثة آلاف ومائتان وستون
كيلو جراما . حملقت جيدا فتأكدت من الرقم .

١٣١٠ ألف وثلاثمائة وعشرة كيلو جراما من الزمرد

٥٠٠ خمسمائة وتسعون كيلو جراما من الزبرجد .

اتهمنا الخديوي اسماعيل بالاسراف حين قدم بضع مئات من
الألوف للسلطان لكى يعتمد عرش مصر لأولاده . معذور اسماعيل مرتين .

السلطان يبتك هذا كله ماذا يقدم اليه لقد غبنه اسماعيل

عرش مصر يساوى عرش مصر ؟ كثير المال قليل ، فى عرش قيمته
بلا حدود .

— أدوات وأكواب من الحجر الأخضر المرصع والأبيض والكريستال .

— زمردا منود زنته ٣٢٦٠ ثلاثة ومائتان وستون جراما وهو من
الهند له ضوء يشع فى الظلام .

— جراب اسيف غطاؤه ساعة .

— سرير طفل من الذهب المرصع والغطاء من الحرير المرصع باللؤلؤ .

لا أزال سائرة مسخرة . وبقدر حفاظ البلاد على ميراثها يقدر الالم
الذى يعتصرنى على ميراث مصر وتراثها المسلوب والمنهوب .

ولكن أن أفلت اللصوص من حساب الأرض فلن يفلتوا من حساب السماء بأواء بغضب من الله واحتقار من الشعب

في هذه اللحظة أرى مصحفا له غلاف مرصع وقد كتب عليه بالخط الماس : لا إله إلا الله .

— فأتريئة بها نياشين السلطان عبد الحميد والسلطان محمود الثاني وربها هلب من الماس ومراة مرصعة وأدوات مرصعة .

— فأتريئة بها نياشين مرصعة مهداة من الدول : (اليابان — بلجيكا — البرتغال — اليونان — اسبانيا — فرنسا — الروم —)
توددوا إليه في أوج اقوته (١) .

قلائد من السويد والنمسا وانجلترا ويوغسلافيا حتى موناكو .

— شمعدانان كل منهما ٤٨ كيلوجراما من الذهب وفي كل منهما ماسة وزنها ٦٦٦٦ كيلوجراما والتحفتان للسلطان عبد المجيد (١٨٣٩ — ١٨٦١) .

— أريكة مرصعة بالزبرجد للجلوس عليها في العيد يرجع تاريخ صنعها الى القرن السادس عشر .

— محابر ومقالم من الفضة والذهب وحجر القمر وهي مرصعة :

— أريكة كبيرة من الذهب المرصع حتى الوسائد ومرصعة هدية من السلطان نادر شاه للسلطان محمود (١٧٣٠ — ١٧٥١) .

قاعة الساعات :

كلها بالطبع مرصعة حتى العقارب وبينها ساعة من الصدف .

(١) يقول الدكتور عبد العزيز الشناوي في كتابه (الدولة العثمانية) ولقد عاشت الدولة العثمانية أكثر من سنة دون وانباح جيوشها الإسلامية العثمانية ، أقاليم شاسعة في جنوب شرق أوروبا ووسطها . وهي أقاليم لم تخضع قبل من قبل الحكم مسلم وأحرزت باسم الإسلام انتصارات باهرة . وتساقطت في أيديها دول أوروبية عديدة وامتلأت قلوب الحكومات والشعوب الأوروبية فزعا وعلما من هذه الدولة الإسلامية الطارئة عليها فهم عفر دارها .

الساعات كلها واقفة عند الساعة التاسعة وخمس دقائق اللحظة التي مات فيها اتاتورك وفي يوم ١٠/١١ صباحاً .

وفي هذا النوقيت من كل عام تقف الدولة والشعب . . التاكسيات والمحلات . . الطرق . . في هذا التوقيت تعطى إشارة معلومة فيقف كل شيء . وكان الحياة بدورها تقف كما وقفت حياة اتاتورك في هذه اللحظة .

قاعة :

— بها مصحف مفتوح على الصفحة التي مات عثمان وهو يقرأ فيها .
ننتقل الآن الى الحرمك وبه طرائف شتى .

والحرمك به ٤٠٠ أربعمائة حجرة ، المفتوح منها ، غرفتان وعلى باب الحرمك (كشك) زجاجي به شبك صغير يفتح ويتكلم منه الموظف المختص ثم يغلّق .

الحرمك لا يفتح الا في تمام الساعات ولمدة خمس دقائق فقط أي في تمام العاشرة (١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦) .

وهناك لوحة خشبية مخرمة تعلن هذا .
ولحرمك تذكرة دخول خاصة .

جناح الحراسة مكون من ثلاثة أدوار . غرف على الجانبين للحراس من الأفريقيين الذين يهدون في ذلك الوقت للسلطان .

معلق على الحائط عصاوان غليظان لضرب من يرتكب خطأ من الحراس وهنا يتنسم الأجانب ابتسامة خبيثة .

بقول الدامل التركي على عهدنه وما أكثر مبالغات الأدلاء للاطراف أن التقليد المتبع في الحرمك أن الذكر من أولاد الخدم اذا بلغ التاسعة يبعد عن المكان . . والذكر من أولاد الزوجات اذا بلغ السادسة عشرة ، يبعد .

الرجل الوحيد في الحرمك هو السلطان ومن الطريف أن حجرة مكتب السلطان في الحرمك تطل على (المسبج النسائي) أي حمام سباحة لنساء القصر !!

جناح خادن أفندم :

- أم السلطان • وجناحها يضم أربعين حجرة •
- أهم ما لفت نظري في جناح الوالدة ثلاثة أشياء :
- ١ - أريكة من دورين لتكون في مجلسها أعلى كثيرا من ضيفاتها نطل
عليهن من أعلى •
- ٢ - الشيء الثاني :
- مفسورة يجلس فيها السلطان عندما يزور أمه !! نبعد عن
أريكتها بضعة مترات !!
- الأم أقرب الناس وأحب الناس •• عندها ترفع الحجب ولو كان
الابن ملك الملوك ولكنه الولع الملوكي بالهيلمان •
- وفى بهو الاستقبال فى أحد الأعمدة حوض وصنبور حتى اذا حضرت
الصلاة نهيا الوضوء وفى جناح أم السلطان هدايا قيمة :
- ساعتان من الملكة فيكتوريا
- كرسى من ألمانيا
- فازان من الصين
- ٣ - غرفة طعام أعدتها أم السلطان أحمد اعدادا خاصا وكان به عروف
عن الأكل •
- الغرفة عليها صور منقوشة لجميع أنواع الطعام والحلوى والفاكهة
تحايلا من أمه على فتح شهيته ألم أقل ان الأم هى الأم •
- السلطان أحمد يملك مقاليد الأمور ويحكمه السلم والحرب فماذا
فى الحرم ملك أمه (تحايله) لياكل •• ان سلطان الناس طفلها هى •
- حجرة الطعام : صينية كبيرة مستديرة من الفضة على أرجل
خشبية مرصعة وحولها شلت أى طبلية سلطاني •
- حتى المكتب منضدة صدف منخفضة وثلاث شلت وأنذكر الدكتور
محمود فوزى نائب رئيس الجمهورية الأسبق دعانا مرة للصعود الى

الطابق الأعلى في بيته بالهرم وحين بزخر قاعة الاستقبال في الدور الأول
بفاخر الأثاث على الطراز الحديث ، يحفل الدور العلوى بالأركان الشعبية
والاسلامية ويتسم الدكتور فوزى في هدوئه الذى غدا له طابعا
ويقول لى :

هذه الجلسة أكثر الجلسات راحة ولكن (القيام) شيء آخر
مشيرا الى صعوبة الوقوف بعد جلسة الأرض .

* * *

الذى أصفه هذا أراه من وراء كوردون : كل شيء له قيمة عند
أصحابه . ليس غيرنا من يهدر تراثه .

* * *

وفى الحرمك طريق طويل . ممر داخلى يسمى طريق الذهب لان
السلطان كلما اخترقه نثر الذهب يمينا ويسارا أثناء سيره فيه !!

مرة أخرى أقول كم فى الحرمك من طرائف .

والحمام . فى القصور التركية ليس حجرة ولكنه حجرات .
حجرة رخامية البانيو والأحواض والأرض والجدران وحفريات فضائية
وذهبية ثم حجرة لارتداء الملابس فيها ثم حجرة للمساج ثم حجرة لتناول
شراب ساخن عقب الحمام أو لزوم الحمام وكلها تظللها سقفوف هى قباب
من الزجاج الملون .

ماذا أقول : حمام تركى . والسعد وعد . وان كنت أنا شخصا
أرى السعادة الحقة فى أشياء أخرى غير هذا كله بكل ما حوى وليس
هذا من فلسفة الشعوب . والدليل عندى من تركيا نفسها فى استانبول
قصر يسمى (قصر البنت) له قصة .

كان للسلطان سليمان القانونى ابن سليم الأول بنت وحيدة وفى
ليلة فزع من نومه يرتجف فقد رأى فى المنام أن تعبانا لدغ وحيدته
وأنها فقدت الحياة . ولم يطق هذه الرؤيا فأمر ببناء قصر للبنت فى
البسفور بعيدا عن الشاطئ إمعانا فى توفير الأمان لها وله شخصا انه
هنا أب . وأب لابنة وحيدة .

وانتقلت البنت وحولها الخدم والحشم الى قصرها الجديد . والتقط
الأب الخائف أنفاسه .

وفي يوم سئل الى احدى سلال للخضر ثعبان وفي القصر زحف الى
• قرت عين أبيها ولدغها فماتت !!

وهكذا ملك السلطان كل شيء .

• وقد أعز ما يرجو ويختار .

ولكنه لم يملك الخيار .

وعاش بين الكنوز التي وصفتها محروما تعيسا .

• وكم وراء الأسوار العالية والسجوف المسدلة من مأس وأسرار .

رأيت قصر البنت

ورأيت سخرية القدر من الانسان ولو كان السلطان سمعت ضحكة

وبكيت . أما ، على الأميرة وفي باب القصور ، أقف عند قصر

بختشا Doima Bahce Sarayi ضولما أي مقفول .

• بحشنا أي قصر . وقد بناه السلطان عبد المجيد .

• هذا القصر لن أصفه فلن تبلغه الكلمات .

أجرب الأرقام هذه المرة

في القصر : ٢٤٨ حجرة

٤٥ صالون

١٥٦ ساعة

١٣٦ شمعدان كريستال

بن درابزين سلم القصر من الكريستال والسلم خمس شعيب الذهب

أندى دخل في محتويات القصر وزنه أربعة عشر طنا !!

• أترك القصور الى المساجد . . انها بيوت الله يرفع فيها اسمه .

مسجد السلطان احمد الثالث

ويسمى الجامع الأزرق . . وفي القاهرة قريبا من بوابة المتولي

مسجد طلائع بن زريك ويسميه الاثريون عندنا : المسجد الأزرق يبدو أن

الاسم جاء هنا وهناك لأز، النقوش في المسجدين زرقاء .

وقد بدأ ترميم جزء سقطت نقوشه بطريقة مختلفة فأقام أحد الأفراد ، دعوة على الحكومة وهي مادة تحضر وأسلوب وعي .

وأروع ما سجل نقوش هذا المسجد في فبته الكبيرة حتى زووا الى أن ادوار السابغ عندما زار هذا المسجد في عهد كمال أتا تورك تام على ظهره تحت للعبة الكبيرة ليشمل نقوشها .

وبهذا المسجد مقاصير للنساء أسدل عليها ستائر حضراء ليصلين في المواسم الدينية .

وبهذا المسجد دور أعلى يخصص أيضا للنساء ، في المواسم يسمح غيرها للرجال بصفة دائمة .

وأعمدة هذا المسجد ذات أضلاع وهي من الرخام وقطر كل عمود عشرة أمتار !!

ونناثرت في أرجاء المسجد جزءا من النقوش هذه الكتابات :
يا حضرة بلال حبشي - كشف الدجى بجماله - صلى الله عليه وسلم -
انكاسب حبيب الله .

وأحد الأعمدة تحيط به دكة المبلغين وهي مقصورة أقيمت على أعمدة من الرخام .

وبالمسجد عدة أبواب وله عدة مآذن

وبعد العمودين الأماميين وضع سياج خشبي علقت عليه لافتات سرجو الزوار الأجانب بعدم تجاوزه حتى لا يتأثر جو الصلاة .

في مسجد السلطان أحمد سمعت القرآن مجودا بالعربية بالطبع .
وكان المقرئ جميل الصوت وان أخذت اذننى عليه الرحمن في اقراءه
ولاحظت عيني قلة عدد المصلين ولو بالنسبة الى المساحة الضخمة للمسجد .

وحول الأعمدة تجويف دائري من الخشب توسع عليه الإحذية ولهذا لا يتركونها بالباب الخارجى وكل عمود به تجويفان للموضب .

أما مسجد أيا صوفيا فتلتفى فيه المسيحية والاسلام وهما دائما ماتقيان في جوهرهما .

نشرت الآيات فيه . .

وفى أركانه الأربعة أسماء الخلفاء الأولين رضى الله عنهم
(أبو بكر - عمر - عثمان - علي) مما يدل على أن الأتراك سنيون .

وفى تركيا حاضرت فى جامعة مرمره . . أم المدرج أعداد غفيرة
من شباب الجامعة سمعوها واقفين على أقدامهم وحرص عدد كبير على
الكتابة أما الفتيات فلم لاحظ كرئال أزياء .

الطلاب غاية فى الجد والرغبة فى التحصيل والاحترام فى المظهر
والسلوك وهى قبة نشرف بها الجامعة والجامعيون .

ان جامعة مرمره مبنها ليس فى فخامة جامعة القاهرة ولكن ماراته
عينية من المعاني تمنيته لأبنائنا فى سائر الجامعات المصرية .

واستابول بها ست جامعات وانقره بها أربع جامعات .

بعيدا عن العدد استابول هى العاصمة الحضارية الفنية أما أنقره
فى العاصمة السياسية . وامتدت المحاضرة ثلاث ساعات بكى أثناءها
بعض الرجال كانت المحاضرة عن الحضارة الإسلامية وعن الإسلام دين
ودولة وحضارة وثقافة .

وتقدم مدير الجامعة وأهدانى المصحف (الترجمة التركية للمصحف)
والتف بى أساتذة الكليات فى مكتب مدير الجامعة . وقال أستاذ فى
شحن . كمن يعتذر !

سمعنا فرنسا وسمعنا انجلترا فأفسدوا ما بيننا والآن لم يبق
الا أن يعود الصفاء فالإسلام أعز ما عند مصر وتركيا من حيث آثاره
الباقية ومن حيث مستوى شعبنا أننا نحملك مسئولية عودة تركيا الى
حضن الإسلام بمؤازرة مصر .

وكان ردى أن هذه رسالة رجال الفكر فى البلدين لتكن زيارتى
ومحاضرتى نقطة بداية يتبادل فيها البلدان مصر وتركيا الأساتذة والعلماء
والطلاب . . يتبادلان الأفكار والأبحاث والمعارض والمجامع .

لابد من حركة يستيقظ بعدها الوجدان ويؤوب الغائب ويشوب
الوداد . .

- حركة لا تربط بما بين الأنظمة في سائر الدنيا من شد وجذب • •
- لن الشعوب هي الأبقى والأقدر •
- تعاون يسوده الصدق والاحترام • ان من تقاليد رجال الدين في الاسلام أن العالم يحترم زميله الى حد أنه يأخذ بفتواه في بلده ولو كان بعيدا . له رأى آخر •
- يا قومي : غالية مبسوطة لا تردوها •

امريکا

فى طريقى الى امريكا

اللبلة السابفة على الرحلة ، قرأت من الذاكرة اننا، نومي « سورة
« يس » بسلاسة وحضور ذهن لم يحدث فى حياتى فى اللحظة .
لو ان المصحف الاشراف مشوح انا ، ما تحقق هذا الانطلاق فى
القراءة الصحيحة العميقة كما حدث فى العلم .
ودمجت عيني كمن يتحقق ، فتحققت انى كنت نائمة حين قرأت
ما قرأت ونسيت ان الليل يفرد جناحه ولم يشع فى غبش العتمة الا نور
الآيات التى انهلكت على ذاكرتى وتحدثت فترطب بها لساني ترتبلا .
ثم عرفت بعد وصولي « ديتون » بولاية « اوهايو » ان ابنتى التى
اسافر من اجلها ، كانت فى غرفة العمليات فى اللحظة التى قرأت فيها
فى مصر ، سورة « يس » .

حضارة الثقافة

فى الأمم القديمه العريقة ، ثقافة الحضاره اى قداسة القيمة
ونفاسة الأسلوب واحترام التقاليد من فعل التاريخ الطويل فى الحضارة
يلتقى فى هذا البسطاء والكبراء .. الفقراء والأغنياء لأن الثقافة هنا
أسلوب وموقف ضمير هذا حين نجد فى أمريكا التى لم يتجاوز عمرها
بضعة قرون ، حضارة الثقافة اى تقدم العلوم أو ما نسميه « التكنولوجيا
أى العلم التطبيقي » .

ولا أقارن اليوم بين اللونين فلكل مزاياه وعطاياه . ولهذا أتمنى
لمصر أن تأخذ أحسن ما عند الآخرين فى عملية اختيار لا انبهار وتضيف
اليه بقدرتها على العطاء ووراثاتها الحضارية مواكبة للعصر واسهاما فيه
حتى لا تختفى الأضواء عن قسماتها أبدا ..

ومن هذا المنطلق حرصت فى زيارتى لأمريكا على زيارة :

- متحف التاريخ الطبيعى فى واشنطن .

- متحف المتروبوليتان فى نيويورك حيث الآثار المصرية حشده
حاشده .

- جامعة ولاية أوهايو بطابعها الخاص فى مدينة كولمبوس باعتبارها من
أكبر الجامعات الأمريكية .

- الادارة القومية لعلوم الفضاء والطيران فى مدينة « هيوستين

- مدينة السينما فى « لوس انجلوس » .

وجنة الأطفال اى والت ديزنى .

كما صرحت بعد هذا كله على زيارة حضارة أطفال أمريكية ومدرسة
ابتدائية حيث يصنع الانسان أو يشكل الانسان التشكيل الذى يؤثر فى
مراحل حياته كلها .

محصيل حاصل اذا قلت ان أمريكا متقدمة فى التكنولوجيا .. انها
مقدمة فى أبحاث الفضاء .

مقدمة فى أبحاث الأرض جميعا .

ومقدمة فى الجريمة أيضا .. الجريمة بكل أنواعها مما يجعل
أحرف جزءا من الحياة اليومية للانسان .

أمريكا الحياة فيها سهله أن تعيش

وسهله أيضا أن تسلب وبطرق شتى

أهم المعالم الجادة فى أمريكا مراكز الأبحاث العلمية . والادارة
لقومة لعلوم الفضاء والطيران (ناسا) وهى اختصار للاسم :

National Aeronautics and space Administration

والمركز الرئيسى لها فى واشنطن ولها أحد عشر مركزا فى جهات

محسفة والذي رأته منها هو مركزها فى مدينة هيوستن بولاية تكساس

.. ولايات الجنوب والمصريون يسمونها صعيد أمريكا .

بهدهء شديد رأيت

وبهدهء أشد أستوعبت .

ومن قرار سحيق استمددت طمانينة الرؤية كطمانينة النفس .

فى وكالة الفضاء رأيت سفن الفضاء رأى العين بتعقيداتها الدقيقة ..

كنت مثل شاعر الألمان « جيته » كلما رأيت فتحا علميا أفرح

لأسى انسان .

وإذا كان هذا الجانب من الحضارة الحديثة كسبا للانسانية فطالما

أسطت مصر للانسان فى كل مرحلة ولعل أكبر عطاء فى تاريخ الانسان

حضارتها الاولى .

ولايعنى هذا الاكتفاء بما أعطت على ، قيمته ، وضخامته ، ونفاسته

بل وبدرته فى نواح كثيرة . ولكن معناه أننى لم أقتضئ قط أمام أى شئ

فى أمريكا أو غيرها .

كنت بما ورائى من معطيات مصر ، أغنى الأغنياء .. لقد وصلت

أمريكا وروسيا الى للقمر وهذا انجاز عظيم دائم . وهو يعينه النظر

الدارس فى ملكوت السموات والأرض الذى أمرنا به وقصرنا فيه
ألا توقفنا عنه .

ولكن مصر قبل الناس وقبل الأديان وصلت الى الله وكم أوصلتها
هذه المعرفة الى القيمة « والى طمأنينة » عجزت عنها كل علوم الانسان
كلها فيبلغ الانتحار أعلى نسبة له فى أمريكا قمة التكنولوجيا ، وفى السويد
قمة الرقى الحديث .

فى وكالة الفضاء رأيت أول مركبة نزلت على القمر أول سيارة
سارت على سطحه . رأيت نموذجا كاملا للمكوك . أول ساعة صنعت
الى القمر وقد فكوها الى جميع القطع التى تتكون منها حتى ماذق حجمه

رأيت صور سطح القمر والى جوارها عدسات مجسمة للرؤية .

رأيت الجرانيت القمرى وصخورا بركانية .

رأيت غرفة التحكم فى رحلات رواد الفضاء .

رأيت طعام هؤلاء الرواد وكيف يتناولونه من خلال أنبوبة .

رأيت ملابسهم .

وفى وكالة الفضاء قاعات سينما لبرى المشاهد رحلة الصعود الى
الفضاء رؤية متحركة .

رأيت كيف لم يغفلوا شيئا فزودوا سفن الفضاء حتى بالمرايا المعدنية
تفاديا لتفائر الزجاج وبأفران خاصة لتسخين الطعام وأدوات طبية
لعلاج الأسنان .

وفى وكالة الفضاء سمعت محاضرة عن أبحاث الفضاء وفى جانب
القاعة جهازان للفيديو نتابع فيهما ما نسمع .

وفى وكالة الفضاء لافتة تقول يستطيع المشاهد التصوير كما يشاء
وتذكرت لافتة على كوبرى قصر النيل تقول ممنوع التصوير !!

وليس البحث قاصرا على الادارة القومية بل ان فى أمريكا مراكز
أبحاث فردية أو بلغتنا « قطاع خاص » حيث يعكفون على البحث والتطويع
والابتكار ويسجلون الاختراع ويبيعونه للحكومة .

ودعانى قنصل مصر فى هيوستن الى الغداء وهناك التقيت بصفوة

من المصريين أحدهم مدير المركز الاسلامى بالمدينة الامريكية وأعلنت من
القنصل أن الرجل كان وراء شراء أرض فى هيوستن لاقامة كنيسة
للمصريين المسيحيين بها بل هو الذى تفاوض وتم الاجراءات كلها . .
وهذا يؤكد من جديد أن مقولة الفتنة الطائفية كانت مفتعلة ومقحمة
علينا اقحاما للتغطية أو للتعمية . نحن كما قلت وأدين نحن مسلمين
ومسيحيين مصريون قبل الأديان ومصريون بعد الأديان ومصريون الى
آخر الزمان .

من الثقافة صناعة الانسان

الثقافة للانسان تبدأ :

قبل أن يولد من حلال وراثاته البعيدة والقريبة أى وراثاته
الحضارية عن أمته ووراثاته العرقية عن والديه وأسرته .

وساعة يولد بالحنان نسكبه الأم مع اللبن .

وبعد أن يولد بدءا بالبيت والحضانة والمدرسة .

من هذا المنطلق حرصت على أن أזור في أمريكا حضانة أطفال
ومدرسة ابتدائية لأرى صناعة الانسان عند الآخرين لعل أتى منها بقبس
أو أجد عليها هدى .

وحرصت أيضا على أن تكون مدرسة عامة لا خاصة .

وما إن تقدمت بضع خطوات بعد المدخل في حضانة الأطفال حتى
وجدت على الجدار معلقا بها جدول للمواد التي يتعلمها الطفل كل يوم
وكل أسبوع وكل شهر .

سائق أتوبيس الأطفال هو الوحيد خارج هيئة البوليس الذى
يسنطيع ان يعطى مخالفة للسيارة التى تمر قبل أن يستقر الأطفال على
الرصيف . بعض الأطفال كان عندهم (حصة نوم) . وفى إطلاله
عليهم وجدت كل طفل فى سرير وتنبت من الحجرة موسيقى هادئة
وبينهم مدرسة تنشر ذراعيها على اثنين منهم بالتناوب كجناحي حمامة
تربت على ظهورهم وتمسح رؤوسهم .

انه الايمان بالحنان تسكبه الأم فى البيت والمعلم فى المدرسة .
وملحق بالفصل حمام نظيف ليقضى الأطفال حاجتهم قبل النوم حتى
لا يستيقظ لهذا السبب طفل ويزعج الآخرين .

- ودخلت إلى حجر الدراسة في كل حجرة علم ليشبب الطفل ويكبر معه في قلبه حب العلم .
- وفي كل فصل مرسوم للطول ينتهي برأس حصان للتشويق .
- وحدود للوزن ولافتة تقول : تعال نرى كيف ننمو .
- وفي الفصول رسوم جميلة المجر فيها الشمس وجه يضحك إشارة إلى الدفء أو رسم يمثل الهواء أو الجليد . . الخ .
- وفي الفصل شموعات للمعاطف .
- وفي الفصل صندوقان جميلان للقمامة .
- وفي كل فصل حوضان منخفضان .
- ولافتة تقول : إن الأدوية ممنوع إعطاؤها إلا بروضه الطبيب وعلمة سحدين الورق .
- ويسأل الأطفال في العاشرة عصيرا وبسكويتا ثم الغذاء في الثانية عشرة وبعد النوم يتناولون مرة أخرى عصيرا وفاكهة .
- وبالمدرسة فناء خاص بدراجات الأطفال لاستعمل خارجه .
- وفناء خاص بالمرجيحة وقد صممت تصميمًا علميًا روعي فيها إسمارة الاجزاء تفاديا للمدبب حرصا على الأطفال كما روعي فيها أن تكون المسافات بين قطعها لما واسعة وأما متقاربة أو متلاصقة حتى لا ينحسر رأس أو يد طفل .
- والأرض تحتها رمل أو حشائش .
- وفي المدرسة الابتدائية كل فصل به عدة مناظير كل منضدة معدة لحسنة من الأطفال وأدراج مفردة يجلس عليها من يحاول تعطيل جاره أو المجموعة .
- وفي المدرسة الابتدائية كل فصل فيه مائدة استماع مستديرة عبيها ساعات وقصص . . وذلك ليستمع مع المتابعة في القصة المكتوبة كل من بفرغ من واجبه .
- ومكتبة الأطفال بالمدرسة تشمل الكتاب واللوحة واللعبة وتليفزيون وفيديو كاميرا للتعليم والتسلية .

وفى كل فصل العلم وخريطه امريكا بل ان العلم فى قاعة الطعام وقاعة الألعاب اينما ذهبوا طالعهم العلم لينزرع فى وجدانهم وينمو حبه معهم فيرسخ الانتماء .

وفى كل فصل شاشة سينما وفانوس سحرى وتليفزيون للتعليم وعندما تقص المدرسة قصة يترك الأطفال مقاعدهم ويجلسون على الأرض فى طبيعية وعفوية فيتعلقون حول المدرسة فى اصغاء شديد وانتباه شديد . وكثيرا ما يصاحب سردها شاشة العرض .

وفى كل فصل ساعة واصونه فى الحائط لايحاء أهمية الوقت .

وصندوق كبير مهذب الشكل لوضع المهملات ويبدأ التعليم بالكرافت أى التشكيل من الخيوط والأوراق والخشب لاكتشاف المواهب الفنية والطبيعية وعلى ضوء هذا يوجه الأطفال وتنمى مواهبهم .

وفى كل فصل فرن لوضع التشكيل الجيد من الصلصال ، فيه ، ليصير خزفا .

وفصل الموسيقى به عازل للصوت .

وقاعة الرسم لاحظت أن الرسم موجه فصفا الرسم فيها دائرة واسعة للرسم على شكل طبق على يمينه سكين وملعقة وعلى يساره شوكة والطفل يرسم فى الدائرة ولكنه يتعلم فى الوقت نفسه طريقة الأكل وطريقة اعداد المائدة .

وكل فصل له جدار نصفه الأعلى من الزجاج حتى يرى المتابع من الخارج دون اقتحام .

وكلما كبر الأطفال قل عددهم فى الفصل لتكبر الفائدة .

وبالمدرسة حجرة للتخطيط يسمونها Teacher Planning

بها كتب للوسائل وأدوات .

أما قاعة الطعام فى المدرسة فقد استرعى انتباهي أن الأطفال يدخلون صقوفا الى المطبخ حيث يحمل كل منهم صينية مقسمة كتلك التى تقدم فى الطائرة ولكن بأسلوب اخدم نفسك . كل صينية عليها فى شكل جميل اللحم والخضر والفاكهة والحبز وللأطفال أن يختاروا نوع الشراب كوكا أو عصير أو لبن احتراماً لرغبتهم قبل أن يكون تحقيقاً لها .

ولاحظت ان الأطفال يعدون الموائد قبل الطعام وينظفونها بعده
وكل طفل يحمل صينية الأكل ليلقى مخلفاتها فى صندوق المهملات ثم
يسلم الصينية .

ويدفع كل طفل دولارا ثمن الغذاء وثمان كرامة فلا شئ يذهب
بكرامة الإنسان قدر احساسه بأنه يأكل بلا مقابل . وتذكرت الشاعر
البدوى الذى أراد أن يهجو انسانا فقال :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

• أى المطعوم المكسو .

وعلى جدران حجرة الطعام رسمت فراشات جميلة وزهور بهيجة .
والطعام ككل شئ مدروس وعلى المدى الطويل فهناك خبراء يضعون
قائمة لشهر كامل . وهذه القائمة ترسل صورة منها لبيت كل طفل حتى
إذا رأت الأم شيئا ممنوعا على طفلها نهبت الى هذا أو أعطته غذاء ذلك
اليوم من البيت .

وللمدرسة قاعة فسيحة للألعاب بها كل ألوان الرياضة . وبألوان
جميلة . وعمل المشرفة الاجتماعية عندما تقوم به مدرسة تضطلع بحل
مشاكل الأطفال والحكمة فى هذان كلمة مدرسة طبيعية فى هذا الجو
أما المشرفة الاجتماعية فهى تشعر الطفل أنه مشكلة أو عنده شئ غير
طبيعى .

ولعل أقوى ما استوقفنى المعلقات المكتوبة والمنشورة فى جميع
أرجاء المدرسة فمضمونها حث على العمل والسلوك فى أسلوب يكاد يكون
ترجمة حرفية لبعض أحاديث الرسول عليه السلام أو آيات الكتاب الكريم .
مثل « ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا » . ومثل الى « ان الله يحب
إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

ومثل « من عمل فأخطأ فله أجر ومن أصاب فله أجران » .
ومثل « إذا اجتمعت كل أسباب النجاح فلن تخلق شيئا إلا إذا عملت
أنت » .

وتذكرت الشيخ محمد عبده الذى فطن الى سر تقدم أوروبا فقال
أنها عملت بما عندنا . فتقدمت اننا مسلمون اسما وهم مسلمون فعلا .

ومع كل هذا العطاء يبدأ برنامج للأطفال في السليفيون الساعة
السادسة صباحا لاغرائهم بالاستيقاظ المبكر حتى يشاهدوا برامجهم قبل
الذهاب الى المدرسة وعطاؤها مختلفا ألوانه .
أرايتم صناعة الانسان الجديد أى الطفل ؟

« من حديث الثقافة »

جامعة ولاية أوهايو

كان أول شيء سعت إليه مكتبة الجامعة أملا في أن أتعلم جديدا
في فن القراءة وفي أسلوب البحث العلمي .

وفي الجامعة غير المكتبة الكبيرة خمسون مكتبة تابعة للكليات
بقسامها .

وفي طريقى إليها رأيت في مدخل الجامعة تمثالا ضخمًا لرئيس
الجامعة الأول لا لرئيس ولاية أوهايو التي تقع الجامعة في عاصمتها ،
ولا حتى رئيس أمريكا وهو معنى أطرحه على محافظ الجيزة وهو
رجل جامعي . لعله يعدل عن فكرته التي أعلنها يوما من انه يرصد عشرين
ألف جنيه لعمل تمثال لشخص سماه ولم يخطر على باله جامعة القاهرة
الجامعة الأم التي تفخر بأسماء لطفى السيد - ومصطفى مشرفه والدكتور
طه حسين والدكتور عبد الوهاب عزام - والدكتور السنهوري - والدكتور
على ابراهيم .

وأخوان هذا الطراز .

دخلت المكتبة . لقد أبطلوا نظام الكروت . . كل شيء يتوصل إليه
من خلال الكمبيوتر وهناك لافتة صغيرة بعد المدخل تقول : تستطيع
أن تجده طلبك بنظام الكمبيوتر L.C.S. You can Find it with أى
Libraary Computer System

وبالمكتبة ٣٧ مليون مجلد ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف كتاب .
وبالجامعة قسم لأبحاث المراجع العربية وآخر للمراجع الإسلامية .
وحكى لى دكتور مصرى أن قسم الشرق الأوسط كانت عليه لافتة
تقول لليهود Jewish فكتب المصريون لافتة تقول : تراث الاسلام
وتصدر الجامعة صحيفة يومية ولكل طالب منها نسخة مجانا هذه
المصحفة فيها خلاصة لما فى الصحف والمجلات .

وفي الجامعة وإن كان هذا في كل مكان ممرات صاعدة وهابطة للمعوقين من المدارس وأماكن خاصة بهم في مواقف السيارات لا يقتربها أحد. والا تعرض للغرامة .

وللجامعة بوليس خاص بها . ومطافئ خاصة بها . واستاد خاص بها ومن طرائف الرياضة بالجامعة أن المشجعين يمنحون منحاً دراسية كالمثفوقين في أي ميدان علمي ومن لطائف الطرائف أن المشجعين يدربون تدريباً خاصاً بحيث يجيدون مصاحبة الموسيقى في التشجيع .

وللجامعة محطة تليفزيون خاصة بها بلا إعلانات .
ومحطة إذاعة خاصة بها .

وكل طالب بالجامعة يأخذ تدريباً خاصاً بالكمبيوتر عند الدخول للاستفادة من التقدم الإلكتروني .

أما الوجه الآخر لأمريكا فيتمثل في الفردية المدمرة . . . مجتمع يقوم على الفردية تهرأت فيه الأسرة والقيم حتى الدين حيدوه وجمدوه وأرتضى رجاله هذا الوضع مستسلمين حيث لا حيلة لهم ومع هذا يطرد بناء الكنائس في مدن أمريكا يوماً بعد يوم . بينما رأيت في كندا وفي مدينة مونتريال على التحديد التي تعتبر واجهة كندا ، كنائس تهدم ليقيم على انقاضها معهد أو بناء خاص . وفي كوبيك هدمت كنيسة الجامعة وبنيت مكانها معامل رسم ومع ما للعلم من خطر في الحياة فإن الدين أعظم خطراً والويل إذا أعرض الناس عن الدين لأي تعلات .



مجتمع يعلم أنه جاء في البداية من كل مكان فلكي يتفق بقدر ما .
اتفق على تجنب الدين كموقع حساسية . ولكن التجنيب المتحسب المتحسس شيء غير الاسقاط . غير التجميد والتجميم حتى حين يؤخذ في الاعتبار فأنما ذلك على المستوى الفردي .

وحين يختفي الدور الرشيد للدين من الساحة ، فكل شيء جائز .
وهنا تظفر الرذيلة بمرتع غزير الكلال لا يدود عنه أحد .

سادت في أمريكا المادية العملية إلى الحد الذي لم يعد فيه ارتباط قيمي من أي نوع . . . تهرأت الأسرة وبعدها الأعراض والحرمات حتى بلغ الأمر حداً اعتدى فيه الآباء على بناتهم ! وتقول الإحصائيات وأمريكا شغوف بها أن الجريمة في العشرين سنة الأخيرة ٦٠٠٪ .

وان ٣٠٪ من الأطفال لا يعيشون في أسرة مع أن سائق أتوبيس مدرسة الأطفال - كما ذكرت - هو الوحيد خارج هيئة البوليس الذى يستطيع ان يعطى مخالفة للسيارة التى تمر أثناء نزول أو تعديده أطفال المدرسة ! حرصا على الأطفال ومغالة بهم .

بلد المناقضات ، أمريكا :

والصبيان والبنات تحت سن ال ١٨ سنة يتناسلون ويستعملون حبوب منع الحمل ثم يتناسلون والتليفزيون ناقش الظاهرة من منطلق حل مراكز تحديده النسل تخطر أسرههم أم لا ٠٠ لا من ناحية بشاعة الظاهرة فى ذاتها وأشرك فى المناقشة ريجان وكان رأيه أن الأسرة تخطر ! كانت البنت تحت ١٨ سنة أما ما فوق ذلك فهى حرة !!!

وقد حمل ٢٣ من هؤلاء للمرة الثانية كما تقول الاحصائيات وقد مت فى أمريكا مليون ونصف عملية اجهاص .

أما المتزوجون شرعا فنسبة الطلاق بينهم ٤٨٪ .

وهذا بعينه ما جاء فى البروتوكول العاشر من كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) ونصه :

(ذا أوحينا الى عقل كل فرد فكرة أهميته الذاتية فسوف ندمر الحياة الأسرية بين الأميين ، ونفسد أهميتها التربوية ، وسنغرق الرجال -وى العقول الحصينة عن الوصول الى الصدارة وان العظمة - تحت ارشادنا - ستبقى على تأخر مثل هؤلاء الرجال ، ولن تسمح لهم أبدا ان يقرروا لهم خططا) ص ١٥٠ .

زينتال هذه كله على النفس فأسافر من كولمبوس الى لوس انجلوس حيث دالت ديزنى مدينة فى المدينة . هناك رأيت رأى العين الزمان حين حدود فيعود بالكبار الى الطفولة والعفوية . قسوة أن ترى مرافق مدينتك الحبيبة متهرئة .

ولكن قسوة أكثر وأفدح أن ترى انسان مدينتك متهرئا وقبح مدينتك متهرئة .

كم يؤرقنى معاناة القاهرة ماديا ولكنها أهون بكثير من مدين الاغنيا . . . الأغنياء فى كل شىء حتى الانحلال .

فى المجتمع الحديث فى أى بلد بتركيباته الكثيرة والمعقدة .
وفى المجتمع الحديث فى أمريكا بالذات حيث اللهث الشديد .
والايقاع السريع الذى يكرب الأعصاب أو على الأقل لا يدع فرصة للسعور
أو الحلم أو الخيال .

فى هذا المجتمع تقوم مدينة « ديزنى » عالما مسحورا أو عوالم
مسحورة شديدة البساطة . شديدة التركيب ، شديدة الاثارة والعفوية
معا شديدة الفتنة .

ويخلع الانسان الأقنعة واحدا بعد الآخر ويعود الى الطبيعة فى
لهفة . . . طبيعته وطبيعة الكون وينسى سميت العلم وصمت الحكمة ووقار
السن بما حصل عليه من مراكز وألقاب وتجارب وما التزم به من
مواضعات وتقالييد . . وينخرط شيئا فشيئا فى هذا العالم الجديد وبعد
فترة يسبق الأطفال الذين ظن أنه يصطحبهم فقط الى هذا البقعة السعيدة
فاذا به فى مثل ولهم ان لم يكن أشد باللعب والمرح .

ويتنقل من غواصة تجوب بقاع البحار الى صاروخ يفتح عينيه على
عوالم السماء وقد بلغ التقليد حدا يشبه للرأى حتى يحسبه حقيقة .
ومن قطار على عجلات مطاط الى تليفريك معلق فى الفضاء .

وفى لوس أنجلوس رأيت فى نيوفرسال أستديو وهو من أكبر
استوديوهات السينما الأمريكية . انه مدينة كبيرة حافلة .

فيه أحياء من كل البلاد لزوم الأفلام والقصور والبيوت واجهات
فقط تقليدا للأصل .

وأهم ما يثير الرأى الخيل الصناعية .

رأيت المطر الصناعى .

والشلالات الصناعية بهديرها الزاخر .

وانحسار الماء فى مجراه .

والحيوانات الضخمة التى تحرك بالموتور .

رأيت الحوت الضخم وتذكرت الفيلم المشهور وعرفت أن ما كان
يمدونا رعبا أثناء المشاهدة جسم من المطاط أخذ بالتشكيل هيئة الحوت
الطبيعى .

وان ٣٠٪ من الأطفال لا يعيشون في أسرة مع أن سائق أتوبيس مدرسة الأطفال - كما ذكرت - هو الوحيد خارج هيئة البوليس الذى يستطيع أن يعطى مخالفة للسيارة التى تمر أثناء نزول أو تعبئة أطفال المدرسة !! حرصا على الأطفال ومغالة بهم .

بلد المتناقضات ، أمريكا :

والصبيان والبنات تحت سن الـ ١٨ سنة يتناسلون ويستعملون حبوب منع الحمل ثم يتناسلون والتليفزيون ناقش الظاهرة من منطلق هل مراكز تحديد النسل تخطر أسرههم أم لا ٠٠ لا من ناحية بشاعة الظاهرة فى ذاتها وأشرك فى المناقشة ريجان وكان رأيه أن الأسرة تخطر إذا كانت البنت تحت ١٨ سنة أما ما فوق ذلك فهى حرة !!!

وقد حمل ٢٣ من هؤلاء للمرة الثانية كما نقول الاحصائيات وقد تمت فى أمريكا مليون ونصف عملية اجهاص .

أما المتزوجون شرعا فنسبة الطلاق بينهم ٤٨٪ .

وهذا بعينه ما جاء فى البروتوكول العاشر من كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) ونصه :

(إذا أوحينا الى عقل كل فرد فكرة أهميته الذاتية فسوف ندمر الحياة الأسرية بين الأميين ، وتفسد أهميتها التربوية ، وستعوق الرجال دوى العقول الحصينة عن الوصول الى الصدارة وإن العمامة - تجت ارشادنا - ستبقى على تأخر مثل هؤلاء الرجال ، ولن تسمح لهم أبدا أن يقرروا لهم خططا) ص ١٥٠ .

ويثقل هذه كله على النفس فأسافر من كولمبوس الى لوس انجلوس حيث والت ديزنى مدينة فى المدينة . هناك رأيت رأى العين الزمان حين وجود فيعود بالكبار الى الطفولة والعفوية . قسوة أن ترى مرافق مدينتك الحبيبة متهرئة .

ولكن قسوة أكثر وأفدح أن ترى انسان مدينتك متهرئا وقيم مدينتك متهرئة .

كم يؤرقنى معاناة القساهرة ماديا ولكنها أهون بكثير من مدس الأغنياء ٠٠ الأغنياء فى كل شئ حتى الانحلال .

فى المجتمع الحديث فى أى بلد بنركيباته الكثرية والمعقدة .
وفى المجتمع الحديث فى أمريكا بالذات حيث اللهث الشديد .
والايقاع السريع الذى يكرب الأعصاب أو على الأقل لا يدع فرصة للشعور
أو الحلم أو الخيال .

فى هذا المجتمع تقوم مدينة « ديزنى » عالما مسحورا أو عوالم
مسحورة شديدة البساطة . شديدة التركيب ، شديدة الاثارة والعفوية
معا شديدة الفئنة .

ويخلع الانسان الأقنعة واحدا بعد الآخر ويعود الى الطبيعة فى
لهفة . . . طبيعته وطبيعة الكون وينسى سميت العلم وصميت الحكمة ووقار
السن بما حصل عليه من مراكز والقاب وتجارب وما التزم به من
مواضعات وتقالييد . . وينخرط شيئا فشيئا فى هذا العالم الجديد وبعد
فترة يسبق الأطفال الذين ظن أنه يصطحبهم فقط الى هذا البقعة السعيدة
فاذا به فى مثل ولهم ان لم يكن أشد باللعب والمرح .

وينتقل من غواصة تجوب بقاع البحار الى صاروخ يفتح عينيه على
عوالم السماء وقد بلغ التقليد حدا يشبه للرأى حتى يحسبه حقيقة .
ومن قطار على عجلات مطاط الى تليفريك معلق فى الفضاء .

وفى لوس أنجلوس رأيت فى نيوفرسال أستديو وهو من أكبر
استوديوهات السينما الأمريكية . انه مدينة كبيرة ، حافلة .
فيه أحياء من كل البلاد لزوم الأفلام والقصور والبيوت واجهات
فقط تقليدا للأصل .

وأهم ما يثير الرأى الخيل الصناعية .

رأيت المظر الصناعى .

والشلالات الصناعية بهديرها الزاخر .

وانحسار الماء فى مجراه .

والحيوانات الضخمة التى تحرك بالموتور .

رأيت الحوت الضخم وتذكرت الفيلم المشهور وعرفت إن ما كان
يمثلونا رعبا أثناء المشاهدة جسم من المطاط أخذ بالتنشكيل هيئة الحوت
الطبيعى .

وعروضا سينمائية ومسرحية نمثل الحيل الصناعية .
الانسان من أمريكا في بحر زاخر ترفعه موجة وتهبط به موجة
أخرى وهو بينهما لا يقر له ، قرار .
وأشتاق .

وتلوح وراء المحيط بلاد الصمت في دينها آية ، والظل فيها عنباية
بلاد فيها النيل والنخيل . . . كل شيء فيها أخضر حتى الحرف والنسماية .

لوس أنجلوس :

مدينة جميلة فسيحة خضراء نظيفة أنيقة ثرية . وقد لاحظت أفقيتها
أى المباني فيها من دور واحد في أغلب المدينة وظننت هذا من براح الأرض
وقلة الكثافة السكانية نسبيا ولكنى علمت من المقيمين بها أنها مدينة زلازل
وأن زلزالا عنيفا وقع بها سنة ١٩٧٣ وهذا هو السر . ولكن في بعض
المواضع ارتفعت ناطحات السحاب كالعادة وإن كانت قليلة وسألت وقد
لاحظت عيني ثراء المدينة وأهلها كيف الأمان هنا ؟ فقالوا : لا أمان . . .
السرقة والقتل واردة . . . في هذه المدينة يفتقد الحي « الأمان » في
الانسان . . . والمكان .

ودعاني رئيس المركز الاسلامي وزوجه الى دارهما فلاحظت في
المدخل جرس انذار .

بيتهما جميل فيه لمسة ذوق وأناقة حضارية ولكن هذا الزرار كان
على ثقلا مخيفا وتذكرت ميسون البدوية زوج معاوية حين ضاقت به
وبقصر الخلافة معه فقالت :

ولبيت تخفق الأرواح فيه أحسب الى من قصر منيف
حتى الحب على قيمته ونفاسه وهناءته بدا الأمان في تلك اللحظة
عندى أهم منه .

قد يكون بين الأمريكيين خاصة في الأوساط الزراعية أفراد طيبون
أمناء مخلصون ولكن المجتمع ككتكوين ، شقى يشقى به الانسان .

وفي لوس أنجلوس رأيت شارع النجوم أو شارع « هوليوود »
هذا الشارع على جانبيه صبت نجوم خراسانية كل نجمة عليها اسم نجم
مشهور .

ونجوم عاطلة من الأسماء فى انتظار مولد نجم .

وفى شارع هوليوود سينما مصرية وسينما صينية وهما الأجسيتان
الوحيدتان فى شارع الفن الأمريكى .

والسينما فى أمريكا اسمها Theatre أى مسرح . أمريكا اليوم
تحاول أن تخلق لها لغة ... أنها تتخذ اللفظ الثانى فى القاموس أو
حذف بعض الحروف أو الكتابة حسب منطوق اللفظ فى محاولة خلق لغة
خاصة تختلف عن الإنجليزية انجلترا .

وعلى شارع هوليوود بصمات النجوم كنفوفهم وأقدامهم مسه على
أرضه وتاريخ وضعها .

وفى لوس أنجلوس حديقة جامعة تسمى : **Arboratum**

بها ركن للنباتات الاستوائية وركن حديقة يابانية وجزء حديقة غريبة
تذكرنى بحديقة الأزبكية فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر والنصف
الأول من القرن العشرين حين كان بها ثمانمائة شجرة نادرة من جميع
أنحاء العالم .

ولوس أنجلوس الجميلة تبدو فى الليل خافتة النور خاصة الشوارع
الفرعية . وهى ظاهرة فى المدن الأمريكية .

ولست أدري حكمة هذا فى بلد تشيع فيه الجريمة حتى غدا التعامل
بالشيكات أو بطاقات بنكية ولا يجرو أحد على حمل نقود سائلة وإن فعل
ففى حدود ضيقه من توقع الانقضاء السافر أو النشل المفتح .

وفد يعجب القارىء اذا علم أننى قرأت فى الصحف الأمريكية مقالات
عن الفقر بل الفقر المدقع !

وقد قادنى هذا الى الفوص فى أحوال المجتمع الأمريكى لا سيما
وأنى لاحظت انتشار العمالة الأجنبية ووراء هذا غسل الأمريكى الحديث
فلم يعد مكافحا كالمهاجرين الأوائل بل بلغ الأمر حدا أن سئلت زوجة
عاملة عن زوجها فقالت انها تركته فى المنزل مستلقيا على سريره بشاهد
التلفزيون .

وراء هذا أيضا العجرفة فالأمريكى يرفض أعمالا كثيرة رابحة مثل
عمالة البناء أو المطاعم أو غيرها .

وراء هذا أيضا الاستخفاف ببعض الأمريكين وإن كانت القاعدة

الكبيرة تعمل في جده ، يترك عمله وقتما يريد حتى لا يتعب نفسه أكثر .

ثم تدليل الحكومة لهم واعطاؤها مرتبات لمرتبين ولعاطلين وبطاقات طعام بلا مقابل . ومع هذا رأيت في نيويورك من يقتشون عن الطعام في صناديق القمامة . ويطلقون عليهم هناك « سيدة الحقيبة » lady bag (١)

ثم يأتي النظام الاقتصادي القائم على الشركات وهذه هيها الربح بأى ثمن متوسلة الى هذا بأسلوب التنقيط المريح الذي يغري الفرد بامتلاك ما فوق قدرته الشرائية .

ثم شيموع الكمبيوتر في الحياة الأمريكية . حقا لقد رفي الراحة والوقت ولكنه ألغى الجهد العقلي وهو قدرة وممتعة معا .

(١) في مجلة (البنوك) العدد ٢٠٢ مارس سنة ١٩٨٤ مقال بعنوان :

الوجه الآخر للمقدم الغربي

مليوناً مشرد في الولايات المتحدة يبحثون عن مأوى وعن رغيث !

يقول كاتبه سهيل أبو ماضي :

ان هناك مليوني مشرد في الولايات المتحدة الأمريكية ..

● وفي العاصمة واشنطن حيث مسوى المياه يعبر من أعلى المسنويات في العالم ، تستشري آلة هؤلاء المشردين

● تعتبر ديترويت ، في ولاية ميتشيجان عاصمة صناعة السيارات في العالم .. ومع ذلك فان ازدهار هذه الصناعة لم يخفف من تفاقم عدد المشردين دون مأوى ، الذين تزيدوا بنسبة ٥٠٪ في السنة الماضية .

● حتى نيويورك نفسها فان مسألة التشرد تأخذ فيها بعدا مأساويا حادا ان احصائية رسمية اعترفت أن السلطات ورجال الشرطة يعثرون يوميا في شوارع المدينة على جثة واحدة على الأقل تعود الى هؤلاء النساء . أما في موسم البرد فقد يعثر موظفو البلدية على نضع جثث صباح كل يوم !

ويتساءل مصلح اجتماعي يعمل في ولاية (ايوا) عن الأسباب فيقول :

- فتشوا عن الثورة الصناعية . ابحثوا عن التقدم التكنولوجي .. التطور أضعف العلاقات العائلية الى أدنى حدودها فلم يعد هناك تعاون بين أبناء الست الواحد . فاذا لم يتمكن أحد أبناء العائلة من مواكبة التطور فان عجلة الحياة المتسارعة تدفع بأهله الى التخلي عنه حتى يتمكنوا من تخفيف أعبائهم . هكذا يسقط على الطريق ويتحول الى مشرد . أقول وببدو أن أمريكا ليست وحدها في الغرب الذي قسم الناس الى عالم أول يعنى نفسه بالطبع وعالم ثان وعالم ثالث في تعال وغطرسة وعجرفة أثرياء الحضارة : على وزن أثرياء الحرب فان المقال يقول انه في مدينة باريس وحدها فيها أربعون ألف نسمة دون مأوى وأنه في برلين هناك ثمانون ألفا لا يجدون سقفا ينأمون تحته ، وأنه في أمستردام تسعون ألفا ممن لا يعرفون العيش في البيوت .

ليت قوما أو المهجرين بالغرب على الأقل ، يعرفون هذه المعانيق . أى الوجه الآخر للتقدم الغربي .

ثم شينوع العقاقير مما انحدر بالصناعة نفسها فكثير الوقوع في
الأخطار من عمال غير كاملي الوعي ولا أدل على هذه من افلاس شركة
كريزلر حتى اضطرت الحكومة الى دعمها ومع هذا لم تعد سيرتها الأولى .
وقد طرح المشكلة في استفاضة كاتب أمريكي

في كتاب :

Megatrends (TIn Directions Trans forming ourlives by : John Naisbitt

وقد ذاع الى حد ترجمته الى أكثر من لغة وقد شرح مؤلفه
John Naisbitt المجتمع الأمريكي شريحا نفذ الى ما تحت الجلد .
ليس كل شيء في الحياة أن تكون غنيا .

لقد سمعت سيدة أمريكية تقول أنها تتمنى أن تزوج أولادها من
شرقيات حيث البلاد التي لا تزال ترعى القيم على الرغم من معاناتها
الأخرى .

ومع هذا كله يلوذ الكثيرون من أبنائها بأمريكا ويعيش مصريون
كثيرون فيها حتى ان الجالية المصرية تعتبر أكبر الجاليات في بعض البلاد
مثل « لوس أنجلوس » .

وتسألهم فيقولون والألم يعتصر نفوسهم : أن أمريكا مع كل
السلبيات وفرت الأمن الخارجي ، والأمن الداخلي بمعناه السياسي
فالمواطن الأمريكي آمن ضد الاعتقال وضد التأميم وضد البطش وضد
التحكم وضد الظلم .

ان السلبيات على فداحتها لم تمنع التقدم المذهل لأن سر التقدم

- الأمن .
- العدالة .
- وضوح الرؤية .
- تحديد الهدف .
- الثقة في المواطن .

ان أعمالا كثيرة تستادي في مصر أياما ومواصلات وجهدا لاهتا
ورحاما خافقا ، تقضى في دقيقة بالتليفون .

بالتليفون تحجز مقعدا فى الطائرة وبالتليفون تعرف حساب
التليفون ... الخ • انها الثقة فى المواطن •

سر التقدم أن يوضع كل انسان فى موضعه الصحيح فيعطى عطاء
كاملا •

لقد تخصص أحد أبنائنا فى الهندسة النووية وبكل حماسه عاد الى
مصر فلاقى احباطا شديدا ومع هذا عمل سنتين مقابل المنحة التى حصل
عليها ... وفى هذه المرة أعد صفا ثانيا من مائه من الشباب ثم خرج •

هذا الانسان يقول ان ٩٥٪ من هؤلاء خرجوا ويعرف أماكنهم
بالاسم والخمسة فى المائة الباقون لا يعرف أين هم وان كان يعرف انهم
ليسوا فى مصر •

صادف وقت وجودى فى أمريكا ، طواف اللجنة العسكرية المصرية
للتقاضى من كل شاب مصرى لم يؤد التجنيد ، ألف وخمسمائة دولار
لونا ومن البديل العسكرى • فاذا بالشباب يدفع وبعضهم خال عمل الآن •

ترى ما هو الأهم ؟ الدافع أم السؤال الحانى ؟ سؤال أولادنا هؤلاء
لماذا خرجوا ؟ وماذا يعملون الآن ؟ • وكيف يعيشون ؟ ومتى يعودون
الى الوطن الأم ؟ •

سمعت أحدهم يقول لو وفرت لى مصر شقة متواضعة ما كنت
سافرت ولو وفرتها لى الآن أعود •

اذن ضاقت بهم السبل وضاقت بطموحاتهم المشروعة ، لا المطلقة •

وسمعت مصريا كبيرا مهاجرا يقول : العودة أمنية كل مصرى ولكنه
يخشى الروتين والتحكم ويضرب مثلا رجل الاقتصاد جمال عطية رئيس
البنك الاسلامى فى لوكسمبرج والذى قضت على أشواقه وشاية مغرصة
فقبل أسوأ مقابلة •

ولا ينسى الشباب المصرى مؤتمر أغسطس سنة ١٩٨٣ - وما بذل
فيه من تكاليف من الجانبين :

الحكومة المصرية التى استضافت المبعوثين والمهاجرين •

- والمصريين أنفسهم بما عطلوا من مصالحهم وأنفقوا من أوقاتهم •
- وإذا بالمؤتمر خطب مسهبة • لم يسألهم • سائل رأيهم في الإصلاح
- من واقع خبرتهم • لم يطلب منهم أحد دراسة مقارنة •
- وهذا مثال لعدم التخطيط والتنظيم وانبهام الهدف وسهولة الهدر ،
- والتسطيع في القرارات والتصرفات •

مدينة لا ترى السماء

انها نيويورك التى تقترن فى أذهان الكثيرين بناطحات السماء.
وهيئة الأمم المتحدة .

ولكن نيويورك أيضا ، الى جانب حى مانهاتن ، فيها حى بورتيكا
المتهدم المتقادم ، البادى الفقر .

على أن ناطحات السحاب فى أمريكا لم تبهرنى بل رأيتها عيني
كابوسا رأسيا مستطيلا . . . لأنى بنت الوادى المنبسط والشمس
المشرقة . أحسست فى مانهاتن بالاختناق . . . ففى هذا الحى ،
السماء شريط ضيق والانسان نقطة الى جانب ناطحة السحاب مع أنه هو
الذى بناها . لهذا كنت أهرع الى الشوارع القديمة حيث يتواضع الارتفاع
المصنوع فتطل السماء كما تتدارك رحمة الله عاصيا بعد متاب .

لقد رأيت مدينة . . . مونتريال « فى كندا بعد نيويورك فأحسست
بالفارق ، .

الشرفات فى مونتريال حين لا تراها العين فى أمريكا لأن الأمريكان
يرون مكان الجلوس فى حديقة المنزل أو حديقة النادى .

وحين تربط المتاجر الأمريكية السلع فى سلاسل حتى لا تسرق
ويدسون فى الملابس قطعة تطلق جرسا اذا وصلت الى الباب خلسة ،
تجد فى مونتريال الدور الثانى فى المنازل له سلم من الشارع الى
الشرفة . . . ولو أن عدوى ناطحات السحاب زحفت الى كندا الا أن
الشوارع لا يزيده ارتفاع المباني فيها من ثلاث طوابق .

ونيوبيورك نتراكم فيها السلوج فى مارس وحتى تبليغ شرفات
الأدوار الأولى فى المنازل وتدفن السيارات تحتها .

وفى نيويورك رأيت « الحنطور » فى شوارع مانهاتن فى عملية
اجتذاب للهواه . . . وما أكرههم بين الأمريكيين .

بلد المتناقضات ، أمريكا . . . فبينما تغص نيويورك - من الامتلاء

والغصنة معا - بناطحات السحاب ، نجد البيت الأمريكى عكس السيارة الأمريكية ٠٠٠ كل شئ فيه صغير مفصل على حجم استعماله .

لقد ذهبت الى نيويورك فى الحقيقة لأرى متحف المتروبوليتان انه متحف مصر فى نيويورك ٠٠٠

فى هذا المتحف صافحت عيني « سيركيت » التى صبوا لها تمثالا مماثلا لتمثالها المصرى الذى كسر فى ألمانيا ٠٠٠ ورفرت روحى عليها ، وطالت وقفتى أمام العيون السود تقول وأسمع .

رأيت معبد دندور وقد أفردوا له فى المتحف مكانا كأنه ميلهاني .
أحد جدران المكان زجاجى مائل . ركبوا المعبد على مرتفع ٠٠٠ ويحيط بالمعبد بحيرة من الماء . رأيت معبد كايم ستون . ورفوا كاملة من أبواب البردى .

رأيت جدارا من الرفوف طوله ثلاثون مترا منطى بصحائف البردى .
ويتكرر هذا المنظر فى أكثر من قاعة .
رأيت آلة الهارب الموسيقية مأخوذة من تل العمارنة .

رأيت الباروكة وفوقها شرائط من الذهب الملون الذى يحسبونه فى أيامنا آخر صيحة فى عالم الصياغة .

رأيت قاعة كاملة للمومياة . رأيت كنوزا من الحلى . رأيت الكاتب المصرى . رأيت ايزيس وحورس .

رأيت مراكب ونوابيت ومعرضا كاملا من الأدوات والعقود .

ودفعت أنا المصرية أربع دولارات ثمنا للتذكرة ، لأرى مالى المأخوذ منى وقال لى أحد المسئولين فى المتحف فى زهو المالك : لعلك تمتعت بزيارة المتحف فكان ردى عليه كيف حمايتكم أنتم هذا كله من مصر الى هنا .

أتراها المعونة الحضارية لأمريكا ؟ !

وكم بين سلعة المال ، وحصاد السنين .

رؤية مصرية لأمريكا لم يبهرها البريق :

واشنطن • • بين المتحف والمسجد

الرحلة الى أمريكا ، كما نعرف طويلة مرهقة وثمنها مرهق أيضا •
واذ صعدنا الى الطائرة T.W.A. ت • د • أ • مررت اللضيقة تهستالجات
الموسيقى فاذا بها تتقاضى عن كل سماعة ثلاث دولارات ونصف دولار •
سألها ابني هل هذا ثمن للسماعة - وهو يعرف جيدا ، والموسيقى
هوايته ، أن السماعة لا تصلح الا لكبرى الطائرة فقالت : لا • • اننا
سنجمع السماعات ولكن هو ثمن الاستماع •

وابتسمنا وقلنا بدأت نيويورك ذات الطابع اليهودى ولم نبرح
القاهرة بعد •

بعد ساعات طلبت فى الطائرة فنجانا من الشاي وهو أبسط طلب
لراكب فجاءنى فى فنجان من ورق • ان تذكرة ت • د • أ • ثمنها ٧٤٥
جنيها وأنا لا أريد مع الشاي ما يقترون به من مأكولات ولكنى أردته مجردا
فى فنجان صينى أو كوب من زجاج • ان الاناء جزء من الشراب مهما كان
الشراب ، الاناء أسلوب • • ومهما كان المضمون يضيع مع ، أو ، فى رداءة
الأسلوب • وقد يكون المضمون بسيطا ولكن جمال الأسلوب يضيف عليه ،
ويضيف اليه ، الكثير فيغدو رائقا فائقا فى رأى العين والأذن والنفس
جميعا • وشاعرنا ابن الفارض يقول :

ولطف الألوانى فى الحقيقة تابع للطف المعانى والمعانى بها تنمو
وقد وقع التفريق والكل واحد فأرواحنا خمر وأجسادنا كرم

شاي فى ورق

بعد سماعة بالايجار

وتذكرت الطائرة السعودية التى عدت بها من العمرة قبل سفرى
الى أمريكا • • والمدة بين جدة والقاهرة ساعة ونصف ساعة قدمت فيها
وليمة من الطعام •

انسى فى طريق الشون الى ابنتى بعد غياب سنة وسبعة أشهر .
وأحد عشر يوما وأربع عشرة ساعة وتسع وأربعين دقيقة فى اللحظة التى
أكتب فيها فى الطائرة .

أطيل النظر الى ساعتى بمعدل مرتين فى الساعة أو أكثر وأنا ،
المشهور عنى فى بيتى وبين المحيطين بى . أنى ، من الكتابة ، فى حالة
استغراق موصول تتداخل فيه الأوقات حتى يطلق أولادى فى فكاكة
مصرية . أن ساعتى فى الحقيقة ، بمثابة سورة ولا علاقة لها بتحديد
الزمان . وفى الحق أن الساعة دقيقة ولا عيب فيها ولكنى أملاً القلم
وانساها هى .

وصلت طائرنا نيويورك فى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر
أى فى رابعة النهار ويحلو لى أن أرى المدن من أعلى فنظرت من خلال
نافذة مقعدى بالطائرة فلم أر الا الضباب كثيفاً وكسفا فلم يظهر شيء
من نيويورك .

ودخلنا مطار نيويورك تسبقنا شهرته فى التفتيش المفصل والطوابير
ولكن الحقيقة أنى مرت منه فى دقائق لم تفتح لى حقيقة ولم أقف فى
طابور .

أخذت من مطار نيويورك طائرة الى ولاية « أوهايو » مدينة « ديتون »
مرورا بكيفلاند ولكن الطائرة تأخر موعد قيامها مرتين لأن مطار كليفلاند
منعوا الدخول فيه لتراكم الجليد عليه ثم فتح المطار وبدأنا الرحلة .

اليوم ١٢ فبراير . الشمس ساطعة فى « ديتون » الى الحد الذى
سبب الملاحظة من المقيمين فيها أو الوافدين عليها تسبقهم أخبار الجليد
فى شتاء أمريكا هذا العام .

أكثر من مرة تسافر معى شمس مصر الى مواطن الأمطار والعواصف
والشلوج . ويذيع التلفزيون فى المساء أن ١٢ فبراير سنة ١٩٨٤ أدفا
يوم ، مر ، على ديتون منذ مائة عام اذ بلغت فيه درجة الحرارة معدلا لم
تبلغه من قبل .

فى « ديتون » رأيت مبنى كتب عليه (كنيسة ومدرسة للموسيقى)
وفى أوروبا قول : ان الله يسمع القداس اذا عزفت موسيقى باخ .

والموسيقى بما فيها من صفاء وتعبير وفن ، حضارة .
وهذا وجه حسن من وجوه الايجابيات فى الحضارة الغربية الحاضرة .

ولكن يجب أن نذكر أن أوروبا نفسها تقول أن أجمل موسيقى كنسية في العالم إنما هي موسيقى الكنيسة المصرية . . . وهذه هي يعينها موسيقى المعبد المصري وهي بأسمائها الهيروغليفية إلى اليوم كاللحن السنجاري ، واللحن الاتريبي .

لمحات سريعة :

✧ اشارات المرور في أمريكا نعدد في الإشارة الواحدة . . وعلى ارتفاع بحيث تعطى الضوء الأخضر في اتجاه . . والضوء الأحمر في اتجاه آخر بحيث يعرف كل مساره دون تدخل أو التواء .

✧ في الشتاء ، المواليد في أقسام الولادة يضعونهم في الحضانة نصف عرايا تقريباً وتنساب في الحضانة موسيقى هادئة ويضاء النور ليلاً من نوع الأنسجة البنفسجية ويوصى الأطباء الأمريكيون أن تحمل الأم الطفل ، على صدرها بعد الرضاعة بحيث يسمع دقات قلبها . . إيماناً بالحنان الصادق في نشأته . . أسوقها إلى الزاهدات في الرضاعة أو الأخذات بالآلبان الصناعية في غير ضرورة صحية .

✧ تحدثني ابنتي أن كنائس أمريكا تذيب في الأحاد أن إسرائيل أصل الأشياء وأن اليهود أبرياء من القول بصلب المسيح !!!

✧ التلفزيون في أمريكا ٢٤ ساعة كانه مسجل . ينقش الضباب فيعلن عنه في الحال . في كل مدينة ٤ محطات أو أكثر .

رأيت مذيع الصباح يتناول فنجاناً من القهوة أثناء النشرة في طبيعية وبساطة . لو حدث هذا عندنا لرفع النقد عقيرته . . ليتنا نفرق بالجديد . . حتى لا تتقلب الوجوه الجديدة . . . ليتنا نتيح لها التعبير الجديد عن نفسها مجرد التعبير .

✧ برامج التلفزيون ذات الجوائز : تبلغ الجائزة ، آلاف الدولارات . كم هي متواضعة جوائزنا التلفزيونية .

✧ البحيرات في أمريكا كثيرة ما بين طبيعية وصناعية .

الماء والشمس :

وحين يتوفر الاثنان أو أحدهما يظهر البكينى والشورت حتى في حرم الجامعات !!!

✽ المحال التجارية الشاملة تشكل (ظاهرة) فى كل مدينة بل فى كل قرية • انه مجتمع تجارى • • مجتمع عنصرى فيه نفرة غير معلنة • • ثراء عريض وفقير فاحش مجتمع قاس لا يرحم • الدولار الهه المعبود •

فى طريقنا الى متاحف واشنطن ، وهى متجاورة ، مررنا بنادى الجامعة وهو ست طوابق ولكن أين ؟ فى شارع كسائر المباني فيه لا يحجب نهرا • وتذكرت المبنى الذى ترفع جامعة القاهرة اقامته على النيل عند الشيراتون على مسمع من محافظة الجيزة التى يبدو أنها لم تفتن بعد الى تلك الأساسات الذى يزيد ارتفاعه على عشرين مترا • ومعنى هذا أن البناء ضعفه فى الارتفاع •

رأينا فى واشنطن ، البيت الأبيض • كنا مع الناس نسبر الى جانبه ليس هناك حراس يقطعون الطريق • • لم يحجز نهر من أجله عن المواطنين للدواعى الأمن • قد تكون هناك فى مواضع خفية من الحديقة • أجهزة مراقبة أو تصنت ولكن هذا لا يعنى سائر المواطنين طالما لا يحجب عنهم أرضا أو نهرا أو فضاء • • ومن الطريف لافتة كبيرة الحجم فى مواجهة البيت الأبيض وضعها أحد المواطنين كتب عليها [الله هو الباقي]
God is the Absolute

المتحف القومى للتاريخ الأمريكى :

وكما توقعت ليس فيه قديم له عبق التاريخ •
وأمرىكا تعرف هذا جيدا حتى أنها تعلقت بمكتب برىد مضى عليه عشرات السنين ووضعت فى مدخل المتحف • وابتسم ابنى الذى كان يصحبنى فى رحلتى وقال ان فى مصر برىد أقدم منه لا تزال تعمل •
فى المتحف تجسيد لمخترعات العلم الحديث الذى أسهمت فيه أمريكا • فى ركن السيكلوترون Cyclotron احتفظوا بمسودات وكراسات العالمين « أرنست لورانس » وزميله « ستانلى ليفنجستون » •
وفى منطقة المتاحف مسلة جديدة أو بناء بالطوب على هيئة مسلة لتخليد « جورج واشنطن » • وقد عرضوا تصميمات عديدة لنصب « بيل » واستقر رأيهم على أن يكون النصب على هيئة المسلة المصرية والمسلة الأمريكية بصورتها ومبناها البسيط ككل تقليد تحية أهل النبوغ لأهل العبقرية •

رأيت متحف الكامرون • • يضم قدورا وسلالا وأشغالا وتماثيل أفريقية ولكن طريقة العرض حديثة •

أجول ما رأيت في واشنطن :

متحف التاريخ الطبيعي :

- المعادن في صورتها الأولى مع الشرح بخط تقرأه العين المجردة .
- بعض هذه المعادن تغيرت طبيعته من الضغط المكثف مع حركة الأرض .
- هناك أحجار تعكس الضوء .

رمعادن فسفورية Fluorescence

- ومع كل حجر اسمه ، والتركيب الكيميائي له ، وخواصه ، ومصدره ، واسم مهديه في حالة الإهداء .

• الملحيات - السليكا - الكوارتز - الوبال .

- وهناك قطعة ضخمة من الزمرد شطرت شطرين ثم أخذت منها شريحة وضعت في فاترينة تحت الضوء فتألقت جنة الزمرد .

• زفير من سيلان *

- ماسة هي أكبر ماسة في البرازيل زنتها ١٢٧ قيراطا لم تبطل بالسطو .

• عقد من الماس لم تمتد اليه يد آثمة .

• زمردة كانت أصلا من جواهر السلطان عبد الحميد .

• ماسة خام .

• اماتست .

• توباز من البرازيل

• اكوامارين .

- عين القط أو عيون القطط كلها على ما يبدو فقد رأيت ألوانا وأشكالا .

- أكبر ماسة زرقاء في العالم زنتها ٤٥٥ خمسة وأربعون قيراطا ونصف قيراط .

• نجمة آسيا .

• حلي يدوية من هنود أمريكا .

- ✳ تركواز من تركيا - بورما - نيوزيلندا .
- ✳ فليسيار .
- ✳ زبرجد (أبيض) Jade
- ✳ مجموعة من لؤلؤ المياه العذبة من نهر المسيسيبي .

واللؤلؤ عادة من البحار لا الأنهار .

وبهذه المناسبة سألت عن نهر المسيسيبي مرات . كنت في الحقيقة أسأل عن النيل اذ يقارن المسيسيبي به في الطول ثم تتوقف المقارنة في تواضع أمام سيده الأنهار حتى بعد أن وجدوا حفنة من اللآلئ في المسيسيبي . . . حصرت في فاترينة صغيرة حين انتشرت لآلئ النيل عمارة وحضارة وفتونا وعلوما وعقيدة في واديه ثم في العالم أجمع .

في متحف التاريخ الطبيعي الأمريكي :

- ✳ توبازة وزنها ١١١ رطلا مائة وأحد عشر رطلا .
- ✳ أحجار كريمة من سيريلانكا .
- ✳ خاتم الامبراطور فرديناند مكسيميلان من المكسيك .
- ✳ تاج نابليون الأول الذي أهدى الى ماري لويز .
- ✳ عقد ماري لويز الذي أهداه اليها نابليون يوم مولد ابنهما الذي أطلق عليه لقب « ملك روما » .
- ✳ حلق ماري انطوانيت .

وفي متحف التاريخ الطبيعي الأمريكي ، زبرجد من مصر . . . مستخرج من جزيرة في البحر الأحمر اسمها قديما « سان جون » . وهذا النوع من الزبرجد لا يخرج الا من هذه الجزيرة . . . ونادرا ما يوجد في غيرها .

وفي متحف التاريخ الطبيعي :

- ✳ زبرجده زنتها ثلاثمائة قيراط وعشرة ٣١٠ قيراطا .
- ✳ أكبر كرة في العالم من الكريستال النقي قطعت في الصين

من حجر زنته ألف رطل وسويت في اليابان ٠٠ ولأخذت تسديتها ١٨
شهر (ثمانية عشر شهرا) وتزن الآن ١٠٦٪ رطلا ٠

• الذهب والبلاتين في الطبعة ٠٠٠ أكسيدات

في متحف التاريخ الطبيعي رحلة الإنسان من الكهف إلى الصيد
إلى الزراعة إلى القرية إلى المدينة بل رحلة الأجنة فهناك أجنة محنطة عمرها :
(٨) أسابيع ، (١٢) أسبوعا ، (١٤) أسبوعا ، (١٦) أسبوعا ،
(١٨) أسبوعا . هذه الرحلة التي بدأت مع تحرير (يد) الإنسان يوم
نصب قامته ومشى على قدميه وحدهما . لقد صنعت اليد ، الكثير فهي
تري في الظلام ما لا تراه العين وسيلتها التحسس والاستشعار وهي
تمسك وبشكل وتسوي . وسر اليد في التقاء الإبهام بالأصابع الأخرى :

• فأمريكا الجنوبية من بشر وغابات وحيوانات

وأمريكا الشمالية كان روادها الأوائل مغولا من آسيا رسمت
قوافلهم على الخريطة .

✳ فاترينة تضم كائنات نهر الأمازون

✳ قطاع في المتحف الودع . والعاج وخاصة تشكيل سن الفيل .

✳ وفي المتحف طائر كيوي KIW وهو الطائر الوحيد على الأرض
بغير جناحين .

✳ وركن للطيور المنقرضة والتي توجد الآن في جزيرة لجواناس
Lguans وليس على هذه الجزيرة انسان .

✳ وديك طويل الذيل حتى ليبلغ ذيله أربعة أمتار lyre Bird

✳ ركن لمملكة النحل . الشغالة . الذكر . الملكة . بيوت
النحل . منحل زجاجي ضخمة تتصل به أنبوبة تفتح على خارج المتحف
حيث يمكن للنحل أن يخرج منها يجمع رحيق الأزهار من الحدائق
الشاسعة الممتدة في منطقة المتاحف .

وفي المتحف حبوب وأيضا سوس الحبوب وإلى جانبه عدسات
مكبرة لتراه العين .

وفي المتحف هياكل عظيمة للحيوانات بدءا من الديناصور
وحيوانات محنطة يتوسط الدور الأول فيل محنط .

ويسجل المتحف أيضا رحلة الحيوان وكيف طورت الحيوانات
نفسها في معركة الحياة . فبعض الحيوانات حولت شعرها الى أشواك .
أما الأرنب فقد استطالت أذنه ليسمع ويستشعر الخطر . . . وكأنها
أذان استشعار .

وفي المتحف لمحات من الحضارات المختلفة
فمن مصر أواني ناضرة التشكيل وأدوات حجرية تاريخها ٤٠٠٠
سنة قبل الميلاد . . ومومياة وتوابيت وفسطور عن عقيدة مصر في الحياة
الأخرى ونموذج للكتابة المصرية .
ومن ايران ، قرية على كوش .

ومن بابل صورة من قانون حمورابي .
وبطاقة تقول ان الحضارة الاسلامية حلقة الوصل بين العلم القديم
والعصر الحاضر والى جانبها سجادة جميلة
ولكن الحضارة الاسلامية أكبر كثيرا من هذه الإشارة . . وعمل
المتحف خط التطور بمجموعات مطروحة على جدران :
جدار الوجوه - جدار الشعر - جدار العيون .
وشرح الانتخاب الطبيعي من خلال الزهور .

وشرح التكاثر .
ومن الطريف فيه مطبخ أرضا وجدرانا وأثاثا بالصراصير الصغيرة
لو أنها تركت للتكاثر ثلاث أجيال صراصيرية .

على أن المتحف مثل التكاثر على لوحة كهربائية تضغط على زر
الإنسان فتتصاعد الأرقام رأسية تمثل البداية ٣ حتى تصل في الجيل
الناقص الى ٤١١٤ !!

هذا كله لم يكن ليتجلى ويتألق لولا فن العرض المدروس علميا
ونفسيا . . .

لقد ألحق بقاعات العرض شاشات وأفلام تحكي باللون والحركة
والصوت محتويات القاعة زمانا ومكانا .

والحق بالقاعات سماعات يتناول المشاهد سماعه فيأتيه صوت هادئ واضح النبرات يقص عليه تاريخ وأسرار ما يشاهده ، أمامه من نفائس المتحف .

وبالقاعات خرائط للأماكن والمصادر .

وفي بعض القاعات التعليمية المحتوى ، موظف من المتحف يجذب الأطفال ويشرح لهم في أسلوب شائق ، ويستمع الى أسئلتهم ويجيب عليها ... يحمل جواده مثلا أو طائرا كثير الألوان ويدعوهم الى لمسه وتحسيسه فتندفع الأسئلة الطفله وهنا يأخذ الرجل في الجواب قصصا وحكايات .

طريقة العرض الجذابة صامته وناطقه تعين على الفهم والنفاذ والاستيعاب .

رأى ابني ، أطفالا يفتحون كراسياتهم ويرسمون ما يرون لهم مما يرون حولهم فقال :

— هذا المتاح لهم كله وفي سهولة ويسر ان لم يخرجوا الى الحياة عباقره فهم أغبياء .

وفي مدخل المتحف كتبت لافتة تقول : One With The Earth
أي (الانسان هو الانسان) .

وفي قاعة الحضارات تسمع الفيلم المعروض يقول في النهاية :
(الحضارة لا تموت ولكنها تهجر وتنتقل من مكان الى مكان) .

وهنا تركز الكاميرا على أبنية في أمريكا متأثرة بطرز العمارة في العالم القديم كمثال .

فهل يريدون أن يقولوا من طرف خفي ان الحضارة الآن تدخل في أمريكا بعد المطاف ؟

فاتهم البون الشاسع بين الابتكار غير المسبوق ، والابتداع على غير مثال ... وبين النقل والمحاكاة .

المتحف القومي للفنون The National Gallery of Arts

امتدادا لفن العرض رقت قاعات المتحف .

وكل قاعة تحمل اسما نقش على لافتة نحاسية بها سهم يشير الى الاتجاه الذى يسلكه المشاهد تنظيما للدخول والخروج فإذا كان السهم مثلا يشير الى ناحية الخروج فمعنى هذا أن الدخول اليها من باب آخر . وهذا فى صالح المشاهد أيضا لتنظيم الرؤية وتماها فلا يفوته شئ

وفى كل قاعة صندوق به ورقة كبيرة مطبوعة تشرح محتويات القاعة تأخذها أولا ثم نبدأ من اليمين مستعينا بما فى الورقة من شرح . والورقة مثقوبة من الجانب فى دعوة الى الاحتفاظ بها داخل ملف خاص . وفى كل قاعة أريكتان للتملى ٠٠٠ بدليل وضعهما أمام أهم محتويات القاعة . وكل صورة تحتها بطاقة نحاسية عليها اسمها وموضوعها وتاريخها . والمدرسة الفنية التى تنتمى اليها ثم اسم الفنان فى حروف اكبر ٠٠٠ انه الأهم ٠٠٠ انه صاحب العطاء .

طالت وقفتى فى هذا المتحف أمام بضعة لوحات بالذات على نفادة ما فيه :

١ - لوحة اسمها « نفائسى » My Genus

١٨٩٢. للفنان ويليام م . هارنت William M. Harnett

ونفائسه كما تعكسها اللوحة : كتب وريشه ونوته موسيقية .

٢٠٠. اللوحة للخریف فيها احساس الريح وحزن ورقة الضفصاف حين تسقط من شجرتها .

٣٠٠. لوحة ليوناردو دافنشى وقد عرضوها بحيث ترى من الواجهة ومن الخلف . ومعها جهاز لقياس الضغط الجوى وقياس حرارة المكان .

الى هذا الحد من المحافظة الحريصة .

وتذكرت لوحات معبد دلدرة التى انتزعت من المعبد لم نجرؤ ساكننا .

مسجد واشنطن :

.. المسجد الاسلامى فى واشنطن قطعة من الفن الجميل لا يروح بالضخامة ولكنه يأسر بآنس العمارة ودقة التكوين ، ورقة النقوش

واشعاعات الضوء الملون عبر نوافذ النيراميك في النهار ، والشريات
الاسلامية بالليل .

وأجهل ما في هذا المسجد ، التقاء العالم الاسلامي فيه بلادا وشعوبا
قامت مصر بالتصميم الهندسي والبناء ثم ابدعت النقش بسابقتها في
الهندية والزخرفة والسلاوي .

وارسلت الامام فهي في هذا المسجد : امامه وعلامه .

أما تركيا فقد كسبت غير قليل من الجدران بالقيشاني وكسبت ايران
الأرض بالسجاد الفاخر .

وبدلت سائر البلاد الاسلامية ، المال ، معيننا لا ينضب



واشنطن : الليل والمجهول :

غادرنا واشنطن السابعة مساء في أنوبيس في طريقنا الى
بلاطسبرج .

سرنا والليل والمجهول .

وبعد نحو ثلاث ساعات ، انضم اليهما ، الثلج ، . . . تمطره السماء
نجاها . . .

وانتشرت على الطريق ، السيارات كاسحات النواج ، ولكنها متوقفة
حتى يتوقف .

وخاف خوفي أكثر . . . وبدأت أقرأ عن ظهر قلب آيات وآيات
تأميني الله من خوف ومن ليل .

وفي اليوم التالي ظهرت الشمس . . . والشمس حين نسطع على
البساط الثلجي . منظر جديد للعين المصرية . . . وأحسبه كذلك لكل
بلاد الشمس المشرقة .

ووصل الاتوبيس بلاطسبرج لأجد سيارة اخي في انتظارى ولم
أصدق نفسي الا في بيته وهو بيني . . . وكان بيتي المصري الثقيل من
القاهرة في هذه اللحظة ليجل هذه البقعة الى ملمح مصري لولا الثلوج
التي أراها من النافذة فتأذكر أن البون شاسع والفرق بعيد فمصر أم
الشمس والليل والدفء في السماء . وعلى الأرض وبين حنايا القلب .

وأخذت مكانى فى طائرة العودة فما ان استقر بى الكرسى حتى
 كان أول شىء فعلته هو ضبط ساعتى حسب توقيت القاهرة حتى تقول
 بسرعة حين أطلع اليها فى حساب الوقت الباقي على الوصول ٠٠٠
 لا أطيق الجمع والطرح الآن فى عملية فروق التوقيت •
 ويطول الانتظار فأستعين عليه بالقراءة تارة وبسنة من النوم
 طورا • ان أطول ساعة فى نهار الصائم هى التى قبل المغرب •
 ويعلن الطيار مقدم الربيع ٠٠٠٠ كان يوم وصولى ١١ مارس
 ولكنها ربيع دائم لا عمل للشهور فيه •
 ولكن يبدو أن الطبيعة أرادت أن تعابنى فهبت عاصفة على مطار
 القاهرة أعلن عنها الطيار نفسه ساعة الوصول •
 ونزل الركاب وهم يهرعون الى سيارة المطار هربا من الريح ولكنى
 بعد آخر درجة فى سلم الطائرة سجدت على الأرض أقبل ترابها بمجامع
 نفسى ٠٠٠٠ والتفت ابنى فام يجدنى بجانبه ووجدنى فى سجدة طويلة
 على أرض المطار أو أرضها جيبينى القاهرة فانزعج اذ حسبنى وقعت واذا
 نادانى أمى قلت له دعنى مع أمك الكبرى وأمى ٠٠٠ انها القاهرة وانها
 مصر •

الصـور



— قبة سانت پول



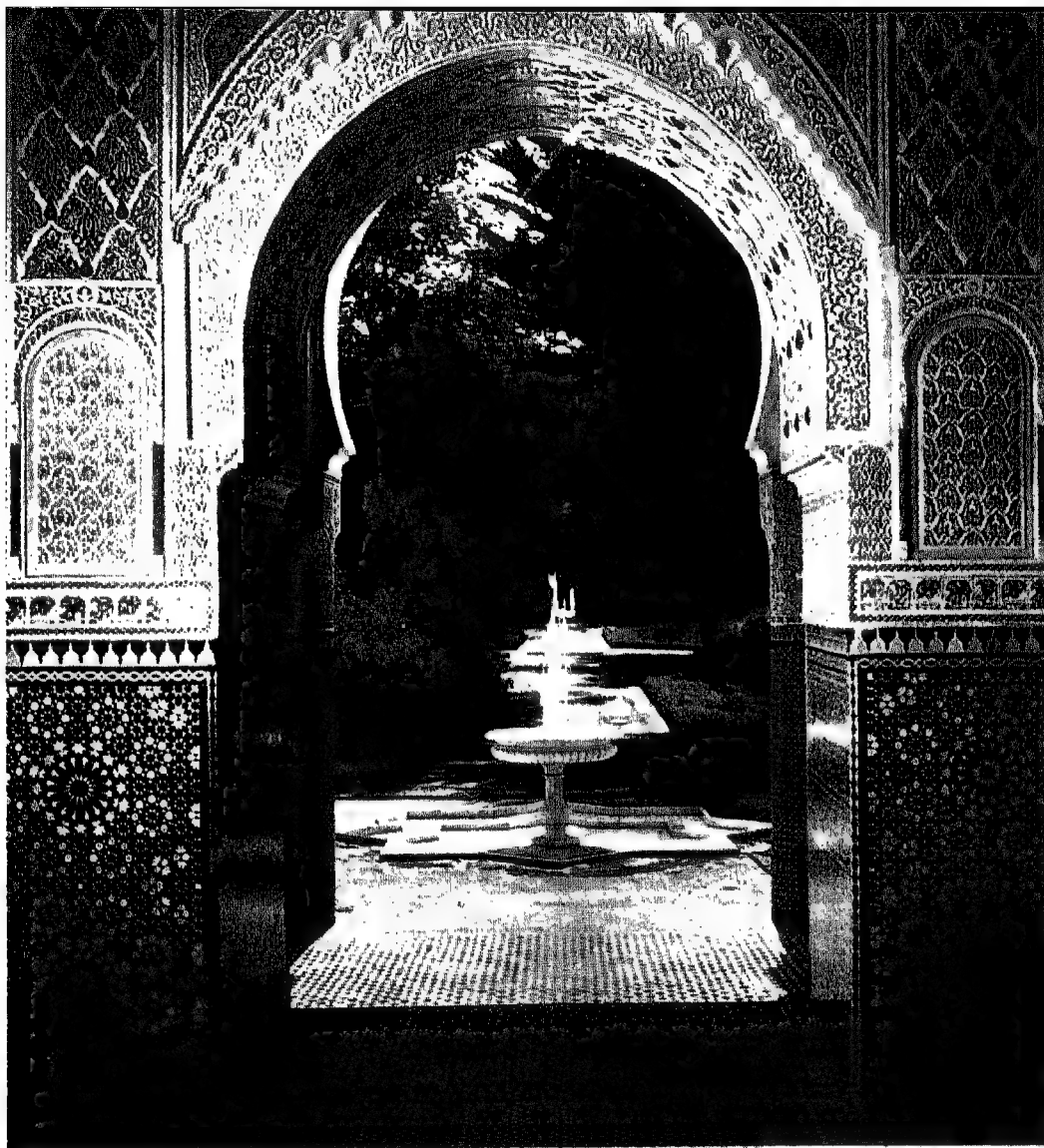
- جانب من عمارة تقليدية في تونس



— معابد أبو سمبل (أسوان)

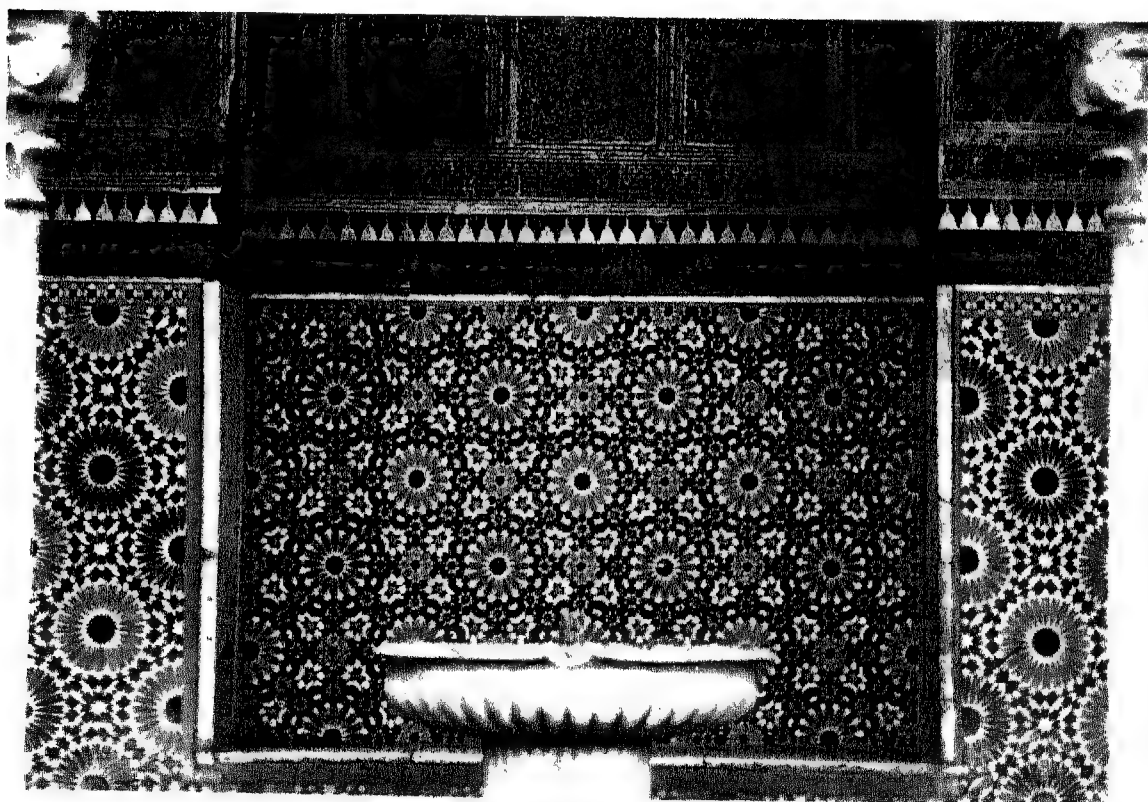


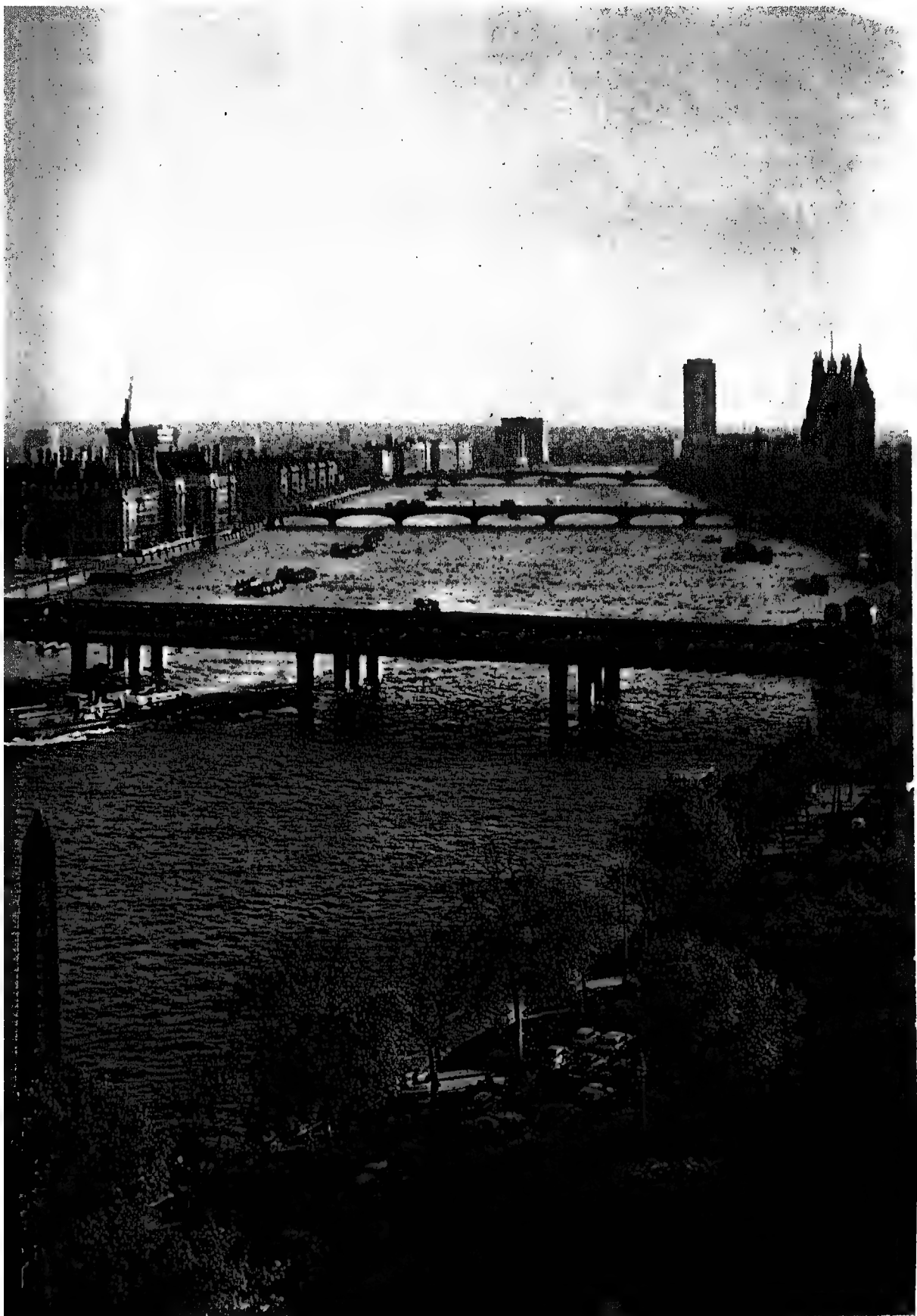
– شرفات ونوافذ ناتئة تشيد غالبا من خشب الساج أو
الأخشاب المتينة الأخرى . (جودة)



— باحة ، فاس (المغرب)

– تفاصيل للزليج المغربي (فاس)

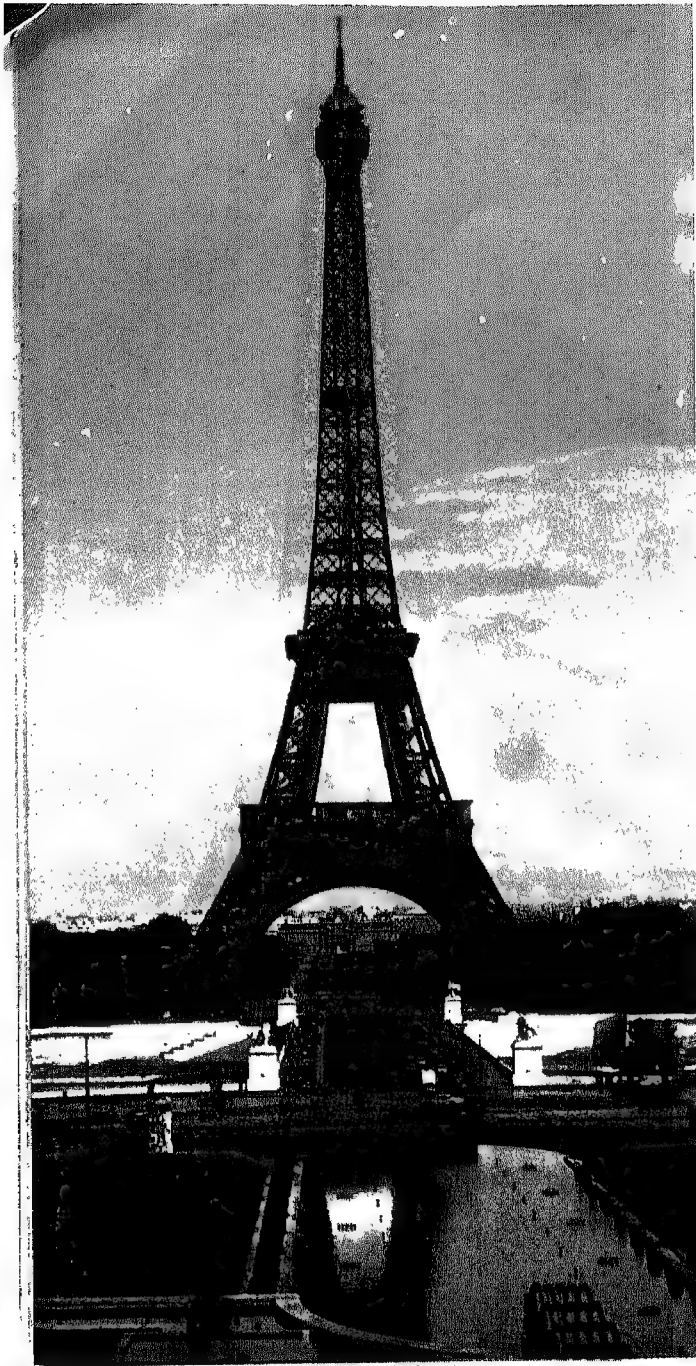




— مهر التيمس (لندن)



— قوس النصر (باريس)



— برج ایفل (باریس)



— فتاة من كوكى ، قرية صغيرة بالقرب من الشلال الثانى ،
شمال النوبة

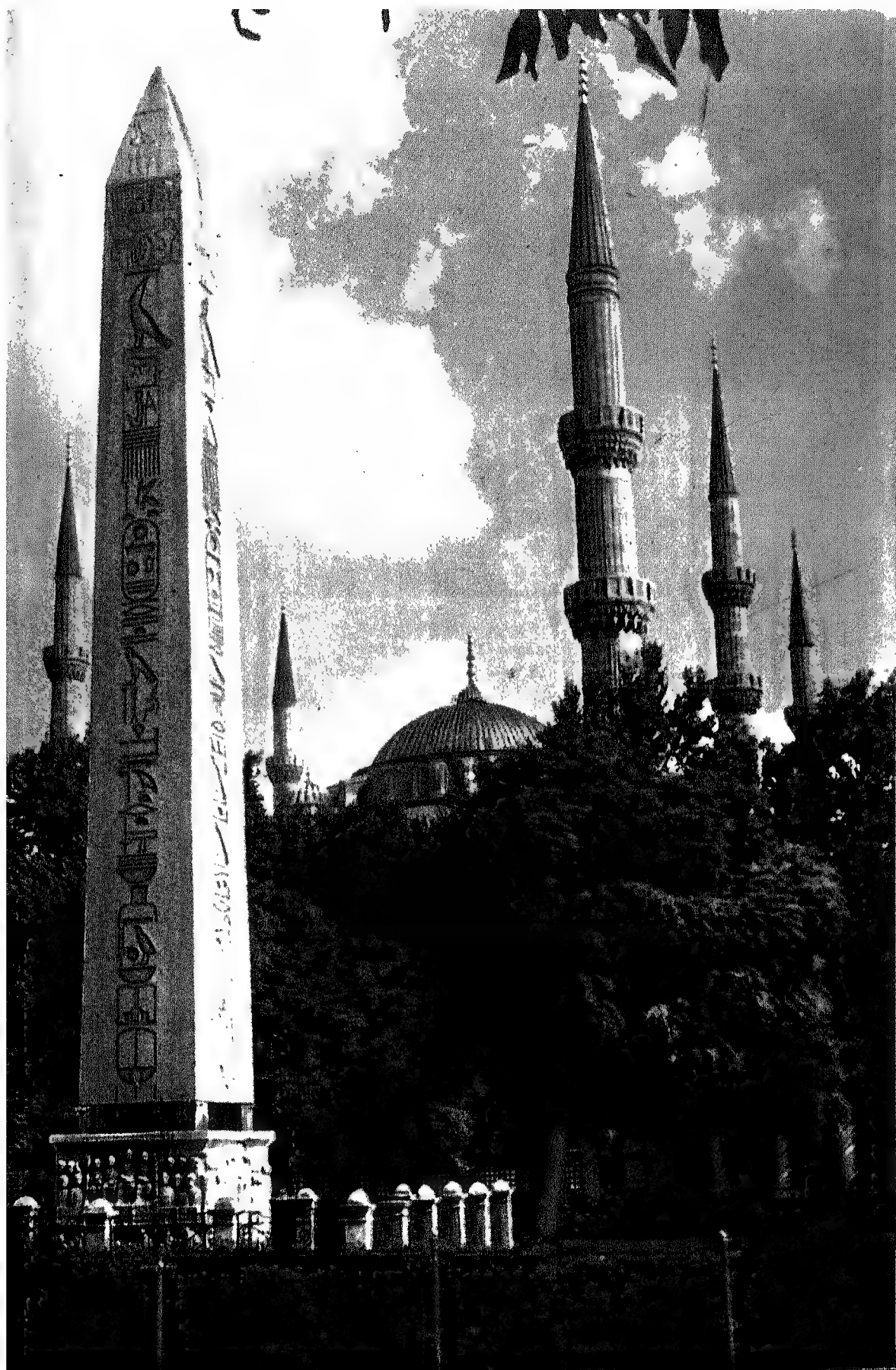


— نافورة في قصر دولما باختشي ، استانبول (تركيا)

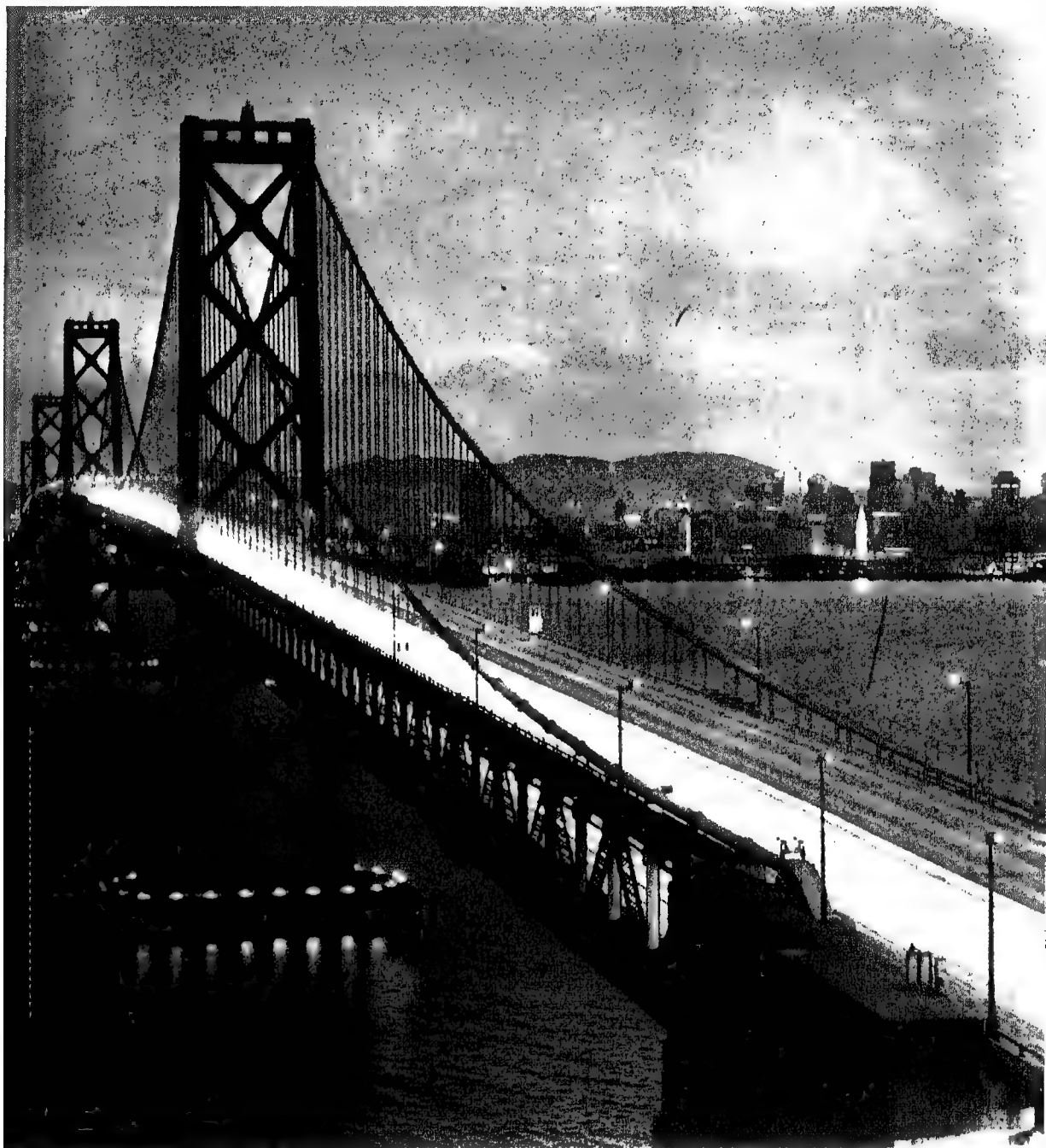


– جامع السليمانية (استانبول)

– قصر دولما باخشي (استانبول)



— جامع أياصوفيا في استانبول ، وقد ظهرت المسلة المصرية
في الميدان أمامه ، وكان السلطان سليم قد حملها معه من
مصر .



— كوبرى الباب الذهبى (سان فرانسيسكو) ، الولايات
المتحدة الأمريكية .



هذه الرحلة تطوف الشرق والغرب تجوب أوروبا وأمريكا وتذرع
مصر من الشمال إلى الجنوب بقلب مشوق ، وعين وضاعة الرؤية
تصل الماضى بالحاضر وتنفلذ إلى المستقبل بعقل مفتوح وأمل طموح .
والكاتبة فى هذه الرحلة تحلق فى الآفاق ، وتغوص فى الأعماق فى
عملية استشفاف ومقارنة بين الحضارات والشعوب والبلاد تجمع
بين :

- العلم والأدب
- الموضوعية وجمال الأسلوب
- الكشف والوصف
- المعاصرة والتراث

وهى عند المعالم الرئيسيه والبلاد تقدم بين يديها ، صفحة مركزة
جامعة فيها المعلومات والأرقام محققة وموثقة فى منهج علمى يزيده
نصوعاً وسطوعاً ، حلل الأدب وروح الأديب .